بسم الله الرحمن الرحيم

(وقف لله تعالى)

وَمَن أرادَ طِباعَتِهِ إبْتِغاءَ وَجْه الله تَعالىٰ لا يُرِيْدُ به عرضاً مِن الدنيا ، فقد أُذِنَ له في ذلك وَجَزى الله خيراً مَن طَبَعَهُ وَقْفاً لله ، أوْ أعانَ على طبعِه ، أوْ تَسَبَّبَ لِطَبْعِهِ وتوزيعه على إخوانه المسلمين .

وَسَمّيتُهُ (مِفْتَاحَ الأفْكارِ لِلتَّأهُّبِ لِدارِ القَرَارِ)

خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز المحمد السلمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ

طُبِعَ عَلَى نَفَقَةِ مَن يَبْتَغِي بذلك وَجْهَ الله والدارَ الآخرةَ فَجَزاه الله عن الإسلام والمسلمينَ خيراً وغَفَر له ولوالديه ولمن يُعِيْدُ طِباعَتَه أو يُعيْنُ عليها أو يَتَسَبَّب لها أو يُشيرُ على مَنْ يُؤمِلُ فيه الخيرَ أنَ يَطبَعَه وَقْفاً لله تعالى يُوزِّع على إخوانِهِ المسلمين .

اللهم صلي على محمد وعلى آله وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(فائدةٌ عَظِيْمَةُ النَّفعْ لِمَنْ وَفَّقَهُ الله)

ما أنْعَم اللّه على عَبْدٍ نِعْمةً أفْضَلَ مِنْ أنْ عَرَّفَهُ لَا إلهَ إلا اللّه ، وَفهَّمَهُ مَعْنَاهَا ، وَوَفَّقَهُ لِلعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا ، والدَّعْوَةِ إليْهَا .

أشْرَفُ الأشْيَاءِ قَلْبُكَ وَوَقْتُكَ فإذا أهْمَلْتَ قَلْبَكَ وَضَيَّعْتَ وَقْتَكَ ، فَمَا بَقِيَ مَعَكَ ؟ كُلُّ الفَوائِدِ ذَهَبَتْ فَانْتَبِهْ لِنَفْسِكَ .

(فَصْــــــلٌ)

فـــــائدة

وَقَفَ قَوْمٌ عَلَى عَالمٍ فَقَالُوْا إنَّا سَائِلُوكَ أفَمُجِيْبُنا أنْتِ قَالَ سَلُوْا وَلا تُكْثِرُوْا ، فَإنَّ النَّهارَ لَنْ يَرْجِعَ والعُمُرَ لَنْ يَعُوْدَ ، والطَّالِبَ حَثِيْثٌ في طَلَبِهِ ، قالُوْا فأَوْصِنَا ، قال تَزَوَّدُوا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أبْلَغَ البُغْيَةَ ، ثُمَّ قَالَ الأيَّامُ صَحَائِفُ الأعْمَارِ فَخَلِدُوْهَا أحْسَنَ الأعْمال ، فإنَّ الفُرَصَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَاب ، وَالتَّوَانيْ مِنْ أخْلَاقِ الكُسَالَى وَالخَوالِفِ ، ومَن اسْتَوْطَنَ مَرْكَبَ العَجْزِ عَثَرَ بهِ ، وتَزَوَّجَ التَّوَانيْ بِالكَسَلِ فَوُلِدَ بَيْنَهما الخُسْرانُ اهـ . قال بعضُهُم :

شعـــرا

تَزَوَجَتِ البَطَـــالَةُ بِالتَّــوَانِيْ   فَأَوْلَدَهَا غُلَاماً مَــعْ غُلَامَـــهْ
فَأَمَّا الإبْنُ سَمَّـــوْهُ بِفَقْـــرٍ   وَأَمَّا البِنْتُ سَمَّوْهَـــا نَدَمَـــهْ

آخـــر :

الذِّكْرُ أَصْدَقُ قَوْلٍ فافْهَمِ الْخَبَرَا   لِأَنَّهُ قَوْلُ مَنْ قَدْ أَنْشَأَ البَشَـــرَا
فَاعْمَلْ بِهِ إنْ تُرِدْ فَهماً وَمَعْرِفَــةً   يَاذَا النُّهَى كَيْ تَنَالَ العِزَّ والفَخَرَا
وتَحْمَدِ اللهَ فِي يَوْمِ المَعَادِ إذَا   جَاءَ الحِسَابُ وَعَمَّ الخَوفُ وانْتَشَرَا
للهِ دَرُّ رِجَالٍ عَـــامِلِيْنَ بِـــهِ   فِيْمَا يَدِقُّ وَمَا قَدْ جَلَّ واشْتَهَرَا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُلَاحَظَـة : لا يُسْمَـح لِأَيِ إنســـانٍ أنْ يَخْتَصِـرَهُ أَوْ يَتَعَرَّضَ لَهُ بِما يُسَمُّونَه تَحْقِيْقاً لِأَنَّ الاخْتِصَـارَ سَبَبٌ لِتَعْطِيلِ الأَصْـل والتَّحْقِيْق أرَى أنَّهُ اتِّهَـامٌ لِلْمُؤلِـف ، ولا يُطْبع إلَّا وَقْفـاً لله تعالى على من يَنْتَفعُ بِـهِ مِن المسلمين

فوائد عَظِيْمَةُ النَّفْع جِداً لِبَعْضِ العُلماء رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى :

(١) اللَّيْلُ والنَّهارُ يَعْمَلان فِيْكَ فاعْمَل فيهما أعْمَالاً صَالِحَةً تَرْبَحَ وتَحْمَدِ العَاقِبَةَ الحَمِيْدةَ إن شاءَ اللهُ تعالى .

(٢) المَلَائِكَةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلفَّظُ به فاحْرَصْ عَلَى أنْ لا تَنْطِقَ إلاَّ بِمَا يَسُرُّكَ يَومَ القِيَامَةْ مِن ذِكرِ اللهِ وما وَالاه .

(٣) إعْلَم أَنَّ قِصَرَ الأَمَلِ عليه مَدَارٌ عظيمٌ وحِصْنُ قِصَرِ الأَمَلِ ذِكْرُ الموتِ ، وحِصْنُ حِصْنِهِ ذكر فجأة الموتِ وَأخْذُ الإنسانِ على غِرَّةٍ وغَفْلةٍ وهُوَ في غُرُرٍ وفُتُور عن العمل للآخرة . فأحفظ هَذِهِ الفَوائدَ وأعملْ بها تُفْلح وتَرْبَحْ إن شاء الله .

ومَن أرادَ طِبَاعَتِهِ إبْتِغَاءَ وَجْه الله تَعَالىٰ لا يُرِيْدُ به عرضاً مِن الدنيا ، فقـد أُذِنَ لَه في ذلك وَجزَى اللهُ خيراً مَن طَبَعَهُ وَقْفاً لِلهِ ، أو أعانَ على طبعِهِ ، أو تَسَبَّبَ لِطَبْعِهِ وتوزيعه على إخوانه المسلمين . فقد وَرَدَ عنه ﷺ أنه قال :

« إنَّ اللهَ يُدْخِلُ في السَّهْمِ الوَاحِدِ ثلاثة نَفَرٍ الجَنَّة : صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ في صَنْعَتِهِ الخَيْرَ والرَّامِيْ بِهِ ، ومُنْبِلَه » الحديث ، رواه أبو داود .

وورد عنه ﷺ أنه قال :

« إذَا مَاتَ الإنسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلاَثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُوْ له » الحديث رواه مسلم .

وَعَنْ زَيْدْ بن خَالد رَضِي اللهُ عَنْهُ أنّ رسُول الله ﷺ قال : « مَنْ جَهَزَ غَازياً في سَبيلِ اللَّهِ فَقَدْ غزَا وَمَنْ خَلفَ غازياً في أهْله بِخَير فَقَدْ غزا » متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مِمَّا يلحَقُ المؤْمِن مِن عَمَلِهِ وحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوتِهِ عِلْماً عَلَّمَهُ ونَشَرهُ وَوَلداً صَالحاً تَرَكَهُ .

أو مُصْحَفاً ورَّثهُ أو مَسْجِداً بَنَاهُ أَوْ بَيْتاً لِابْن سَبِيْل بَنَاهُ أَوْ نَهْراً أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرجَهَا مِنْ مَالِهِ في صِحَّتِهِ وحَيَاتِهِ تَلْحَقُهُ مِن بَعْدِ مَوْتِهِ » رواه ابن ماجَهْ وابن خُزَيْمَة .

وَرَوَاهُ البَزَّارُ مِن حَدِيث أنسٍ إلاَّ أَنَّهُ قال : « سَبْعٌ تَجْرِي لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ وهـو في قبره مَنْ عَلَّمَ عِلْماً أَوْ كَرى نَهْراً أَوْ حَفَرَ بئراً أَوْ غَرسَ نَخْلاً أَوْ بَنى مسجـدا أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفاً أَوْ تَرَكَ وَلَداً يَسْتَغْفِرُ له بَعْدَ مَوْتِهِ » .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الواحد القهار العزيز الغفار مُقَدِّر الأقْدار ومُصَرِّفِ الأُمورِ على ما يَشاءُ ويختار ومُكَوِّر الليل على النهار.

الواحدِ الأحدِ الفردِ العليمِ الحكيمِ الذي أيقَظَ مِنْ خَلْقِه مَن اصْطفاهُ فأدخلَه في جُمُلةِ الأَخيارِ وَوَفَّقَ مَن اختارَ من عَبيدِهِ فجَعَلَهُ من الأبرار.

وبَصَّرَ من أَحَبَّهُ من خَلْقِهِ لِلْحقائِق فَزَهِدُوا في هذا الدار فاجْتهدوا في مَرْضَاتِهِ والتأهُّب لِدارِ القَرار.

وبَعْدُ فإني لَمَّا نَظَرْتُ في غَفْلتِي عن اكتسابِ الزادِ المُبَلِّغ لِيَوم المعادِ ورأيْتُ أوقاتي قَدْ ضَاعَت فِيمَا لا يَنفعُني في مَعَادِي ورَأَيْتُ اسْتِعْصاءَ نَفْسي عَمَّا يُؤنِسُني في رَمْسِي لاسِيما والشيطانُ والدنيا والهوى معها ظَهير.

فَعَزمْتُ إن شاء الله تعالى على أن أَجْمَعَ في هذا الكتاب ما تَيَسَّرَ من المواعِظِ والنَّصَائح والخُطَب والحِكَمِ والأَحْكام والفَوائِدِ والقَواعِدِ والآداب وفَضَائل الأخلاق المُستمدة من الكتاب والسنة ومِنْ كَلَام العُلماء الأوائلِ والأواخِرِ المستَمِدِ منهما ما أرجُو من الله العَلِّي الأعلى أَنْ يَسْتغني به الوَاعِظُ والخَطيبُ والمُرْشِدُ وغيرهم رَاجياً من الله الحَي القَيُّومِ ذي الجلالِ والإكرام الواحدِ الأحدِ الفَرْدِ الصَّمَدِ الذي لم يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ولم يَكُنْ لهُ كُفُواً أَحَد القوي العزيز الرَّؤوفِ الرحيم اللطيفِ الخبير أن يَنْفَعَ بهِ وأَنْ يَأجُرَ مَنْ يَطْبَعَه وَقْفاً لله تعالى أَوْ يُعِينُ على طِباعَتِهِ أو يَتَسَبَّبُ لها وسَمَّيْتُهُ «مِفْتاح الأفكار للتَّأهُّبِ لِدَارِ القَرَار».

عبدالعزيز بن محمد بن سلمان

بسم الله الرحمن الرحيم وبِهِ نَستعين

قال تعالى: ﴿واتَّقُوا يوماً تُرْجَعُون فيه إلى الله ثم تُوفَّى كُلُ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وهم لا يُظْلَمُـون﴾. وقـال تبـارك وتعالى: ﴿يوم تأتى كل نفسٍ تجادل عن نفسها﴾ الآية. وقال تبارك وتعالى: ﴿وأَنْفِقُوا مما رزقناكم من قبـل أَنْ يأتي أحـدكم المـوتُ فيقولَ رب لَولاَ أخرتَنِي إلى أجلٍ قَريب فأصدقَ وأكُنْ مِن الصالحين، ولَنْ يُؤَخِّرَ الله نَفْساً إذا جاءَ أَجَلُها والله خبير بما تعملون﴾. وقال جل وعلا: ﴿أَنْ تقول نَفْسٌ يا حَسْرَتَا على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ الله وإنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرين، أَو تقول لَوَ أنَّ الله هداني لَكُنْتُ مِنَ الـمـتـقين أَو تقـولَ حينَ ترى العـذابَ لَوْ أنَّ لي كَرَّةً فأكُـونَ من المحسنين﴾. وقـال تعـالى: ﴿ هنالك تبلُو كُلُ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ وقـال تعـالى: ﴿كُلُ نفسٍ ذائقةُ الموت وإنَّما تُوفَون أُجُوركُم يوم القيامة فمن زُحْزِحَ عن النار وأدخِلَ الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾. وقال تعالى: ﴿حتى إذا جَاءَ أحدَهُم الموت قال ربي ارْجِعُونِ لَعَلي أعمل صالحـا فيمـا تَركْتُ كَلَّا إنها كَلِمَةٌ هو قائِلُها ومِن ورائهم بَرْزَخٌ إلى يوم يُبْعَثُون﴾ الآيات. وقال جَلَّ وعَلا ﴿وأَنْذِرهم يومَ الحسرة إِذْ قُضِيَ الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾. وقال تعالى: ﴿وَبَدَا لهم مِن الله ما لم يكـونـوا يَحْتَسِبُـون، وبَـدَا لَهُمْ سَيئـات ما عَمِلوا وحَـاقَ بِهم ما كانُوا به يَسْتَهْزِؤون﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوْا فَلا فَوتَ وأُخِذُوا من مكانٍ قَرِيب، وقالوا آمنا به وأنَّى لَهُم التَّناوُش من مكانٍ بعيد، وقد كفروا به من

قبْلُ وَيقْذِفونَ بالغَيْب من مكانٍ بعيد ، وِحيْلَ بَيْنَهُم وبَيْنَ ما يشتَهُون ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿قُلْ يَتوفَّاكُم مَلَكُ الموتِ الذي وُكِّلَ بكُمْ ثم إلى ربكم ترجعون ، ولو تَري إِذِ المُجْرِمُون نَاكِسُوا رُؤسِهِمْ عند رَبهم ربَّنا أَبْصَرْنا وسَمِعْنا فارجعنا نَعْمل صالحاً إنَّا مُوْقِنون﴾ .

وقـال تعـالى : ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم يَنْسلُون، قالـوا يا ويلنا من بعثنا مِن مرقدنا هذا ما وعد الرحمنُ وصدق المرسلون، إن كانت إلا صَيْحَة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾. وقال تعالى : ﴿ونُفِخَ في الصُور فصعق مَن في السموٰات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه دَاخرين﴾ . وقال تعالى : ﴿اقْترب للناس حسابَهُم وهم في غَفْلةٍ مُعرضون﴾. وقال تعالى ﴿وأنذرهُم يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾. وقال تعالى : ﴿وجَاءت سَكْرت الموتِ بالحق ذلك ما كنت منه تحيد، ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد، لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾. وقال تعالى : ﴿أزِفَتِ الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة﴾. وقال تعالى : يوم يقوم الروح والملائكة لا يتكلمون إلا من أذِنَ له الرحمن وقال صوابا، ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا إنا أنذرناكم عذاباً قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾. وقال تعالى : ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى﴾. وقال تعالى : ﴿فإذا جاءت الصاخة، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه﴾. وقال تعالى : ﴿ وجِيْءَ يومئذ بِجَهَنَّم يوم إذٍ يتذكر الإنسان وأنَّى الذكرى ﴾.

الأحاديـــث

وعن ابنِ عمر رضي الله عنهما انَّ رسولَ الله ﷺ قال: (ما حَقُّ امرىء مسلم لَهُ شيءٌ يُوصِيْ فيهِ يَبِيْتُ لَيْلَتَيْنِ إلا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ متفق عليه وعن ابن عمر قال أخذ رسول الله ﷺ بِمَنْكِبَي فقال: (كُنْ في الدنيا كأنك غَرِيبٌ أو عابِرُ سبيل، وكان ابن عُمر رضي الله عنهما يقول: إذا أَمْسَيْتَ فلا تَنْتَـظِر الصبـاحَ وإذا أَصْبَحْتَ فلا تَنْتَـظِر المساءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمرضِكَ ومِن حَياتِكَ لِمَوْتِكَ رواه البخاري، وقال ﷺ أَكْثِرُوا ذِكْرَ هادم اللذات، يعني المـوت رواه التـرمـذي. وقال حديث حسن، وقال ﷺ (بادروا بالأعمال سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُون إلا فقراً مُنْسِيًا أَوْ غِنىً مُطْغِيًا أو مَرَضاً مُفْسِدا، أو هرماً مُفَنَّدا أو مَوتاً مُجْهِزا أو الدَّجالَ فشرُ غَائِبٍ يُنْتَظَرْ أو الساعة فالساعةُ أَدْهى وأَمَر رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا يَتمَنَّى أَحَدُكُم الموت إمَّا مُحْسِناً فَلَعَلَّهُ يَزْدادُ وإمَّا مُسِيئاً فلَعَلَّه يَسْتَعْتِب متفق عليه. وفي رواية مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (لا يَتمَنَّى أحدُكم الموتَ ولا يَدْعُ بهِ مِن قَبْل أَنْ يَأتِيَهُ إنَّه إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقَطَعَ عَمَلُه وإنَّهُ لا يَزِيدُ المؤمن عُمرُهُ إلاَّ خَيْرا، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لا يَتمنَّينَ أحدكُم الموتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ فإنْ كان لابُـدَّ فاعِلاً فَلْيَقُلْ اللهم أَحْيِني ما كانَت الحياةُ خَيْراً لي وتَوفَّني إذا كانتِ الوَفاةُ خَيْراً لي متفق عليه.

١ «موعظــة»

إخْـوانِي إنّ فِي مَوَاعِظِ الأيَّامِ واللَّيَالِي لَعِبْـرَةً لِذَوِيْ البَصَائِرِ رَكَائِبُ أمْواتٍ تُزْعَجُ عن مَقْصُوراتِ القُصُورِ ثم تُحمَلُ إلى مَضَائِقِ القُبُورِ، فَكَمْ قَدْ شَاهَدْتُمْ من شَخصِيَّاتٍ في الأرضِ ، قد وُضِعتْ، وكَمْ قَدْ عايَنْتُم مِن أَبْدانٍ نَاعِمَةٍ قَدْ لُفَّتْ وإلى مَضِيقِ الأَلْحَادِ قدْ زُفَّتْ فيالَها من غايةٍ يَسْتَبِقُ إليها العِبَادُ ويَا لَهُ من مِضْمارٍ يَتَناوَبُهُ جَوَادُ بعدَ جَواد ويالَهُ من هوْلٍ شديدٍ يَعْقِبُـهُ أَهـوالٌ شِداد، فِتْنَةُ قُبُورٍ وحَشْرٌ في مَوْقِفٍ مَهِيْلٍ موقفٌ فيه تَنْقَطِعُ الأَنْسَابُ وتَخْضَعُ فيه الرِّقابُ وتَنْسَكِبُ فيهِ العَبَراتُ وتَتَصاعَدُ فيهِ الزَّفَراتُ ذلكَ مَوْقِفٌ تُنْشَرُ فيهِ الدَّواوِيْنُ، وتُنْصَبُ فيهِ المَوَازِينُ، ويُمَدُّ فيهِ الصِّرَاطُ، وحِينئذٍ يَقَعُ الامتيازُ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ومُكَرْدَسٌ في النار.

شعرا:

قُمْ في ظَلاَمِ اللَّيْلِ واقْصُدْ مُهَيْمِناً ... يَرَاكَ إلـيه في الـدُّجَى تَتَـوسَّـلُ
وقُلْ يا عِظِيمَ العَفْوِ لا تَقْطَعِ الرَّجا ... فأنـتَ الـمُـنى يا غايَتِي والمُؤَمَّـلُ
فيا رَبَّ فاقْبَـلْ تَوْبـتي بِتَفَضُّـلٍ ... فمـا زِلْتَ تَعْفُـو عن كثيرٍ وتُمْهِـلُ
فإنْ أَنتَ لَمْ تَعْفُـو وأَنتَ ذَخيرتي ... لِمَنْ أَشْتكي حَالي ومَنْ أَتَـوَسَّـلُ
حَقِيقٌ لِمنْ أخْـطَا وعَـادَ لِمَا مَضَى ... ويَبْـقَى على أبـوابِـهِ يَتَـذَلَّـلُ
ويَبْكِـيْ على جِسْمٍ ضَعِـيفٍ مِنَ البِلى ... لَعَـلَّ يَجُـودُ الـسَّيِّدُ المُتَفَضِّـلُ
رَجَـوْتُ إلـهِي رحمـةً وتفضُّـلاً ... لِمَـنْ تابَ مِن زَلاَّتِـهِ يَتَـقَـبَّـلُ

اللهم اجْعلنا من المتقين الأَبْرارِ وأَسْكِنَّا معهُم في دارِ القرارَ، اللهم وفقنـا بِحُسْن الإِقبال عَلَيْـكَ والإِصْغَاءِ إليك ووفِّقْنا للتعاوُنِ في طاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إلى خِدْمَتكَ وحُسْن الآداب في مُعَامَلَتِكَ والتسليم لأمرِكَ والرِّضا بِقَضائِكَ والصبر على بَلائِك والشكرِ لِنَعْمائِكَ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحمَ الراحمين وصلى الله على محمدٍ وآلِهِ أجمعين.

(فَصْـلٌ)

قال بعض العلماء: مِن عَجيب ما نَقَدْتُ من أَحوالِ الناسِ كَثْرَةِ ما ناحُوا على خَرَابِ الديارِ ومَوْتِ الأَقارب والأسلاف والتَّحَسُّر على الأَرْزاق بِذَمِ الزمانِ وأهلِهِ وذِكر نَكَدِ العيشِ فيه.

وقد رأوا من انْهِدَامِ الإِسلامِ وموتِ السُنَن وظُهُورِ البدعِ وارْتكابِ المعَاصي وتَقَضِي العُمْرِ في الفارِغِ الذي لا يُجْدي والقبيح الذي يُوْبِقُ ويُؤذِي. فلا أجد أحداً منهم ناح على دينه ولا بَكَى على فارط عمره ولا آسَى على فائت دهره.

وما أرَى لذلكَ سبباً إلاَّ قِلَّةَ مُبالاتِهم في الأَديانِ وعِظَمَ الدُنيا في عُيُونهم.

ضِدٌّ ما كان عليه السلفُ الصالحُ يَرضَونَ بالبلاغ ويَنُوحُونَ على الدين أ هـ.

وكَتبَ بعضُهم إلى صديق له يشاوره في شيءٍ من أمرِ الدنيا فكان الجواب: اطلب الدنيا على قَدْرِ مُكْثِكَ فيها، واطلب الآخرةَ على قدرِ حاجَتِكَ إليها.

وقال يحيى بن معاذ: لَسْتُ آمركم بترك الدنيا آمركم بترك الذنوب، تركُ الدنيا فَضِيلة وتركُ الذنوب فريضة وأنتم إلى إقامة الفريضة أحوج منكم إلى الحسنات.

وقال: لا تكن ممَّنْ يَفْضَحُهُ يوم مَوتِهِ مِيراثُه ويومَ حَشْرِهِ مِيزانُه.

وقال إبراهيم الخواص: دَوَاءُ القلبِ في خمسةِ أَشياء: قِراءةِ القُرآن بالتدبر، وخلاءِ البطنِ، وقيامِ الليلِ، والتضرعِ عند السَّحَرِ، ومُجالَسَةِ الصَّالحين.

وقال: على قَدْرِ إعْزازِ المرءِ لأمْرِ الله يُلْبِسُه الله من عِزه، ويُقيمُ له العِزَّ في قُلُوبِ المؤمنين.

وقال في الفُنُون لقد عظَّم الله الحيوانَ لاسيَّما ابنَ آدم حيثُ أباحَهُ الشركَ عند الإكراه وخَوفِ الضَّرَرِ على نفسه فقال جل وعلا ﴿إلَّا مَن أكْرِهَ وقَلبُه مُطْمَئِنٌ بالإيمان﴾.

مَن قدَّمَ حُرمَةَ نفْسِكَ على حُرْمَتِهِ حتَّى أَباحَكَ أَن تَتَوقَى وتُحامي عن نفسِك بِذِكره بما لا ينبغي له سبحانه.

فَحَقيقٌ أن تُعَظِمَ شَعَائِرَهُ وتَوقِّر أوامِرَهُ وزواجره وعَصَم عِرْضَكَ بإيجابِ الحدِ بِقَذْفِكَ وعَصَمَ مالَكَ بِقَطْعِ مُسلمٍ في سَرقته.

وأَسْقَطَ شَطْرَ الصلاةِ لِأجل مَشَقَّتِكَ وأَقَامَ مَسْحَ الخُفِّ مَقَامَ غَسْلِ الرجلِ إشْفاقاً عليكَ من مَشَقَّةِ الخَلْعِ واللُبس وأباحَكَ الميتةَ سَدةً لِرَمَقِكَ وحِفْظاً لِصحَّتكَ، وزَجَرَكَ عن مَضارِكَ بحَدٍ عاجِل ووعيدٍ آجلٍ، وخَرَقَ العوائِدَ لأَجْلِكَ وأَنزلَ الكتبَ إليكَ.

أيَحْسُنُ بكَ معَ هذا الإكرام أن تُرى على ما نَهَاكَ مُنْهَمِكاً وعَمَّا أمَرَكَ مُتَنَكِّبا وعن داعِيهِ مُعْرِضَا ولِسُنَّتهِ هَاجِرا ولِدَاعي عَدُوِّكَ فيه مُطيعا.

يُعَظِمُكَ وهُو هُوَ وتُهْملُ أمرَهُ وأنْتَ أنْتَ وهو حَطَّ رُتَبَ عبادِهِ لأَجْلِكَ وأهبَطَ إلى الأرض مَن امْتَنَعَ مِن سَجدةٍ يَسْجُدُ لأبيك.

هَلْ عادَيت خادماً طالَتْ خدمتهُ لكَ لتركِ صلاة، هل نفيتَهُ من داركَ للإِخْلالِ بِفَرض أو لارتكاب نهي، إنتهى.

قلت وفي وقتنا هل أخْرَجْتَ الملاهي والمنكرات من بَيْتِكَ هل مَنَعْتَ الأجانِبَ والأجنَبِيَّاتِ سَوَّاقين وخدَّمات من بيتِك.

فـــائدة

وَقَفَ قَوْمٌ عَلَى عَالمٍ فَقَالُوْا إنَّا سَائِلُوكَ أَفَمجيْبنَا أَنْتِ قَالَ سَلُوْا وَلا تُكْثرُوْا، فَإِنَّ النَّهارَ لَنْ يَرْجِعَ والعُمَرَ لَنْ يعُوْدَ، والطَّالِبَ حَثِيْثٌ في طَلَبهِ، قالُوْا فأَوْصِناَ، قال تَزَوَّدُوْا عَلَى قَدْرِ سَفرِكُمْ فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أبْلَغَ البُغْيَةَ، ثُمَّ قَالَ الأيَّامُ صَحَائِفُ الأعْمَارِ فَخَلِدُوْهَا أَحْسَنَ الأعْمال، فإنَّ الفُرَصَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَاب، وَالتَّوَانيْ مِنْ أَخْلاقِ الكُسَالَى وَالخَوَالِفِ، وَمَن اسْتَوْطَنَ مَرْكَبَ العَجْزِ عَثَرَ بِهِ، وتَزَوَّجَ التَّوَانيْ بِالكَسَلِ فَوُلِدَ بَيْنَهُمَا الخُسْرَان اهـ.

اللهم يا هادِي المضلين ويا راحم المذنبين ، ومُقِيْلَ عثرات العاثرين ، نسألك أن تُلْحِقنا بعبادك الصالحين الذين أنعمت عليهم من النَّبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين .

اللهم يا عالم الخفيات ، ويا رفيع الدرجات ، يا غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .

نسألك أن تذيقنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

[فصل في بعض ذكر فوائد ذكر الموت]

إعلم أنَّ في ذكر الموت فوائد عديدة مِن ذلك أنه يَرْدَعُ عن المعاصي ، ويُلَيِّنُ القلبَ القاسِي .

ثانيا : يُذْهِبُ الفرحَ والسرورَ بالدنيا ، ويُزَهِّدُ فيها ، ويُهَوِّنُ المصـــائبَ .

ثالثا : التأثر في مُشاهَدةِ المُحْتَضَرينَ الذين تَخْرُجَ أرواحُهم ، فإن في النظرُ إليهم ومُشاهَدَةُ سَكَراتِهم عندَ نَزْع أرْوَاحِهِم ، وشُخُوص أبصارِهم عند نَزْعِها ، وعَجْزِهِمْ عن الكَلامِ ، عند تَسَلُلِ الروحِ مِن الجَسَدِ .

وتأمُّلِ صُورِهم بَعدَ خُرُوج الروحِ مَا يَقْطِعُ عن النُفوس لَذَاتِها ويَطرَدُ عن القُلوب مَسَرَّاتِها ويَمْنعُ الجفونَ مِن النَّوم ويَمْنَعُ الأبدانَ مِن الراحة .

ويَبْعَثُ على الجِدِ والاجتهادِ في العمل لِلآخرة فرُوِيَ أَنَّ الحسنَ البَصري دَخَلَ على مَريض يَعُودُهُ فَوَجَدَهُ في سَكَراتِ الموت .

فنَظَرَ إلى كُرَبِهِ وشِدَّةِ مَا نَزَلَ به فَرجَعَ إلى أَهلِهِ بغيرِ اللَّونِ الذي خَرَجَ به مِن عندهم .

فقالوا له الطَعامَ فَلَمْ يأكل وقال : فوالله لقَدَ رَأيْتُ مَصْرَعاً لا أزَالُ أعملُ لَهُ حتى اللقَاء .

الرابع : مِمَّا يُلَيِّنُ القلوبَ القاسية زيارةُ القُبور .

فإنها تَبْلُغُ مِن القُلوب ما لا يبلغه الأول والثاني والثالث لأنها تذكر بالآخرة .

ولم أرَى كالأمواتِ أفْجَعَ مَنْظِراً ولا واعِظِي جُلَّاسِهم كالمقـــابِرِ

آخـــــر :

وَعَظَتْكَ أَجْدَاثٌ وهُنَّ صُمُوْتُ وأَصْحَابُها تحْتَ التُراب خُفُــوْتُ

الخـــامس : زيارة المستشفيات والمستوصفات فإنها تلين القلوب وتحث الانسان على حمد الله وشكره وعلى الجد والاجتهاد فيما يَعُودُ نَفْعُه على الانسان في الآخرة .

ويَنْبَغِي للانسان أنْ يُقَوِّي ظَنَّه بالله وَيَسْتَحْضِر رَحْمَتَه ورَأفَتَه وَلُطْفَه بعباده ولا سِيَّما عند الاحتضار .

قال ﷺ « لا يَموتُن أَحَدُكم إلا وهو يُحْسِنُ الظنّ بالله » رواه مسلم وفي حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « قال الله عز وجل : أنا عِندَ ظَن عبدي بي » الحديث متفق عليه .

ولا رَيْبَ أن حُسْنَ الظن برب العالمين الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى الحليم الكريم الجواد الرحمن الرحيم الرؤوف بالعباد الغني عنا وعن أعمالنا وعن تَعْذِيبنا وعِقَابنا .

مِن أعظم ما نتقربُ به إليه ومِن أَجْزَلِ ما نَتَوجَّهُ به عليه .

أيُّ عِبادَةٍ أعظمُ مِن حُسْنِ ظنِنَا برب العالمين مَعَ الخوف مِن

مُعَامَلَتِهِ إيَّانا بِعَدْلِهِ .

فالعاقِلُ يكون بين الخوف والرجاء لكن يُغَلِّبُ الرجَاءَ عندَ الاحتِضار ويحسن الظن بالكريم الغفار ويَستحضر أنه قادم على أكرم الأكرمين . وأجود الأجودين البر الرحيم .

وإن حَصَل أنْ يتلى عند المحتضَر آياتُ الرجاء وأحاديث الرجاء لِيَقْوَى ظنُه بالله تعالى أجْودُ الأجْوَدِين وأكرم الأكرمين .

ومِن آيات الرجاء قوله جَلَّ وعلا وتقدس ﴿ **قل يا عبادي الذين أسْرفُوا على أنفسهم لا تَقْنَطُوا مِن رحمة الله إن الله يَغْفِرُ الذُنُوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ .

وقال تعالى ﴿ **ورحمتي وسِعَتْ كُلَّ شيء** ﴾ وقوله ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخرَ ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومَن يفعل ذلك يلقى أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا مَن تاب وآمن وعمِل عملاً صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما** ﴾ .

وقوله ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ .

ومن أحاديث الرجاء ما ورد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قُدِمَ على رسول الله ﷺ بِسَبْي فإذا إمرأة مِن السَّبْي تَسْعَى إذا وجَدَتْ صَبيّاً في السَّبْي أخَذَتْهُ فالْزَقَتْهُ ببَطْنِهَا فأرْضَعَتْهُ .

فقال رسول الله ﷺ « أترونَ هَذِهِ المرأةَ طارِحَةً ولَدَهَا في النار قُلْنَا لا يارسول الله فقال : الله أرْحَمُ بعِبادِهِ مِن هَذِهِ بِوَلَدِها » متفق عليه .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « فإنَّ الله حَرَّمَ على النارِ مَن قال : لا إله إلا الله يَبْتَغِي بذلك وجْهَ الله » متفق عليه .

وقـال صلى الله عليه وسلم « لما خَلَق الله الخَلْقَ كَتَبَ في كِتابٍ فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي تغلب غضبي وفي رواية غلبتْ غضبي وفي رواية سَبَقَتْ غضبي » متفق عليه .

وروي عن الإمام أحمد أنه لما حضرته الوفاة قال لولده عبدالله : الْقِ عَليَّ أحاديث الرجاء .

لِأنَّ المؤمن إذا سَمِـعَ آياتِ الـرجاء وأحاديثَ الرجاء قَوِيَ حُسْنُ ظَنِّهِ بِربهِ عَزَّ وَجل واشتاق إلى لِقاءِ سَيِّدِهِ ومولاه الذي هو أرحم به من والديه وأولاده فعند ذلك تهون عليه سكراتُ الموت إذا أَرَادَ الله .

إذا اشْتَكَتْ مِن كَلالِ السَّيْرِ أوْ عَدَهَا
وَصْلَ المُحِبِّ فَتَحْيَا عِندَ مِيْعَـــادِ

والمهم أنه يحرص كل الحرص على تقوية حسن ظنه برب العالمين ثم اعلم أن للموت سكرات قال الله جل وعلا وتقدس ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ .

وقيل إن الأعضـاء يسلم بعضُهـا على بعض ففي تذكـرة القـرطبي عن أنسٍ مرفوعا « إن العبد لَيُعَالج كُرَبَ الموت وإن مَفَـاصلَهُ لَيُسَلِّمُ بَعْضَهـا على بعض يقول السلام عليكَ تُفَارِقُني وأفارِقُكَ إلى يوم القيامة » .

أي يُوَدِّعُ بعضُها بَعْضَا .

خُلقْنا لِأحْدَاث الليالى فَرائِساً   تُزَفُ إلى الأجْدَاثِ مِنَّا عَرائِساَ

تُجَهِّزُ مِنَّا لِلْقُبورِ عَسَاكِـــراً وتُرْدِفُ أعوادَ المنايا فَوارِسَـــاَ
إذا أَمَلٌ أرْخَى لنا مِن عِنَانِهِ غَداً أجَلٌ عَمَّا نُحَاوِلُ حَابِســاَ
أرَى الغُصْنَ لَمَّا اجْتُثَّ وهو بمائِهِ رَطيباً وما أنْ أصبحَ الغُصْنُ يابساَ
نَشِيدُ قُصوراً لِلْخُلودِ سَفَاهَــــةً ونصبر ما شئنا فتورا دَوَارِســـا

اللَّهُم وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأعْمَالَ ،ونَجِّنَا من جميعِ الأَهْوَالِ ، وأمِّنَا مِنَ الفَزَعِ الأكْبَرِ يومَ الرَّجْفِ والزِلْزَالْ ، وَاغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأحْيَاءِ منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يا أرحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصَلى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبه أجمعين .

(فصـــــل)

إعِلم وَفَّقَنَا اللهُ وإيَّاكَ وجَمِيعَ المسلمين لما يُحِبُّهُ ويَرْضَاهُ أنَّ كَثْرةَ ذِكْرِ الموتِ تَرْدَعُ عن المعاصي وَتُلَيِّنُ القَلْبَ القَاسي ، وتُذْهِبُ الفَرَحَ بالدُنْيا وزِيْنَتِهَا وزَخارِفِهِا ولَذَّاتها .

وتَحُثُكَ على الجِد والاجتهادِ في الطاعاتِ وإصلاحِ أحْوَالِكَ وشُؤُنِكَ والتَّنَسُخِ مِن حُقُوقِ اللهِ وحقوقُ خَلْقِهِ ، وتَنْفِيذِ الوَصَايَا وَأَدَاءِ الآماناتِ والدِيُون .

قال بَعْضُهم فَضَحَ الدنيا والله هذا الموتُ فلم يَترِكْ فيها لِذي عَقْلٍ فَرَحاً .

وقال آخَرُ مَا رَأَيْتُ عاقِلاً قَطٌّ إلا وجَدْتُهُ حَذِراً مِن الموتِ حَزِيْناً مِن أَجْلِهِ .

وقال آخَرُ مَن ذَكَرَ الموتَ هَانت عليه مَصَائِبُ الدنيا .

وقا آخَرُ : مَن لم يَخَفْهُ في هذه الدار رُبَّمَا تَمَنَّاهُ في الآخِرة فلا يُؤتَاه .

وقال آخر يُوْصِيْ أخَاً له : يا أخي إحْذِرِ الموتَ في هذه الدِار مِن قَبْلِ أنْ تَصِيْرَ إلى دارٍ تَتَمَنَّى بها الموتَ فلا يُوْجَد .

وقال آخر : وأمَا ذِكْرُ الموتِ والتَّفَكُرُ فيه ، فإنَّهُ وإنْ كان أمْراً مُقَدَّراً مَفْرُوْغاً منه ، فإنه يكْسُبَك بِتَوْفيْقِ اللهِ التَّجَافِي عن دَارِ الغُرُوْرِ ، والاسْتِعْدَادِ والإنَابَةِ إلى دَارِ الخلودِ ، والتَّفَكرُ والنَّظَرُ فيما تَقْدَمُ عَليه وَفيما يَصِيْرُ أمْرُكَ إليه .

ويُهَوِّنُ عَليْكَ مَصَائِبَ الدنيا ويُصَغِرُ عَندكَ نَوائِبَها ، فإن كانَ سَبَبُ مَوْتِكَ سَهْلاً وأمْرُهُ قَرِيْباً فَهو ذَاك ، وإن كانَتِ الأُخْرى كُنْتَ مأجُوراً مَعَ النيةِ الصالِحَةِ فيما تُقَاسِيْهِ ، مُثَّاباً على ما تَتَحَمَّلُه مِنْ المَشَاقِّ .

واعلم أنَّ ذِكْرِ الموتِ وَغيرَهِ مِن الأذْكَارِ إنما يَكُوْنُ بالقَلْب وإقْبالِكَ على مَا تَذكرهُ . قال الله جلا جلاله وتَقَدَّسَتْ أسْمَاؤه : ﴿ إن في ذلك لذكرى لِمَنْ كان له قلبٌ أوْ ألْقَى السمع وهو شهيد ﴾ فأيُ فائِدةٍ لَكَ رَحمكَ اللهُ في تَحْرِيْكَ لِسَانِكَ إذا لم يَخْطُر بقَلْبكَ .

وإنما مَثَل الذِكْرِ الذِي يَعْقِبُ التنبيه ، ويكون مَعَهُ النفعُ والإيْقَاظِ مِن الغَفْلةِ والنومِ أنْ تُحضِرَ المذكورَ قَلْبَكَ وتَجمَعَ لَهُ ذُهْنَكَ وتَجْعَلَهُ نَصْبَ عَيْنَيْكَ مِن وَلَدٍ أوْ أهْلٍ أو مالٍ أو غير ذلك ، فَتَعْلَم عِلْماً لا يَشُوْبُهُ شَكٌ أنَّكَ مُفارِقُهُ إمَّا في الحَيَاةِ أوْ في المَمَاتِ ، وهذهِ سُنَّةُ اللهِ الجَارِيَةُ في خَلقِهِ وحُكْمُهُ المُطَّرِد .

وتُشِعْر هذا قَلْبَكَ وتُفَرِّغُ لَهُ نَفْسَكَ فَتَمَنَعُهَا بذَالكَ عن الميل إلى ذلك المحبوب والتَّعَلُقِ بِهِ والهلَكَةِ بِسَبَبِهِ .

فَعُقْبَى كُلِّ شيءٍ نَحْـنُ فيـهِ مِن الجَمْـعِ الكثيفِ إلَى شَتَـاتِ

وَمَا حُزْنَاهُ مِن حِلٍّ وَحُـرْمٍ   يُوَزَّعُ فِي البَنِيْنِ وفِي البَنَاتِ
وفِيْمَنْ لَمِ نُؤَهِّلْهُمْ بِفَلسٍ   وقِيْمَةِ حَبَّةٍ قَبْلَ المَمَاتِ
وتَنْسَانا الأَحِبَّةُ بَعْدَ عَشْرٍ   وَقَدْ صِرْنا عِظَاماً بَالَيَاتِ
كَأَنَّا لَمْ نُعَاشِرْهُمْ بِوُدٍّ   ولَمْ يَكُ فِيهِمُ خِلٌّ مُوَاتِ

والله أعلم وصلى الله على محمد واله وسلم .

فَصْـل

واعْلَمْ رَحِمكَ اللهُ أنَّ مّما يُعِيْنُكَ على الفِكْرَةِ في الموت وَيُفَرِّغُكَ لَهُ ويُكثِرُ اشْتِغَالُ فِكرك بِهِ تَذَكُرُ مَن مَضَى مِنْ إخْوَانَكَ وخِلاَنِكَ وأصْحَابِكَ وأقْرانِكَ وزُمَلاَئِكَ وأسَاتِذَتِكَ وَمَشايِخَتِكَ الذين مَضَوْا قبلك وتَقَدَّمُوا أَمَامَك .

كانُوا يَحْرِصُونَ حِرْصَكَ ويَسْعَوْنَ سَعْيَكَ ، ويَأْمُلُونَ أَمَلَكَ ، ويَعْملُونَ في هذه الدنيا عَمَلَكَ وَقَصَتِ المُنوْنُ أعْنَاقَهُم وقَصَمَتْ ظُهُورَهُم وأَصْلاَبَهُم ، وفَجَعَتْ فِيْهِمْ أَهْلِيْهِمْ وأَحِبَّاءَهُم وأقْرِباءَهم وجيرانَهُم فأصْبَحُوا آيةً لِلْمُتَوسِّمِيْن وعِبْرَةً لِلْمُعْتَبرين .

ويَتَذَكَر أيْضاً ما كانوا عليه مِن الاعْتِنَاءِ بالملابِسِ ونَضَافَتِها ونَضَرة بَشَرَتِهمْ ، وما كانوا يَسْحَبُونَه مِن أرْدَيِة الشَّباب وأَنَّهُم كانُوا في نَعِيْم يَتَقَلَّبُون ، وعلى الأَسِرَةِ يَتَّكِئُون ، وبِمَا شَاؤا مِن مَحَابِهِم يَتَنَعَمُّون .

وفي أَمَانِيِّهِم يَقُومُون ويَقْعُدُون ، لا يُفِكِّرُوْنَ بالزَّوَالِ ، ولا يَهُمُّونَ بانتقالَ ، ولا يَخْطُرُ الموتُ لَهُمْ على بال ، قد خَدَعَتْهُمْ الدُّنَيا بِزَخَارِفها ، وخَلَبتْهُمْ وخدَعَتْهُمْ بِرَوْنَقِهَا ، وحَدَثَتْهُم بأَحَادِيثها الكاذِبَةِ ، وَوَعَدَتْهُمْ بمواعِيْدِهَا المُخْلِفَة الغَرارةِ .

فَلَمْ تَزَل تُقَرِّبُ لَهُمْ بَعِيْدَهَا ، وتَرْفَعُ لَهُم مَشِيْدَهَا ، وتُلْبِسُهُمْ غَضَّهَا وجَدِيْدهَا ، حتى إذا تَمكنَتْ مِنهم علائِقُهَا ، وتَحَكَّمَتْ فيهم رَوَاشِقُهَا ، وتَكَشَّفَتْ لهم حَقَائِقُهَا ، ورَمَقَتْهُمْ مِن المَنِيَّةِ رَوَامِقُهَا .

فَوَثَبَتْ عليهم وثْبَةَ الحَنِق وأَغَصَّتْهُمْ غُصَّةَ الشَّرِق ، وقَتَلَتْهُمْ قَتْلَةَ المُخْتَنِق ، فَكَمْ عَليهم مِن عُيُون بَاكِيَةٍ ، ودُمُوعٍ جَارِيَةٍ ، وخُدُوْدٍ دَامِيَةٍ ، وقُلُوبٍ مِن الفَرح والسُّرُوْرِ لِفقْدِهم خَالِيَة . وأَنْشَدُوا في هذا المَعْنَى :

وَرَيَّانَ مِن مَاء الشَّبَابِ إذا مَشَى
يَمِيْدُ عَلَى حُكْمِ الصِّبَا ويَمِيْدُ
تَعَلَّقَ مِن دُنْيَاهُ إذْ عَرَضَتْ لَهُ
خَلُوباً لِألْبابِ الرجالِ تَصِيْدُ
فأَصْبَحَ منها في حَصِيْدٍ وقَائِم
ولِلْمَرْءِ منها قائمٌ وحَصِيْدُ
خَلَا بالأماني واستَطَابَ حَدِيْثَها
فَيَنْقُصُ مِن أطْماعِهِ ويَزِيْدُ
وأدْنَتْ لَهُ الأشْيَاءَ وَهْيَ بَعَيْدةُ
وتَفْعَلُ تُدْنِي الشيءَ وهْوَ بَعِيْدُ
أُتِيْحَتْ لَهُ مِن جَانِبِ الموتِ رَمْيَةٌ
فَرَاحَ بها المَغْرُوْرُ وهْوَ حَصِيْدُ
وصَارَ هَشِيْماً بَعدَمَا كانَ يانِعاً
وعَادَ حَدِيْثاً يَنْقَضِيْ وَيَبِيْدُ
كأَنْ لَمْ يَنَلْ يَوْماً من الدَّهْرِ لَذَّةً
ولا طَلَعَتْ فيه عَلَيْه سُعُوْدُ

تَبَارَكَ مَن يُجْرِيْ عَلى الخَـلْقِ حُكْمَهُ
فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْـهُ عنـه مَحِيْـدُ
إنْتَهَى

اللَّهُمَّ اسْلكْ بِنَـا مَسْلَكَ الصَّـادِقِينَ الأَبْـرَارْ ، وَالْحِقْنَـا بِعبَـادِكَ الْمُصْطَفيْنَ الأَخْيَار ، وَأتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارْ .

اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوباً أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلاَ تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنَّوَالِ وَجَادَ بِالإِفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَيْقِضْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ ، وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصـــــل)

ثم أعلم أيها الأخ أَنَّه مَا مِن سَاعَةٍ تَمُرُّ على العَبدِ لا يَذْكُرِ اللَّهَ فيها إلاَّ تَأَسَّفَ وتَحَسَّرَ على فَواتِها بغَيرِ ذكرِ اللَّهِ ولِذَلك يَنْبَغِي للعاقل أَن يَجْعَل مَعَه شيئاً يُذَكِرُّهُ لِذِكر الله كلما غَفَلَ عنه .

ويُقـال إنَّ العبـدَ تُعْرضُ عليه سَاعَاتُ عُمُرِهِ في اليوم والليلة فيراها خَزائِنَ مَصْفُوفَةً أَرْبَعَ وعِشرينَ خِزَانَةً فيرَى في كلِّ خِزَانَةٍ أمْضَاهَا في طَاعَة اللَّه ما يَسُرُّهُ . فإذا مَرَّتْ به الساعاتُ التي غَفَلَ فيها عن ذِكر اللَّهِ رَآآهَا فَارِغَةً سَاءَهُ ذلكَ وتَنَدَّمَ حِينَ لا يُفِيْدُه النَّدَمُ .

وأمـا السـاعاتُ التي كانَ يَذكُر اللَّهَ فيها فلا تسأل عن سُرُوْرِهِ فيها وفرحِه بها حتى يكاد أن يقتله الفرح والسرور . قال بعَضُهم أوقاتُ الإنسانِ

أرْبَعَةٌ لا خَامِسَ لها النِعمةُ ، والبليةَ ، والطاعة ، والمعصيةُ .

وللَّهِ عَلَيْكَ في كُلِ وقْتٍ منها سَهْمٌ مِن العُبُودِيَّةِ .

فَمَنْ كانَ وَقْتُه الطاعة للَّهِ فسَبيلُه شُهُودُ المِنَّةِ مِن اللَّهِ عليه أَنْ هَدَاهُ ووَفَّقَهُ لِلْقِيَام بها .

ومَن كان وَقْتُه المَعْصِية فعَلَيه بالتَّوبَةِ والنَّدَم والاسْتِغْفَار .

ومن كان وَقْتُه النِّعْمَة فَسَبْيلُه الشكرُ والحمدُ للَّهِ واالثناءُ عليه .

ومن كَانَ وَقْتُه البَلِيَّة فَسَبْيلُه الرضا بالقَضَاء والصّبرُ والرِضا رِضَى النَّفْس عن الله ، والصَّبْرُ ثباتُ القلب بَيْنَ يَدَي الرب . أهـ .

العُمُرُ إذا مَضَى لا عِوَضَ وما حَصَل لَكَ منه لا قِيْمَةَ لَهُ . فعُمُر الإنسان هو مَيْدانُهُ لِلأعمالِ الصالحة المُقَرِّبَةِ مِن اللَّه تعالى والموجِبَةِ لَهُ جَزِيْلَ الثوّاب في الآخرة . ولَكْنِ ما يَعْرِفُ قَدْرَ العُمُرِ إلَّا نَوادُر العُلَماء .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ كلوا واشربوا هنِيْئًا بما أَسْلَفْتُم في الأيامِ الخالية ﴾ وقال ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾ الآيات

وهذه هي السعادَةُ التي يَكْدَح العبد ويسعى من أجلها وليس له منها إلا ما سعي كما قال جل وعلا وتقدس ﴿ وأن ليس لِلإنسان إلا ما سعى ﴾ .

فَكُلُّ جُزْءٍ يَفُوتُه مِن العُمر خالِيًا من عمل صالح .

يَفُوتُه مِن السَّعَادة بِقَدْرِه ولا عِوَضَ له منه .

فالوَقْتُ لا يُسْتَدْرَكَ ولَيْسَ شيٌ أَعَزَّ منه وكل جزء يحصل له مِن العمر غير خالٍ مِن العمل الصالح يَتوَصَّل به إلى مُلْكٍ كبيرٍ لا يَفْنَي ولا قِيْمَةَ لِمَا يُوصِلُ إلى ذلك لأنه في غايةِ الشَّرفِ والنَّفَاسَةِ .

ولأَجْلِ هَذا عَظُمَتْ مُرَاعَاةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ رضي اللَّهُ عنهم

لأنفاسهم ولحظاتهم وبادروا إلى اغتنام ساعاتهم وأوقاتهم ولم يضيعوا أعمارهم في البطالة والتقصير ولم يقنعوا لأنفسهم إلا بالجد والتشمير فلله درهم ما أبصرهم بتصريف أوقاتهم .

تبغي الوصول بسير فيه تقصير ... لا شك أنك فيما رمت مغرور
قد سار قبلك أبطال فما وصلوا ... هذا وفي سيرهم جد وتشمير

قال بعضهم أدركت أقوامًا كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم فكما لا يخرج احدكم دينارًا ولا درهمًا إلا فيما يعود نفعه عليه فكذالك السلف لا يحبون أن تخرج ساعة بل ولا دقيقة من أعمارهم إلا فيما يعود نفعه عليهم ضد ما عليه أهل هذا الزمان من قتل الوقت عند المنكرات .

تبًا لطالب دنيًا لا بقاء لها ... كأنما هي في تعريفها حلم
صفاؤها كدر سرورها ضرر ... أمانها غرر أنوارها ظلم
شبابها هرم راحاتها سقم ... لذاتها ندم وجدانها عدم
لا يستفيق من الأنكاد صاحبها ... لو كان يملك ما قد ضمنت إرم
فخل عنها ولا تركن لزهرتها ... فإنها نعم في طيها نقم
واعمل لدار نعيم لا نفادلها ... ولا يخاف بها موت ولا هرم

انتهى

آخر :

رفعت عرشك في الدنيا وتهت به ... وما بها للبيب ترفع العرش
وبت فيها على فرش مليّنة ... ولو عقلت لما لانت لك الفرش
وظلت تسعى لآمال وتفرشها ... وللمواريث ما تسعى وتفترش
كم كان قبلك من مأسور رغبته ... بالحرص تلدغ جنباه وتنتهش
يمسي ويصبح في حل وفي ظعن ... يضم هذا الى هذا ويحتوش
عطشان للمال محماة جوانحه ... ألقى على صدره لسانه العطش

حَتَّى إذَا قِيْلَ قَدْ تَمَّتْ مَطَالِبُهُ … وطَافَ مِن حَوْلِهِ أهْلُوه واحْتَوشُوا
مَدَّتْ إليه يَدٌ لِلْمَوْتِ باطِشَةٌ … خَشْنَاءُ لا دَهَشَ فيها ولا رَعَشُ
فَقصَّعَتْهُ وقِدْماً كَانَ ذَا جيَدٍ … وأجْهَشَتْهُ ولَمَّا يَدْرِ مَا الجَهَشُ
فَبَاتَ مُسْتَلَباً وباتَ وارِثُهُ … وقد تغطَوْا بِذَاكَ المال وافْتَرَشُوا
أمَا سَمِعْتَ بأمْلاكٍ مَضَوا قِدَماً … شُمُّو الأنُوفِ بِرَوض الملك قد عَرَشُوا
إنْ دُوفِعُوا دَفَعُوا أو زُوحِمُوا زَحَمُوا … أوْ غُوْلِبُوا غلَبُوْا أو بُوْطِشُوا بَطشُوْا
جَاءَتْهُمُوْا وجُنُودُ اللهِ غالِبَةٌ … كَتَائِبٌ لِلْمَنَايَا كلُّهَا حَبَشُ
فَضَعْضَعَتْ جَنَبَاتِ عِزِّهِمِ ورَمَتْ … مَنَارَهُم بِظَلامٍ ما بِهِ غَبَشُ
لَطَالَمَا أكلُوا وَطَال ما شَرِبُوْا … وطالَ ما رَفَعُوا الآجامَ واعْتَرشُوا
مَرُّوْا ولا أثَر منهم بِدَارِهِمُوْا … ولا حَسِيْسَ ولا رِكْزٌ ولا وَقَشُ
قد كان لِلْقَوْم آمالٌ مَبَسَّطَةٌ … فأصْبَحُوا قبضُوا الآمالَ وانْكَمَشُوْا

اللَّهُمَّ اشْفِ قُلُوْبَنَا مِنْ أمْرَاضِ المَعَاصِيْ وَالآثَامِ وَامْلأْهَا مِنْ خَشْيَتِكَ وَأَقْبِلْ بِهَا إلى طَاعَتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

[فصـــل]

إعْلم أنَّهُ يَنْبغِيْ لَلإنسانِ المبادرة إلى الأعمال الصالحة ، وأنْ ينتهز فرصة الامكان قبل هجوم هادم اللذات .

وأن يَستَعينَ بالله ويتوكل عليه ويسأله العَون في تسير الأعمال الصالحة وصرف الموانع الحائلة بينه وبينها .

وليحرص على حفظ القرآن ، وتدبره ، وتفهمه ، والعمل به ، وكذلك السنة ، ويحرص على أداء الصلاة في جماعة .

ويحـرص على مجالس الـذكـر ، ويحفظ لسـانه عن الغيبة والنميمة والسعاية والكذب وجميع الأعمال والأخلاق السيئة .

ويتهيَأ للرحيل ، ويتفقد نفسه بما عليه ، وما له فإن كان عنده حُقُوقٌ لله كزكاة أو لِخَلْقه كأمانات أو عَواري أو وصايا أداها بسُرْعَةٍ خَشْيةَ أن يفْجَاءَهُ الموتُ وهي عنده .

فإذا لم تُؤدِهـا أنتَ في حَيَاتِكَ ، فَمَنْ بَعدَكَ مِن أوْلاد أو إخوان يَبْعُدُ اهْتِمامُهم بذلك ، لأنهم يهتمون ويَشْتَغلونَ بما خَلَّفْتَهُ لهم وضَيَّعْتَ بسَببه نفسك .

فالله الله اَلبـدارَ بالتَفتيش على النفس ، والمبـادرة بالتوبة والاكثار من الاستغفار .

ومما يَحُثُك على ذلك ذِكْرُ مَرارة الموت الذي سماه رسُول الله ﷺ هادم اللذات ، وتـذكر شدة النزع والتفكر في الموتى الذي حُبسُـوا على أعـمالهم لِيُجَـازَوا بها فليس فيهم من يَقْدِرُ على محو خَطِيْئَةٍ ، ولا على زِيَادة حَسَنة .

وعادَ بعضهم مريضاً فقال له كيف تجدُك ؟

قال : هو الموت . قال له : وكيف عَلِمْتَ أنه الموت ؟ قال : أجدُني أجْتَذَب اجْتِذاباً ، وكأن الخَنَاجرَ في جَوْفِي ، وكأن جَوفي تَنُورٌ مُحْمىً يَتَلَهَّب .

قال له : فاعْهَدْ (أي أوْصى) ، قال : أرَى الأمرَ أعْجَلَ من ذلك فَدَعَا بِدَواة وصحيفة قال : فوالله ما أتِى بِها حتى شَخَصَ بَصَرُهُ فَمَاتَ .

وقال إبراهيم بن يزيد العبدي : أتاني رياح القيسي فقال : يا أبا إسحاق انطلق بنا إلى أهل الآخرة نُحْدِثُ بقُرْبِهِمْ عَهْداً .

فانْطَلَقْتُ مَعَه ، فأتى المقابر فجلسنا إلى بعض تلك القبور، فقال : يا أبا اسحاق ما ترى هَذا مُتَمَنِّياً لو مُنِّء ، قلت: أن يُرَدَّ والله إلى الدنيا فيَسْتَمتِعْ مِن طاعة الله ويُصْلح .

قال : فها نَحْنُ ، ثم نَهضَ فجَدَّ واجْتَهَد ، فلم يَلْبَث إلا يسراً حتى مات .

(فَصْــلٌ)

إعْلَمْ رحمنا الله وإياك وجميع المسلمين أنَّ في القَبْر وظُلْمتِهِ ، وضيقِهِ وَوَحْشَتِهِ وَطَرْحِ الميتِ فيه غيْرَ مُمَهَّدٍ وَلا مُوَسَّدٍ قد بَاشَرَ التُرابَ وَوَاجَهَ البِلَى وَتَرَكَ الدنيا وزِيْنَتَها لِلْورى .

ونَبَذَ مِنْهَا ما كان في يَدَيْهِ في العَرَاءِ مَعَ حَبِيْبِ تركَهُ وقَرِيْبٍ أسْلَمَه ، ونَصِيْرٍ أفْرَدَهْ ، وتَرَكَ كُلَّ ما كانَ عَهِدَه إن ذلك لَمِمَّا يَفْطِمُ النُفُوسَ عن الشهواتِ ، وإنْ كانَتْ صَعْبَةَ الفِطَام ، ويَقْطَعُهَا عنِ اللذاتِ ، وإنْ كان قَطْعُهَا بَعْيدَ المرام ، إذا بَحَثَ عن الحقيقةِ ونَظَرَ بعَيْنِ البَصِيْرة وسَمِع النداء من قريب فبينا الإنسان في رَخَاء العَيش مَسْرُوْراً فِيْمَا بَيْنَ يَدَيْهِ غَافلاً عن يَوم صَرْعَتِهِ قد فَتَح لِلْهَوى بَابَهْ ، وأرْسَلَ عليه حِجَابَه ، ولم يُبَالِ بِمَنْ لامَهْ في ذلك أوْعَابَهْ ، إذْ هَجَمَتْ عليه المنِيَّةُ ، فَهَتَكَتْ أسْتارَهْ ، وكَسَفَتْ أنْوَارَهْ ، وشَتَّتْ شَمْلَه وطَمَسَتْ أعْلَامَهْ وآثارَه .

فأخْرَجَتْهُ من ذَلِكَ القَصْرِ المَشيْد ، والمَنْزِلِ المُنَجِّدِ والمَتَاعِ المُزَخْرَف المُنَضَّدِ ، إلى حُفْرَةٍ مِن الأرْضِ ظَلْمَاءَ ضَيِقَةَ الجوانِبِ مَمْلُوةً مِن الرُّعْبِ

والفَزَعِ والخَوفِ والقَلَقِ والذُعْرِ .

فَحَذَارِ حذارِ وبِدَارِ بدار قبل أنْ تُصرَعَ هذا المصْرَعِ فَيَفتُّ في عَضُدِكَ ويُسْقَطُ في يَدكِ وتُرْمَى بِكَ عن أهْلك وَوَلَدِك في مَهْواةٍ تَزدحِمُ فيها الأهوال ، وتَنقَطعُ فيْهَا الآمال .

قَدْ جُمِعْتَ فِيْهَا جَمْعاً ورُصِعْتَ فيها رَصْعَا وتُرِكْتَ فيه لِلْهَوَامِّ والدِّيْدَان طَعْماً ، ومَرْعَى .

ولَعَلَّكَ مِمَّنْ يَرْغَبُ في تَبْدِيْلِ المنازلِ وإن كانَتْ حِسَاناً ، ولا تَرَى لِرَبِّكَ عَزَّ وجَلَّ فيها تفضُلاً وامْتِنَانا .

فانْظُرْ الآنَ كم بين المَنْزِلَتَيْن وكم قَدْر ما بَيْنَ الوَحْشَتَيْن إلا أنْ يُدْركَكَ الله برحمتِهِ فَتَتَّسِعُ مِن القَبْرِ أقْطَارُه وتمتد فيه أنْوَارُه وأنْشَدُوا في هذا المعنى :

مَن كان يُوْحِشُهُ تَبْدِيل مَنْزِلِهِ ... وأنْ يُبَدَّل مِنْهَا مَنْزِلاً حَسَنَا
ماذا يَقُولُ إذَا ضَمَّتْ جَوَانِبَها ... عَلَيه واجْتَمَعَتْ مِن هَاهُنَا وهُنَا
ماذا يَقُولُ إذَا أمْسَى بِحُفْرَتِهِ ... فَرْداً وقَدْ فَارَقَ الأهْلِيْنَ والسَّكَنَا
هُنَاكَ يَعْلَمُ قَدْر الوَحْشَتَيْنِ وَمَا ... يلقَاهُ مَنْ باتَ باللذَات مُرْتَهِنَا
يَا غَفْلَةً ورِمَاحُ الموتِ شَارِعَةٌ ... والشَّيْبُ أَلْقَى برأْسِي نَحْوَهُ الرَّسَنَا
وَلَمْ أُعِدُّ مَكَاناً لِلّنِزَالِ وَلَا ... أعْدَدْتُ زَاداً ولَكِنْ غِرَّةً ومُنَا
إنْ لَمْ يَجُدْ مَنْ تَوالَى جُوْدُهُ أبَدَا ... ويَعْفُ مَنْ عَفْوُهُ مِن طالِبِيْهِ دنا
فَيَا إلِهِيْ ومُزْنُ الجُوْدِ وَاكِفَةٌ ... سَحّاً فَتُمْطِرُنَا الإفْضَالَ والمِنَنَا
آنِسْ هُنَالِكَ يا رَحْمَنُ وحْشَتَنَا ... وألْطَفْ بِنَا وتَرَفَّقْ عِنْدَ ذاكَ بِنَا
نَحْنُ العصَاةُ وأنْتَ الله مَلْجَؤُنَا ... وأنْتَ مَقْصَدُنَا الأسْنَى ومَطْلَبُنَا
فكُنْ لَنَا عِنْدَ بأْسَاهَا وشِدَّتِهَا ... أوْلَى فَمَنْ ذَ الذِي فيها يَكُونُ لَنَا

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا مَنَاهِجَ السَّلاَمَةِ وَعَافِنَا مِنْ مُوْجِبَاتِ الحَسْرَةِ والنَّدَامةِ وَوَفِّقْنَا لِلاسْتِعْدَادِ لِما وَعَدْتَنَا وَأَدِمْ لَنَا احْسَانَكَ وَلُطْفَكَ كَما عَوَّدْتَنا وَاتْمِمْ عَلَيْنَا مَا بِهِ اكْرَمْتَنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصلى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصحْبِهِ أَجْمَعِين .

شِعْرًا

تَذَكَّرْ ولا تَنْسَ المَعَادَ وَلاَ تَكُنْ
كأَنَّكَ مُخَلىً لِلْمَلاعِبِ مَمْرَجُ
وَلاَ تَنْسَ إِذْ أَنْتَ المُوَلْوَلُ حَوْلَهُ
وَنَفْسُكَ مِن بَيْنِ الجَوَانِحِ تَخْرُجُ
وَلاَ تَنْسَ إذ أَنْتَ المُسَجَّى بِثَوْبِهِ
وإِذْ أَنْتَ في كَرْبِ السِّيَاقِ تُحَشْرِجُ
وَلاَ تَنْسَ إِذْ أَنْتَ المُعَزَّى قَرِيبُهُ
وإِذْ أَنْتَ في بِيْضٍ مِن الرِّيْطِ مُدْرَجُ
ولا تَنْسَ إذ يَهْدِيكَ قَوْمٌ إِلى الثَّرَى
إذا مَا هَدَوْكَاهُ انْثَنَوْا لم يُعَرِّجُوْا
ولا تَنْسَ إذْ قَبْرٌ وإِذْ مِن تُرَابِهِ
عَلَيْكَ بِهِ رَدْمٌ وَلِبْنٌ مُشَرَّجُ
ولا تَنْسَ إذْ تُكْسَى غَداً مِنْهُ وَحْشَةً
مَجَالِسُ فِيهِنَّ العَنَاكِبُ تَنْسِجُ
ولا بُدَّ مِن بَيْتِ انقطاعٍ وَوَحْدَةٍ
وانْ سَرَّكَ البَيْتُ العَتِيْقُ المُدَبَّجُ

أَلا رُبَّ ذِيْ طِمْـرٍ غَـداً في كَـرَامَـةٍ
وَمَـلْكٍ بِتِـيْـجَـانِ الـهَـوَانِ مُـتَـوَّجُ
لَعَمْـرُكَ مَـا الـدُّنْيَـا بِـدَارِ إقَـامَـةٍ
وإنْ زَخْـرَفَ الغَـاوُوْنَ فِيْهَـا وَزَبْـرَجُـوا

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَـا توفيقـاً يَقِيْنَـا عَنْ مَعَـاصِيْكَ وَأَرْشِدْنَا إلى السَّعْيِ فِيْمَا يُرْضِيْكَ وأَجِـرْنَا يَا مَوْلاَنَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لأَوْلِيَائِكَ وأَحْبَابِكَ واغْفِرْ لَنا وَلِوَالِدِيْنا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فصل)

فَائِدة ـ قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ :

لِشَهَادَةِ أَنْ لا الَهَ الا الله عِنْدَ المَوْتِ تَأْثِيْرٌ عَظِيْمٌ في تَكْفِيْرِ السَّيِّئَاتِ وَاحْبَاطِهَا لأَنَّهَا شَهَادَةٌ مِن عَبْدٍ مُوقِنٍ بها عَارِفٍ بمَضْمُونِهَا قَدْ مَاتَتْ مِنْهُ الشَّهَوَاتِ ولاَنَتْ نَفْسُهُ المُتَمَـرِّدَةِ وَانْقَادَتْ بَعْـدَ إبَائِهَـا ، وَاقْبَلَتْ بَعد اعْرَاضِهَا .

وَذَلَّتْ بَعْدَ عِزِّهَا وَخَرَجَ منها حِرْصُهَا على الدُّنْيَا وَفُضُولُهَا وَاسْتَخْذَتْ بَيْنَ يَديْ رَبِّهَا وَفَاطِرِهَا وَمَوْلاَهَا الحَقِّ أَذَلَّ مَا كَانَتْ لَهُ وَأَرْجَى ما كانَتْ لِعَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَتَجَرَّدَ مِنْهَا التَّوحِيْدُ بانْقِطَاعِ أَسْبَابِ الشِّرْكِ وَتَحقُّقِ بُطْلانِهِ .

فَزَالَتْ منها تِلْكَ المُنَازَعَاتِ التي كَانَتْ مَشْغُولَةً بها ، واجْتَمَعَ هَمُّهَا عَلى مَنْ أَيْقَنَتْ بالقُدومِ عَلَيْهِ وَالمَصِيْرِ إلَيْهِ، فَوَجَّهَ العَبْدُ وَجْهَهُ بكُلِّيته إليه ، وَأَقْبَلَ بقَلْبَه وَرُوحِهِ وَهَمَّه عَلَيْه ، فَاسْتَسْلَمَ لِلَّهِ وَحْدَهُ ظَاهِراً وَبَاطِنَا

واسْتَوى سِرُّهُ وَعَلانِيَتُهُ .

فَقَالَ لا إِلَه الاَّ اللهُ مُخْلِصاً مِن قَلْبِهِ ، وقد تَخَلَّصَ مِنَ التَّعَلُّقِ بغَيْرِه والالْتِفَاتِ إلى مَا سِوَاه ، قَدْ خَرَجَتْ الدُّنْيَا كُلُّها مِنْ قَلْبِهِ وَشَارَفَ القُدُومَ على رَبِّهِ ، وَخَمَدَتْ نِيْرانُ شَهْوَتِهِ ، وَامْتَلأَ قَلْبُهُ مِنْ الآخِرَةِ ، فصَارَتْ نُصْبَ عَيْنَيْهِ ، وصَارَتْ الدنيا وَرَاءَ ظَهْرِهِ .

فَكَانَتْ تِلْكَ الشَّهَادَةُ الخَالِصَةُ خَاتِمَةَ عَمَلِهِ فَطَهرَّتـهُ مِنْ ذُنُوبِـهِ وَاَدْخَلَتْهُ على رَبِّهِ لأنَهُ لَقِيَ رَبَّهُ بِشَهَادَةٍ صَادِقَةٍ خَالِصَةٍ وَافَقَ ظاهِرُهَا بَاطِنَهَا وَسِرُّهَا عَلاَنِيَتَها فَلَو حَصَلَتْ لَهُ الشَّهَادَةُ عَلَى هَذَا الوَجْهِ في أيَّامِ الصِّحَّةِ لاسْتَوْحَشَ مِن الدُّنْيَا ، وَأَهْلِهَا وَفرَّ إلى اللَّهِ مِنْ النَّاسِ وَأَنِسَ بِهِ دُوْنَ مَنْ سِوَاهُ . لَكِنَّهُ شَهَدَ بِهَا بِقَلْبٍ مَشْحونٍ بالشَّهَوَاتِ وحُبِّ الحَيَاةِ وَأنْسٍ بها وَنَفْسٍ مَمْلُوْءَةٍ بَطَلَبِ الحُظُوظِ وَالالْتِفَاتِ الى غَيْر اللّهِ فَلَو تَجَـرَّدَتْ كَتَجَرُّدِهَا عِنْدَ المَوْتِ لكانَ لهَا نَبَأٌ آخَرُ وَعَيْشٌ آخَرُ سِوَى عَيْشِهَا البَهِيْمِي وَاللهُ المُسْتَعَانُ .

اللهُمَّ اقْسِمْ لنَا مِن خَشْيتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ وَمِنْ طَاعِتَكَ مَا تُبلِّغُنَا به جَنَّتَكَ ومِنْ اليَقِيْن مَا تُهَوِّنُ بِهِ علَيْنَا علينا مَصَائِبَ الدنْيَا اللهُمَّ مَتِّعْنَا بأسْماعِنا وَأبْصَارنَا وَقُوَّاتِنا مَا أحْيَيْتَنا وَاغْفِرْ لنَا وَلوالِدَيْنا وَلجَمِيْع المُسْلِمِيْنَ الأحْيَاءِ منْهُمْ والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْن وصَلى اللهُ على مَحمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وعن أنَس بن مالك أن معاذ بن جبل رضي الله عنه دخل على رسول الله ﷺ فقال كيفَ أصبحتَ ، يا مُعَاذ قال أصبحتُ مؤمنا بالله حَقًّا – قال « إن لكل قولٍ مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول ؟

قال : يا نَبي الله ما أصبَحْتُ صبَاحاً قَطُّ إلا ظننتُ أني لا أصْبِحُ ، ولا خَطَوةً خطْوةً إلا ظننتُ أني لا أتبِعُهَا أخرى وكأني أنظر إلى كلِ أمةٍ جاثيةٍ تُدْعى إلى كتابها مَعَهَا نَبيُهَا وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله ، وكأني أنظر إلى عُقُوبةِ أهل النار وثوابِ أهلِ الجنة ، قال عليه الصلاة والسلام عَرَفْتَ فالْزَمْ.

وبَلغ زَيْنُ العابدين مِن الدنيا أفضلَ ما تسعى إليه همةُ رجل ، فَرفَضَها ونبذَها قائلا « هذا سُرورٌ لولا أنه غُرور ، ونَعِيمٌ لولا أنه عن قَريب عَدِيم ، ومُلْكٌ لولا أنه هُلْك ، وغِنَى لولا أنَّهُ فَنَى ، وأمر جَسِيْم لولا أنه ذمِيْم ، وارتفاعٌ لولا أنه اتِضَاع وحَسْبُ امرىء مِن الدنيا لُقيماتٌ يُقِيم بها صُلْبَهُ ، وثوبٌ يستَرُ به عَوْرَتَه ، وصِحة يَسْتقوِي بها على طاعةِ الله .

وَ إعلم يا أخي أن الأجل قَريبٌ وهو مَستُور عنكَ وهو في يد غيرك ، يَسوقهُ حَثِيْثُ الليلِ والنهار ، وإذا إنتهت المدةُ حِيل بينكَ وبينَ العُدة ، فاحتلْ قبـل المُنتَهـى وأكـرِمْ أجَـلَكَ بحُسْنِ صُحْبَـةِ الصادِقين ، وإذا آنستَكْ السلامـةُ فاستَوحِشْ بالعطب ، فإنه الغاية وإذا فرحتَ بالعافية فاحْسِبْ حِسَاباً لِلْبَلاء ، وإذا بَسَطكَ الأمل فاقبِضْ نفسَك عنه بِذكر الأجل ، فهو الموعدُ وإليه الموردُ .

كتب بعضُ الحكماء إلى رجل من إخوانه : يَا أخي احْذَرِ الموتَ في هذه الدار قبل أن تَصير إلى دَارٍ تتمنى فيها الموت فلا تجده .

وكانَ عمر بنُ عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كَأنَّ بينَ أيديهم جَنَازة .

وقال إبراهيم التيمي : شيئان قَطَعَا عَني لَذَّةَ الدنيا ذِكْرُ الموتِ ، والوقوف بين يدي الله عز وجل .

وقال كَعبُ مَن عَرَفَ الموتَ هَانَت عليه مَصَائبُ الدنيا وهمومُها .

وقال شريح : إني أصَابُ بالمصيبة فأحمدُ الله تعالى أربعَ مَراتٍ أحمدُه إذْ لم تكن أعْظَمَ مَنْهَا ، وأحمدُهُ إذْ رَزقني الصَّبْرَ عَليها ، وأحمدُه إذ وَفَّقَني لاسْتِرجَاعِ ما أرجُو فيه مِن الثواب ، وأحمدُهُ إذ لم يَجْعَلْهَا في دِيْني .

وقال حاتَمُ الأصَم : مُصِيْبَةُ الدينِ أعْظَمُ مِن مُصِيْبَةِ الدنيا ، ولقد مَاتَتْ لِي بنتٌ فَعَزَّانِي أكثرُ مِن عَشرةِ آلافِ وفَاتَتْني صلاةُ الجَمَاعَةِ فلم يُعَزِنِي أحَدٌ .

وقال آخر : كُنْ حَذِراً مِن أرْبَع غَارَاتٍ ، الأوْلَى : غارَةُ مَلَكِ الموت على رُوْحِكَ ، الثانية : غَارَةُ الوَرَثةِ على مَالِكَ ، الثالثة : غَارَةُ الدُوْدِ على جِسْمِكَ في قَبرِكَ ، والرابعة : غَارَةُ الخُصَماء على حَسَنَاتِكَ ، فَعَلَيْكَ في الاسْتِعْدَادِ والاحْتِيَاطِ والاكثارِ مِن البَاقِياتِ الصالحات والمداومة على ذكر الله ليلاً ونهاراً وسِراً وجهاراً .

كان محمد بن سيرين يدخل السوق نِصفَ النهار يُكَبر ويُسَبِحُ ويَذْكُرُ الله ، فقال له رَجُل : يا أبا بكر في هَذِهِ الساعةِ ، قال : إنها ساعةُ غَفْلَة ينبغي الذِكر والتذكير فيها .

وقال بَعضُ العلماء : إني لأقرأ القرآن فأنظر في آية فيحار عقلي فيها وأعْجبُ مِن حُفَاظِ القرآن كيفَ يَهنِيهم النومُ وهم يتلون كلامَ الرحمن ، أمَا لَوْ فَهِمُوا ما يَتلُونَ وعرفوا حَقه وتلذذوا به واستَحْلَوا المُنَاجَاةَ بِهِ لَذَهَبَ عنهم

النومُ فَرحاً وسُرُّوا بما رَزَقهم الله ووفقهم له .

شعــــــراً :

فَشَمّرْ وَلُذْ بالله واحْفَظْ كِتَابَـــــه ففيهِ الهُـــدَى حَقاً ولِلْخَيْر جَامِـــعُ
هو الذُخرُ لِلْملْهُوف والكَنْزُ والرَّجا ومنــه بــلا شَــكٍ تُنَــالَ المنافِـــعُ
بِهِ يَهْتَدِي مَن تاهَ في مَهْمَهِ الهَـــوَى بــه يَتَسَلَّــى مَــن دَهَتْــهُ الفَجَـائــعُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فــــــائدة)

إذا علم العبدُ أن الله تعالى رحيم به ورَؤُفٌ به وناظر إليه فكل ما يرد عليه من أنواع البَلايا والرَّزَايَا والمَصَائِب يَنْبَغِي له أن يَصْبِرَ ويحتَسِبَ ولا يكتَرِث بذلك فإنه لم يَتَعَوَّدْ مِن الله إلا خَيراً لَهُ .

فليُحْسِنْ ظَنَّهُ بربه وليَعتَقِدْ أن ذلك خَيْراً له وأن له في ذلك مَصَالِحَ خَفية لا يعلمها إلا الله كما قال تعالى ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكـم ﴾ فقـد يُحِبُّ الانسـانُ الشهرةَ والعافيةَ والغِنَاءَ ويكون شـراً له كما في قصة قارون وثعلبة .

وخَفِّفَ عَنِيّ ما ألآقي مِن العَنَـــا بأَنَّكَ أَنْتَ المُبْتَلي وَالمُقَـــــدِّرُ
وما لِامْرِءٍ عَمَّا قَضَى الله مَعْـــدَلٌ ولَيسَ له مِنهُ الـــذي يَتَخَيَّـــرُ

(فــــــائدة)

قيل من علاماتِ التوفيق دُخُولُ أعمال البر عليكَ مِن غَير قصْدٍ لها ، وصَرفُ المعاصي عنكَ مَعَ السَّعْي إليها ، وفَتْحُ بابِ اللَّجَاء والافتقارِ إلى الله تعالى في كل الأحوال ، واتباعُ السّيئة الحسنة ، وعِظَمُ الذنبِ في قلبكَ وإن كان مِن صغائر الذنوب والاكثار من ذكر الله وشكره وحمده والاستغفار .

ومِن علامات الخذلان تَعَسُّر الطاعاتِ عَليكَ مَعَ السعي فيها ، ودُخُولُ المعاصي عَليكَ مَعَ هَرَبكَ منها ، وغلقُ باب الالْتِجاء إلى الله وتركُ التضرع له

وتَرْكَ الدُعَاء ، وإتباعُ الحَسَنَةِ بالسيئات ، واحْتِقَارُكَ لِذُنُوبكَ وعَدَمُ الاهْتِمامِ بها وإهْمَالُ التوبة منها والاستغفار وَنِسْيَانُكَ لِرَبِّكَ .

ذم الانسان نفسَه واحتقارُهُ لها لِما يَتَحقَّقُهُ مِن عُيُوبها وآفاتها مَطْلُوبٌ منه لأنه يُوَدِّيهِ إلى التَّفتِيْشِ عليها ومحاسَبَتِهَا بِدقة ويُؤَدِّيه أيضاً إلى الحَذَرِ مِن غُروُرها وشُرورها .

فتصْلحَ بسبب ذلك أعمالُه وتصدقُ أحواله وتستقيم بإذن الله أموره وإلا فَسَدَتْ عليه واعْتَلَّتْ لدخول الآفات عليها ولا يَصُدنه عن ذلك مدح المادحين وثناء المتملقين لأنه يعلم من عيوب نفسه ما لا يعلمه غيره .

المؤمن الحقيقي هو الذي إذا مُدِحَ وَأُثنِي عليه وذُكِرَ طَرَفاً مِن مَحَاسِنِهِ استَحْيَا مِن الله تعالى اسْتِحْيَا تعظيم وإجلال أنْ يُثنَى عليه بصفة لَيْسَتْ فيه .

فيزدَادُ بذلك مَقْتاً لِنفسِهِ واسْتِحْقَاراً لهَا ونُفُوراً عنها ويقْوىَ عنده رُؤْيةُ إحسانِ الله تعالى إليه وشهودُه فضله عليه ومِنته في إظهار المحاسن عليه ويشكر الله ويحمده على ما أولاه من نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

قيل إن رجلا أخرج من السّجْن وفي رجله قَيْد وهو يسأل الناس فقال لإنسانٍ عاقِل أعْطِني كِسْرَةَ خُبزة فقال لو قَنعْتَ بالكسرة لما وُضِعَ القيدُ في رِجْلِكَ ، ورأى رَجُلٌ رجُلاً مِن الحكمَاء يأكل ما تساقطَ مِن البَقْلِ على رَأسِ الماء .

فقال لو خَدَمْتَ السُلطانَ لم تَحْتَجِ إلى أكْلِ هذا ، فقال الحَكِيمُ وأنْتَ لَوْ قنِعْتَ بهذا لم تَحْتَجِ إلى خِدْمَةِ السُلطان ، وقال رَجُلٌ لآخَرَ كَيف حالكم مَعَ السُلْطان ، فقال كما قال الله جل وعلا ﴿ سماعون لِلكَذِبِ أكّالُونَ لِلسُّحْت ﴾.

(فـــــائدة)

الأسباب الجالبة لمحبة الله لعبده المؤمن نَذْكر ما تَيَسر منها إن شاء الله :

(١) قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه والتفطن لمراد الله منه .

(٢) الإحسان في عبادة الله والإحسان إلى عباد الله ، قال الله تعالى ﴿ والله

يحب المحسنين ﴾ .

(٣) التقوى ، قال الله تعالى ﴿ والله يحب المتقين ﴾ .

(٤) طهارة الباطن والظاهر ، قال الله تعالى ﴿ والله يحب المطهرين ﴾ .

(٥) التقرب إلى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض فإنها توصل إلى محبة الله لعبده كما في الحديث « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » الحديث .

(٦) دوام ذكر الله على كل حال في كل مكان إلا في المحلات المستقذرة كالخلاء ونحوه ويكون ذلك باللسان والقلب والعمل .

(٧) إيثار مَحَابِّهِ على محابك عند غلبات الهوى .

(٨) مطالعة القلب لأسمائه وصفاته وأفعاله ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة .

(٩) مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة .

(١٠) إنكسار القلب بين يديه والتضرع والتذلل له وإظهار الإفتقار إليه وإظهار العجز والمسكنة والتلهف إلى رحمته ورأفته ولطفه .

(١١) مجالسةُ التالِينَ لِلْقُرآن العامِلِينَ به والذاكرين الله كثيرا .

(١٢) القتال في سبيل الله ، قال تعالى ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾ .

(١٣) إتباع النبي ﷺ ، قال الله جل وعلا ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ .

(١٤) الصبر ، قال تعالى ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ .

(١٥) الخلوة به سبحانه وقت النزول الإلهي أي وقت التجلي الإلهي ، وهو في الاسحار قبل الفجر لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والقالَب بين يديه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة .

(١٦) مباعدة العوائق والحوائل وكل سبب يحول بين القلب وبين الله عز

وجل .

قال رَجُلٌ لِطَاوُوْسٍ : أوصني قال أوصيكَ أن تحب الله حُباً حَتَّى لا يكون شيءٌ أَحَبَ إليكَ منه وخِفْهُ خَوفاً حتى لا يكون شيءٌ أخوفَ إليكَ منه وارجُ الله رَجَـــاءً يَحُولُ بَيْنَكَ وبين ذلك الخـــوف وارض للناس ما ترضى لنفسك .

اللّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيْعَ السَّمواتِ وَالأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنا لِمَا فِيهِ صَلاَحُ دِيْنِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

[فصـــــــل]

المراقبة في ثلاثة آشياء : مراقبة الله في طاعته بالعمل الذي يرضيه ومراقبة الله عند ورود المعصية بتركها ومراقبة الله في الهم والخواطر والسر والاعلان قال تعالى ﴿ وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾ وقال النبي ﷺ « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

قالت أسماءُ بنتُ عُمَيْس : إنا لَعِند عَلّي بن أبي طالب بعد ما ضَرَبَهُ ابنُ مُلْجِم ، إذ شَهَقَ ثم أغمِيَ عليه ثم أفاقَ فقال مَرْحباً ، مَرْحَباً ، الحمدُ لله الذي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وأورثنا الجنةَ فقِيل لَهُ مَا تَرى ، قال هذا رسول الله وأخِي جَعْفر وعمِي حَمْزَةُ وأبوابُ السماء مُفَتَّحَة والملائكةُ يَنْزِلُونَ يُسَلمونَ عَلَيَّ ويُبَشِرُوْن وهذه فاطمةُ قد طافَ بها وَصَائِفُها مِن الحُور وهذه مَنَازِلي في الجنة « لمثل هذا فليعمل العاملون » .

عن كثير بن زَيْد قال كَبُرَ حَكيمُ بنُ حِزامٍ حَتّى ذَهَبَ بَصَرُهُ ثم اشْتَكَى فاشتد وجَعُهُ فَقُلْتُ لأحضُرَنَّهُ ولا أنْظُرَنَّ ما يَتَكَلَّمُ بِهِ فإذا هو يُهَمْهِمُ ويَقولُ لا

إلهَ إلاَّ الله أُحِبُّكَ وأخْشَاكَ حتى مات . إنتهى

ولما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى قالوا ما يبكيك ، قال بعد السفر وقلة الزاد وضعف اليقين وخوف الوقوع مِن الصراط في النار .

ولما حضرت معاذ بن جبل الوفاة قال : أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار ثم قال مرحباً بالموت زائر مغيب وحبيب جاء على فاقة اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك .

اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لِكَرْي الأنْهَارِ ولا لِغَرسِ الأشْجَارِ ولكن لِطُولِ ظمأ الهَواجِرِ وقيامِ ليل الشتاء ومُكَابَدة السَاعات ومُزَاحَمةِ العلماء بالركب عند حلق الذكر ثم قبض رحمه الله .

ولما حضرت أبا الدرداء الوفاةُ جَعَلَ يَجود بنَفْسِهِ ويقول ألا رَجُلٌ يعمل لِمثْلِ مَصْرِعِي هذا ألاَ رَجُلٌ يَعْمَلُ لمثل يومي هذا ألا رجلٌ يَعْمَلُ لمِثل سَاعتي هذه ثم قبض رحمه الله .

ثم اعْلَم : أنّ الألَم المُصيْبَ لِلْبَدِنِ إنما يدرك بواسِطَةِ الروح ، وإذا وصل الألمُ إلى نفس الروح فلا تَسْألْ عن كَربِهِ وَألِمِهِ حَتَّى قالوا إنَّهُ أشَدُّ من ضَرْبٍ بالسُيوف ونَشْرٍ بالمَناشيْرِ وقَرْضٍ بالمَقارِيضِ .

والسَبَبُ في أنه لا يَقْدِرُ على الصِّياحِ مَعَ شدة الألم لِزِيَادَةِ الوَجْعِ والكَربِ حتى قَهر كلّ قوةٍ وَضَعَّفَ كُلّ جَارحَةٍ فلم يَبْقَ له قُوَّةُ الإسْتِغَاثِةِ والاسْتِعَانَة .

أما العَقَلُ فقد غشِيَهُ وَشَوَّشَهُ وأما اللسان فقد أبكمه وأما الأطراف فقد خَدَّرَهَا وضعَّفَهَا فإن بَقِيَتْ فيه قُوةٌ سَمِعْتَ لَهُ خُوَاراً وغَرْغَرَةً مِن صَدْرِهِ وحَلْقِهِ حتى يَبْلغَ بَهَا إلى الحُلْقُوم .

فعِندَ ذَلكَ يَنْقَطِعُ نَظَرُهُ عن الدنيا وأهْلِها وتُغْلَقُ أبواب التوبة قال ﷺ « إنَّ الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يُغَرغر » رواه الترمذي وقال حديث حسن .

فالموفقُ مَن يَكونَ الموتُ نصب عَيْنَيْهِ لا يَغْفُلُ عنه ساعة فَيَسْتَعِدُ للموت.

ويُفَتِشُ على نَفْسِهِ ويَتْفقدها من قبل الصلوات ومن قِبلِ حُقُوقِ الله وحُقُوقِ خلقه هل أقام الصلاة على الوجه الأكمل هل أدَّى الزكاة كاملةً مُكَمَّلَةً هَل أبْرأ ذمَّتَهُ مِن حُقُوقِ الآدَمِيين .

هل أدى الأمانات إلى أهلها هل نَفَّذَ ما عنده مِن وَصَايَا وَوَكالاتٍ هَلْ عِنْدَهُ أشْيَاءُ مُعَارَة كُتُبٌ أو نحوها يُرَجِّعُها هَلْ عنده كُتُبٌ زَائِدَةٌ يُفَرِّقُهَا على طَلبةِ العِلْم العَامِلِين بعلمِهم . ويتلف إن كان عنده آلات لهو لا تقبض روحه وهى عنده . قالَ بعْضُهم إنَّ عَلامَةَ قِصَرَ الأملِ المُبَادَرَةُ في العَمل قَبْلَ حُلُولِ الأجل وَمَن ادَّعَى قِصَرَ الأمل وهو يعْتني بالدنيا فهو كاذب في دعواه

فالتوفيق أن يكون الموتُ أمامَهُ في كل لَحْظة لا يَغْفُلُ عنه أبَدًا إن أصْبَحَ أضْمَرَ أنه لا يُمْسِى وإنْ أمْسَى قَدَّرَ أنَّه لا يُصْبح .

مُدِيمُ العمل بطاعة الله شاكراً له على توفيقه لِذَلِكَ مُلازِماً لِذِكرِ الله لَيْلاً ونَهَاراً سِراً وجهاراً .

ولكن لا يَتَيَسَّرُ هَذا إلا لِمَنْ فَرَّغَ قلبَه عن الغَدِ ومَا يكونُ فيه وعن الدنيا وأشْغَالِها وزَخارِفها وجميع متعلقاتها .

إلا ما كان عوناً على الآخرة وأداءً لما وَجَبَ عليه مِن حقوق نسأل الله الإعانة والتوفيق والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

« فَصْــلٌ »

فيا أيها الغافل المُهْمِلُ المفرط وكُلُّنا كَذَلكَ انْتبِهْ وتصوَّرْ صَرْعَةَ الموت لِنَفْسِكَ وتَصوَّرْ نَزْعَهُ لِرُوْحِكَ وتَصوَّر كُرَبَهُ وسَكَراتِهِ وغُصَصَهُ وغَمَّهُ وقَلَقَهُ .

وتَصوَّرْ بُدُوَّ الملكَ لجذبِ رُوحِكَ مِن قَدَمَيْكَ ثم الاسْتِمرار لجِذبِ الرُوح مِن جميع بَدَنِكَ فَنَشِطَتْ مِن أسْفَلِكَ مُتَصَاعِدةً إلى أعلاكَ حتى إذا بَلغَ

منكَ الكربُ والوجعُ والألمُ مُنتهاهُ وعَمَّتِ الآلامُ جميعَ بَدَنِكَ وقلبُكَ وَجَل مَحْزُونٌ مُنْتِظرٌ إما البُشرى مِن الله بالرضا وإما بالغضب .

فبينما أنتَ في كربكَ وغمُوْمِكَ وشِدةِ حُزنكَ لارْتقَا بِكَ إحْدَى البُشْرَيَيْن إذ سَمِعْتَ صَوتَهُ إمَّا بما يَسُركَ وإمَّا بما يَغُمُكَ فَيَلْزَمُ حِيْنئِذٍ غايةُ الهَم والحَزَن أو الفرح والأنس والسرور قَلْبَكَ حِيْنَ انقضَتْ مِن الدنيا مُدَّتُكَ وانقطعَ منها أثَرُكَ وحُمِلْتَ إلى دارِ مَن سَلَف مِن الأمم قَبْلَكَ .

وتَصَوَّرْ نَفْسَكَ حين اسْتطار قَلْبُكَ فَرحَاً وسُرُوْراً أو مُلِيءَ رُعْباً وحُزْناً وعَبْرةً وبزيارة القبرِ وهَولِ مَطْلعِهِ وَرَوْعَةِ الملكين منكر ونكير وسؤالهما لكَ في القبر عن ثلاثة أسئلة ما فيها تخيير ، الأول مَن رَبُّك والثاني ما دِيْنُكَ والثالث من نَبيُّكَ .

فتصور أصْوَاتَهمَا عِندَ نِدائهما لكَ لِتَجْلِسَ لِسُؤالهما لكَ فيه فتصَوَّرْ جَلسَتكَ في ضِيقِ قَبْرِكَ وقد سَقَط كَفَنُكَ عن حَقْوَيْكَ والقُطِنُ مِن عَيْنَيْكَ .

ثم تصورْ شُخُوصَكَ بِبَصَرِكَ إليهما وتأمُلكَ لِصُوْرَتَيهِمَا فإنْ رأيتَهما بأحْسَن صُورة أيْقنَ قَلبُكَ بالفوز والنجاة والسرور وإنْ رأيتَهما بأقبح صُورة أيقَنْتَ بالعَطَب والهلاك .

شعـــــراً :

وللْمَـرْءِ يَـوم ينقضـي فيـه عُمْـرُهُ ... ومَـوْتٌ وقَـبْرٌ ضيـّقٌ فيـه يُـوْلَـجُ
ويَلْقَـى نَكيْراً في السُّؤالِ ومُنْكَـراً ... يَسُـومَـانِ بِالتنكِيـلِ مَـنْ يَتَلَجْلـجُ

آخـــــر :

تَفكَّـرْ فـي مَشِـيْبكَ والمَــآب ... ودَفْنِـكَ بَعْـدَ عِـزِّك فـي الـتُرابِ
إذا وَافيْـتَ قَـبْراً أنْـتَ فِيـهِ ... تُقِيْـمُ بـهِ إلى يَـوم الحِسَـاب
وفي أوصـالِ جِسْـمِكَ حِيْـنَ تَبْقَـى ... مُقَطَّعَـةً مُمَـزَّقَـةَ الإهَــاب
فَلـولَا القَـبْرُ صَـارَ عَلَيـكَ سِـتْراً ... لأنْتَنَـتِ الأبـاطِـحُ والـرَّوابـي
خلقـتَ مِـن الـتُراب فَصِـرت حَيـاً ... وعُلِّمْـتَ الفَصِيْـحَ مِـن الخِطَـاب

فطَلِّقْ هَـذه الـدُّنيـا ثـلاثـا   وَبَـادرْ قَبـلَ مَـوْتـكَ بالْمَتَـابِ
نَصَحْتُـكَ فَاسْـتِمَعْ قَـوْلي ونصْحِـي   فِمثْلُكَ قَـدْ يُـدَلُّ عـلى الصَّوابِ
خُلِقْنـا لِلْمَمـاتِ ولـو تُـركْنَـا   لَضَـاق بنَـا الفِسْيحُ مِـن الرحـاب
يُنَـادى فـي صَبيْحَـةِ كـل يـوم   لِدُوْا لِلْمـوْتِ وابْنُـوْ لِلْخَـرَاب

ثم تَصوَّرْ كَيْفَ يَكُون شعُورُكَ إنْ ثَبَّتَكَ الله جَل وعلا ونَظَرتَ إلى ما أَعَدَّ الله لك وقولهما لَكَ هذا منزلكَ ومَصيرك فَتصَوَّرْ فرحَكَ وسُرُوْرَكَ بِمَا تُعايِنُه مِن النعيم وبَهْجَةِ المُلْكِ وإيْقَانِكَ بالسلامةِ مِمَّا يَسُوْؤكَ .

وإن كانت الأُخرى فَتصوَّرْ ضِدَّ ذلكَ مِن إنتهارِكَ ومُعَايَنَتِكَ جَهَنَّمَ وقولهما لك هذا مَنزلُكَ ومَصيْرُكَ فَيَالهَا مِن حَسْرةٍ ويا لهَا مِن نَدَامَةٍ ويَا لهَا مِن عَثْرَةٍ لا تُقَال .

ثم بعدَ ذلك الفَنَاءُ والبلاءُ حتى تَنْقَطِعَ الأوصالُ وتَتَفَتَّتِ العِظامُ ويَبْلى جَسَدُكَ ويَسْتَمِر حُزْنُكَ فيا حَسْرَةَ رُوْحِكَ وغُمومِها وهُمومِها .

حتى إذا تكامَلَتْ عِدَّةُ الأموات وقد بَقي الجَبَّارُ الأعلى مُنْفَرِدًا بعَظمَتِهِ وجَلالِهِ وكِبريائِه ثم لم يَفْجَأكَ إلا نِداء المنادِي لِلْخَلائِقِ لِلْعَرضِ على الله جل وعـــــلا .

قال تعالى ﴿ واستمع يوَمَ يُنَادى المنادِ مِن مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلكَ يومُ الخُرُوج ﴾ يأمر الله ملكا أن يُنَادي على صخرة بيتِ المقدس أيَّتُهَا العِظامُ البالِية والأوصالُ المُتَقَطّعَة واللحومُ المُتَمَزِّقَة والشُعُور المُتَفَرِقَة إن الله يأمركن أن تجتمعنَ لِفَصْلِ القضَاء .

فتصَوَّرْ وقُوع الصَّوتِ في سَمْعِكَ ودُعَائِكَ إلى العَرْضِ على مَالِكِ المُلْكِ فَيطيْرُ فُؤادُكَ ويَشِيْبُ رَأسُكَ لِلنداءِ لأنها صَيْحَةٌ واحِدة لِلْعَرْض على الرب جل وعلا قال تعالى ﴿ فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة ﴾ .

فبينما أنْتَ في فَزَعٍ مِن الصوتِ إذ سَمِعْتَ بانشقاق الأرض فخرجْتَ

مُغْبَراً مِن غبارِ قَبرِكَ قائماً على قَدمَيْكَ شَاخِصاً بِبَصَرِكَ نَحو النداء قال تعالى ﴿ يَوْمَ تشقق الأرض عنهم سِراعا ﴾ وقال ﴿ خُشَّعاً أبصارَهم يخرجون من الأجداث ﴾ .

فتصور تَعَرِّيَكَ ومَذَلَّتك وانْفِرَادَكَ بخَوفِكَ وأَحْزانِكَ وهُمُومِكَ وغُمومِكَ في زَحْمَةِ الخلائق خاشعةً أبصارهمُ وأصْوَاتُهم تَرهَقُهم الذِلّةُ قال تعالى ﴿ وخَشَعَتِ الأصواتُ للرحمن فلا تسمع إلا همسا ﴾ وقال تعالى ﴿ خُشَّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جرادٌ مُنتَشِر مهطعين إلى الـــــداعي ﴾ .

اللهمّ ثَبتنَا عَلى قَولِكَ الثابِت في الحَيَاة وفِي الآخِرَة وآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنة وفي الآخِرَةِ حَسَنة وَقِنَا عَذَاب النَّار واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْن بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينْ وصلَّى اللهُ على محمدٍ وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينْ .

(فصل)

ثم تصور إقبال الوحوش مِن البَراري مُنَكِسَةً رُؤُوْسَها لِهَولِ يوم القيامةِ فبعدَ تَوحُشَها وانفرادها مِن الخلائق ذلّتْ لِيوم النشور قال تعالى ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ .

وتصور تَكْوِيرَ الشمس وتَنَاثُر النجُوم وانْشِقَاقَ السماء مِن فوق الخلائق مَعَ كَثَافَةِ سَمْكِهَا فيا هَول صوت ذلك الانشقاق .

والملائكةُ على حَافَاتِ ما يَتَفَطر مِن السماء قال الله تعالى ﴿ وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها ﴾ وقال تعالى ﴿ فإذ انشقت السماء فكانت وردة كالدِّهَان ﴾ وقال تعالى ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ .

قيل تَذُوب كما تَذُوبُ الفِضَّةُ في السَّبْكِ وتَتَلَوَّنُ كما تَتَلَونُ الأَصْبَاغ التي

يُذهَنُ بها فتارة حَمْرَاء وتارة صَفْرَاء وزَرْقاء وخَضْراء وذلك مِن شدة الأمر وهول يوم القيامة وقال تعالى ﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾ قيل كالفضة المذابة أو الرصاص المذاب وقال تعالى ﴿ يَوماً يجعل الولدان شِيبًا ﴾ .

فتصور وقوفك مفرداً عرياناً حافياً وقَدْ أدنِيَتِ الشمسُ مِن رُؤوسِ الخلائق ولا ظل لأحد إلا ظل عرش رب العالمين ، فبينما أنتَ على تلكَ الحَالِ المزعجة اشْتَدَّ الكربُ والوَهَج من حَرِ الشمسِ ثم ازدحمت الأمَمُ وتدافَعَتْ وتضايقَتْ واختلفَتِ الأقدامُ وانقطَعتِ الأعناقُ من شَدّةِ العطشِ والخوفِ العظيم .

وانْضَافَ إلى حَرِ الشمّسِ كثرة الأنفاسِ وازدحامُ الأجسام والعطشُ تضَاعَفَ ولا نومَ ولا راحةَ وفاضَ عَرقُهم على الأرض حتى اسْتَنْقَعَ ثُمَّ ارتفعَ على الأبدان على قَدْرَ مَراتِبهم ومَنَازِلهم عند ربهم بالسعادة والشقاوة .

ثم تصور مجيء جهنم تقاد ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها قال تعالى ﴿ وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى ﴾ .

فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا لركبته يقول يا رب نفسي نفسي فتصور ذلك الموقف المهيل المفزع الذي قد ملأَ القلوبَ رُعباً وخوفاً وقلقاً وذُعْرًا يا له من موقف ومنظر مزعج .

وأنت لا محالة أحدهم فتوهم نفسك لكربك وقد علاك العرق والفزع والرعب الشديد والناس معك منتظرون لفصْلِ القضاء إلى دار السعادة أو إلى دار الشقاء ، قال تعالى ﴿ وتُنْذِر يَوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾ .

فتصور أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم منفرد كل واحد بنفسه ينادي نَفْسي نَفْسي قال الله تعالى ﴿ يوم تأتي كلُ نَفْسٍ تجادل عن نفسِهَا ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ﴾ الآية .

فتصور نفسَكَ وحالتَكَ عند ما يَتَبَرأْ منكَ الولدُ والوالدُ والأخُ والصاحبُ لما في ذلك اليوم من المزعجات والقلاقل والأهوال التي مَلأتِ القلوبَ من الخوفِ والفزعِ والرعبِ والذُعرِ .

ولولا عظم هول ذلك اليوم ما كان من الكرم والمروأة والحفاظ أن تفر من أمِّك وأبيكَ وأخيكَ وبَنيك ولكن عظم الخطر وشدة الكرب والهول اضطرك إلى ذلك فلا تلام على فرارك منهم ولا لوم عليهم إذا فروا منك قال الله تعالى ﴿ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ وقال تعالى ﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سُكَارَى وما هم بسكارى ولكن عذابَ الله شديد﴾ .

فبينما أنْتَ في تلك الحالة مَمْلُوْءٌ رُعْباً قد بَلَغَتِ القلوبُ الحَنَاجِرَ مِن شِدةِ الأهْوَال والمُزْعِجَات والخوفِ العظيم إذ ارْتفَعَ عَنَقٌ مِن النار يَلْتَقِطُ مَن أمِرَ بأخذِهِ فَينطَوِي عليهم ويُلْقِيْهِم في النار فَتَبْتَلِعُهُمْ ثم تَصَوَّرْ المِيزانَ وعظمَته وقَدْ نُصِبَ لِوَزْنِ الأعمالِ وتَصَوَّر الكُتُبَ المتطايِرَةَ في الأيْمَانِ وَالشمائِلَ وقلبُكَ واجِفٌ مَمْلُواً خوفاً مُتَوَقِّعُ أينَ يَقَعُ كتابُكَ في يَمينِكَ أو في شِمالكَ أو مِن وراء ظهرِكَ .

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمَالِ وآتِنا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفِيْ الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا ولِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فَصْــلٌ)

فالأتقياءُ يُعْطَون كتبَهُم بإيمانهم والأشقياءُ بالشمال أو مِن وراء الظهر ، قال تعالى ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً﴾ وقال ﴿وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا

ثبورًا ويصلى سعيرًا ﴾ .

وقال تعالى ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه ﴾ الآيات وقال ﴿ وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ﴾ الآيات .

فيالَهَا مِن مَواقِف ويا لَهَا مِن أهوال ويا لها مِن خُطُوب مُجَرَّدُ تَصَوُّرُهَا يُبْكِي المؤمنَ بها حقاً .

عن الحسن « أن رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر عائشة فَنَعَسَ فَتَذَكَّرَتِ الآخرة فبكَتْ فسالتْ دُموعُها على خدّ النبي ﷺ فاستيقظَ بدُمُوعها فرفعَ رَأسَه فَقَالَ ما يُبْكِيْكِ فقالت يا رسول الله ذَكَرْتُ الآخرةَ هَلْ تَذْكُرونَ أَهْلِيكُم يومَ القيامة .

قال : والذي نفسي بيده في ثلاثةِ مَوَاطِنَ فإنَّ أَحَداً لا يَذكُرُ إلاَّ نَفْسَه : إذا وضعتِ الموازينُ وَوُزِنَتِ الأعمالُ حتى يَنْظُرَ ابنُ آدَمَ أَيَخِفُّ مِيْزَانُه أم يثقل وعند الصحف حتى ينظر أبيمينِهِ يأخذ أم بشماله وعند الصراط .

وعن أنس بن مالك قال : يُؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يُوْقَفَ بين كفتي الميزان ويوكل به مَلَك فإن ثَقُلَ مِيزانُه نادَى الملكُ بصوتٍ يُسْمِعُ الخلائقَ سَعِدَ فلانُ بنُ فلان سَعَادةً لا يَشْقَى بعدَها أبداً .

وإن خَفَّ مِيْزَانُه نادى بصوت يُسْمِعُ الخلائق شَقِيَ فُلانُ بنُ فُلان شقاوةً لا يسعد بعدها أبدا .

وتَصَوَّرْ بَيْنَما أنتَ واقفٌ مع الخلائق الذين لا يعلم عددهم إلا الله جل وعلا وتقدس إذ نودي بإسمك على رؤوس الخلائق من الأولين والآخرين أين فلان بن فلان هلم إلى العرض على الله عز وجل .

فقمتَ أنتَ لا يقومُ غَيرُكَ لما لزم قلبك من العلم من أنك المطلوب فقمتَ تَرتَعِدُ فَرائصُكَ وتضطربُ رِجْلاكَ وجَميعُ جَوارحكَ وقلبك من شدة الخوف والذهول في أشد الخفقان مرتفعاً إلى الحنجرة .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ﴾ .

فَتصَورْ خوفَكَ وذُلَّكَ وضَعْفَكَ وانهِيَار أعْصَابِكَ وقُواكَ مُتَغَيِّراً لونُكَ مَرْعُوباً مَذْعُوراً مُرْتَكِضاً مُزْعَجاً قَدَ حَلَّ بِكَ الغَم والهَمُّ والاضطراب والقلق والذُهول لِمَا أصَابَكَ ورأيْتَ مِن الشدائِدِ والكروبِ والمُحْزِنَاتَ ما الله به عليم.

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ وترى الناس سُكَارَى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ فيا له من يوم قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ فكيف تتقون إن كَفَرْتُم يَوماً يجعل الولدان شِيبًا ﴾ والآية بعدها .

وتَصَوَّرْ وقُوفَكَ بينَ يَدَيْ بَديعِ السمواتِ والأرضِ الذي الأرض جميعاً قِبضتُه يومَ القيامة والسمواتُ مَطْوِيّاتٌ بيَمِيْنِهِ القوي العزيز وقَلبُكَ خائفٌ مَمْلُوءٌ مِن الرُعْبِ مَحْزُونٌ وجِلٌ وطرفك خائف خفي خاشعٌ ذليل .

وجَوارحكَ مرتَعِدةِ بيدكَ صحيفة مُحْصاً فيها الدقيق والجليل لا تُغادِر صَغيرةً ولا كبيرةً فقرأتها بلسان كليل وقلب مُنْكِسر ودَاخَلَكَ مِن الخجل والجُبْن والحَيَاء مِن الله الذي لم يَزَلْ إليكَ مُحْسِنًا وعَليكَ سَاتِرا .

فبأي لِسَانٍ تُجِيْبُهُ حِينَ يَسْأَلُكَ عن قبيح فِعْلكَ وعَظيمِ جُرْمِكَ وبأي قَدَمٍ تَقِفُ غداً بينَ يَدَيْهِ وبأي طَرْفٍ تَنظرُ إليه وبأي قَلْبٍ تحتمل كلامَه العَظيم الجليل ومُسَاءَلَتَهُ وتوبِيْخَهُ .

وتَصَوَّرْ نَفْسَكَ بصغر جسمك بين يدي من السموات السبع والأرض كخردلة في كفه الكبير المتعالي شَدِيْدُ المِحَال الذي ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها وقلوب العباد بين أصبعين من أصابعه لا إله إلا هو القوي العزيز.

وتصور نفسك بهذه الهيئة والأهوال مُحَدِّقَةٌ بِكَ مِن جَوَانِبِكَ ومِن خَلْفِكَ فكم مِن كَبِيْرَةٍ قَد نَسِيْتَهَا أثبتَهَا عليكَ المَلَكُ وكم مِن بَلِيَّةٍ أحْدَثْتَها فَذَكَرْتَها وكم مِن سَرِيْرَةٍ قد كُنْتَ كَتَمْتَهَا قد ظَهَرتْ وبَدَتْ .

وكم مِن عَمَلٍ قد كُنتَ تظنُّ أنه قد خَلَصَ لَكَ وَسَلم فإذا هو بالرياء قد حَبِطَ بَعْدَ ما كانَ أَمَّلْكَ فيه عَظِيمًا فيا حَسْرَةَ قلْبِكَ وتأسفك على ما فرَّطْت في طَاعَةِ رَبِّكَ قال تعالى ﴿أَنْ تَقُولَ نَفسٌ يا حَسْرَتَا على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ اللهِ وإنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِين ﴾ وقال تعالى ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضي الأمر وهم في غَفْلَةٍ وهم لا يؤمنون﴾ .

حتى إذا كُررَ عليك السؤال بذكر البَلايَا ونُشِرَتْ مخبآتُكَ التي طالما أخفيْتَهَا وسَترتها عن مَخلُوقٍ مِثْلكَ لا يَملكُ لِنفسِهِ ولا لغَيره ضَراً ولا نَفْعًا وقد ظَهَرتْ قلةُ هَيْبَتِك لله وقِلّة حَيائكَ منه وظَهَرتْ مُبَارزتكَ له بفعل ما نهاك عنــــه .

فما ظَنُّكَ بسُؤال مَن قد امتلأ سَمْعُكَ مِن عَظَمَتِهِ وجَلالِه وكِبْرِيائِهِ وسائر صفاة كماله وكيفَ بِكَ إنْ ذَكَّرَكَ مُخَالفَتَك لَهُ وَرُكُوبَكَ مَعَاصِيه وقِلَّةَ اهْتِمامكَ بنَهْيِهِ ونظره إليك وقلَّةَ اكْتَرَاثكَ في الدنيا بطاعته .

وماذا تقول إن قالَ لكَ يا عَبْدِي ما أجْلَلْتني أما اسْتَحْيَيْتَ مني أمَا رَاقبْتَنِي اسْتَخْفَفْتَ بِنظري إليكَ ألَمْ أحْسِنْ إليكَ ألَمْ أنْعِم عليكَ ما غَرَّكَ مِني .

شَبَابُكَ فيما أبليتَه وعُمُرك فيما أفْنَيْتَه ومالُك مِن أيْنَ اكْتَسَبْتَهُ وفِيْمَ أنْفَقْتَه وعِلْمُكَ ماذا عَمِلتَ فيه .

وورد عن النبي ﷺ أنه قال : « ليقِفَنَّ أحدكم بين يدي الله تبارك وتعالى ليس بينه وبينه حجاب يحْجِبُه ولا بينه وبينه ترجمان يترجم عنه فيقول ألَمْ أنْعِمْ ألَمْ آتِكَ مالا فيقول بلى .

فيقول ألَمْ أرسل إليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة » رواه البخاري .

فأعْظِمْ بِهِ مَوْقِفاً وأعْظِمْ بِهِ مِن سَائِلٍ لا تَخْفَى عليه خَافِيَةٌ وأعْظِمْ بما يُدَاخِلُكَ مِن الخَجَلِ والغَمِّ والحُزْنِ والأسف الشديد .

على ما فَرَّطْتَ في طَاعَتِهِ وعلى ركوبك معصيته وعلى أوقات ضاعت عند الملاهي والمنكرات ، قال الله تعالى عن حال المجرمين المفرطين ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رُؤوسِهِمْ عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعْنَا نعمل صالحاً إنا موقنون ﴾ وقال تعالى ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ﴾ الآية .

وكيف تَثْبُتُ رِجْلاكَ عند الوقوف بين يديه وكيف يقدر على الكلامِ لِسَانُكَ عندما يسألك الحي القيوم إلا أن يثبتك جل وعلا ويقدرك على ذلك فإذا تَبَالَغَ فيكَ الجُهْدُ من الغم والحزن والحياء والخجل بدا لك منه أَحَدُ أمرين إمَّا الغضب أو الرضا عنك .

فإما أن يقول يا عبدي أنَا سترتها عليك في الدنيا وأنا اغفرها لك اليوم فقد غفرتُ لَكَ كَبير جُرْمِكَ وكَثيرَ سَيئاتكَ وتَقَبّلْت منكَ يَسيرَ إحسانِكَ فَيَسْتَطيْرُ قَلْبُكَ بالبهجة والفرح والسرور فيُشرِق ويَسْتَنِيرُ لِذلكَ وَجْهُكَ .

فتصَوَّرْ نفسَكَ حِيْنَ مَا يقال لَكَ وتَهْدَأُ نَفسُكَ ويَطْمَئِنُ قَلْبُكَ ويَنَوَرُ وَجْهُكَ بَعْدَ كآبَتِهِ وتكَسُفِهِ مِن الحَيَاءِ مِن السُّؤَال .

وتَّصَوَّر رضاهُ عَنْكَ حِينَما تَسْمَعُه منه فثار في قلبكَ فامتلأ سُروراًوكِدْت أن تموتَ مِن الفرح فأيُّ سُرورٍ أعظمُ مِن السُرور والفَرَحِ بِرضا الله عَزَّ وجَل .

اللهمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمينَ وَألْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحْينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجـمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأحْيَاءِ مِنْهُم وَالميِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا ارْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلى اللهُ عَلى مُحمد وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ اجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وتَّصَوَّرْ نفسَكَ وقَدَ بَدَا لَكَ منه الرضا والرحمةُ والمغفرةُ فتكادُ رُوحُكَ أن تَطِيْرَ مِن بَدَنِكَ فرحاً فكَيفَ لو سَمِعتَ مِن الله عز وجل الرِضَا عَنكَ والمغفرةَ لَكَ فأمِنَ خَوفُكَ وسَكَنَ حَذَرُكَ وتَحَقَّقَ أمَلُكَ وَرَجَاؤُكَ بخُلودِ الأَبِدِ وأَيقَنْتَ بفوزكَ ونَعِيْمِكَ أَبَدَا لا يَفْنَى ولا يَبِيْد وطار قلبك فرحاً وابْيَضَّ وَجْهُكَ وأشرقَ وَأنارَ .

ثم خَرَجْتَ إلى الخلائقِ مُستَنِيْرَ الوَجْهِ قَدْ حَلَّ بكَ أكْمَلُ الجَمالِ والحُسْن كِتابُكَ بيَمْينكَ وقد شَخَصَتْ أَبْصَارُ الخلائقَ إليكَ غِبْطةً لَكَ وَتأسُفاً على أن ينَالُوا مِن اللهْ عز وجل مِثلَ مَا نِلْتَ .

وتَصَوَّرْ نَفْسَكَ إن لم يَعْفُ عَنْكَ رَبُكَ وأيْقَنْتَ بالهَلاك وذُهِبَ بكَ إلى جَهَنمّ مُسْوَدَّ الوجْه تتخطَى الخلائقَ بسَوَاد وجْهِكَ وكتابُكَ في شِمالِكَ أوْ مِن وَرَاء ظَهْرِكَ تُنادِيْ بالْوَيلِ والثُبور والمَلَكُ آخِذٌ بعَضُدِكَ ينادي هذا فلانُ بْنُ فُلان قد شَقِيَ شَقَاءً لا يَسْعَدُ بَعْدَهُ أَبَدَا .

وتصَوَّرْ الصِراطَ وهُو الجَسْرُ المنصوبُ على مَتْنِ جَهَنَّم قُدَّامَكَ وتَصَوَّرْ ما يَحِلُّ بِكَ مِن الوَجَلِ والخَوفِ الشدِّيْدِ حِيْنَ رَفَعْتَ طَرْفَكَ فَنظَرْتَ إليه بِدِقَّتِهِ وحُوضِهِ وجَهَنَّمُ تَضْطَرِبُ وتَتَغَيَّض وتَخْفِقُ بأَمْوَاجَهَا مِن تَحْتِهِ .

فَيَالَهُ مِن مِنْظرٍ ما أَفْظَعَهُ وأَهْوَلَهُ وسَمَاعُكَ شَهِيْقَهَا وتَغَيُّضَهَا وقصْفَ أَمْوَاجِهَا وجَلَبَةَ ثَورَانِها مِن أسْفَلهَا وقد اضْطُرِرْتَ على المَشْي عليه وقَدْ مَرَّتْ عَليكَ صِفتُهُ .

ثم قِيلَ لَكَ وأنتَ تنظرُ إلى الجَسْر بفَضَاظتِهِ وفَضاعَتِهِ وقِيلَ للخلق مَعَكَ اركَبُوا الجَسْرَ الذي هو الصراط فَتصَوَّرْ حَالتَك وخَفقَانَ قَلْبِكَ وَرَجَفَان جِسْمَكَ مِمَّا عَايَنْتَ مِن المزعجات والكرُوب والشَدَائِدِ والأَهْوالِ وعَظَائِم الأُمور وقِلَّةِ المأكل والمَشْرب والرَّاحَةِ .

ولمَا قيل اركب طار عقلك رُعْباً وخوفا ثم إذا رَفَعْتَ رِجْلَكَ وأنْتَ تَنْتَفِضُ لِتركَب الجَسْرَ فَوَقَعَ قدمُكَ على حِدَّتِهِ ودِقتِهِ فازْدَادَ فزعُك وازداد رَجفانُ قَلْبِكَ ورَفَعْتَ رجلكَ الأخرى وأنْتَ مَضْطَرِبٌ تَتَمرْوَج مِن شدة الخوف العظيم وقد اثْقَلَتْكَ الأوزارُ وأنْتَ حَامِلُهَا عَلَىَ ظِهرك وأنْتَ تَنْظُرَ إلى الناسِ يَتَهافَتُونَ مِن بَيْن يَدَيْكَ ومِن وَرَائِكَ .

فَتصَوَّر مُرُوْرَكَ عليه بضَعْفِكَ وثِقَلكَ وَأَوْزَارِكَ وقِلَّة حِيْلَتِكَ وأنتَ مُندَهِشٌ مِمَّا تحتَكَ وأمَامَكَ مِمَّنْ يَئِنُونَ ويَزِلُونَ وقد تَنكَسَتْ هاماتُهم وأرتفعَتْ أرْجُلُهم وآخرون يُخْتَطفُونَ بالكلالِيْب وتَسْمَعُ العَوِيْلَ والبكاءَ والأصواتَ المزعجاتِ المناديات بالويل والثبور .

فياله مِن مَنْظِرٍ فَظِيْع ومُر تقىً مَا أصْعَبَه ومَجَاز ما أضيقَه ومَكانٍ ما أهْوَلَهُ ومَوْقِفٍ ما أشقَّهُ وكأني بكَ مَمْلواً مِن الذُعْرِ والرعْبِ والقَلَقِ مُلْتَفِتاً يميناً وشمالاً إلى مَن حَولك من الخلق وهم يَتهافتون قُدَّامكَ في جهنم وأنْتَ تَخْشَى أن تتبعَهُم إلى قعر جهنم .

فتصور هذا بعقلك ما دُمْتَ في قَيْدِ الحَياة قبل أن يُحَالَ بَيْنَك وبينه فلا يفيدك التفكير لَعَلَّك أنْ تتلافى تفريطَكَ وتُحَاسبْ نفسَكَ قَبْلَ أن يَفُوت الأوان فتبوْأ بالفَشَل والخَيْبَةِ والحِرمان .

وتَصَوَّرْ حَالَتَكَ إنْ بُؤتَ بالخُسْرَان وزَلَّتْ رجلُكَ عن الصراط وَوَقَعْتَ فيما كُنْتَ تُحَاذِرُ وتَخَاف وطَارَ عَقلُكَ ثم زَلَّتْ رِجْلُكَ الأُخْرَى فَنكسْتَ على هَامَتِكَ وعَلَتْ رِجْلاك فلم تَشْعُرْ إلاَّ والكَلُّوبُ قد دَخل في جِلْدِكَ ولحمكَ .

فَجُذِبْتَ به وبَادَرَتْ إليكَ النارُ ثائرةً غَضْبَانَةً لِغَضَبِ مولاها وقد غلبَ على قلبِكَ الندمُ والتأسفُ على أوقات ضَيَّعْتَهَا فيما يُسْخِطُ الله .

وتَصَوَّرْ سَمَاعَكَ لِنِدَاء النار بقَوله عَزَّ وجَلَّ ﴿ هل امتلأت ﴾ وسَمِعْتَ إجَابتَها لَهُ ﴿ هَلْ مِن مَزِيْد ﴾ وهي تلتهب في بَدَنِك لَهَا قَصِيْفٌ في جَسَدكَ ثم لم تَلْبَثْ أنْ تفطِرَّ جسْمُكَ وتسَاقَطَ لحْمُكَ وبَقِيَتْ عظامُكَ .

مُحْتَرِقٍ تَطْلُبُ مِنْهُم مَاءً أو نحوَهُ فأجَابُوكَ بالرَّدِ والخَيْبَةِ فتقطع قلبُكَ حَسْرَةً وأسَفًا .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ ونادَى أصْحَابُ النارِ أصْحَابَ الجنة أنْ أفِيْضوُا علينا مِن الماءِ أو مما رَزَقكم الله قالوا إنّ الله حَرَّمَهُمَا على الكافرين ﴾ فَيا خَيْبَةَ مَن هَذا حَالُه وهَذا مآله .

لقد تَقَطَّعَ قلبُكَ حُزْناً إذ خَيَّبُوا أمَلَكَ فيهم وبما رَأيتَ مِن غَضَبِهم عليكَ لِغَضَبِ رَبّكَ عَزَّ وَجَل فَفَزِعْتَ إلى الله بالنَداء بطَلَب الخُروج مِنها فَبَعْدَ مُدْةٍ الله أعلم بها جَاءَ الجوابَ ﴿ إخسَؤُا فيها ولا تكلمون ﴾ .

فلما سَمِعْتَ النِداءَ بالتّخْسِئةِ لَكَ ولأمثالك بَقي نَفَسُكَ مِن شِدة الضّيّقِ والألم والحَسْرة مُتردّداً في جَوْفِكَ لا مَخْرجَ لَهُ فَضَاقتْ نَفْسُكَ ضِيْقاً شديداً لا يَعْلَمُ مَدَاهُ إلا الله .

وبَقِيْتَ قَلِقاً تَزْفُر ولا تُطِيْقُ الكلامَ ثم أتَاكَ زِيَادَةُ حَسْرة ونَدامَةٍ حَيْثُ أُطْبِقَ أبْوَابُ النارِ عَلَيْكَ وعلى أعدائِه فيها فانْقَطَع الأمل كُلّياً .

فَيَا إيَاسَكَ ويَا إيَاسَ سُكانِ جَهَنّمَ حين سمعوا وقع أبْوَابها تطبقُ عَليهم قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ إنها عليهم مُؤصَدَةٌ في عمد ممددة ﴾ .

فعلموا عند ذلك أن لا فرجَ أبدا ولا مَخرجَ ولا محيصَ لَهُم من عذاب الله خلودٌ فلا موتَ وعذابٌ لا زَوَالَ له عن أبدانهم ودَوَامُ حَرَق قلوبهم .

أحْزَانٌ لا تنقضي وهُموم وغمُوم لا تَنْفَدُ وسُقْمٌ لا يَبْرأ وقُيودٌ لا تُحَلُّ وأغْلَالٌ لاَ تُفَكُّ قال تعالى ﴿ إذ الأغلال في أعْنَاقِهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾ .

وقال تعالى ﴿ فالذين كفروا قطعت لهم ثيابٌ من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يُصْهَرُ به ما في بُطُونِهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يَخْرجُوا منهَا مِن غمٍ أعيدوا فيها وذُوْقوا عَذَابَ الحريق ﴾ .

ثم اطَّلَعَتِ النارُ على ما في جَوْفِكَ فأَكَلَتْ ما فيه وأَنْتَ تُنَادِي وتستَغِيْث فلا تُرحَم حتى إذا طَالَ فيها مُكثكَ واشتَدَّ بِكَ العَطَشُ .

فَذَكَرْتَ الشَّرابَ في الدنيا فَزِعْتَ إلى الجحيم فتَنَاولْتَ الآناءَ مِن يَدِ الخازن الموكل بعذابك فلما تناولته تمزَّعَتْ كَفُكَ مِن تحته واحْترقَتْ مِن حَرارتِهِ ثم قربته إلى فمك والأَلَمُ بَالِغٌ مِنكَ كلَّ مَبْلَغ فَشَوَى وجْهَكَ وَتساقطَ لَحْمُهُ .

ثم تَجَرَّعْتَهُ فَسَلَخَ حَلْقَكَ ثم وَصِلَ إلى جَوفِكَ فَقَطَّعَ أمعاءَكَ قال الله جل وعلا ﴿ وسُقوا ماءً حميماً فقَطَّعَ أَمْعَاءَهُم ﴾ وقال جَلَّ وَعَلاَ وتقدَّسَ ﴿ ويسقى من ماء صَدِيد يَتجرعُه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ ﴾ .

ثم ذكرتَ شراب الدنيا وبَرْدَهُ ولَذَته فبادَرْتَ إلى الحَميم لِتُبَرد به كَبدَكَ كما تعَوَّدَتَ في الدنيا فسُقِيْتَ فقطَّعَ أمعاءَكَ والحميم شراب كالنحاس المذاب يُقَطِّعُ الأحشاءَ والأمعاءَ ثم بادَرْتَ إلى النار رَجَاءَ أَنْ تَكُونَ أهونَ منه ثم اشتَدَّ عليكَ حَرِيْقُ النـــار فرجَعْتَ إلى الحميم قـــال الله تعالى ﴿يطوفون بينها وبَين حَميم آن ﴾ وقال في الآية الأخرى ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسْحَبُونَ في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾ .

فقدِّرْ نفسَكَ مَعَ الضَّائِعِيْنَ والخَاسِرِيْنَ لَعَلَّكَ أن تَلْحَقَ بالأَبْرارِ والمُقَرَّبِين وتَصَوَّرْ حَالَتَكَ لَمَّا اشْتَدَّ بِكَ الكَرْبُ والعَطشُ وبَلَغَ منكَ كُلَّ مَبْلَغ وذكرتَ الجنانَ وما فيها مِن النَّعيم المقيم والعَيْش السَّليم .

وهَاجَتْ الأَحْزَانُ وهَاجَتْ غُصَّةٌ في فؤادكَ إلى حَلْقكَ أسفاً على ما فَاتَ مِن رِضَى الله عَزَّ وجَلَ وحُزْناً على نعيم الجنة .

ثم ذكرتَ شَرابَها وبَرْدَ مائِها وذكرتَ أن فيها بعضَ القرابةِ مِن أبٍ أو أم أو ابنٍ أو أخٍ أو غيرهم من القرابة أو الأصْدِقاءِ في الدنيا فنادَيْتَهُمْ بقَلْبٍ محزُوْن

لا يُرْحَمُ بُكَاؤُهُم ولا يجاب دعاؤهم ولا يغاثون عند تضرعهم ولا تقبل توبتُهم ولا تُقَال عَثْرَتُهم غَضِبُ الله عَزَّ وجَل عَليهم فلا يَرضَى عنهم أبدا فَمَثِّلْ نَفْسَكَ بهَذَا الوَصْف إنْ لم يَعْفُ عنكَ رَبُكَ لعلّكَ أن تَسْتَيْقِض فتستَدْرِك .

فلوْ رَأيت المُعَذَّبِيْنَ وقد أُكلَتِ النارُ لُحومَهُم ومَحَتْ مَحَاسِنَ وُجُوهِهِم واندرَس تَخْطِيطُهُم فَبَقِيَت العِظامُ مُحْتَرَقَةً مُسْوَدَّةً وقَدْ قَلِقُوا مِن شِدَّة تكررِ العَذَاب الألِيم قال تعالى ﴿ وأنَّ عَذَابِي هُوَ العذابُ الأليم ﴾.

وهُم يُنَادُون بالويل والثُبور ويصرخون بالبكاء والعَويل قالَ الله جل وعلا وتقدس ﴿ وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ﴾ وقال ﴿ وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليومَ ثُبورَا واحداً وادْعُوا ثبوراً كثيراً ﴾ .

فلَوْ رَأيتَهُم لَذَابَ قَلْبُكَ فزعاً ورُعْباً مِن سُوء خَلْقِهم ولخَرَجَتْ رُوْحُكَ مِن نَتَن رَائحتِهم فكيفَ لو نَظَرْتَ نفسَكَ وأنتَ فِيهم وقَدْ زَالَ مِن قَلْبِكَ الأملُ والرَجَاء ولَزِمَكَ القُنوطُ والإيَاسُ فمثِّلْ نفسَكَ لَعَلّكَ أن تَتَأثَّر فَتَستَعِدَّ لِلقاء الله.

ونَظَرْتَ إلى النار وهي تَشْتَعِلُ في أجْزَاءِ بَدَنِكَ فتدخل أذنَيْكَ وعَينَيْكَ ولا تقدر على إبعادها عنك لِملازمَتِهَا لكَ قال الله تعالى ﴿ إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقراً ومقاما ﴾ فهناك يَغلبُ على قلبك التأسُّف والحسراتُ والندامة قال جل وعلا وتقدس ﴿وأنْذِرْهُمْ يوم الحَسْرَة ﴾ الآية .

فتَصَوَّرْ تِلْكَ الأهوالَ والعَظائِم بعقل فارغ وعزيمة صادقة وراجع نَفْسَكَ ما دُمْتَ في قَيْدِ الحَيَاة وتُبْ إلى الله توبةً نصُوْحاً عن ما يكرهه مَوْلَاكَ وتضَرَّعْ إليه وابْكِ مِن خَشْيَتِهِ لَعَلّهُ يَرْحَمُكَ ويُقِيْلُ عَثرَتَك فإن الخطرَ عَظيم والبدنَ ضعيف والمـــوتَ منكَ قرِيْب ، انتهى بتصرف من كلام المحاسبي رحمـــــه الله .

مَثِّلْ وقُوفَكَ يَومَ الحَشْرِ عريانـــا مُسْتَعْطِفاً قَلِقَ الأَحْشَـــاءِ حَيْرانَا
النارُ تَزفِرُ مِنْ غَيْظٍ ومِن حَنَـــقٍ على العُصَاةِ وتَلْقَ الرَّبَّ غَضْبَانَـــا
إقْرَأْ كِتَابَكَ يا عَبْدِيْ عَلَى مَهَـــلٍ وانْظُرْ إليه تَرَى هَلْ كَانَ مَا كَانَا
لَمَّا قَرَأْتُ كِتَاباً لا يُغَادرُ لِـــيْ حَرْفاً وما كانَ في سِرٍّ وإعْلاَنَـــا
قَالَ الجَلِيلُ خُذُوْهُ يَامَـــلائِكتي مُرُّوْا بعَبْدِي إلى النِّيْرَانِ عَطْشَانَـــا
يَارَبِّ لا تُخْزِنَا يَوْمَ الحسَابِ وَلا تَجْعَلْ لِنَارِكَ فينا اليَوْمَ سُلْطَانَـــا

اللهم ارزقنا أنْفُساً تقنع بِعَطَائِكَ ، وتَرْضَى بقضائك ، وتصبر على بلائك ، وتُوْقِنُ بِلِقَائِكَ وتشكر لنعمائك وتحب أوليائَكَ وتبغض أعداءَكَ واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

٢ [مـــوعظـــة]

لِلِه دَرُّ أقـوامٍ تَركُـوْا الدُنْيَا فَأصَابُوْا ، وسَمِعُوْا مُنَادِيَ الله فأَجَابُوا ، وحَضَرُوْا مَشَاهِدَ التُّقَى فما غَابُوا ، واعْتَذَرُوا مَعَ التَّحقِيْقِ ثم تَابُوا وأنابُوا ، وقَصَدُوْا بابَ مَوْلاَهُم فما رُدُّوا وَلاَ خَابُوا .

قال عَمْرُو بنُ ذَرٍ لَمَّا رَأَى العَابِدُوْنَ الليلَ قد هَجَم عَليهم ، ونَظَرُوا إِلَى أَهْلِ الغَفْلَةِ قد سَكنُوا إِلَى فُرشِهِمْ وَرَجَعُوا إِلَى مَلاَذِّهِم .

قامُوْا إلى اللهِ سُبْحَانَهُ وتعالى فَرِحِيْنَ مُسْتَبْشِرِينَ بِمَا قَدْ وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِن السَّهَرِ وطُوْلِ التَّهَجُدِ .

فأستَقْبَلُوا اللَيلَ بأبْـدانِهم ، وبَـاشَرُوا ظُلْمَتَـهُ بِصِفَـاحِ وُجُـوهِـهِـم ، فانْقَضى عنهم اللَّيلُ ، ومــا انقَضَتْ لذَّتُهم مِن التِلاوَةِ ، ولاَ مَلَّتْ أبْدَانهم مِن طُولِ العِبَادَة ، فأصْبَحَ الفَرِيْقَانِ وَقَدْ وَلَّى الليلُ بِرِبْحٍ وغَبْنٍ .

فاعْمَلوا في هذا الليلِ وَسَوادِه ، فإنَّ المغْبُونَ مَن غُبِنَ الدنيا والآخرة ، كَمْ مِن قائمٍ لله تعالى في هَذَا الليلِ قد اغْتبطَ بقيامِهِ في ظلمة حُفْرَته .

[فصـــــــــل]

ويقابل دارَ الأشقياءِ التي تقدمت قريباً دَارُ أُخرى دَارُ قَرَارٍ ونَعِيْمٍ وسرُوْر وحُبُور وأمْنٍ وصِحَّةٍ وحَيَاةٍ أبَدِيَّةٍ فيها ما تشتهيه الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ ممَّا لا عين رَأتْ ولا أذنٌ سَمعَتْ ولا خَطَر على قلب بَشَرَ .

دَارٌ جعلها الكريمُ جل وعلا دارَ ضِيَافَةٍ ، يُكرم فيها عِبَادَهُ الأخْيَار الذين وفَّقَهم لخِدْمَتِهِ والعَمَلِ بطاعَتِه .

ولا تظن هذه الضيافة محدودة ، ولا أن الكرامة فيها تَنْتَهي بَلْ كُلُّ ما تحبه وتَتَمناه أمَامَكَ إنْ كُنْتَ مِن أهْلِ العَفْو والتَّجاوُز فتوهم إنْ تَفَضَّلَ اللهُ عليك بالعفوِ والتجاوزِ (أي تصور ممرَّكَ على الصراط) .

ونُـورُكَ يَسْعَى بينَ يَدَيكَ وعن يَمِيْنِـكَ ، وكتابُكَ بيمينكَ مُبيَّضَ الوَجْهِ .

قال الله جل وعلا ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجُوه ﴾ وقد أيْقَنْتَ برضاه عنك وأنْتَ على الصِّراطِ مَعَ زمرةِ العَابِدين ووفودِ المتقين .

والملائكةُ تُنادِي : سَلِّمْ سَلِّمْ ، والوجَلُ مَعَ ذلكَ لا يفارق قلبك ولا قلوبَ المؤمنين ، تُنادِي ويُنَادُون : ﴿ **ربنا أتْمِمْ لنَا نُورَنَا واغْفِرْ لَنَا إنَّكَ على كل شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ .

فتدبر حينَ رَأوا المنافقين طَفِىءَ نُورُهُم ، وهاجَ الوجَلُ في قُلوبهم ، فَدَعَوا بتَمام النُور والمغفرة .

فَتوهّمْ أيْ تَصوَّرْ وتَخَيَّل وتَمثّلْ نَفْسَكَ ، وأنْتَ تَمُرُ خَفيفاً مَعَ الوَجَلِ وتَصوَّرْ ممَرَّكَ علىَ قَدْرِ خِفَّةِ أوْزَارِكَ وثِقَلِها وقد انْتَهيْتَ إلى آخِره .

فَغَلَبَ على قلبك النجَاةُ ، وقد عاينتَ نَعِيمَ الجنان وأَنتَ على الصراط ، فَحَنَّ قَلْبُكَ على جِوارِ اللهِ عزّ وجل ، واَشتاقَ إلى رضا الله .

حتى إذا صِرْتَ إلى آخره خَطَواتٍ بأحَدِ رجليكَ إلى العَرْصَةِ (أي عَرَصَـةِ القِيامـة) التي بين آخرِ الجسر وبين باب الجنة ، فَوضَعْتَها على العَرْصَةِ التي بعد الصراطَ ، وبَقِيَتِ القَدَمُ الأُخرى ، على الصراط ، والخوفُ والرجاءُ قَد اعْتَليَا في قلبكَ وغَلبا عليكَ .

ثم ثَنَيتَ بالأخرى ، فَجُزْتَ الصِراطَ كُلّهَ واسَتَقَرَّتْ قَدمَاكَ على تِلكَ العَرصةِ ، وزِلْتَ عن الجسَرْ بِبدنِكَ ، وخَلَّفْتَهُ وراءَ ظَهْرِك .

وجَهَنَّمُ تَضْطَربُ مِن تَحتِ مَن يَمُر عليها ، وتَثِبُ على مَن زَلَّ عنه مُغْتَاظَةً تَزْفُرُ عليه وتَشْهَقُ إليه .

ثم التفتَ إلى الجسرِ فَنَظَرتَ إليه باضطرابه ، ونظرت إلى الخلائق مِن فَوقِهِ ، وإلى جَهَنَّم مِن تَحتِهِ تَثِبُ وتَزْفرُ على الذين زُلْزِلُوا

عن الصِراط .

لها في رُؤُوسِهم وأنْحِـائِهم قَصِيْفٌ ، فَطَار قَلْبكَ فَرَحاً إذْ نَجوْتَ بضَعْفِكَ مِن النار وَخَلَّفْتَ النارَ وجَسْرَهَا مِن وَرَاءِ ظَهْرِكَ . مُتَوجِهاً إلى جوار رَبكَ .

ثم خَطَوْتَ آمِناً إلى باب الجنةِ امتلأ قلبُكَ سُروراً وفَرحاً ، فلا تَزَالُ في ممَرِّكَ بالفَرح والسُرور حتى تُوافي أبْوبَهَا .

فإذا وافيْتَ بَابهَا اسْتَقْبلكَ بِحُسْنِهِ ، فَنَظرتَ إلى حُسْنِهِ ونُورِهِ وحُسنِ صُورةِ الجنةِ وجُدْرَانها .

وقَلبُكَ مُسْتَطيرٌ فَرَحٌ مَسْرُورٌ مُتَعلقٌ بِدُخُـولِ الجنةِ حين وافَيتَ بابها أنت وأولياءُ الرحمن .

فتَوَهَّمْ أي تَخَيَّل وتَصَوَّر نفسَكَ في ذلك الموكِب ، وهُمْ أهلُ كرامـةِ الله ورضـوانـه ، مُبْيَضَـةً وُجُوهُهُمْ ، مُشْرِقَةً برضَا الله ، مَسْرُورونَ فَرِحُونَ مُسْتَبْشِرُونَ ، وقد وَافَيْتَ بابَ الجنةِ بِغُبارِ قَبْرِكَ ، وحَرِّ المقَامِ وَوَهَجِ مَا مَرَّ بكَ .

فَنَظَرتَ إلى العَين التي أعَدَّهَا الله لأوليائه وإلى حُسْن مائِها ، فانْغَمَسْتَ فيهـا مَسْرُوراً ، لَمَا وَجَـدْتَ مِن بَرْدِ مَائِهَـا وطِيْبِـهِ ، فوجدتَ لهُ بَرْداً وطيباً ، فَذَهَبَ عَنكَ بِحُزْنِ المقَام .

وطَهَّركَ من كُل دَنَس وغُبار ، وأنتَ مَسرورٌ لما وَجَدتَ مِن طِيب مائِها لّما باشَرتَهُ ، وقد أَفْلتَّ مِن وَهَجِ الصراطِ وَحَرِّه ، لأنَّه قَدْ يُوَافي بَابَها مَنْ أحرقَتِ النارُ بعض جَسَدِهِ بلفْحِها وقد بَلَغَتْ منـــــه .

فما ظَنُكَ وقد انْفَلَتَّ مِن حَرِ المقام وَوَهَجِ أنْفَاس الخلائق ، ومِن شِدة تَوَهُّـجِ حَرِّ الصِراطِ فَوافَيْتَ بابَ الجنـة بذلك ، فَلَما

نظرت إلى العين قَذَفْتَ بِنَفْسك فيها .

فَتَـوهَّمْ (أي تَصَـوَّرْ وتَخَيَّل) فَرْحَةَ فُؤادِكَ لما بَاشَر بَرْدَ مائِها بَدَنُكَ بعْدَ حَر الصِراط ، ووَهَج القِيامةِ ، وأنتَ فَرِحٌ لمعرفَتِكَ أنكَ إنما تَغْتَسِلُ لِتَتطَهَّر لِدُخُول الجنةَ والخلودِ فيها .

فأنتَ تَغْتَسِـلُ منها دَائِباً ، ولَونُكَ مُتَغيِّرٌ حُسْناً ، وجَسَدُكَ يَزْدَادُ نَضْرَةً وبَهْجَةً ونَعْيماً ، ثم تَخْرُجُ منها في أَحْسَنِ الصُوَرِ وأتم النُور اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوْبِنا وَقَوِّها ، اللَّهُمَّ الْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارْزُقْنَا مَحَبَّة اوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَهِجْرانهم وَالابْتِعَادِ عَنْهُمْ وَاغْفِرْ لَنا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعَ المسْلِمْينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــلٌ)

فَتَـوهَّمْ (أي تَصَـوَّرْ وتَخَيَّلَ) فَرَحَ قَلْبكَ حين خَرَجْتَ منها فَنـظَرتَ إلى كمال جَمالِكَ ، ونَضارَةِ وَجْهِكَ وحُسْنِهِ ، وأنْتَ عَالِمٌ مُوقِنٌ بأنكَ تَتنَظَّفُ لِلدُّخُول إلى جوارِ رَبِّكَ .

ثم تَقْصُدُ إلى العَينِ الأخْرَى ، فَتَتناولُ من بعض آنِيتها ، فَتَـــوَهَّمْ نَظَرَكَ إلى حُسْنِ الإِنـاء ، وإلى حُسْنِ الشَراب ، وأنْتَ مَسْرُورٌ بمعرفتكَ أنكَ إنَّما تَشربُ هذا الشرابَ لِتُطَهِّرَ جَوْفَكَ مِن كُلِّ غِلٍ ، وجَسَدُكَ نَاعمٌ أبداً .

حتى إذا وضَعْتَ الإِناءَ على فِيكَ ثم شَرِبْتَهُ ، وجَدْتَ طَعم شَراب لم تَذُقْ مثله ، ولم تَعَــوَّدْ شُرْبَـــهُ ، فَيَسْلسُ من فيْكَ إلى

جوفِكَ، فَطَارَ قَلبُكَ سُروراً لما وَجَدْتَ مِن لَذَّتِهِ ، ثم نقي جَوْفَكَ مِن كُلِّ آفَةٍ .

فَوَجَدْتَ لَذةَ طَهَارةِ صَدْرِكَ مِن كُلِّ طَبْعٍ كان فيه يُنَازعُه إلى الغُمـوم والهُمـوم والحِـرص والشدةِ والغَضبِ والغِلِّ ، فيا بَرْدَ طَهارَةِ صَدْرِكَ ، وياروْحَ ذلكَ على فُؤَادِكَ .

حتى إذا اسْتَكْمَلتْ طَهَـارةُ القلب والبَـدَنِ ، واسْتكْمَـلَ أحباءُ الله ذلك مَعَكَ ، والله مُطَّلعٌ يَراكَ ويَراهُم .

أمَرَ مَولاكَ الجوادُ المُتَحَنِّنُ خزانَ الجنةِ من الملائكة ، الذين لم يزالُوا مُطيْعِين خَائفينَ منه مُشْفِقِينَ وَجلينَ مِن عِقَابِهِ إعظَاماً له وإجَلالاً ، وهَيبْةً لَهُ ، وحَذَراً مِن نِقَمِهِ ، وأمرهُم أن يفتَحُوا بابَ جَنَّتِهِ لأوليائِهِ .

فانْحَدَرُوا من دَارها ، وبَادَرُوا مِن سَاحَاتِها ، وأتَوا بابَ الجنةِ فمدُوا أيديَهم لِيفْتَحُوا أبوابَها .

وأيْقَنْتَ بذلك ، فطارَ قَلبُكَ سُروراً ، وامْتَلأتَ فَرحَاً ، وسَمِعْتَ حُسْنَ صَرِيرِ أبـوابهـا ، فَعَـلاَكَ السُرورُ ، وغَلَبَ على فُؤادِكَ ، فيا سُرورَ قُلُوبِ المفتوحِ لهم بَابَ جَنةِ رب العالمين .

فلما فَتَحَ لهم بَابُهَا ، هاجَ نَسيمُ طِيب الجنانَ ، وطِيْبُ جَرْي مَائِهَا ، فَنَفَحَ وَجْهَكَ ، وجَمِيْعَ بَدَنِكَ ، وثَارَتْ أرَايِيْحِ الجنةَ العِبَقَةِ الطَّيبةِ .

وهاجَ رِيحُ مِسْكِها الأذْفَرِ ، وزَعْفَرانِها المُوْنِع ، وكافُورها الأصفرِ ، وعَنْبرِها الأشْهَبِ ، وأرَياحُ طِيبِ ثَمارِها وأشَجارِها ، وما فيها مِن نَسيمِهَا .

فَتَـدَاخَلتْ تلكَ الأرَاييْح في مَشـامِّـكُ حتى وصَلَتْ إلى دِماغِك ، وصَارَ طِيبُها في قَلبكَ ، وفاضَ مِن جَميع جَوارِحكَ .

ونَظَرْتَ بعَينكَ إلى حُسْن قُصُورها ، وتأسِيْس بُنْيانها مِن طَرائق الجَنْـدَل الأخْضرِ مِن الزُمُردِ ، والياقوتِ الأحْمرِ ، والدُر الأبيضِ ، قد سَطعَ منه نوره وبَهاؤه وصَفَاؤه .

فقد أكمَلَه الله في الصَّفاءِ والنُور ، ومازَجَهُ نُورُ ما في الجنان ، ونَظَرتَ إلى حُجُب الله ، وفَرحَ فُؤادُكَ لمعْرفَتِكَ أنكَ إذا دَخلْتَهَا فإنَّ لَكَ فيها الزيادات ، والنظرُ إلى وجهِ ربكَ ، فاجتمعَ طِيبُ أراييْحِ الجنةِ وحسنُ بَهجَةِ مَنْظرها ، وطيبُ نَسِيْمِهَا ، وبَردُ جَوها .

فتصور نفسَكَ إن تفضل الله عليكَ بهذه الهيئةَ ، فلو مُتَّ فرحاً لكان ذلك يَحقُ لَكَ ، حتى إذا فَتَحُوا بابَها ، أقْبَلُوا عليكَ ضَاحِكينَ في وَجْهكَ وَوُجُوه أولياءِ الله مَعَكَ .

ونادوكم ﴿ **سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ** ﴾ فتوهم حسن نغماتهم ، وطيب كلامهم ، وحسن تسليمهم ، في كمال صورهم ، وشدة نورهم .

ثم أتبعوا السلام بقولهم : ﴿ **طِبْتُمْ فادْخُلُوهَا خَالدِينَ** ﴾ ، فأثنَـوا عليهم بالـطِّيِب والتَهْـذِيب مِن كلِ دَنَس ودَرَنٍ وغِـلٍ وغِشٍ ، وكل آفةٍ في دِين أو دُنيا ، ثم أذنُوا لهمُ على الله بالدُخُول في جِوارِه .

ثم أخْـبَروهُم أنهم باقُـون فيهـا أبداً ، فقالوا : ﴿ **طبتم فادخلوهـا خالـدين** ﴾ ، فلما سَمِعَتِ الأذنُ وأولياءُ اللهِ مَعَكَ ، بادَرْتـم البابَ بالدخول ، فكَضَّتِ الأبوابُ مِن الزحام .

فَتَصور نفسَكَ إنْ عفا الله عنكَ في تِلكَ الزحمةِ مُبادِراً مَعَ

مُبَادِرِين ، مَسْرُوْراً مع مَسْرُورينَ ، بأبدانٍ قد طَهرَتْ ، ووُجُوهٍ قد أشرَقَتْ وأنارَتْ فهي كالبدر ، قد سَطَع مِن أعراضِهم كَشُعاعِ الشمس .

فلما جاوزتَ بَابَهـا ، وَضَعْتَ قَدَمَيْك على تُربتِهـا ، وهي مسْكٌ أذفَرُ ، ونَبْتُ الـزعفران المونع ، والمسكُ مَضْبُوبٌ على أَرْضٍ من فضةٍ ، والزعفرانُ نَابتٌ حَولَها .

فذلــك أولُ خَطْوَةٍ خَطَوتَهـا في أرض البقـاءِ بالأمْن مِن العـذاب والمـوت ، فأنتَ تَتَخَـطَّى في تُراب المسك ، ورياضِ الـزعفـران ، وعَيْنَـاكَ تَرْمُقَـانِ حُسنَ بَهْجَـةِ الـدُرِ ، مِن حُسْنِ أشْجَارِها، وزينةِ تَصْويرها .

فبينَــما أنْتَ تَتَخَــطَّى في عَرصَـاتِ الجنـان ، في رياضِ الـزعفـران ، وكُثْبَـانِ المسـك ، إذ نُودِي في أزَواجِكَ وَوِلْدَانِكَ وخُـدَّامِـكَ وغلمانِكَ وقَهارمتِكَ ، أن فلاناً قد أقبل ، فأجَابُوا ، واسْتَبْشَرُوا لِقُدُوْمِكَ ، كما يُبَشَّرُ أهلُ الغائب في الدنيا بقُدُومِهِ -

اللّٰهُمَّ اعْطِنَا مِنْ الخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُوْ وَاصْرِفْ عَنَّا مِنْ السُّوْءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوْبَنَا بِرَجَائِكَ وَاقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوْبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمَ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيْرًا يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوْكِ سَبِيْلِ عِبَادِكَ الأَخْيَارِ وَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْياءَ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــــلٌ)

فبينـــما أنت تنــظرُ إلى قصَــورك ، إذ سَمِعْتَ جَلَبَتَهُم وَتَبْشِيْشَهُم ، فاسْتَطَرْتَ لذلـك فَرِحَاً ، فبينما أنتَ فَرِحٌ مَسْرُرٌ بِغبطتِهم لِقُدومِكَ لَمَّا سَمِعْتَ إجلابَهُمْ فرحاً بك .

إذْ ابْتَدَرَتِ القَهارَمَةُ إليك وقامت الولدان صُفُوفاً لِقُدومك ، فبينما أتَت القَهارِمَةُ مُقبلةً إليك ، إذ اسْتَخَفَّ أزْوَاجك لِلْعَجلَةِ ، فَبَعَثَتْ كُلُّ واحدَةٍ مِنهن بعضَ خُدَّمِها لينظرَ إليكَ مُقْبلاً .

ويُسْرِعَ بالـرجُـوع إليهـا بقُدومِكَ ، لِتَطْمَئِنَّ إليه فَرِحاً ، وتَسْكُنَ إلى ذلـكَ سُروراً ، فَنـظَر إليكَ الخَـدَمُ قبـلَ أنْ تَلْقَـاكَ قَهارَمُتكَ .

ثم بادَرَ رَسُولُ كُل واحدةٍ مِنْهُنَّ إليها فلما أخْبَرهَا بقُدومِكَ ، قَالَتْ كُلُّ واحدةٍ لرسُولها : أنْتَ رَأيتَهُ ، مِن شِدةِ فَرَحِها بذلكَ ، ثم أرْسَلَت كُلُّ واحدة مِنهنَّ رَسُولاً آخر .

فلما جَاءتِ البَشَارَاتُ بقُدومِكَ إليهن ، لم يَتَمالَكْنَ فَرِحَاً ، فأرَدْنَ الخُروجَ إليك مُبادِرَاتٍ إلى لِقَائِكَ لولا أن الله كَتَبَ القَصْرَ لهنَّ في الخيام إلى قُدُومِكَ ، كما قال مَلِيكك : ﴿ **حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ** ﴾ .

فَوضَـعـهن أيديهن على عَضَــائِــدِ أبــوابهن . وأذْرُعهنَّ برؤُوسِهنَّ ، يَنْظُرن متى تبدو لهن صَفْحَةُ وَجْهكَ ؛ فَيَسْكُنُ طولُ حَنِينهن ، وشِــدةُ شَوقهن إليكَ ، وينـظرون إلى قَرير أعْيُنِهنَّ ، ومَعْدِن رَاحَتِهن ، وأُنْسَهُّن إلى وَلِيِّ رَبهِنَّ وحَبيْب مَوْلاهُن .

فتوهم ما عَايَنْتَ ، حين فتِحت أبوابَ قُصُورِكَ ، ورُفِعَت سُتُورُهُ ، مِن حُسْنِ بَهجةِ مَقَاصِيره ، وزينةِ أشَجارِهِ ، وحُسْنِ رياضِه ، وتَلألُؤ صَحْنِهِ . ونُور سَاحَاته .

فبينما أنت تَنظر إلى ذلك ، إذ بادَرَتِ البُشرى مِن خُدَّامِكَ يُنَادُوْنَ أزْوَاجَكَ هذا فُلانُ بنُ فلان قد دَخَلَ مِن باب قَصْرِهِ ، فلما سَمِعْنَ نِداءَ البُشَراء بقُدومِكَ ودُخُولِكَ ، تَوثَّبْنَ مِن الفُرش على الأسرةِ في الحجال .

وعَينُكَ نَاظِرةٌ إليهن في جَوف الخيام والقِباب ، فَنظرتَ إلى وُثُوبهنَّ مُسْتَعْجلات ، قد اسْتَخفَهُنَّ الفَرحُ ، والشَوقُ إلى رُؤْيَتِكَ .

فَتَخيَّل تِلكَ الأَبدان الرَّخِيْمَةَ الرُّعْبُوبَةَ الخَرِيدةَ الناعِمةَ ، يَتَوثَّبْنَ بالتهادِي والتَّبَخْتُر .

فتصور كُلَّ واحدةٍ منهن ، حِينَ وَثَبَتْ في حُسْنِ حُلَلِهَا وحِلْيَتِها بصَبَاحَةِ وَجْهِهَا ، وَتَثَنِّي بَدَنها بنعِمَته .

فتوهم انحِدارَهَا مُسْرِعَةً بكمالِ بَدَنها ، نَازلَةً عن سَرِيْرِهَا إلى صَحْنِ قُبَّتِها ، وقَرَارِ خَيْمَتِهَا ، فوثَبْنَ حتى أتينَ أبوابَ خِيامِهنَّ وقِبَابِهنَّ .

ثم أخَذْنَ بأيدِيَهُنَّ عَضَائدَ أبواب خِيامِهن لِلْقَصْرِ ، الذي ضُرِبَ عَلَيْهنَّ إلى قدومكَ ، فَقُمْنَ آخذَاتٍ بعَضَائِدِ أبوابهن .

ثم خَرَجْنَ برؤوسِهنَّ وَوُجُوهِهنَّ ، يَنْحَدِرنَ مِن أبواب قِبابهن . مُتَطَلِّعَاتٍ ، يَنْظُرنَ إليكَ ، مُقْبِلات قد مُلِئْنَ مِنكَ فَرَحاً وسُرُوراً .

وتَخَيَّل نفسَكَ بسُرور قلبكَ وفَرحِهِ ، وقد رَمَقْتهُنَّ على حُسْنِ

وُجُوهِهن ، وغَنَج أعْيُنِهنَّ .

فلما قابَلْتَ وُجُوهَهُنَّ حَارَ طَرفُكَ ، وهَاجَ قَلبُكَ بالسُرور ، فَبقِيْتَ كالمبهُوتِ الذاهِلِ مِن عَظيم ما هَاجَ في قَلبكَ مِن سُرور ما رأتْ عَيناكَ ، وسَكَنتَ إليه نَفْسُكَ .

فبينـما أنتَ تَرفُـلُ إليهن ، إذْ دَنَـوتَ مِن أبواب الخِيام ، فأسْرَعْنَ مُبـادِرَاتٍ قد اسْتَخَفَهُنَّ العِشْقُ ، مُسْرِعَـاتٍ يَتَثَنَيْنَ مِن نَعِيم الأبدانِ ، ويَتَهادَيْنَ مِن كَمالِ الأجسام .

ثم نَادَتْـكَ كُلُّ واحدةٍ مِنْهُنَّ : ياحَبيْبِي ما أبْطَأكَ عَلينا ؟ فأجْبَتَها بأن قُلْتَ : ياحَبِيَبةُ ما زَالَ الله عَزَّ وجَل يُوقفني على ذَنْبِ كَذا وكَذا حتى خَشيْتُ أنْ لا أصلَ إليكُن .

فَمَشيْنَ نَحْوَكَ في السُنْدسِ والحرير . يُثِرْنَ المِسْكَ ، وشَوقاً وعِشْقاً لكَ .

فأول مَن تَقَّـدمَتْ منهُنَّ مَدَّتْ إلَيْكَ بَنَـانَها ومعْصَمَها وخَاتَمَها وَضَمَّتْكَ إلى نَحْرهَا فانْثَنْيْتَ عليها بِكَفِكَ وسَاعِدِكَ حتى وضَعْتَهُ على قَلائدِهَا مِن حَلْقِها ، ثم ضَمَمْتُهَا إليكَ وضَمَّتْكَ إليها .

فتوهم نَعِيم بَدَنِها لَمَّا ضَمَّتْكَ إليها كَادَ أن يُدَاخِلَ بَدَنُكَ بَدَنَهَا مِن لِينهِ ونَعِيمِهِ .

فتوهم ما بَاشَرَ صَدْرَكَ مِن حُسْنِ نُهُودِهَا ، ولَذَّةِ مُعانَقتِها .

ثم شَمَمْتَ طِيبَ عَوارِضِها ، فَذَهَبَ قَلْبُكَ مِن كُلِّ شيءٍ سَواهَا حتى غَرِقَ في السُرور ، وامْتَلأ فَرحاً ، لما وصَل إلى رُوْحِكَ مِن طِيب مَسِيْسِها ، ولَذةِ رَوائح عَوارِضها .

فلما اسْتَمْكَنَتْ خفَّة السُرور مِن قلبك ، وعَمَّتْ لَذَّةُ الفَرَح

جَميعَ بَدَنِكَ ، ومَوْعِد الله عَزَّ وَجَلَّ في سُرُورِكَ ، فناديتَ بالحمد لله الذي صَدَقَكَ الوَعْدَ ، وأنْجَزَ لك الموعد . ثم ذَكَرْتَ طَلَبَكَ إلى ربكِ إيَّاهُنَّ بالدُؤوبِ والتَّشْمِير .

فأينَ أنتَ في عاقبةِ ذلكَ العمل الذي اسْتَقْبَلْتَهُ وأنْتَ تَلتثِمُهُنَّ وتَشَمُ عَوارِضَهُنَّ ﴿ لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ ﴾ .

اللهم انا نَعُوذُ بِكَ مِن الشَّكِ بَعْدَ اليَقِيْنِ ، وَمِن الشَّيْطَانِ الرجيم ، ومِن شَدَائِدِ يَوْم الدِيْنِ ، وَنَسْألكَ رِضَاكَ والجَنَّةَ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِن سَخطِكَ وَالنَّارِ ، اللهم ارْحَمْنَا إذا عَرِقَ الجَبِيْنُ واشْتَدَّ الكَرْبُ والأنِيْنُ ، واغفر لنا ولوالدينَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِين الأَحياء منهم والمَيتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْن وصلى الله على محمدٍ وعلى آلِه أجمعين .

(فَصْلٌ)

فتوهم صعودَهَا على السرير بِعظَيم بدنها ونعِيمه ، حتى استوتْ عليه جالسةً ، ثم ارتقيتَ على السرير ، فاستويتَ عليه مَعَهَا ، فقابَلَتْكَ وأنتَ مُقَابِلُهَا ، فيا حُسْنَ مَنظِركَ إليها جالسةً في حَالها وحُليها بصَبَاحَةِ وَجْهِهَا ونَعِيم جِسْمِهَا ! الأسَاوِرُ في مَعَاصِمِهَا ، والخواتمُ في أكُفِهَا ، والخلاخِيلُ في أسْواقِها ، والقلائد في عُنُقِهَا ، والأكاليل من الدر والياقوت على قصتها وجبينها ، والتاج من فوق ذلك على رأسها ، والذوائب من تحت التاج ، قد حل من مناكبها ، وبلغ أردافها ، تَرى وَجْهَكَ في نَحرها ، وهي تنظر إلى وجهها في نحرك .

وقد تدلت الأشجار بثمارها مِن جَوانِب حَجلتِكَ ، واطردتِ الأنهارُ حَولَ قصرِك ، واسْتَعْـلى الجـداول على خيمتـك بالخمـر والعسل واللبن والسلسبيلِ .

وقــد كمــل حُسْنُــكَ وحُسْنُهــا ، وأنتَ لابسُ الحَـرير والسُنْـدُس ، وأسَــاور الــذهب واللؤلؤ على كل مَفْصِــل مِن مَفَـاصِلكَ ، وتَاجُ الدُر والياقوتِ مُنْتَصِفُ فوقَ رأسِكَ ، وأكالِيلُ الدُرِ مُفَصَّصَةً بالنور على جَبينِكَ .

وقـد أضَاءتِ الجنةُ وجَميعُ قُصورِكَ مِن إشراقِ بَدَنِكَ ونُورِ وَجْهِكَ ، وأنْتَ تُعَايِنُ مِن صَفَاء قُصُورِكَ جميع أزواجَك وخُدَّمِكَ وجميع أبنية مَقَاصيركَ .

وقد تَدَلَّتْ عَليك ثِمارُ أشْجَارِكَ ، واطَّرَدَتْ أنهَارُكَ مِن الخَمرِ واللَّبَن مِن تَحتِكَ ، والماءُ والعَسَلُ مِن فَوقِكَ ، وأنتَ جَالسٌ مع زَوْجَتِكَ على أريكَتِكَ ، وقد فُتِحَتْ مَصَاريعُ أبوابكَ ، وأرْخَيت عليكَ حِجَالُ خَيْمَتِـكَ ، وحَفَّتِ الخُـدامُ والـولـدانُ بقُبَّتِكَ ، وسَمِعْتَ زَجَلَهمُ بالتَّقْدِيْس لِرَبكَ عزَّ وجَل .

وأنْتَ وزَوجُكِ بأكْمَلَ الهيئةِ وأتم النعمةِ ، وقد حَارَ فيها طرفُـكَ تَنْـظُر إليهـا مُتَعَجبـاً مِن جَمَالِهَـا وكَـمالِهَـا ، طَـربٌ قَلبُكَ بمـلاحَتِهَا ، وأنِسُ قَلْبُكَ بها مِن حُسْنِهَا ، فَهِي مُنَادَمةٌ لك على أريْكَتِـكَ ، تُنَـازِعُـك وتُعَـاطِيْكَ الخَمْـرَ والسَّلْسْبيلَ والتَّسِنْيم في كَأساتِ الدُرِ وأكَاويْبِ قَوارير الفِضَّة .

فتوهم الكأسَ مِن اليَاقوتِ والدُر في بَنانها ، وقد قَرُبَتْ إليكَ ضَاحِكَةً بحُسْن ثَغْرِهَا ، فَسَطعِ نُورُ بَنَانِهَا في الشراب ، مع نُور

وَجْهِهَا ونَحرِهَا ، ونُور الجنان ، ونُور وجْهك وأنتَ مُقابلهَا ، واجْتَمعَ في الكَأسِ الذي في بَنَانها نورُ الكأس ، ونُورُ الشَرَاب ، ونُورُ وَجْهِهَا ، ونُورُ نَحْرِهَا ، ونُورُ ثَغْرِهَا ، إنتهى بتصرف .

وقال ابن القيم :

فَاسْمَعْ صِفَاتِ عَرَائسِ الجَنَّات ثُمْ ... مَ اخْتَرْ لِنَفْسِكَ يَا أخَا العِرْفَانِ
حُورٌ حِسانٌ قَدْ كَمُلْنَ خَلائِقاً ... وَمحَاسِناً مِن أجْمَلِ النِّسْوَانِ
حَتَّى يَحَارُ الطَّرْفُ في الحُسْنِ الذي ... قَدْ ألْبِسَتْ فالطَّرْفُ كالحَيْرَانِ
وَيَقولُ لَمَّا أنْ يُشَاهِدَ حُسْنَهَا ... سُبْحَانَ مُعْطِي الحُسْنِ والإِحْسَانِ
والطَّرفُ يَشْرَبُ مِن كؤسِ جَمَالِهَا ... فَتَراهُ مِثْلَ الشاربِ النَّشْوَانِ
كَمُلَتْ خَلائِقُهَا وأكْمِلَ حُسْنُهَا ... كالبَدْرِ لَيلَ السِّتِ بَعْدَ ثَمَانِ
والشَّمْسُ تَجْرِيْ في مَحَاسِنِ وَجهِهَا ... والليلُ تَحتَ ذوائِبِ الأغْصَانِ
فَتَرَاهُ يَعْجَبُ وَهُوَ مَوْضِعُ ذَاكَ مِن ... لَيلٍ وَشَمْسٍ كَيفَ يَجْتَمعَانِ
فَيَقُولُ سُبْحَانَ الذِيْ ذَا صُنْعُه ... سُبْحَانَ مُتقِنِ صَنْعَةَ الانسانِ
وَكِلاَهُمَا مِرْآةُ صَاحِبِهِ إذا ... مَا شَاءَ يُبْصِرُ وَجْهَهُ يَرَيَانِ
فَيَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ في وَجْهِهَا ... وَتَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بعَيْنَانِ
حُمْرِ الخُدُوْد ثُغُورُهُنَّ لآلىءٌ ... سُودُ العُيُونِ فَوَاتِرُ الأجْفَانِ
والبَدْرُ يَبْدُو حِينَ يَبْسُمُ ثَغْرُهَا ... فَيُضِيءُ سَقْفُ القَصْرِ بالجُدْرَان
وَلَقَدْ رَوَيْنَا أنَّ بَرْقاً سَاطِعَاً ... يَبْدُوْ فَيَسْأَلُ عنه مَن بجِنَانِ
فَيُقَالُ هَذَا ضَوْءُ ثَغْرٍ ضَاحِكٍ ... في الجنةِ العُلْيَا كَمَا تَرَيَانِ
للهِ لاثِمُ ذَلِكَ الثَّغْرِ الذي ... في لَثْمِهِ إدْرَاكُ كُلِ أَمَانِ
رَيَانَةُ الأعْطَافِ مِن مَاءِ الشَّبَا ... بِ فَغُصْنِهَا بالماءِ ذُو جَرَيَانِ
لما جَرَى مَاءُ الشباب بغُصْنِهَا ... حَمَلَ الثِمَارَ كَثِيْرَةَ الألْوَان

فالوَرْدُ والتُّفَـــاحُ والرُّمَـــانُ في غُصْنٍ تَعَالى غَـــارِسُ البُسْتَانِ
والقَدُّ منها كالقَضِيبِ اللذن في حُسْنِ القوام كأوْسَطِ القُضبـــان

إلى أن قال رحمه الله :

وإذَا بَدَتْ في حُلَّةٍ مِنْ لُبْسِهَـــا وَتَمَايَلَتْ كَتَمَـــايُلِ النَّشْـــوَانِ
تَهْتَزُّ كَالغُصْنِ الرَّطِيْبِ وحَمْلُـــه وردٌ وتَفَـــاحٌ على رُمَـــانِ
وَتَبَخْتَرَتْ في مَشْيِهَـــا وَيحَقُّ ذَا لَكَ لِمِثْلِهَا في جَنَّـــةِ الحَيَـــوانِ
وَوَصَائِفٌ مِن خَلْفِهَـــا وَأمَامِهَا وعلى شَمَائِلِهَا وَعَن أيْمَـــانِ
كالبَدْرِ لَيلةَ تِمِّـــه قَدْ حُفَّ في غَسَقِ الدُّجَى بكَواكِبِ المِيْـــزَانِ
فَلِسَـــانُهُ وَفُـــؤَادُهُ والطَّرفُ في دَهَشٍ وإعْجَـــابٍ وفي سُبْحَانِ
فَالقَلبُ قبلَ زِفَافِهَا في عُرْسِـــهِ والعُرسُ إثْرَ العُرْسِ مُتَّصِـــلَانِ
حَتَّى إذَا مَا وَاجَهَتْهُ تَقَـــابَلا أرَأيْتَ إذْ يَتَقَـــابَلُ القَمَـــرَانِ
فَسَلِ المُتَيَّمَ أيْنَ خَلَّفَ صَبْـــرَهُ في أي وَادٍ أمْ بأي مكَـــانِ
وَسَلِ المُتَيَّم كَيْفَ حَالَته وَقَـــدْ مُلِئَتْ لَـــه الأذُنَانِ والعَيْنَـــانِ
مِن مَنْطِقٍ رَقَّتْ حَوَاشِيْه وَوَجْـــ ـــه كَمْ بِهِ لِلشَّمْسِ مِن جَرَيَـــانِ
وَسَلِ المُتَيَّم كَيْفَ عِيشَـــتُهُ إذاً وَهُمَا على فُرُشَيْهِمَـــا خَلَـــوَانِ
يَتَسَاقَطَـــانِ لَئَالِئـــاً مَنْثُـــورَةً مِن بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنَظْمِ جُمَـــانِ
وَسَلِ المُتَيَّمَ كَيفَ مَجْلِسُـــه مع الْـــ مَحْبُوْبِ في رَوْحٍ وفي رَيْحَـــانِ
وَتَدورُ كاسَاتُ الرَحِيْقِ عَلَيْهِمَـــا بأكُفِّ أقمـــارٍ مِن الوِلْـــدَانِ
يَتَنَازَعَـــانِ الكَأسَ هَذَا مَرَّةً والخُودُ أخْرَى ثُمَّ يَتَكِئَـــانِ
فَيَضُمُّهَـــا وَتَضُمُّهُ أرَأيْتَ مَعْـــ شُوْقَيْنِ بَعدَ البُعْدِ يَلْتَقِيَـــانِ
غابَ الرَّقِيْبُ وَغَابَ كُلُّ مُنَكِّدٍ وَهُمَا بثَوْبِ الوَصْلِ مُشْتَمِـــلانِ
أتَرَاهُمَا ضَجِرَيْنِ مِن ذَا العَيْشِ لا وَحَياةِ ربكَ مَا هُمَا ضَجِـــرَانِ

وَيَزِيْدُ كُلٌ مِنْهُمَا حُباً لِصَـــا ... حِبِـــه جَدِيْداً سَائِرَ الأَزْمَـــانِ
وَوِصَالُهُ يَكْسُـــوهُ حُباً بَعْـــدَهُ ... مُتَسَلْسِلاً لا يَنْتَهِي بِزَمَـــانِ
فالوَصْلُ مَحْفُوْفٌ بِحُبٍ سَـــابِقٍ ... وَبلاحِـــقٍ وَكِلاهُمَـــا صِنْوَانِ
فَرْقٌ لَطِيْفٌ بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْنَ ذَا ... يَدْرِيْهِ ذُوْ شُغُلٍ بِهَذَا الشَّـــانِ
وَمَزِيْدُهُم في كُلِّ وَقْتٍ حَاصِـــلٌ ... سُبْحانَ ذِي المَلَكُوتِ والسُـــلْطَانِ
يا غَافِلاً عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِـــهْ ... جَدَّ الرَّحِيْلُ وَلَستَ باليَقْظَـــانِ
سَارَ الرِفَـــاقُ وَخَلفُوكَ مَعَ الأولى ... قَنِعُوا بِذَا الحَظِ الخَسِيْسِ الفَانِ
وَرَأيْتَ أكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفَـــاً ... فَتَبِعْتَهُـــم فَرَضِيْتَ بالحِرْمَـــانِ
لَكِنْ أتَيْتَ بِخُطَّتَيْ عَجْزٍ وَجَهْـــ ... ـــلٍ بَعْدَ ذا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَـــانِ
مَنَّتْكَ نَفْسُكَ بالحُوقِ مَعَ القُعُو ... دِ عَنِ المَسِيْرِ وَرَاحَةِ الأَبْـــدَانِ
وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِيْنَ يَنْكَشِفُ الغِطَا ... ماذا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إمْكَـــانِ

وقال ابن القيم رحمه الله :

فَيَاسَاهِياً في غَمْرَةِ الجَهْلِ والهَوَى ... صَرِيْعَ الأَمَانِيْ عَنْ قَرِيْبٍ سَتَنْدَمُ
أفِقْ قَدْ دَنَى الوَقْتُ الذِيْ لَيْسَ بَعْدَهُ ... سِوَى جَنَّةٍ أَوْ حَرِّ نَارٍ تَضَـــرَّمُ
وبالسُّنَّةِ الغَرَّاءِ كُنْ مُتَمَسِّكـــاً ... هِيَ العُرْوَةُ الوُثْقَى التِي لَيْس تُفْصَمُ
تَمَسَّكْ بِهَا مَسْكَ البَخِيْلِ بِمَالِهِ ... وَعَضَّ عَلَيْهَا بالنَّوَاجِذِ تَسْـــلَمِ
وَدِعْ عَنْكَ مَا قَدْ أحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهَا ... فَمَرْتَعُ هَاتِيْكَ الحَوَادِثِ أوْخَـــمُ
وَهَيِءْ جَوَاباً عِنْدَمَا تَسْمَعُ النِّدَا ... مِنَ اللهِ يَوْمَ العَرْضِ مَاذَا أجَبْتُمُ
بِهِ رُسُلِيْ لَمَّا أتَوْكُمْ فَمَنْ يَكُنْ ... أجَابَ سِوَاهُمْ سَوْفَ يُخْزَى وَيَنْدَمُ
وَخُذْ مِن تُقَى الرَّحْمنِ أعْظَمَ جُنَّةٍ ... لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُوْ عِيَاناً جَهَنَّـــمُ
وَيُنْصَبُ ذَاكَ الجِسْرُ مِنْ فَوْقِ مَتْنِهَا ... فَهَاوٍ وَمَخْدُوْشٌ وناجٍ مُسَـــلَّمُ
وَيَأتِيْ إلَهُ العَالَمِيْنَ لِوَعْـــدِهِ ... فَيَفْصِلُ مَا بَيْنَ العِبَـــادِ وَيَحْكُمُ

وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ رَبُّكَ حَقَّــهُ فَيَابُؤْسَ عَبْدٍ لِلْخَلائِقِ يَظْلِــمُ
وَيُنْشَرُ دِيْوَانُ الحِسَابِ وَتُوْضَعُ الْـ ـمَوَازِيْنُ بِالقِسْطِ الذي لَيْسَ يَظْلِمُ
فَلا مُجْرِمٌ يَخْشَى ظَلَامَــةَ ذَرَّةٍ وَلا مُحْسِنٌ مِن أَجْرِهِ ذَاكَ يُهْضَمُ
وَتَشْهَدُ أَعْضَاءُ المُسِيءِ بِمَا جَنَى كَذَاكَ عَلى فِيْهِ المُهَيْمِنُ يَخْتِــمُ
فَيَالَيْتَ شِعْرِيْ كَيْفَ حَالُكَ عِنْدَمَا تَطَايَرُ كُتْبُ العَالَمِيْنَ وَتُقْسَــمُ
أَتَأْخُذُ بِاليُمْنَى كِتَابَكَ أَمْ تَكُنْ بِالأُخْرى وَرَاءَ الظَّهْرِ مِنْكَ تَسَلَّمُ
وَتَقْرَأُ فِيْهَا كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْتَــهُ فَيُشْرِقُ مِنْكَ الوَجْهُ أَوْ هُوَ يُظْلِمُ
تَقُوْلُ كِتَابِي فَاقْرَؤُهُ فَــإِنَّهُ يُبَشِّرُ بِالفَوْزِ العَظِيْمِ وَيُعْــلِمُ
وَإِن تَكُنِ الأُخْرَى فَإِنَّكَ قَائِلٌ أَلا لَيْتَنِيْ لَمْ أُوْتَهُ فَهُوَ مَغْــرَمُ
فَبَادِرْ إِذاً مَا دَامَ في العُمْرِ فُسْحَةٌ وَعَدْلُكَ مَقْبُوْلٌ وَصَرْفُكَ قَيِّــمُ
وَجُدَّ وَسَارِعْ وَاغْتَنِمْ زَمَنَ الصِّبَا فَفِي زَمَنِ الامْكَانِ تَسْعَى وَتَغْنَمُ
وَسِرْ مُسْرِعاً فَالمَوتُ خَلْفَكَ مُسْرِعاً وَهَيْهَاتَ مَا مِنْهُ مَفَرٌّ وَمَهْــزَمُ

اللهم ألْهِمْنا القيامَ بحقِك ، وباركْ لنا في الحلالِ مِنْ رِزقِك ، ولا تفضحنا بين خلقك ، يا خيرَ مَنْ دعاه داعٍ وأفضلَ مَنْ رجاه راجٍ يا قاضِيَ الحاجاتِ ويا مجيبَ الدعواتِ هَبْ لنا ما سألناه وحَقِّقْ رجاءَنا فيما تمنيناه وأمَّلْناه يا مَنْ يملكُ حوائجَ السائلينَ ويعلمُ ما في ضمائِرِ الصامِتين ، أذقْنا بَرْدَ عفوِك ، وحلاوة مغْفِرَتِك ، يا أرحمَ الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ)

قَالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ : الحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ المَعَاصِيْ فَإِنَّهَا سَيِّئَةُ العَوَاقِب ، والحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ الذُّنُوبِ خُصُوصاً ذُنُوبُ الخَلَوَاتِ ،

فَإِنَّ المبارَزَةَ لِلّهِ تَعالَىٰ تُسْقِطُ العَبْدَ مِنْ عَيْنِهِ سُبْحانَهُ وَلاَ يَنَالُ لَذَةَ المَعَاصِي إِلَّا دَائِمُ الغَفْلَةِ ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ اليَقظَانُ فَإِنَّهُ لاَ يَلْتَذُّ بِهَا ، لأَنَّهُ عِنْدَ التِذَاذِهِ يَقِفُ بازائِهِ عِلْمُهُ بِتَحْرِيْمِهَا وَحَذَرُهُ مِنْ عُقُوبَتِهَا ، فَإِنْ قَوِيتْ مَعْرِفَتُه رَأَى بِعَيْنِ عِلْمِهِ قُرْبَ النَّاهِيْ وَهُوَ اللهُ فَيَتنغصُ عَيْشُهُ في حَالِ التِذَاذِهِ فَإِنْ غَلَبَهُ سُكْرُ الهَوى كَانَ القَلْبُ مُتَنَغِّصاً بِهَذِهِ المُراقَبَاتِ وَإِنْ كَانَ الطَّبْعُ في شَهْوَتِهِ فَمَا هِيَ إلا لَحْظَةٌ ثُمَّ خِزْيٌ دَائِمٌ وَنَدم مُلاَزِمٌ وَبُكَاءٌ مُتَواصِلٌ وأَسَفٌ عَلَى مَا كَانَ مَعَ طُوْلِ الزّمَانِ حَتَّى إِنَّهُ لَوْ تَيَقَّنَ العَفْوَ وَقَفَ بِإزَائِهِ حِذَارَ العِتَابِ فَأُفٍّ لِلذُّنُوبِ مَا أَقْبَحَ آثَارَهَا وَأَسْوَءَ أَخْبَارَهَا انْتَهى .

٣ موعظة

عِبَادَ اللهِ اعْتَادَ النَّاسُ أَنَّ مَنْ طَلَبَ شَيْئاً مِنْ نَفائِسِ الدُّنْيَا لا يَهْدَأ ولا يَنَامُ ، بَلْ يَسْعَى لِلْوصُولِ إليْهِ ، لَيْلَهُ ، ونَهـارَهُ ، سعْيَ النَّشِيْطِ الهُمَامِ ، وَكُلمَّا سُدَّ في وَجْهِهِ بَابٌ ، قَرَع بَاباً آخَرَ ، وَانْ تَعدَّد الأبْوابُ ، كمَا هُوَ دَأْبُ الحَرِيْصِ المِقْدام ، وَكُلَّمَا نَظَرَ إلىَ قَدْرِ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَلَيْهِ السَّعَيْ ، وَما يلقَاهُ مِنْ مصَاعِبَ وَمتاعِبَ وَالآمٍ وَالعَجِيْبُ أنَّهُ لا يَمَلُّ ولا يَسْأَمُ ، وَإِنْ وَاصَلَ السَّعْيَ سِنِيْنَ، وَأعجَبُ مِنْ ذَا أنّهُ لا يَنْثَنِيْ عَنْ مَطْلُوبِهِ ، وَإِنْ مُسَّ شرَفُهُ وَأُهِيْنَ ، وَإِنْ اسْتَصَعَبَ عليْهِ الوُصُولُ ، اسْتَعانَ بذوِيْ الوَجَاهَةِ المُحْتَرَمِيْن ، وَلا يَزالُ هَذا يَوْاصِلُ السَّعْيَ حَتَّى يَصِل مُبْتَهِجاً إلى مَالَهُ مِنْ مَرَامٍ . أَنْتَ تَطْلُبُ الجَنَّةَ يا هَذا ولا نَفِيْسَ أنْفَس مِنْهَا لإِنَّها لا تَفنَى وَلا تَبيْدُ ، وَلِأَنَّ لك فِيْهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلذَّتْ عَيْنُكَ دُوْنَ أيِّ تَقْيِيدِ ، وَلأَنكَ خَالِدٌ فِيْهَا أبداً دُوْنَ أنْ يُكدَّرَ ، بأيِّ مُكَدِّرٍ ، ذلِكَ العَيْشُ الرَّغِيْدُ فَهلْ شَمَّرْتَ عَنْ سَاقٍ وَسَعَيْتَ لِلْوُصُولِ إليْهَا ، كمَا تَسْعَى فَقَطْ لِذَلكَ الفَانِيْ مِنْ الحُطَام ، المُشَاهَدُ أَنَّكَ لا تَسْعَى لِتِلْكَ الجَنَّةَ وَلا

يَخْطُرُ لَكَ السَّعْيُ إلَيْهَا عَلَى بَالٍ ، وَلَوْ أَنَّكَ سَاوَيْتَها في السَّعْي إلَيْها بأَيِّ مَطْلُوبٍ دُنْيَوِيَ لَكُنْتَ مِنْ عُظَمَاءِ الرِّجَالِ ، وَلكِنْ يَا للأَسْفِ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، وَالسَّعْيُ لِلجَنَّةِ لا يَكُوْنُ بالكَلامِ ، وَلا بالأَمَانِيِّ وَالأَحْلامِ ، وَلكِنْ بصالِحَاتِ الأَعْمَالِ ، وَهَلْ تَزَهَّدْتَ أَنْتَ في شَيْءٍ كَمَا تَزَهَّدْتَ في تِلْكَ الأَعْمَالِ الفِخَامِ ، وَلِذَلِكَ أَجْرَى اللهُ العَادة أَنَّ مَنْ خَافَ شَيْئا مِنْ مُؤْلِمَاتِ الدُّنَيا يُبْعِدُ عَنْهُ وَيَفِرُّ ، كُلَّ الفِرَار ، وَيَذْهَبُ هُدُوْءُهُ وَطَمَأنِيْنَتُهُ ، وَرُبَّمَا ذَهَبَ نَوْمُهُ اضْطِرَاراً لا اخْتِيَاراً وَلا يَطْمَئِنُّ بَعْضَ الاطْمِئنَانِ إلا إذَا احْتَرَسَ مِنْهُ بكلِّ مَا يَقْدِرُ عليْه مِنْ أَعْوَانٍ ، وَأَنْصَارٍ ، يَفْعَلُ كُلُّ ذَلِكَ لِئلاّ يَصِلَ إلَيْهِ مِنْ الأذى مَا يُكَدِّرُ عليْه حَيَاتَهُ ، وَصَفوَهَا جَهَنَّمُ يَا هَذَا أَعْظَمُ مَخُوْفٍ فَهلْ عَمِلْتَ الاحْتِيَاطَ لهَا كَمَا تَحْتَاطُ لِمُخَوِّفاتِ هذِه الدَّارِ .

الذِيْ يَتَبادَرُ مِنْكَ وَيَظْهَرُ أَنَّ إيْمَانَكَ بهَا ضَعِيْفٌ ، وَأَنَّكَ لَمْ تَعْمَلْ أيَّ احْتِيَاطٍ لهَا ، فلوْ كَان ايْمَانُكَ قَوِيٌّ في قَوْلِهِ تَعالَى ﴿ وَجِيْءَ يَوْمَئِذٍ بجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الانْسَانُ وأَنَّى لهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ لَسَعَيْتَ جُهْدَكَ في الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، التِيْ تَحُولُ بَيْنَك وبَيْنَها وَلأَزْعَجَكَ وأَقْلَقَكَ وَلَمْ تَهْنَأ بنَوْمٍ ولا طَعَامٍ وَشَرابٍ ، وأَمَامَك تِلْكَ العَقَباتِ ، شِعْراً :

وكَيْفَ تَنَامُ العَيْنُ وهْيَ قَرِيْرَةٌ
وَلَمْ تَدْرِ في أَيِّ المَكَانَيْنِ تَنْزِلُ

اللَّهُم وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمَالَ ، ونَجِّنَا من جميعِ الأَهْوَالِ ، وأَمِّنَّا مِنَ الفَزَعِ الأكْبَرِ يومَ الرَّجْفِ والزِلْزَالْ ، وَاغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يا أرحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصَلى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبه أجمعين .

وصايا وفوائد ومواعظ وآداب

أَوْصَى بعضُهم ، فقـال إذا عَصَيْتَ اللَّهَ بِمَوضَعٍ بأنْ حَصَلَ مِنكَ ذَنْبٌ فاعْمَـلْ في ذلكَ الموضعِ طَاعةً كاسْتِغْفَار وذِكْرٍ لله ونحو ذلكَ فكما يَشْهَدُ عَليكَ يَشهَدُ لَكَ .

قال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بأن رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ . وكُلَّما تَذَكَّرتَ ذَنْبًا صَدَرَ منك فتُبْ عَقِبَ ذِكْرِكَ إِيَّاهُ توبةً نصُوحًا وأكثرْ مِنْ الاستغفار .

قال الله جل وعلا ﴿ إنَّ الحَسَناتِ يُذهِبْنَ السيئآت ﴾ .

وقال تعالى ﴿ والذين إذا فَعلوا فاحِشَةً أو ظلَمُوا أنفسَهم ذكروا الله فاستغفَرُ لِذُنُوبِهم ومَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا الله ولَمَ يُصِرُّوا على ما فَعَلوا وهم يعلمون ﴾ . وَقال تعالى ﴿ ومَن يعمل سُوءًا أو يظلم نفَسه ثم يَستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ .

إِحْرَصْ على أن تَنْوِيَ فِعْل الخير ، وإذا حَدَّثَتْكَ نفسُك بِشَرٍ فاعْزِمْ على تَرْكِهِ لِلَّهِ .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال قال الله عز وجل ﴿ إذا تَحَدَّثَ عَبدى بأَنْ يَعمل حَسَنَةً فأنا أكتبُها له حَسَنَةً ما لم يعمل ، فإذا عَمِلَهَا فأنا أكتبُها بعَشْرِ أَمْثالِها ﴾ .

وإذا تَحَدَّثَ بأن يَعْمَلَ سَيئَةً فأنا أَغْفِرُهَا لَهُ ما لم يَعْمَلْها فإذا عَمِلَهَا فأنا أكتُبَها له بمَثْلِهَا . ومما أوصَى به بعضُهم قال عَلَيكَ بِذِكْرِ اللَّهِ قائمًا وقاعِدًا وَعلى جَنْبِكَ في السر والعلانية وفي الملا .

قالَ الله جل وعـلا ﴿ الـذين يذكـرون الله قيامـا وقعـودا وعـلى جُنُوبِهم ﴾ . وقال ﴿ والذاكرين الله والذاكرات أَعَدَّ اللَّهُ لهم مغفرةً وأجرًا عظيما ﴾ . وقال تعالى ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ .

وقال تعالى ﴿ واذكُروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إنْ ذَكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في مَلأ ، ذكْرته في مَلأ خَيرٍ منهم ، وإن تَقَرَّبَ إليَّ شِبرًا ، تَقَرَّبْتُ إليه ذِرَاعا ، وإن تَقرَّبَ إليَّ ذراعا تَقَرَّبْتُ إليه بَاعًا ، وإن أتَاني يَمْشِي، أتَيْته هَرْوَلَة » .

احْرَصْ على صِيَانَةِ الوَقْتِ وثابرْ على إتْيَانِ جَمِيعِ ما يُقَرِّبُكَ إلى الله مِن الأعمال وبالأخص الأكثار مِن كلمة الاخلاص وهي لا إلهَ إلا الله .

وأعلم أنها كلمــة التـوحيد والتـوحيد لا يماثله شيء ، وهي كلمـة الإسلام ، ومفتاح دار السلام ، وهي كلمة الحق ، ودعوة الحق .

وهي أعلا كلمة وأشرف كلمة وأحسن كلمة وأفضل كلمة وأنجى كلمة وما أنعم الله على عبد نعمةً أفضل من أن عرفه لا إله إلا الله وفَهَّمَهُ مَعْنَـاهَـا وَوَفَّقَهُ لِلْعَمل بِمُقْتَضَاهَا وعليكَ بالقِيام بما افْتَرضَ اللَّهُ عَلَيْكَ ومُلازَمَتِهِ على الوَجهِ الأكمَل الذي أمركَ اللَّهُ جَلَ وعَلاَ أن تقومَ فيه .

قال الله جل وعلا ﴿ فاستقم كما أُمِرتَ ﴾ . وفي حديث سفيان بن عبدالله قال قلتُ يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غَيْرَكَ قال « قل آمنتُ بالله ثم اسْتَقِمْ » رواه مسلم .

وفي حديث ثوبان عن النبي ﷺ قال « اسْتَقِيْمُوْا ولن تُحْصُوا وأعملوا أنَّ خيرَ أعْمَالِكم الصلاة ولا يُحَافَظ على الوضوءِ إلا مُؤمن » . وفي رواية للإمـام أحمد سَدِدُوا وقارِبُوا ولا يُحافظُ على الصلاة إلا مُؤمن » . وعليكَ بمراعاةِ أَقوالِكَ كما تُرَاعِي أَعْمَالَك فإنَّ أقوالَكَ مِن جملةِ أَعْمَالِكَ قال الله جل وعلا ﴿ وإنَّ عَليكم لحافظين كرامًا كاتبين يعلمون ما تفعلون » .

وقال تعالى ﴿ ما يلفظ من قول إلا لَدَيهِ رقيب عَتِيْد ﴾ واحْذَرْ الإقامةَ بينَ أظهرِ الكفار فإن في ذلك تشجيعًا للكفار وإهانةً لِدِين الإسلام وإعلاءً لكَلمةِ الكفر .

قال النبي ﷺ « أنا بَريءٌ مِن كل مسلم يُقيمُ بين أظهُر المشركين لا تَرآءى نارَاهُما » رواه أبو داود والترمذي . وقال ﷺ «مَن جَامَعَ المشركَ وسَكَنَ مَعَهُ فإنه مثلُه» رواه أبو داود .

وعليك بتلاوة القرآن بتَفَهُّم وتَدَبُّرٍ وتفكُرٍ ونَظَرٍ فيما تَتْلُوْهُ إلى ما حُمِدَ فيه مِن النُعُوتِ والصِفاتِ التي وَصَفَ اللَّهُ جَلَّ وعَلاً بها مَن أَحَبَّهُ مِن عِبادِهِ فاتَّصِفْ بها .

وما ذَمَّهُ اللَّهُ في القرآن مِن الصفاتِ فاجْتَنِبْهَا فإنَّ الله جَلَ وَعَلاَ ما أَنْزَلَهَا في كتابه وذَكَرَهَا لَكَ وعَرَّفَكَ بهَا إلا لِتَعْمَلَ بها .

فإذا قَرأْتَ القُرآنَ فاجْمَعْ قَلْبَكَ وحَضِّرْه وفَكِّرْ فِيْمَا تَتْلُوْ وما أشكلَ عَلَيْكَ فَطَالِعْ مَعْنَاهُ في التَّفْسِيْرِ إنْ كُنْتَ تُحْسِنُ ذَلِكَ وإلا فَاسْأَلْ أَهْلَ الذِكرِ .

قال الله جَل وَعَلاَ وتقدَس ﴿ فأسْألُوا أهْلَ الذكرِ إنْ كَنتمُ لا تعلمون ﴾ . ولا أفضلَ مِن تِلاوَةِ كلامِ اللَّهِ فأفْضَلُ الكلامِ كلامُ الملكِ العَلَّام جل وعلا وتقدس .

وكُلُ ذِكْرٍ وَرَدَ فَضْلُهُ في خَبرَ أوْ أثَرٍ فهو بعدَ كلام الله فالتَّسْبِيْحُ والتهليلُ والتكبيرُ والتحميدُ بَعْدَ التِلاوةِ وَبعدَهُنَّ الصلاةُ على رسَول ﷺ .

وعليك بمُجَالَسَةِ مَن تَنْتَفِعُ بمُجَالَستِهِ في دِيْنِكَ مِن عِلْمٍ تَسْتَفِيْدُهُ أو عَمَلٍ يَكونُ فيهِ أَوْ خُلُقٍ حَسَنٍ يكون عليه تَكسِبُهُ مِن صُحْبَتِهِ .

وَعَلَيْكَ بالبَذَاذَةِ فإنَّهَا مِن الإيْمَانِ وهِيَ تَرْكُ الزِّيْنَةِ وعَدَمُ التَّرَفُّهِ ورَثَاثَةُ الهَيْئَةِ والرضَا بالدُوْنِ مِنِ الثِّيَابِ لِمَا وَرَدَ في الحديث « إنَّ البَذَاذَةَ مِن الإيمان » وفي الحديث الآخَر « إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل يُحِبُّ المُتَبَذِّلَ الذي لا يُبَالِي مَا لَبِسَ » وفي الحديث الآخر « ومَنْ تَرَكَ لُبْسَ ثَوْبَ جَمالٍ وهو يَقْدِرُ عليه أَحْسِبُهُ قال تَوَاضُعًا كَسَاهُ الله حُلَّةَ الكَرامَةِ » رواه أبو داود(ومَن يَرْتَضِي أَدْنَى اللِّبَاسِ تَواضُعًاسَيُكْسَى الثِّيَابَ العَبْقَرِيَّاتِ في غَدِ)

اللهم يا حَيُّ يا قَيُّومُ طَهِّر قُلوبَنا مِن النِّفَاقِ وعَمَلنا مِن الرِّيَاء وأَلْسُنَنا مِن الكَذِبِ وأَعْيُنَنا مِن الخِيانَةِ إنَّكَ تَعْلَمُ خائِنةَ الأَعْيُنِ وما تُخْفِي الصُدُورَ واغْفِرْ لنَا ولِوالدِينا ولِجَمِيع المُسلمِينَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الراحِمِين وصلى الله على مُحَمّدٍ وعلى آلهِ وصحبه أَجْمعين .

[فائدة عظيمة النفع]

اعْلَمْ أنَّ مَن كان دَاؤُهُ المعصية ، فشِفَاؤهُ الطاعة ، ومَن كان دَاؤهُ الغَفْلَةُ ، فشِفـاؤه اليَقَظة ، ومَن كان داؤه كثْرةُ الأشغال ، فشفاؤه في تفريغ المال .

فمن تَفَرَّغَ مِن هُموم الدنيا قلبُه ، قَلَّ تَعَبُه ، وتَوَفَّر مِنَ العِبَادة نصيبه ، واتصل إلى الله مَسِيْرُهُ ، وارتفع في الجنة مَصيره ، وتمكن مِن الـذِكـر والفِكـر والـورع والـزهـد والاحـتراس من وساوس الشيطان، وغوائل النفس .

ومن كثر في الدنيـــا هَمُّه ، أظلم طريْقُه ، ونصَبَ بَدَنُه ، وضَاعَ وَقتُه ، وتَشَتَّتَ شملُه ، وطاشَ عَقْلُه ، وانعقد لِسَانُه عن الذكر ، لِكَثْرة هُمومه وغمُومه ، وصار مُقَيَّدَ الجوارح عن الطاعة ، مِن قلبهِ في كل وادٍ شُعْبَة ، ومِن عُمرهِ لِكلِ شغل حِصَّة .

فاستعذ بالله من فضول الأعمال والهموم فكل ما شغل العبد عن الرب فهو مشئوم ، ومن فاته رضى مَولاه فهو محروم ، كل العافية في الذكر والطاعة ، وكل البلاء في الغفلة والمخالفة ، وكل الشفـاء في الإنابة والتوبة ، وانظر لو أن طبيباً نصرانياً نهاك عن شرب الماءِ البارد لأجل مَرضٍ في جَسَدِك لأطعتَه في ترك ما نَهاكَ عنه ، وأنتَ تعلم أن الطبيب قَد يَصْدُق وقد يكذب وقد يُصْيبُ وقد

يُخطيء وقد يَنصَحُ وقد يَغشَ ، فما بالك لا تترك ما نهاك عنه أنصحُ الناصحين وأصدق القائلين وأوفى الواعدين لأجل مرضِ القلب الذي إذا لم تشفَ منه فأنتَ من أهْلَك الهالكين .

تَبْغِي الوُصُولَ بسَيْرَ فيه تَقْصِيْـــرُ ... لا شَكَّ أنَّكَ فِيما رُمْتَ مَغْـــرُوْرُ
قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أبْطَالٌ فما وَصِـــلُوا ... هَذا وفي سَيْرِهم جِـــدٌ وتَشْمِيْرُ
يامُدَّعِي الحُبَّ في شَرْعِ الغَرامِ وقَد ... أقامَ بَيِّنَـــةً لَكِنَّهَـــا زُوْرُ
أفْنَيْتَ عُمَرِكَ في لَهْـــو وفي لعِبٍ ... هَذا وأنْتَ بَعْيدُ الدارِ مَهْجُـــوْرُ
لو كانَ قَلْبُكَ حَياً ذُبْتَ مِن كَمَدٍ ... ما لِلْجِرَاحِ بجِسْمِ المَيْتِ تأثِيْرُ

وقـــال ابنِ القَيم رحمـــه الله إن الـــذي يَحْسِمُ مادةَ رَجَـاءِ المَخْلُوقِينَ مِن قَلْبِكَ هو الرضي بحُكْم الله عز وجلَ وقسْمه لك .

فمن رَضي بحُكْمِ اللَّهِ وقَسْمِهِ لم يَبْقَ لِرجَاءِ الخَلْقِ في قلبه مَوْضِع .

والذي يَحْسِمُ مادَةَ الخَوْفِ هو التَّسْلِيْمُ لِلَّهِ فَإِنَّ مَن سَلَّمَ لِلهِ واسْتَسْلَم لَهُ وَعَلم أنَّ ما أصابَهُ لم يَكُنْ لِيُخْطِئَه .

وما أخطاءَهُ لم يكن لِيُصِيْبَهُ وعَلِم أنه لَنْ يُصِيْبَهُ إلاَّ ما كَتَبَ اللَّهُ له لم يَبْقَ لِخَوفِ المخلوقين في قلبه موضع أيْضًا .

فإن نَفْسَـه التي يخاف عليها قد سَلَّمها إلى وَلِيِّها ومَوْلاَهَا وعَلم أنه لا يصيبها إلا ما كتب لها .

وأن ما كتب لَهَا لابد أن يصيبها فلا معنى للخوف من غير الله .

والذي يَحْسِمُ مادة المبالات بالناس شهود الحقيقة .

وهو رؤية الأشيآء كلها من الله وبالله وفي قبضته وتحتَ قَهْرِهِ وسُلْطانه .

لا يَتَحرك منها شيء إلا بحوله وقوته ولا ينفع ولا يَضر شيءٌ إلا بإذنه ومشيئته فما وجه المبالات بالخلق .

اللهمَّ انا نسألك العافية في الدُّنيا والآخرَةِ اللهُمَّ انَّا نَسْأَلُكَ العَفو وَالعافيةَ في دِينِنَا ودُنيانَا وآخِرَتِنا وَأهلِنَا وَمَالِنَا اللهمَّ اسْتُر عَوراتِنا وَأمنِ روعاتِنا واحْفَظنا مِن بين أيدينا ومِن خَلفنا وَعن أيمانِنَا وعن شَمائِلنا ومن فوقِنا ونَعُوذ بعَظمتِكَ أن نُغتَالَ من تَحتِنا واغفِرْ لنا وَلِوَالِـدَيْنَا ولجميعِ المسلمينَ برحمتِك يا أرحمَ الراحمينَ وصلى اللهُ على مُحمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ أجْمَعينَ .

قال أحَدُ العُلماء : لا يكن هم أحدكم في كثرة العمل ، ولكن ليكن همه في إحكامه وإتقانه ، وتحسينه .

فإن العبد قد يُصَلي وهو يَعْصِي الله في صلاته ، وقد يصوم وهو يَعْصى الله في صيامه .

وقيل لآخـر : كيفَ أصْبَحْتَ فبكى ، وقال أصبحتُ في غَفْلةٍ عَظِيمةٍ عن الموت مَعَ ذُنوب كثيرةٍ قد أحَاطَتْ بي ، وأجلٌ يسرع كل يوم في عمري ، ومَوْئِل لستُ أدري علامَا أهجم ثم بكى .

وقـال آخـر : لا تَغْتَم إلا مِن شىء يَضُرك غداً (أي في الآخرة) ولا تفرح بشيءٍ لا يَسُرُكَ غدا ، وأنفعُ الخوف ما حَجزَكَ عن المعـاصي ، وأطـال الحُزْنَ مِنْكَ على ما فاتك من الطاعة ، وألْزَمَكَ الفِكْرَ في بَقِيةِ عُمرك .

وقال آخر : عليك بصُحبةِ مَن تُذَكِّرُكَ اللهَ عز وجل رُؤيتُه ، وتَقَعُ هَيْبَتُه على باطنكَ ، ويَزيدُ في عَمَلِكَ مَنْطقُه .

ويُزَهِدُكَ في الدنيا عَمَلهُ ، ولا تَعْصِى الله مادُمْتَ في قُربه ، يَعِظكَ بلِسانِ فِعْلِه ولا يَعِظُكَ بلِسانِ قَوْلِهِ .

قال إسرافيل : حضَرْتُ ذِى النونَ المصري وهو في الحبس وقد دَخل الشُرطَي بِطَعَامٍ لهُ ، فَقَامَ ذُو النونِ فَنَفَضَ يَدَهُ (أي قبضها عن الطعام) .

فقيل له : إنَّ أخاك جَاءَ به ، فقال : إنه على يَدَيْ ظالم ، قال : وسمعتُ رجلاً سأله ما الذي أتعبَ العبادَ وأضْعَفَهُم ؟

فقـال : ذِكْرُ المقامِ وقِلةُ الزادِ ، وخوفُ الحِساب ، ولم لا تذوبُ أبدان العمال وتذهلِ عُقولهم ، والعرض على الله جل وعلا أمامَهم ، وقراءة كتبهم بينَ أيديهم .

والمـلائكة وقوفٌ بين يدي الجبار يَنْتَظِرونَ أمْرَهُ في الأخيار والأشرار ، ثم مثَّلوا هذا في نفوسهم وجَعَلُوه نُصْبَ أعْيُنِهم .

وقـال : سَقَمُ الجسـد في الأوجـاع ، وسقم القلوب في الذنوب ، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه ، كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب .

وقال : مَن لم يعرف قدر النعم ، سُلِبَها مِن حَيثُ لا يعلم .

ما خلع الله على عبد خلعة أحسنَ ولا أشرفَ مِن العقل ولا قلده قلادة أجمل من العلم ولا زينه بزينة أفضل من الحلم وكمال ذلك التقوى .

وقال آخر : أدركتُ أقواماً يَسْتَحْيُونَ مِن الله في سَوادِ الليل مِن طُول الهَجْعَةِ ، إنما هو على الجنب فإذا تحَرَّكَ قال لنفسه : لَيسَ لك قومي خُذِي حَظَّكِ مِن الآخرة .

وقال أبو هاشم الزاهد : إن الله عز وجل وسَمَ الدنيا بالوحشة ، ليكن أنْسُ المريدين به دونها ، وليُقْبِلِ المطيعُونَ له بالاعراض عنها ، وأهْلُ المعرفة بالله فيها مُسْتَوْحِشُون ، وإلى الآخرة مُشتَاقُون .

فتفكر يا أخِي في ذَلكَ عَسَى الله أن يَنْفَعَنا وإيَّاك واستعن بالله واصْبر واجتهد وشَمِّرْ وبَادر بالأعمال الصالحة قبل أن يُحَالَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا فلا تجد إليها سبيلا .

وكن حذرا من مُفاجأةِ الأجلِ فإنك غرضٌ للآفات وهَدَفٌ مَنْصُوبٌ لِسهام المنايا وإنما رَأسُ مالكَ الذي يمكنُكَ إن وَفّقَكَ الله أن تشتري به سَعَادةَ الأبد هذا العُمْر .

إخواني المؤمنُ يَتَقَلَّبُ في الدنيا على جَمَراتِ الحَذَر في نيران الخوف ، يَرْهبُ العَاقبة ، ويَحْذرُ المُعَاقَبَةَ ، فالخوفُ مِن النار مُتمكِنٌ مِن سُوَيْدَاءِ قلبه .

فإنْ هَفَا بأن حَصَل منه زَلَّةٌ توقّدَتْ في قلبه نارُ النَّدَم ، وإنْ تَذَكر ذَنْباً إضطَرَمَتْ نارُ الحُزْنِ في بَاطِنِه ، وإنْ تفكر في مصيره ومُنْقَلبه التَهَبَتْ نارُ الحَذرِ في قَلْبِهِ ، وصَارَ لا يَهْنَؤهُ طَعَامٌ ولا شَرَاب .

خُذْ مَا صَفَا لَكَ فالحَيَاةُ غُرورٌ ... والموتُ آتٍ واللَّبِيْبُ خَبِيْرُ
لا تَعْتِبَنَّ على الزمان فإنَّهُ ... فَلَكٌ على قُطْبِ الهلاكِ يَدورُ
تعْفُو السُطورُ إذا تَقَادَمَ عَهْدُهَا ... والخَلْقُ في رِقِ الحَيَاةِ سُطُوْرُ
كلُ يَفرُ من الرَّدَى لِيَفُوْتَهُ ... وله إلى مَا فر مِنْهُ مَصِيْرُ
فانظُرْ لنَفْسِكَ فالسّلامة نُهْزَةٌ ... وزَمَانُها ضَافي الجَنَاحِ يَطِيْرُ

مِرْآةُ عَيْشِكَ بالشَّبَابِ صَقِيْلَــــةٌ وجَنَاحُ عُمْرِكَ بالمَشِيْبِ كسِـــيْرُ
بَادِرْ فإنَّ الوَقْتَ سَيْفٌ قَــاطِعٌ والعُمْرُ جَيْشٌ والشَبابُ أمِـيْرُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فائدة عظيمة النفــــع]

قال بعض العلماء : ذِكْــر الله تعــالى في ابتــداء الأقــوال والأفعال أنْسَةٌ مِن الوَحْشَة وهدَايَة من الضلال .

وحَمْدُه جل وعلا فرضٌ لازمٌ لِكُلِّ أحَد على كُلِّ حَال لأنه أهلٌ أنْ يُحْمَدَ إن ابْتَلى ، وإنْ منع ، وإن أنَال .

ففضلُه جل وعلا عَمَّ النساء والرجال والكُهُولَ والأطفال .

ولَطَفَ في قَدَره وقضائِهِ بأهل أرضه وسمائه فلم يَخْلُ مِن لُطْفِهِ سَافِلٌ ولا عال .

اللهم يامَنْ لا تُمَدُّ الأيْدِي بالـرغبةِ والمسألةِ إلا إليه ، ولا يُعَوَّلُ في كَشْف الشدائد والكروب في الدنيا والآخرة إلا عليه .

يامَن كُلُ الرغائب والمطالب لَدَيه ، وجميع المواهب لديه .

ليس لِضُرنا سِواكَ كاشف ، ولا على ضُعْفِنَا سِواكَ عَاطِف .

المُعَافَى مَن عَافَيْتَه ، فَعَافنا يامَوْلانا مِن مُوجبَاتِ سَخَطِكَ وعِقَابك ، والمَهْدِيُّ مَن هَديْتَه ، فاهدنا ياربنا سُبُل الواصِلينَ إلى مَرْضَاتِك .

بِذكر الله تحيَا القُلوُب من مَوْتِ غَفْلَتِهَا فالله الله بالمداومة على ذكـــر الله سِراً وجهـــاراً ليلاً ونهاراً قيامـــاً وقُعُــوداً مَاشِـينَ ومُضْطَجعِين .

ذاكر الله لا يستطيع الشيطان في ظِلِّهِ مَقيلا ، ذاكر الله لا يجد الشيطان إلى إغوائه سبيلا ، ذاكر الله لا يزال شيطانُهُ مَدْحُوراً

ذليلا ، ذاكر الله قد تكفل الله بحفظه وكيفَ يضيعُ مَن كان الله به كفيلا ، بذكر الله تطمئن القلوب وتَحْيَا ، قال الله تعالى ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾ .

ذِكْرُ إله الزَمْ هُدِيْتَ لِذِكْـــرِهِ فيه القلوبُ تَطِيْبُ والأفـــوَاهُ

آخر : والذِكرُ فيه حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ كَما تَحيا البِلادُ إذا ما جَاءَهَا المَطـــرُ

اللَّهُمَّ انَّ نَوَاصِيَنَا بِيَدَيْكَ وَأُمُوْرُنَا تَرْجِعُ الَيْكَ وَأَحْوَالُنَا لَا تَخْفَي عَلَيْكَ ، وأَنْتَ مَلْجَؤُنَا وَملاذُنَا ، وَالَيْكَ نَرْفَعُ بَثَّنَا وَحُزْنَنَا وَشِكَايَتَنَا ، يَا مَنْ يَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلاَنِيَتَنَا نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنَا مِمَّنْ تَوكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ واسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَهَبْ لَنَا مِنْ فَضْلِكَ العَظِيْمِ وَجُدْ عَلَيْنَا بِاحْسَانِكَ العَمِيْمِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالميِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلى اللهُ عَلَى مُحَمد وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

[فـــوائد ومواعــــظ]

إعلم يا أخي أن الناس عند الموت ثلاثة أقسام : الأول : ذو بصيرة علم أن الانسان وإن طال عمره في الدنيا فهو كخطفة برق لَمَعَتْ في السماء ثم عادت للاختفاء .

فلا يثقل على العاقل اللبيب الخُروج من الدنيا إلا بقدر ما يفـوتـه مِن خِدمـةِ ربه عز وجل ، والازدياد مِن ما يقربه إليه ، والاشفاق مما يقول أو يقال له .

كما قال بعضهم لَمَّا قيل له لِمَ تجزع قال : لأني أسْلُكُ طريقاً لم أعْهَدْهُ ، وأقدم على ربي جل وعلا ولا أدري ما أقول وما يقال لي .

ومثْلُ هذا الشخص لا يَنْفُـر من الموت بل إذا عَجزَ عن العبادة رُبَّما أشتَاقَ إليه .

وقال بعضُهم في مناجاتِهِ : إلهي إنْ سَألْتُكَ الحياة في دار المهات فقد رغبتُ في البعد عنك ، وزهدتُ في القرب منك .

فقد قال نَبيُكَ وصَفيُك ﷺ « مَن أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ ومَن كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لقاءه » .

الثاني : رجلٌ رديءُ البصيرة مُتَلَطِّخُ السريرة مُنْهَمِكٌ في الدنيا مُنْكِرٌ للبعث ، قد رضي بالحيـــاة الدنيا واطمأن بهَا ويَئِسَ مِن الآخـــرة .

فهـذا مَصِـيْرُهُ كما ذكـر الله ﴿ **إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون** ﴾ .

القسم الثاني : مَن خلطوا عملا صالحاً وآخر سَيئاً واعترفوا بذنوبهم وهؤلآء أيضاً مصيرهم كما ذكر الله ، قال الله جل وعلا وتقـدس ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم** ﴾ .

ثم اعلم أن طول العمر محبوب ومطلوب إذا كان في طاعة الله ، لقوله عليه الصلاة والسلام « خيركم من طال عمره وحسن عمله » وكلما كان العمر أطول في طاعة الله ، كانت الحسنات أكثر والدرجات أرفع .

وأما طوله في غير طاعة ، أو في المعاصي ، فهو شر وبلاء ، تكثر السيئات ، وتضاعف الخطيئات .

ومن زعم أنه يحبُ طول البقاء في الدنيا لِيَسْتَكْثِرِ مِن الأعمال الصـالحـةِ المقربة إلى الله تعالى فإن كان مع ذلك حريصاً عليها

ومُشمِّراً فيها ومجانباً لما يشغل عنها من أمور الدنيا فهو بالصادقين أشبه .

وإن كان متكاسلاً عنها ومُسَوِّفاً فيها أي الأعمال الصالحة فهو مِن الكاذبين المُتَعَلِّلِين بما لا يُغْني عنه .

لأن مَن أحب أن يَبْقَى لأجلَ شيء وَجَدْته في غاية الحرص عليه مَخَافَةَ أن يَفوتَهُ ويُحال بَيْنَهُ وبيْنَه .

ولا سِيَّما والعمل الصالح مَحَلُّه الدنيا ولا يمكن في غيرها لأن الآخرة دارُ جَزَاء وليست بدار عمل .

فتفكر يا أخي في ذَلكَ عَسَى الله أن يَنْفَعَنَا وإيَّاك واستعن بالله واصْبر واجتهد وشَمِّرْ وبَادر بالأعمال الصالحة قبل أن يُحَالَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا فلا تجد إليها سبيلا .

وكن حذر من مفاجأة الأجل فإنك غرضٍ للآفات وهَدَفٌ مَنْصُوبٌ لِسهام المنايا وإنما رَأسُ مالك الذي يمكنُكَ إن وَفَّقَكَ الله أن تشتري به سَعَادةَ الأبد هذا العُمْر .

قال الله جل وعلا ﴿ أو لم نعمركم ما يَتَذَكَّرُ فيه من تذكر ﴾ الآية فإيَّاكَ أن تنفق أوقاتَه وأيامَهُ وسَاعَاتِه وأنفاسَه فيما لا خير فيه ولا منفعة فيطول تَحَسُّرِكَ ونَدَمُك وحُزْنُكَ بعد الموت .

إذا كان رأسُ المال ِ عُمْركَ فاحْتَرْز
عليه من الإنفاقِ في غَيْرِ وَاجب

قال محمد بن القاسم خادم محمد بن أسلمَ قالَ محمد بن أسلم : مالي ولهذا الخلق كُنتُ في صلب أبي وحْدِي .

ثم صرت في بطن أمي وحْدِي .

ثم دَخَلْتُ الدنيا وحْدِي .

ثم تُقْبضُ رُوحي وحدي .
ثم أدخل في قبري وحدي .
ثم يأتيني منكرٌ ونكير فيسألاني وحدي ، فإن صرت إلى خير صرت وحدي .
ثم يوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي .
وإن بُعثت إلى الجنة بُعِثت وحدي .
وإن بُعْثْتُ إلى النار بعثتُ وحدي ، فما لي وللناس .
ثم تفكَّرَ سَاعَةً فوقَعَتْ عليه الرِّعْدَةُ حتى خشِيْتُ أن يَسْقُط
قال وسمعتـه يحلف كذا وكـذا مرة يقول : لو قَدِرْتُ أن أَتَطَوَّعَ حَيْثُ لا يَرَاني مَلَكَايْ لفَعَلْتُ .
ولكني لا أستَطيع ذلك خوفاً مِن الرياء .

وكان يدخل بَيْته ويُغْلِقُ بابه ويدخل معه كُوزاً مِن ماء فلم أدري ما يصنع .
حتى سَمِعْتُ إبناً له صَغِيراً يحكى بُكَاءَهُ فنَهَتْهُ أمُهُ فقُلْتُ لها : ما هذا البكاء ؟
فقـالت : إنَّ أبـا الحسن يدخـل هذا البيتَ فيقرأ القرآن ويبْكي فيَسْمَعُه الصَّبي فيَحْكِيه (أي يقلده) .
وكان إذا أرادَ أن يَخْرُجَ غَسَل وجهه واكتحل لئلا يُرى عليه أثَرُ البُكاء .
بلَغ يا أخي الذين يذكرون أعمالهم للناس من حج وصدقة وصيام رِيَاءً وسُمْعَةً .
وَكان يَصِل قوماً ويُعْطِيهم ويكسُوهُم فيَبعَثُ إليهم ويقول لِلرسُولِ : أنظر أن لا يَعْلَمُوا مَن بَعَثه إليهم ويأتيهم هو بالليل

فيذهب به إليهم ويخفي نفسه .

ولا يعلمـون مَن الذي أعطاهـم ولا أعلم أنه وَصَل أحَداً بأقلّ مِن مائة درهم إلا أنْ لا يمكنه ذلك .

ودَخَلْتُ عليه قبل موته بأربعة أيام فقال : يا أبا عبدالله أبشر بما صَنَعَ الله بأخيكَ مِن الخير قَدْ نَزَلَ بي الموتُ وقد مَنَّ الله عليّ أنه ليس عندي دِرهم يُحَاسِبُني الله عليه .

وقد عِلم ضَعْفِي فإني لا أطيقُ الحِسابَ ، فلم يَدَعْ عِندِي شيئا يُحَـــاسِبني الله عليه ثم أغلِق البـــابَ ولا تأذن لأحدٍ علي حتّى أمـــوت .

واعلم أني أخرجُ مِن الدنيا وليس أَدَعُ مِيْراثاً غيرَ كِسَائِي ، وإنائي الذي أتَوَضأ فيه وكتبي .

وكانت معه صُرةٌ فيها نَحو ثلاثينَ دِرهما ، فقال : هذا لابْني أهْداهُ إليه قريبٌ لهُ ولا أعلم شيئا أحَلَّ لي منه لأن النبي ﷺ قال «أنْتَ ومالُك لأبيك» .

فكَفِّنُـونِي منهـا وابْسُـطُوا على جَنَـازَتي لِبَـدِي وغـطوا عليَّ بكسائِي وتَصَدَّقُوا بإنائِي أعطُوهُ مِسْكِيناً يَتوضأ منه ثم مات باليوم الرابع رحمه الله .

٤ مـوعظـة

كان السلفُ رحمهم الله ومَن سَار على نهجهم مِنَ الخلف احرص الناس على حِفْظِ الوَقْتِ ، وتَعْبَيَتِه بالأعمال الصالحة سواء في ذلك العالم ، وطالب العلم ، والعابد .

وكانوا يقتدى بعضهم ببعض ويوصي أحدهم الآخر على

صِيَانتِهِ وملئه بالخير وكانوا يسابقون الساعات ، ويَبادرون اللحظات ، حِرصا منهم على الوقت ، وأن لا يَذْهَبَ هَدَرَا .

لَعِلْمِهم أنه يَمُر مَرَّ السحابِ ويَجْري جَرْيَ الريح .

قيل إن نوُحًا عليه وعَلى نبينا محمد أفضل الصَلاة والسلام جاء ملك الموت ليقْبض رُوحهْ بعد ألف سنة أو أقل أو أكثر الله أعلم .

فسأله ملكُ الموت قال له يا أطْول الأنبياءِ عُمْرًا كيفَ وَجَدْتَ الدنيا فقال كَدارٍ لهَا بَابَان دَخَلْتُ مَعَ أَحَدِهما وخرجْتُ مِن الآخرَ .

قال الله جل وعلا وتقدس « كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار » .

وقال تبارك وتعالى « كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحَاها » .

وقال تبارك وتعالى وتَقَدَّسَ « ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم » .

ومن خصائص الوقت أن كل ساعة أو يوم أو لحظة تمر ليس يمكن اسْترجاعها .

وقال الحسن البصري ما مِن يوم يَنْشق فجره إلا وينادي يا أبنِ آدم أنا خَلْقٌ جَدِيد وعلى عَملك شَهِيْد فتَزَوَّدْ مِني فإني إذا مَضَيْتُ لا أعود .

وما المرءُ إلَّا رَاكِبٌ ظَهْرَ عُمْرِه   على سَفَرٍ يُفْنِيْهِ باليوم والشهر
يَبِيْتُ ويُضْحِى كل يَومٍ ولَيْلَةٍ   بَعِيْدًا عن الدنيا قَرِيْبًا إلى القَبْرِ

فالذي ينبغي للانسان أن يحافظ على وقته أعظم من مُحَافَظَتهَ على ماله ، وأن يحرصَ على الاستفادة منه في كل لحظة فيما ينفعه في دِيْنِهِ وفي دُنْيَاه ، مِمَّا هو وسِيْلَةٌ إلى الدار الآخرة .

قال عمر بن عبد العزيز إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما .

وقال حكيم مَن أمْضَى يَومًا من عُمُرَهِ في غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد أثّلهُ ، أو حمد حصّله ، أو خير أسَّسَهُ ، أو عِلم اقْتَبَسَهُ ، فقد عَقَّ يَومَهُ وظَلَمَ نَفْسَه .

والذي يُعِيْنُ على اغتنام الزمان ، العزلة مهما أمكن ، إلا لضَرُورة ، أو حَاجَةً لِمَنْ يَلْقَاهُ ، أَوْ يَزُوْرُهُ ، وقِلَّةُ الأكل .

لِأَنَّ كَثْرَتَه تُكَسِّلُ البَدَنَ ، وسَبَبٌ لِلنَّوم الطَّوِيْلِ ، وضيَاع الليل ، وفوات التجهد ، أو تقليله . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصـــــــــــل]

ولقد كانَتْ هممُ السلفِ عالية يدل عليها كثرة مُصَنَّفَاتِهِمْ التي هي خلاصة أعْمَارِهِمْ .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى باستباق الخيرات والمسارعة إليها قبل أن تشغل عنها الشواغل أو تعوق العوائق .

قال الله جل وعلا « فاستبقوا الخيرات » .

وقال عزَّ من قائـل « وسـارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .

وقال جل وعلا « سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضُها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله » .

ومدح الصالحين من أهل الكتاب بأنهم « يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويُسَارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين » .

وقد حث النبي ﷺ على المبادرة بالعمل قبل حلول العوائق والفتن .

فقال « هَلْ تَنْتَظِرُوْنَ إلا غنًى مُطْغِيَا أو فقرً مُنْسِيَا أو مرضا مفسدا أو هَرَمًا مفندا أو موتا مجْهزًا أو الدَّجَالَ فشر غَائِبٍ ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » رواه الترمذي .

وقال بن القيم رحمه الله وعمارة الوقت الاشْتِغَالُ في جميع آنَائِهِ بما يُقَـرِّبُ إلى الله تعالى أو يُعِيْنُ على ذلك من مأكل ومَشْرَبٍ أو منكح أو منام أو راحة .

فإن متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله وتَجَنُّبِ ما يسخطه كانَتْ مِن عمارة الوقت .

وإن كان له فيهـا أتَمَّ لَذَّةٍ فلا تحسب عمارة الـوقت بهجر اللذات والطيبات المباحة .

قال بعض العلماء أُغْلِق بابُ التَّوفيق عن الخلق مِن سِتةِ أشياء .

انشغالُهم بالنعْمَة عن شكرها .

ورغبتُهم في العلم وتركهم العَمل .

وإقبال الآخرة وهم معرضون عنها .

والاغْترَارُ بصحبة الصالحين وترك الاقتداء بفعالهم .

وإدبارَ الدنيا عنهم وَهُمْ يَتْبَعُونَهَا .

والمسارعة إلى المعاصي والذنوب وتأخير التوبة .

وكَمْ ذِيْ مَعَاصٍ نَالَ مِنْهُنَّ لَذَّةً ... ومَاتَ وخَـلاَّهَا وذَاقَ الـدَّوَاهِـيَا
تَصَـرَّمُ لَـذَّاتُ المَعَـاصِي وتَنْقَضِي ... وتَبْقَي تبَاعَاتُ الْمَعَاصِي كَمَـا هَيَـا
فَيَاسَـوْءَتَا واللَّهُ رَاءٍ وَسَـامِعٌ ... لِعَبْـدٍ بعَـيْنِ اللَّهِ يَغْشَى المَعَاصِيَا

آخر :

تَوارَى بِجُدْرَانِ البُيوتِ عَن الورى ... وأنْـتَ بعَـيْنِ الله لاشك تُنْظَـرُ

وقال آخر : إن لله عبادا جعلوا ما كتب عليهم من الموت مثالاً بَيْنَ أعينهم وقطَعُوا الأسباب المتصلة بقلوبهم من علائق الدنيا فهم أَنْضَاءُ عبَادَته خُلَفَاءُ طَاعَته .

قد أنْضَجُوْا خُدُوْدَهُم بوَابل دُمُوعهم وافْتَرشُوا جِبَاهَهُمْ في مَحَارِيْبِهم يُنَاجُونَ ذَا الكِبْرِيَاءِ والعَظَمَةِ في فكَاكِ رقَابهم .

ومَرَّ إبْرَاهيمُ بنُ أدهَمَ برجل يَتَحدَّثُ فيما لا يَعْنِيْه فوقَفَ عليه فقال كلامُكَ هذا ترجُو به الثواب .

قال لا فقال أفتَأمَنُ عليه العقاب قال لا .

قال فما تَصْنَعُ بكلام لا تَرجُو عليه ثوابًا وتخاف منه عِقَابا .

قال بعَضُهم لو بقْت لحْظَةً من إقْبَالِكَ على الله بمقدار عمر نوح في ملك قارون لَكُنْتَ مَغْبُوْنًا في العَقْد .

قال سفيان الثوري دَخلتُ على جعفر الصادق فَقُلْتُ له ما لي أراكَ سَكنْتَ دَارَكَ ولا تُخَالِطُ الناسَ .

فقال نَعَمْ يا ابْنَ سَعيد في العُزلَة دَعَة وفي الدعةِ القناعة

وما قُدّرَ لكَ يأتيك .

يا سُفيان فَسَدَ أهلُ الزمان وتغيّرَ الأصْدِقاء فرأيتُ الانفراد أسكن للفؤاد . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فَصْــلٌ)

إعلَمْ أنَّ قِصرَ الأمَلِ دَيْدَنُ العُلَماءِ العَامِلُونَ المتَّقُونَ الوَرِعُوْنَ المبْعِدُوْنَ عَنْ التَّكَالُبِ عَلَى الدُّنْيَا الزَّاهِدُوْنَ في حُطَامِهَا الفَانِيْ وكَذَلِكَ أَرْبَابُ القُلُوب الوَاعِيَةِ وإنْ لَمْ يكُونوا عُلَماءَ يُقَصِّرُوْنَ أَملَهُم وَيحْتَقِرُوْنَ الدّنْيا وَيعْلَمُوْنَ أنَّهَا زائِلةٌ عكسُ مَا عَليهِ أكْثَرُ أهْلِ الزَّمانِ عَبِيْدُ الدُّنْيَا لِلْبُطُونِ والفُرُوْجِ .

قَالَ ﷺ مَا الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدَكُم أَصْبُعَه في اليمّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعْ رَوَاهُ مُسْلِم .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنهما قالَ أخذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبي فَقَالَ كُنْ في الدُّنْيَا كأَنَّكَ غَرِيْبٌ أو عَابِرُ سَبِيْلٍ وكَانَ ابنُ عُمَرَ رضيَ اللَّهُ عنهما يَقُولُ إذَا أمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ وَإذَا أصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرْ المَسَاءَ وَخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ رَوَاهُ البُخَارِيّ .

قَالُوا في شَرْحِ هَذَا الحَدِيْثِ مَعْنَاهُ لاَ تَرْكَنْ إلى الدُّنْيَا وَلاَ تَتّخِذْهَا وَطَناً وَلاَتُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُوْلِ البَقَاءِ فيها ولا تَشْتَغِلْ فِيْهَا إلاَّ بِمَا يَشْتَغِلُ به الغَرِيْبُ فَقَطْ الَذيْ يُرِيْدُ الذَّهَابَ إلَى أَهْلِهِ وَأَحْوَالُ الإنْسَانِ ثَلاَثٌ حَالٌ لَمْ يَكُنْ فِيْهَا شَيْئاً وهِيْ قَبْلَ أَنْ يُوْجَدْ .

وحَالُ أُخْرَىَ وَهِيَ مِنْ سَاعَةِ مَوْتِهِ إلى مَا لا نهايَةَ لَهُ في البَقَاءِ السَّرْمَدِيّ فَأنَّ لِنَفْسَكَ وُجُودٌ بَعْدَ خُرُوْجِ الرُّوْحِ مِن البَدَنِ إمَّا في الجَنَّةِ وَإمَّا في النَّارِ وَهُوَ الخُلُودُ الدّائِمُ وبين هاتَيْنِ الحَالَتين حَالةٌ مُتوَسِّطَة وَهِيَ أيّامُ حَياتِهِ في الدُّنْيَا فَانْظَرْ إلى مِقْدارِ ذَلِكَ بالنِّسْبَةِ إلى الحَالَتَيْنِ يَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّهُ أقَلُّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ في مِقْدَارِ عُمْرِ الدُّنْيَا .

وَمَنْ رَأَىَ الدُّنْيا بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَبِهَذا التَّفْكِيْرِ السَّلِيْمِ لَمْ يَلْتَفِتْ إليها وَلَمْ يُبَالِيْ كَيْفَ انْقَضَتْ أيّامُهُ بهَا في ضَرَرٍ وضِيقٍ أو سَعَةٍ وَرَخَاءٍ وَرَفَاهِيَةٍ ولِهَذا لَمْ يَضَعِ النبي ﷺ لَبِنَةً على لَبِنَةٍ ولا قَصَبَةٍ عَلَى قَصَبَةٍ .

وَقَالَ عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ الدُّنْيا قَنْطَرةٌ فاعْبُرُوهَا ولا تَعْمُرُوهَا هَذَا مَثَلٌ واضِحٌ فَإنَّ الدنيا مَعْبَرٌ إلى الآخِرَةِ وَالمَهْد هُوَ الرُّكْنُ الأوَّلُ على أوَّل القَنْطَرَةِ وَاللّحْدُ هُوَ الرُّكْنُ الثَّانِيْ عَلَى آخِرِ القَنْطَرَةِ .

شعـــرا :

يا غَافِلَ القَلبِ عن ذكر المَنِيَّاتِ ... عَمَّا قَلِيْل سَتُلقى بَيْنَ أَمْوَاتِ
فاذْكُرْ مَحلّكَ مِن قبْلِ الحُلُولِ به ... وتُبْ إلى اللّهِ مِن لَهْوٍ ولذَّاتِ
إنَّ الحِمَامَ لَهُ وقْتٌ إلى أجَلٍ ... فاذْكُرْ مَصَائبَ أيَّامٍ وساعاتِ
لا تَطْمَئِنَّ إلى الدنيا وزِينَتِهَا ... قد آن لِلْمَوْتِ ياذَ اللَّبِّ أنْ يأتي

وصلى الله على محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجْمعين .

(فَصْـــلٌ)

وَمِنْ النَّـاسِ مَنْ قَطَعَ نِصْفَ القَنْـطَرَةِ وَمِنْهُم مَنْ قَطَعَ ثُلُثَهَـا وَمن النَّاس مَن قَطَعَ الثُلُثَيْنْ ومنهم مَن قَطَعَ ثَلاثَة أرْبَاع المَسَافَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَبْقَ

له إلاَّ ثُمُنُ المَسَافةِ ومنهم مَنْ لَمْ يَبْقَ لَهُ إلاَّ خُطْوَةَ وَاحِدة وَهُوَ غَافِلٌ عَنْهَا وَكَيْفَ مَا كَانَ فَلاَ بُدَّ مِن العُبُوْرِ فَمَنْ وَقَفَ يَبْنِي على القَنْطَرَةِ وَيُزَيِّنُهَا وَهُوَ يُسْتَحَثُّ عَلَى العُبُورِ عَلَيْهَا فَهُوَ فِي غَايَةِ الجَهْلِ والحُمْقِ والسَّفهِ .

وَرُوِيَ عَنْ الحَسَنِ قَالَ بَلَغَنِيْ عَنْ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ أنهُ قَالَ إِنَّمَا مَثَلِيْ وَمَثَلُكُم وَمَثَلُ الدّنيا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَلَكُوا مَفَازَةً غَبْرَاءَ حَتَّى إذَا لَمْ يَدْرُوا مَا سَلَكُوا مِنْهَا أَكْثَرُ أَوْ مَا بَقِيَ أَنْفَذُوا الزَّادَ وَخَسِرُوا الظَّهْرَ وبَقُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ المَفَازَةِ لاَ زَادَ وَلا حَمُولَةَ فَأَيْقَنُوا بالهَلَكَة .

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ يَقْطُرُ رَأْسُهُ فَقَالُوا انَّ هَذَا قَرِيْبُ عَهْدٍ بريْفٍ وَمَا جَاءَ هَذَا إلاَّ مِنْ قَرِيْبٍ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ قَالَ يَا هَؤُلاَءِ عَلاَمَ أَنْتُم قَالُوا عَلَى مَا تَرَى قَالَ أَرَأَيْتَكُم إنْ هَدَيْتُكُم إلى مَاءٍ رُوَاءٍ وَرِيَاضٍ خُضْرٍ مَا تَعمَلُوا قَالُوا لا نَعْصِيْكَ شَيْئاً .

قَالَ عُهُـوْدَكُم وَمَـوَاثِقَكُمْ باللَّهِ فَأَعْـطُوْهُ عُهُوْدَهُمْ وَمَوَاثِيْقَهُمْ باللَّهِ لا يَعْصُوْنَهُ شَيْئاً قَالَ فَأَوْرَدَهُم مَاءً وَرِيَاضَاً خَضْرَاء فمَكَثَ فيهم مَا شَاءَ اللَّهُ ثم قَالَ يَا هَؤُلاَءِ الرَّحِيْلِ قَالوا إلى أَيْنَ قال إلى مَاءٍ لَيْسَ كَمَائِكُم وإلى رِيَاضٍ لَيْسَتْ كَرِيَاضِكُمْ فَقَالَ أَكْثَرُ القَوْمِ واللَّهِ مَا وَجَدْنَا هَذا حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَجِدَهُ وَمَا نَصْنَعُ بعَيْشٍ خَيْرٍ مِنْ هَذا .

وقالت طائفةٌ أَلَم تُعطُوا هذا الرجلَ عُهودَكُم ومَواثيقَكُم باللَّه لا تَعْصُوْهُ وَقَدْ صَدَقَكُم في أَوَّل حَدِيثِهِ فَوَاللَّهِ لَيَصْدُقَنَّكُم في آخِرِهِ قَالَ فَرَاحَ فِيْمَنْ اتَّبَعَهُ وَتَخَلَّفَ بقِيَّتُهُم فَنَزَلَ بِهِمْ عَدُوٌّ فَأَصْبَحُوا مِنْ بَيْنِ أَسِيْرٍ وقَتِيْلٍ .

وَعَنْ ابن عُمَـرَ أَنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قَال مَا حَقُّ امْرِءٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوْصِيْ فِيْهِ يَبيْتُ لَيْلَتَينِ إلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ متفق عليه .

وَعَنْ أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَطَّ النَّبي ﷺ خطّاً مُرَبَّعاً وخَطَّ خَطّاً في الوسَطِ خَارِجَاً مِنْهُ وَخَطَّ خُطَطَاً صِغَاراً إلى هَذَا الذي في الوَسَطِ مِن جَانِبِهِ فَقَالَ هَذَا الإِنْسَانُ وَهَذَا أجلُهُ مُحِيْطٌ به - أو قَدْ أحَاطَ به . وَهَذَا الذي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارِ الأعْرَاضِ فَأنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَانْ أخطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا رَوَاهُ البُخَاريّ .

والمَرْءُ يُبْلِيْه في الدنيا ويُخْلِقُهُ   حِرْصٌ طَويْلٌ وعُمْرُ فيه تَقْصِيْرُ
يُطَوِّقُ النَّحْرَ بالآمالِ كاذِبَةٌ   ولَهْذَمُ الموتِ دُوْنَ الطَّوْق مَطْرُوْرُ
جَذْلَانَ يَبْسِمُ في أَشْرَاكِ مِيْتَتِهِ   إنْ أَفْلَتَ النَّابُ أرْدَتْهُ الأظَافِيْرُ

وَعَنْ سَهْل بْن سَعْدٍ السَّاعِدِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقى كافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ رَوَاهُ الترمذي وقالَ حَديثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ .

وَقَالَ ﷺ مَالِيْ وَللدُّنْيَا أنَّمَا مَثَلِيْ وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ قَالَ في ظِلِّ شَجَرَةٍ في يوم صَائِفٍ ثمَّ رَاحَ وَتركَهَا وفي صَحِيْح مُسْلِم مِن حَدِيْث المُسْتَوْرِدِ بن شَدَّادٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أحدكُم أَصْبُعَهُ في اليَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعْ وَأشَارَ بالسَّبَّابَةِ .

وَلَيْسَ العَجَبُ مِنْ انْهِمَاكِ الكَفَرَةِ في حُبِّ الدُّنْيَا وَالمَالِ فَأنَّ الدنيا جَنَّتُهُم وإنَّمَا العَجَبُ أن يَكُونَ المُسْلِمُوْنَ يَصِلُ حُبُّ المَالِ وَالدّنْيَا في قُلُوبِهِمْ إلى حَدٍّ أنْ تَذْهَلَ عُقُوْلُهُم وَأنْ تَكُونَ الدُّنْيَا هِيَ شُغْلُهُم الشَّاغِلُ لَيْلاً وَنَهَاراً وَهُمْ يَعْرِفُوْنَ قَدْرَ الدُّنْيَا من كتَاب رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ أَلَيْسَ كِتَابُ الله هُوَ الذي فِيْهِ « مَنْ كانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ له في حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَالَهُ في الآخرَةِ مِنْ نَصِيْب » .

وَيَقُـوْلُ ﴿ مَنْ كَانَ يرِيْدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيْهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيْدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُوماً مَدْحُوْرَاً وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فأولَئك كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورَا ﴾ .

وَتَقَدَّمَتْ الأَحَادِيْثُ عَنْ النَّبي ﷺ المُبَيِّنَة لِحَقَارَة الدنيا وَلَيْسَ المَعْنَى أَنْ نَتْرُكَ الدنيا وَنَبْقَى جِيَاعاً عَارِيْنَ مُحْتَاجِيْنَ بَلْ مَعْنَاهُ أن لا نَجْعَلَهَا مَقْصَدَاً كَمَا جَعَلَهَا الكُفَّارُ بَلْ نَجْعَلِ الدُّنْيَا وَمَا فيهَا وَسِيْلَةً إلى تِلْكَ الحَيَاةِ الأَبَدِيَّة فَنَكُونُ مِن الفَرِيْقِ الذِي يُحِبُّ المَالَ لأَجْلِ الآخِرَة .

وَقَدْ كَانَ عَلى هَذَا المَبْدَءِ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ وَكَذَلِكَ التَّابِعُوْنَ لَهُمْ اتَّخَذُوا الدُّنْيَا مَطِيَّةً لِلآخِرَةِ فَسَادُوا بِهَا أَهْلَ الدُّنْيَا وَلَمَّا تَخَلَّفْنَا عَنْهُم في هَذَا المَبْدَءِ وَجَعَلْنَا المَالَ هُوَ المَقْصَدُ سَكَنَّا إلى الدُّنْيَا وَأَحْبَبْنَا الحَيَاةَ وَلَذَائِذَهَا وَالدَّاهِيَةُ العَظِيْمَةُ هِيَ أَنَّا ضُرِبْنَا بِالذّلِّ .

وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبي ﷺ « انَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لكُم مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ » رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلِم وَقَالَ ﷺ فَوَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى أَن تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُم فَتَنَافَسُوْهَا كَمَا تَنَافَسُوْهَا فَتُهْلِكَكُم كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

اللهم إنا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فاغفر لنا ذُنُوبَنَا وهَبْ لَنَا تَقْوَاكْ واهدِنَا بِهُدَاكْ ، ولا تَكِلْنَا إلى أَحَدٍ سِوَاكْ ، واجْعَلْ لَنَا مِن كُلِّ هَمٍ فَرَجَا ، ومِن كُلِّ ضِيْقٍ مَخْرَجَا .

اللهم أَعِذْنَا بِمُعَافَاتِكَ مِن عُقُوبَتِـكْ ، وبِرِضَـاكَ مِن سَخَطِكْ ، واحْفَظْ جَـوَارِحَنَا مِن مُخَـالَفَةِ أَمْـرِكْ ، واغفر لنـا ولوالـدينا ولجميـع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصْــلٌ)

فائدة نفيسة قال أحد العلماء رحمه الله تعالى إعلم أنّ الدّنيا رأْسُ كُلِ خَطِيئَةٍ كما قال ﷺ وقد صارت عدوّةً لله وعدوّةً لأَوليائِهِ وعـدوّةً لأَعْدَائِهِ ، أما عَدَاوتُها لله تعالى فلأَنّها قَطَعَتِ الطريقَ بينهُ وبينَ أُوليائِه .

ولهذا فإنّه لم يَنْظُر إليها مُنْذُ خَلَقَهَا ، وأمّا عداوتُها لأَوليائِهِ فلأَنّها تَزَيَّنَتْ لهم بزينَتِها وغَمرتْهُم بزَهْرتها وتَزَهَّتْ لهم بنَضَـارَتِهَا حتى تَجَرَّعُو مَرَارَاتِ الصّبرِ في مُقَاطَعَتِهَا وتَحَمَّلُوا المَشَاقَ في البُعْدِ منها .

وأَمَّـا عَداواتُهـا لأَعْـدَائِـهِ فلأَنها اسْتَـدْرَجَتْهُم بمكْـرِهَـا ومَكَـايِدِهَـا واقْتَنَصَتْهم بحَبَائِلِهَا وأَقْصَدَتْهُم بِسِهامِهَا حتى وَثِقُوا بها وعَوَّلُوا عليها .

فَخذَلَتْهُم أَحْوَجَ ما كانوا إليها وغَدَرتْ بهم أَسْكَنَ ما كانُوا إليها فاجْتَنَوْا منهـا حَسْرةً تَنْقَـطِعُ دُوْنَهَا الأَكْبَادُ . وحَرَمَتْهُم السّعادَةَ الأُخْرَوِيَّةَ على طُوْلِ الآمَاد فانْتَبه يا مَن اغتر بها قبل أن يُصِيْبَكَ مثل مَا أصاب المغترين بها .

وقـال بعض العـارفين إذا كان أبونا آدم بعد ما قيل له اُسْكُنْ أنتَ وزوجـك الجنة صَدَرَ منه ذَنْبٌ وَاحِدٌ فامِرَ بالخُروج مِن الجنةِ فكَيْفَ نَرْجُوا دُخُولَهَا مَعَ ما نحنُ مُقِيْمُونَ عليه من الذُنُوبِ المُتَتَابعَةِ والخَطَايَا المُتواتِرَةِ .

كان أبو الفتح المنهى قد برع في الفقه وتقدم عند العوام وحَصَل له مال كثير ودَخَلَ بَغدَاد وفوِّضَ إليه التَّدريس بالنِظامية وأدْرَكَهُ الموتُ بهَمَدان .

فلما دَنَتْ وَفَاتُهُ قال لأَصْحَابِهِ أُخْرُجُوْا فَلَمَّا خَرَجُوا عنه جَعَلَ يَلْطُمُ وَجْهَهُ ويَقُولُ « يا حَسْرَتَا على مَا فَرَّطْتُ في جنب الله » ويقول لِنَفْسِهِ مُوَبِّخا لَهَا يَا أبا الفَتْحِ ضَيَّعْتَ العُمُرَ في طَلَب الدنيا وتحصِيل المال والجاه والتَّرَدُدِ إلى السَّلاطِين ويُنْشِدُ هذَيْن البَيْتَين :

عَجِبْتُ لأَهلِ العِلم كَيْفَ تَغافَلُوا ... يَجُرُّوْنَ ثوبَ الحِرْص حَول المَمالكِ
يَـدُوْرُوْنَ حَـوْلَ الظـالِـمِيْنَ كأنَّهُـم ... يَطُوْفُوْنَ حَوْلَ البَيْتِ وقْتَ المناسِكِ

أرْسَلَ عثمانُ بنُ عَفان رضي الله عنه مَعَ عَبدٍ لَه كِيْسًا مِن الدراهم إلى أبي ذر رضي الله عنه وقال لِعَبْدِهِ إنْ قَبلَ هَذا أَبُو ذَرٍ فأَنْتَ حُرٌ أي عَتِيق فأتى بالكيس إلى أبي ذَرٍ وَأَلَحَّ عليه في قَبُولِهِ فلم يَقْبَلْ فقال الغُلامُ لأبي ذر إنه عَلَّقَ عِتْقِي على قَبُولِكَ هذا الكِيْسَ فقالوا أَبُو ذَرٍ لكِنَّ في قَبُولِهِ رِقِّي .

هذه القصيدة الشيبانية عدَّلنا فيها بعض أبيات وكان بعضها في شيء لا يصلح .

سَـأَحْمَـدُ رَبِّـي طَـاعَـةً وَتَعَبُّـدَا ... وَانْظِـمُ عِقْـداً في الْعقِيـدةِ أَوْحَـدَا
وَأَشْهَـدُ أَنَّ الله لا رَبَّ غَـيْرُهُ ... تَعَـزَّزَ قِـدْمـاً بالْبَقَــاء وَتَفَــرَّدَا
هُـوَ الأَوَّلُ المُبْـدِي بغَـيْرِ بِـدَايَـةٍ ... ولا بعــده شَـيْءٌ عــلا وتـوحَـدَا
سمِيعٌ بَصِـيرٌ عَـالِـمٌ مُتَكَلِّـمٌ ... قَـدِيـر يُعِيـدُ الْعـالَمِين كَمـا بَـدَا
مُـريـدٌ أَرَادَ الْكَـائِنَـات لِـوَقْتِـهَا ... قَـديـر فَـأَنْشَـا مـا أَرَادَ وَأَوْجَـدَا
إِلَه عَلَى عَرْشِ السَّمَـاءِ قَدِ اسْتَوَى ... وَبَـايَـنَ مَخْـلُوقـاتِـه وَتَـوَحَّـدَا
إِذِ الْكَـوْنُ مَخْلُوقٌ وَربـي خَـالِـقٌ ... لَقَـدْ كـانَ قَبْـلَ الْكَـوْنِ رَبـاً وَسَـيِّداً
وَلَيْسَ كَمِثْـلِ الله شَـيْءٌ وَلاَ لَـهُ ... شَــبِيهٌ تَعَــالـى رَبُّنَــا وتَـوحَّــدَا
وَمَـنْ قـالَ فـي الـدُّنْيـا يَـرَاهُ بعَيْنِـهِ ... فَـذَلِكَ زِنْـديـقٌ طَغـى وَتَمَــرَّدَا
وَخَـالَفَ كُتْبَ الله وَالـرُّسْـلَ كُلَّهُمْ ... وَزَاغَ عَن الشَّرْعِ الشَّرِيف وَأَبْعَدَا
وَذَلِـكَ مِمَّـنْ قَـالَ فِيـهِ إِلهُنَــا ... يُـرَى وَجْهُـهُ يَـوْمَ الْقِيَـامَـةِ أَسْوَدَا
ولَكِـنْ يَـرَاهُ فـي الجنَـانِ عِبـادُهُ ... كما صَـحَّ في الأَخْبَـارِ نَرْوِيهِ مُسْنَدا
وَنَعْتَقِـدُ الْقُـرآنَ تَـنْزِيـلَ رَبِّنَـا ... بـهِ جـاءَ جـبْريـلُ النَّبِيَّ (مُحَمَّداً)
وَأَنْـزَلَـهُ وَحْيـاً إِلَيْــهِ وَأَنَّــهُ ... هُـدَى الله يَا طُـوبى بهِ لِمَن اهْتَـدَى
كــلام كــريـم مُـنْزَلٌ مـن إلهنــا ... بِـأَمْـرٍ وَنَهْـيٍ وَالـدَّلِيـلُ تَـأَكَّـدَا

كَلامُ إِلَهِ الْعَالَمِينَ حَقِيقَةً ... فَمَنْ شَكَّ فِي هَذا فَقَدْ ضَلَّ وَاعْتَدَى
وَمِنْهُ بَدَا قَوْلاً ولا شَكَ أَنهُ ... يَعُودُ إِلَى الرَّحْمٰنِ حَقاً كما بَدَا
فَمنْ شَكَّ فِي تَنْزِيلِه فَهْوَ كافِرٌ ... وَمَنْ زَادَ فِيهِ قَدْ طَغَى وَتَمَرَّدا
وَمَنْ قالَ مَخْلُوقٌ كَلامُ إِلهِنَا ... فَقَدْ خالَفَ الإِجْمَاعَ جَهْلاً وَأَلْحَدَا
وَنُؤْمِنُ بالْكُتْب الَّتِي هِيَ قَبْلَهُ ... وَبالرُّسْلِ حَقاً لاَ نُفَرِّقُ كالْعِداَ
وَإِيمَانُنَا قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَنِيَّةٌ ... وَيَزْدَادُ بالتَّقْوَى وَيَنْقُصُ بالرَّدَى
فَلا مَذْهَبَ التَّشْبِيه نَرْضَاهُ مَذْهَباً ... وَلاَ مَقْصدَ التَّعْطِلِ نَرْضَاهُ مَقْصداَ
وَلٰكِنَّ بالْقُرْآنِ نَهْدِي وَنَهْتَدِي ... وَقَدْ فازَ بالْقُرْآنِ عَبْدٌ قَدِ اهْتَدَى
وَنُؤمِنُ أَنْ الخَيرَ وَالشَّرَّ كُلَّهُ ... مِنَ الله تَقْدِيراً عَلَى الْعَبْدِ عُدِّدَا
فَما شَاءَ رَبُّ الْعَرْش كانَ كما يَشَا ... وَما لَمْ يَشَا لا كَانَ فِي الْخَلْق مُوجَدَا
وَنُؤْمِنُ أَنَّ المَوْتَ حَقٌّ وَأَنَّنا ... سَنُبْعَثُ حَقاً بَعْدَ مَوْتَتِنَا غَدَا
وَأَنَّ عَذَابَ الْقَبْرَ حَقٌّ وَأَنَّهُ ... عَلَى الْجِسْمِ والرُّوحِ الَّذِي فِيهِ أُلْحِدَا
وَمُنْكَرُهُ ثُمَّ النَّكِيرُ بِصُحْبَةٍ ... هُما يَسْأَلاَنِ الْعَبْدَ فِي الْقَبْرِ مُقْعَدَا
وَمِيزَانُ رَبِّي وَالصِّرَاطُ حَقِيقَةٌ ... وَجَنَّتُهُ وَالنَّارُ لَمْ يُخْلَقا سُدَى
وَأَنَّ حِسَابَ الخَلْقِ حَقٌّ أَعَدَّهُ ... كَمَا أَخْبَرَ الْقُرْآنُ عَنْهُ وَشَدَّدَا
وَحَوْضُ رَسُولِ الله حَقاً أَعَدَّهُ ... لَهُ الله دُونَ الرُّسْلِ ماءً مُبَرَّدَا
وَيَشْرَبُ مِنْهُ الْمُؤْمِنونَ وَكُلُّ مَنْ ... سُقِي مِنْهُ كَأْساً لَمْ يَجِدْ بَعْدَهُ صدَا
أَبَارِيقُهُ عَدُّ النُّجُوم وَعَرْضُهُ ... كَبُصْرَى وَصَنْعاً فِي المَسَافَةِ حُدِّدَا
وَأَنَّ رَسُولَ الله أَفْضَلُ مَنْ مَشَى ... عَلَى الأَرْض مِنْ أَوْلادِ آدَمَ أَوْ غَدَا
وَأَرْسَلَهُ رَبُّ السَّمٰوَاتِ رَحْمَةً ... إِلى الثَّقَلَيْنِ الإِنْس وَالْجِنِّ مُرْشِدَا
وَأَسْرَى بِهِ لَيْلاً إِلَى الْعَرْش رِفْعَةً ... وَأَدْنَاهُ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ مُصْعِدَا
وَخَصَّصَ مُوسَى رَبُّنَا بِكَلاَمِهِ ... عَلَى الطَورِ نَادَاهُ وَأَسْمَعَهُ النِّدَا
وَكُلُّ نَبِيٍّ خَصَّهُ بِفَضِيلَةٍ ... وَخَصَّصَ بالقُرآن رَبي مُحَمَّدَا

وَأَعْطَاهُ فِي الْحَشْرِ الشَّفَاعَةَ مِثْلَ ما رُوِي فِي الصَّحِيحَيْنِ الحَدِيثُ وَأُسْنِدَا
فَمَنْ شَكَّ فِيهَا لَمْ يَنَلْهَا وَمَنْ يَكُنْ شَفِيْعاً لَهُ قَدْ فازَ فَوْزاً وَأُسْعِدَا
وَيَشْفَعُ بَعْدَ الْمُصْطَفَى كُلُّ مُرْسَلٍ لِمَنْ عاشَ فِي الدُّنْيَا ومَاتَ مُوَحِدَا
وَكُلُّ نَبِيٍّ شَافِعٌ وَمُشَفَّعٌ وَكُلُّ وَلِيٍّ فِي جَمَاعَتِهِ غَدَا
وَيَغْفِرُ دُونَ الشِّرْكِ رَبِّي لِمَن يَشَا وَلَا مُؤمِنٌ إلاَّ لَهُ كَافِرٌ فِدَا
وَلَمْ يَبْقَ فِي نَارِ الجَحِيمِ مُوَحِّدٌ وَلَوْ قَتَلَ النَّفْسَ الحَرَامَ تَعَمُّدَا
وَنَشْهَدُ أَنَّ اللهَ خَصَّ رَسُولَهُ بِأَصْحَابِهِ الأَبْرَارِ فَضْلاً وَأَيَّدَا
فَهُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِ بِهِمْ يَقْتَدِي فِي الدِّينِ كُلُّ مَنِ اقْتَدَى

وَأَفْضَلُهُم بَعْدَ النَّبِيِّ (مُحَمَّدٍ) أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ذُو الفضلِ والنَّدَى
لَقَدْ صَدَّقَ الْمُخْتَارَ فِي كُلِّ قَوْلِهِ وآمَنَ قَبْلَ النَّاسِ حَقاً وَوَحَّدَا
وَفَادَاهُ يَوْمَ الْغَارِ طَوْعاً بِنَفْسِهِ وَوَاسَاهُ بِالأَمْوَالِ حَتَّى تَجَرَّدَا
ومِنْ بَعْدِهِ الْفَارُوقُ لَا تَنْسَ فَضْلَهُ لَقَدْ كَانَ لِلإِسْلَامِ حِصْناً مُشَيَّدَا
لَقَدْ فَتَحَ الْفَارُوقُ بالسَّيْفِ عَنْوَةً كثير بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَمَهَّدَا
وأَظْهَرَ دِينَ اللهِ بَعْدَ خَفَائِهِ وَأَطْفَأَ نَارَ الْمُشْرِكِينَ وَأَخْمَدَا
وَعُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ قَدْ مَاتَ صَائِماً وَقَدْ قَامَ بِالْقُرْآنِ دَهْراً تَهَجُّدَاً
وَجَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرِ يَوْماً بِمَالِهِ وَوَسَّعَ لِلْمُخْتارِ والصَّحْبِ مَسْجِداً
وَبَايَعَ عَنْهُ الْمُصْطَفَى بِشِمَالِهِ مُبَايَعَةَ الرِّضْوَانِ حَقاً وَأَشْهَدَاً
وَلَا تَنْسَ صِهْرَ الْمُصْطَفَى وَابْنَ عَمِّهِ فَقَدْ كَانَ حَبْراً لِلْعُلُومِ وَسَيِّدَا
وَفَادَى رَسُولَ اللهِ طَوْعاً بِنَفْسِهِ عَشِيَّةَ لَمَّا بِالْفِرَاشِ تَوَسَّدَا
وَمَنْ كَانَ مَوْلَاهُ النَّبِيُّ فَقَدْ غَدَا عَلِيٌّ لَهُ بالحَقِّ مَوْلىً وَمُنْجِداً
وَطَلْحَتُهُمْ ثُمَّ الزُّبَيْرُ وَسَعْدُهُمْ كَذَا وَسَعِيدٌ بِالسَّعَادَةِ أُسْعِدَا
وكَانَ ابْنُ عَوْفٍ بِاذِلَ المَالِ مُنْفِقاً وكَانَ ابْنُ جَرَّاحٍ أَميناً مؤَيَّداً

وَلاَ تَنْسَ بَـاقِيَ صَحْبِـهِ وَاهْـلَ بَيْتِهِ وَأَنْصَـارَهُ وَالتَّـابِعِـينَ عَـلَى الهُـدَى
فَكُلُّهُــمُ أَثْنَى الإِلَــهُ عَــلَيْهِمُ وَأَثْـنَى رَسُــولُ الله أَيْضَـاً وَأَكَّــدَا
فَـلاَ تَـكُ عَبْـداً رَافِضِيـاً فَتَعْتَـدِي فَوَيْـلٌ وَوَيْـلٌ فِي الْـوَرَى لِمَن اعْتَـدَى
وَنَسْكُتَ عَنْ حَرْبِ الصَّحَابَةِ فَالَّذِي جَـرَى بَيْنَهُمْ كَـانَ اجْتِهاداً مُجَـرَّداً
وَقَـدْ صَـحَّ فـي الأَخْبارِ أَنَّ قَتِيلَهُمْ وَقَـاتِلَهُمْ فَـي جَنَّـةِ الْخُـلْدِ خُـلِّدَا
فَهٰـذَا اعْتِقَـادُ الشَّـافِعِـيِّ إمـامِنَـا وَمـالك والنُّعْمـانِ أَيْضَـاً وَأَحْمَـدَا
فَمَـنْ يَعْتَقِـدْهُ كُـلَّهُ فَهْـوَ مُـؤْمِـنٌ وَمَـنْ زَاغَ عَنْـهُ قَـدْ طَغَـى وَتَمَـرَّداَ

وَصَلى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قصــــــــة

تَوَجَّهَ عَافِيةُ بنُ يَزِيْدُ الأَودِي القاضي إلى المهدي يوماً في وقتِ الظَّهيرة لِمقابَلَتِهِ عَلى عَجَل .

فلمَا أذِنَ لَهُ إذَا بِهِ يحمل أوراقَه بينَ يَديه ويَسْأَل المهدي أن يُعْفيهِ مِن القضـاء ويَسْتـأذنـه في تسليم الأوراق التي في حَوْزَتِـهِ إلى مَن يَأمُر الخليفةُ بتَسليمها له .

وظَنَّ الخليفـةُ أن القـاضِيِ عَافية قَد أَقْدَمَ عَلى طَلَبَ الاسْتِعْفَاءِ مِن القَضَاء لأن أحد رِجالِ حَاشِيَته ومَنْ هُم مَحْسُوبُونَ على الخَليفةِ قد تَطاوَلَ عَليهِ أو نالَ منه أو أَسَاءَ مُعَامَلَته أو أَبْدَى عَدَمَ إحْترامٍ له أو تَدَخل في شأنٍ مِن شؤون قَضائِهِ فأضْعَفَ سُلْطَانَه في تنْفِيذِ أحْكامِهِ ولشَدَّ مَا كانَتْ دَهْشَةُ الخَليفةِ حِيْنَما عَرَفَ أنه لم يَقَعْ شيَءٌ مِن ذلك .

فأحَبَّ الخَليفةُ أن يَتعرَّفَ مِن ذَلكَ السَّبَبَ الحَقِيْقِي الذي دَفَعَ القَاضِي إلى الاسْتَعْفَاءِ على عَجَلٍ في ذلك الوَقْتِ الذي يَلْجأُ الناسُ فيه إلى الرَّاحَةِ وهوَ وَقْتِ الظَهيْرةِ .

ولما أصَرَّ الخليفةُ عَلى طلب مَعْرفَةِ السَبب لم يَجِدَ القاضِي بُداً من أن يَرْوي لَهُ ما جرىَ لَه مما كان سَبَباً في طلب الإِعْفَاءِ حِرْصَاً على دِيْنِه وَطَهَارةً لِنَفْسِهِ .

فقال القاضي عافِيةُ مُنْذُ شَهْرَيْنِ وأنا أتَابعُ البَحْثَ في إحدى القَضَايَا المُعْضِلَةِ مُحَاولاً أَنْ أصِلَ فيها إلى وَجْهِ الحَقِّ فقد تَقَدَم إليّ خصمَان مُوْسِرَانِ وَجِيْهَانِ في قضِيَّةٍ مُعْضِلَةٍ مُشْكِلَةٍ .

وكُلُّ منهما يَدَّعِي بَيِّنَةً وشُهُوداً ويُدْلي بحُجَجٍ تحتاجُ إلى تأمُلٍ وتَثَبُّتٍ .

ولما لم يَتَبَيَّنْ لي وَجْهُ الحقِ رَددْتُ الخُصُومَ رَجَاءً أن يَصْلَحُوا أو يَتَبَيَّنَ لِي وجْهُ فَصْلٍ بَيْنَهُمَا .

وأثْنَاءَ ذَلِكَ وَقَفَ أحَدُ الخَصْمَيْنِ مِن خَبَرِي على أني أحِبُّ الرُّطَبَ السُّكَريْ .

فَعَمَدَ في وقْتِنَا هذا وهُوَ أَوَّلُ وقْتِ الرُطَبِ وجَمَعَ رُطَباً سُكَّرياً لا يَتَهيَأ في هذا الوقتِ لأحدٍ جَمْعُ مِثْلِهِ إلاَّ لأَمِير المؤمنين وحَقاً مَا رَأيْتُ أَحْسَنَ منه .

ثم عَمَدَ إلى بَوَّابِي فَرَشَاهُ جُمْلَةَ دَرَاهِم لِيُدْخِلَ الطَّبَقَ إليَّ على أنه لا يُبَالِي بَعْدَ ذَلكَ أَنْ أقْبَلَ الطَّبَقَ أو أَرُدَّهُ .

فلما أُدْخَلَ الطبقَ إليَّ أنْكَرْتُ أمْرَهُ وطَرَدْتُ بَوَّابِي وأمَرْتُ بِرَدِّ الطَّبَقِ فَرَدَّهُ لِسَاعَتِهِ .

فلما كان اليومُ تَقَدَّمَ إليَّ هَذَا الرجلُ مع خَصْمِه فَهَالَنِي أنَّهُمَا لَمْ يَتَسَاوَيَا في قَلْبي ولا في عَيني .

وهذا يا أمير المؤمنين وأنا لَم أَقْبَلْ فكيف يكون حَالي لو قَبلْتُ ولا آمَنُ أن يَقَعَ على حِيْلَةٍ في دِيْني فأهْلِكُ وقد فَسد الناسَ فأقِلْني أقَالَكَ الله وأعْفِني .

ولم يَسَعِ الخليفةُ وهو يَستَمِعُ إلى ذلك الكلامِ المنبي عن شِدَّةِ الوَرَعِ

والحرص الخالص على نزاهةِ الحكم وبُعْدِ القاضي عن المؤثرات أيّاً كان نوعُها إلاّ أن يَسْتَجِيْبَ لِطَلَبِ القَاضِي النَّقِي النَّبِيْل فأعْفَاهُ مِن القَضَاء .

فَتَأَمّلْ هَذِه القِصَّةِ بدقة . وقارِنْ بَيْنَهُ وبَيْنَ كَثِيرٍ من قُضَاةِ هذا الزمن يَتَبَيَّنُ لَكَ الفرق العظِيمُ والبُوْنُ الشاسِع نسأل الله العافية .

اللَّهُمَّ أَحْي قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بنُورِ الايْمَانِ وَزَيِّنْهَا بِمَحَبَّتِك وَجَمِّل أَلْسِنَتَنا بِذِكِرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسِّنْ أعْمَالَنَا وَوَفِّقْنَا لِحِفْظِ أَوْقَاتِنا وَأَحْيِنَا حَيَاةً طَيِّبَةً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ وَصَلَّى الله عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــــلٌ)

٥ [موعظـــــــــة]

عباد الله يجب على مَن لا يَدْرِي مَتَى يَبْغَتُه الموتُ أن يكونَ مُسْتَعِـداً لَهُ ولا يَغْـتَرَّ بشَبَابِهِ وصَحَّتِهِ فإن أقلَّ مَن يَموتُ الشُيوخُ الطاعِنين في السن .

وأكثرُ من يموت الشُبانُ خُصوصاً في زمننا الذي كثُرتْ فيه الحوادث ولهذا يَنْدُرُ مَن يَكْبرُ وقد أنشدوا :

يُعَمَّرُ واحدٌ فَيَغُرُّ قَوْمـــاً ... ويُنْسَى مَن يَمُوتُ من الشَّبَاب

آخــــر :

لا تَغْتَرِرْ بشَبَابٍ ناعِمٍ خَضِلٍ ... فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبَ شُبَّانُ

ومما يعينكَ على الجد والاجتهاد في الطاعة تصور قِصَرَ عُمُركَ وكَثْـرَةَ الأشغال ، وتصور قُوةَ الندم على التفريط والاضاعة عند الموت ، وطول الحَسْرَةِ على البدار بعد الفوت .

وتصــور عظم ثواب الســابقـين الكاملين وأنْتَ ناقص ،

والمجتهدين وأنْتَ متكَاسل ، واجْعَلْ نصبَ عَيْنَيْكَ ما يَلِي : قوله تعالى ﴿ يوم تَبْلُو كُلُ نَفْس ما أَسْلَفَت ﴾ .

وقوله تعالى ﴿يومَ تَجِد كُلُّ نفس ما عَمِلَتْ مِن خيرٍ محضرا﴾ .

وقوله تعالى ﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ﴾ .

وقـوله تعالى ﴿ أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله ﴾ .

وقوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذْ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ فتصور الحسرة والندامة والحُزنَ عندما ترى الفائزين .

إذا أنْتَ لم تَرْحَلْ بزَادٍ مِن التُقى   وأبْصَرْتَ بَعْدَ الموتِ مَن قد تزوَّدَا
نَدِمْتَ على أنْ لا تكُونَ كمِثْلِـــهِ   وأنَّكَ لم تُرْصِدْ كَما كَانَ أرْصَـــدَا

فالبـــدارَ البـــدارَ والحـــذر الحَـذَرَ مِن الغفلة والتسـويف وطول الأَمل فإنَّهُ لولا طولُ الأمل ما وَقَعَ إهْمَالٌ أصْلاً .

وإنـما يُقْدِمُ على المعاصي ويُؤخر التوبةَ لِطُول الأمل وتَبادُرِ الشهوات .

وتَنْسَى التوبةُ والإنابةُ لِطُول الأمل وتَفَقَّد أوقاتَكَ وما عَمِلْتَ فيها من الذُنُوب .

وتنْسَى التـوبـةُ والإنابةُ لطُول الأملِ فيا أيُّها المُهْمِلُ وكُلُّنا كَذَلِكَ انْتَهِز فُرصَةَ الإمكان وتَفَقّد أوقاتَكَ وما عَمِلْتَ فيها من الذُنُوب .

فبادر في محوها بالتوبة النصوح وأكثر من الدعاء والاستغفار كُل وقت خصوصاً أوقاتَ الاجابة .

ومن أوقـات الأجابـة ثُلُثُ الليلِ الآخـر . قال تعـالى ﴿ وبالأسْحَارِ هم يَسْتَغْفِرون ﴾ .

ويومُ الجمعة عند صعود الامام المنبر للخطبة .

وفي آخر ساعةٍ من يوم الجمعة وعند دخول الامام للخطبة .

وعندما تسمع الأذان إلى أن يفرغ .

وبين الأذان والاقامة .

وبعد الصـــــلاة الفريضة وبعد النافلة .

وعند الفطـــــر للصائم وفي أيام رمضان ولياليه .

وعند نُزُول الغَيث .

وعَشية عرفـــــة .

وفي السجـــــود .

وعند ختم القرآن وفي ليلة القدر .

وعند البكاء والخشية من الله .

فعـلى الانسـان أن يُكْثِـرَ مِن الدعاء والالحاح فيه ، فإن الدعاءَ له أثرٌ عظيم ، ومَوْقِعٌ جَسِيم ، وهو مُخُ العبادة .

لا سيما مَعَ حُضور قلب ، وإخباتٍ ، وخُشوع ، وذُلٍ ، وانكسـار ، ورقّـةٍ ، وتضرع ، وخَشيةٍ ، واستقبال القبلة حَالَ دُعَائِهِ وعلى طَهارة ، ويُجَدِّدُ التوبة ، ويُكثر من الاستغفار ، ويبدأ بحمد الله وتنزيهه ، وتمْجيْده ، وتقْدِيْسِهِ ، والثَّناءِ عليه ، وشكره ، ثم يصلي على النبي ﷺ بعد الثناء على الله .

ويدعـو بالـدعاء المشروع باسم من أسماء الله الحسنى ، مناسب لمطلوبه ، فإن كان يُرِيْدُ عِلماً قال يَاعَليم عَلِمْني ، وإن كان يطلب رَحْمَةً قال يارحمنُ إرحَمْني ، وإن كان يَسْأَلُ رزْقاً قال يارَزَّاقُ أرْزُقْني ونحو ذلك ، ويُوقِنُ بالاجابة ، فإن الله جل وعلا أصدقُ

القائلين وقد قال سبحانه وتعالى ﴿ أدعُوني اسْتجِبْ لكم ﴾ وقال لرسوله ﷺ ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيْبُ دعوة الداعي إذا دَعَان ﴾ وقال عَزَّ مِن قائل ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخُفْية ﴾ وقال ﴿ أمَّنْ يُجيب المضطر إذا دعاه ﴾ وهو سبحانه أوفى الوَاعِدِيْن قال تعالى ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ﴾ وقال جل وعلا ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ ﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾ وقال أهل الجنة ﴿ الحمد لله الذي صَدَقنا وعده ﴾ .

وإذا وقعت في محنة يصعب الخلاص منها ، فليس لك إلا الدعاء واللجاء إلى الله ، بعد أن تقدم التوبة من الذنوب ، فإن الزَّلل يُوجبُ العقوبة ، قال الله جل وعلا ﴿ وما أصابكم من مُصِيْبَةٍ فبما كسبت أيدكم ﴾ .

فإذا زَالَ الذَّنْبُ بالتوبةِ الصادقة النصوح ، إرتفع السَّبَب . فإذا أثَبتَ ودَعَوتَ ولم تَر لإجابةِ الدُعَاءِ أثراً ، فَتَفَقَّدْ نَفْسَك فربما كانت التوبةُ ما صَحَّت فَصَحِّحْها .

ثم ادْعُ ولا تَضْجَر ولا تمل من الدعاءَ فإنه عبادة ، وربما كانت المصلحة في تأخير الاجابة ، وربما لم تكن المصلحة في الاجابة ، قال تعالى ﴿ وعَسَى أنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وهو خَيْرٌ لكم وعَسَى أنْ تُحُبوا شيئاً وهو شرٌ لكم ﴾ .

فأنْتَ تُثاب وتُجَابُ إلى مَنَافِعِكَ ومِن منافعك أنْ لا تعطي ما طَلَبْتَ بل تعوض غيره .

فإذا جاءك الشيطان فقال إلى مَتَى تدعو ولا تجاب فقل : أنا أتعبد بالدعاء ، الدعاء مخ العبادة وأنا واثق كل الثقة بالاجابة لأن الله أصدق القائلين .

وقد قال جل وعلا وتقدس لنبيه ﷺ ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان** ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ **أدعوني أستجب لكم** ﴾ .

واعلم أنه رُبَّما كان التأخيرُ لبعض المصَالح فهـــو يجيءُ في وقتٍ مُنَاسِب وإذا سألت شيئا فاقرنه بسؤال الخيرة فربما كان المطلوبُ سبباً للهلاك .

وإذا كُنْتَ قَدْ أمِرْتَ بالمشَاوَرَةِ في أمُـورِ الدنيا لِيُبَيِّنَ لكَ صَاحِبُكَ في بعض الآراء ما يَعْجَزُ رَأيُكَ عنه ثم ترى أن ما وقع لكَ لا يَصْلَح فكيفَ لا تسأل الخيرَ ربَّكَ الذي أحاط بكل شيء علماً ، والاستخارة مِن حسن المشاورة .

كُلُ الوُجُوْدِ لِعِزِّ قَهْرِكَ خَاضِــعُ ... والكُلُ في صَدقاتِ جُودِكَ طَامِعُ
يامَعْشَرَ الفُقَراءِ أمُّوْا بَابَـهُ ... فَهُنَاكَ فَضلٌ لِلْبَرِيَّةِ وَاسِــعُ
يُعْطِي العَطَاءَ فلا يُمانِعُ مَانِـعٌ ... يَقْضِي القَضَاءَ فلا يُدَافِعُ دَافِعُ
ما لِلْعِبَادِ عَليه حَقٌ واجِـبٌ ... كَلَّا ولا سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَـائِعُ
إن عُذِّبُوا فبعَدْ له أو نُعِّمُـوْا ... فبِفَضْلِهِ وهُوَ الكرِيْمُ الواسِـعُ
إلزَمْ طَرِيْقَ الذِكْرِ عُمْرِكَ دَائِبـاً ... فالذِكْرُ في القَلْبِ المحبَّـةَ زَارِعُ

قال أحـدُ الـوُعاظ هذا نذير الموت قد غدًا يقول الرحيل غداً ، كأنكم بالأمـر وقـد قَرُبَ ودَنا ، فطوبى لِعَبدٍ اسْتَيْقَظ مِن غَفْلتِه ووَعا .

كيف بكم إذا صَاحَ إسرافيلُ ونفخ في الصور قال جل وعلا ﴿ **ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون** ﴾ .

فتصور خُروجَك مَذْعُوراً تَسْعَى مِن تحْتِ المَدَرِ وقد رُجَّتِ الأرضُ وبُسَّتِ الجبال وشخَصَتِ الأبصارُ لِتلك العَظائِم والأهوال

والمزعجات ﴿ وخَشَعَتِ الأصواتُ للرحمن فلا تَسمعُ إلا همسا ﴾ .

فَقَلِقَ الخَائِفُ ، وشَابَ الصَّغِيرُ ، وَزَفَرَتِ النارُ ، وأحَاطَت الأوزار ، ونُصِبَ الصِراط ، وَوُضِعَ المِيزان ، وحَضَر الحِسَاب .

وجي بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ، قال تعالى ﴿ وجيء يومَئِذٍ بجهنم يَومئذ يتذكر الانسانُ وأنَّى لَهُ الذِكرى ﴾ .

وشَهِـدَ الكتاب وتَقَطَّعَتِ الأسباب ، فكم مِن كبيرٍ يَقُولُ واشَيْبَتَاهْ ، وكم مِن كَهْلٍ يُنَادِي بأعلى صَوْتِهِ واخَيْبَتَاهْ ، وكم مِن شاب يصيح واشَبَابَاه .

وبَرَزَت النارُ ، قال الله جل وعلا وتقدس ﴿وبُرِّزَتِ الجحيم للغَاوين﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿وبُرِّزَتِ الجحيم لمن يَرى﴾ .

وسَمِعَ الخَلائِقُ حَسِيْسَهَا إلَّا مَن سَبَقَتْ له الحُسْنَى من الله قال تعالى ﴿إن الذين سَبقَت لهم منا الحُسْنَى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حَسِيْسَهَا وهم فيها اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ .

وأيقنَ بالردى والهلاك كل فاجر ، قال تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذالقلوب لدى الحناجر ﴾ وقامَت ضَوْضَاءُ الجَدَل ، وأحاط بصَاحِبه العَمَلُ قال جل وعلا وتقدس ﴿ ورآى المجرمون النار فَظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مَصْرِفا ﴾ .

وحالت الألوان ، وتوالت المِحَنُ عَلى الانسان ، فأينَ عُدَّتُكَ يَاغَافِلُ عن هذا الزمان ، أين تصحيحُ اليقين والايمان .

أتَــرْضَى بالخُسرانوالهــوان ، أمــاعَلمْتَ أنَّــك كماتَدينُ تُدَان أما تخاف أن تقول ﴿ يا حَسْرَتَا على ما فرطتُ في جَنْبِ الله ﴾ أما علمتَ أعظم الخسران .

قال جل وعلا وتقدس ﴿ قل أنَّ الخاسرينِ الذين خسروا أنْفُسَهُم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسرانُ المبين ﴾ .

كم في كتـابك من خطأ وزلل ، وكم في عملك من سَهو وخَلَل ، هذا وشَمْسُ عُمْـرِكَ على أطْـرَافِ الـذوائب وقـد قَرُبَ الأجـل، كم ضَيَّعْتَ واجبـاً وفـرضاٍ ، وكم نَقَضْتَ عَهْداً مُحْكَماً نَقْضَا، وكم أتَيْتَ حَرَاما صَرِيحاً محْضا ، يا أجْسَاداً صِحَاحاً فيها قُلُوبٌ مَرْضَى .

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الأيمانَ هادِماً لِلسيئآت ، كَمَا جعَلْتَ الكُفْرَ هَادِمَاً لِلْحَسَنَاتِ وَوَفقنا لـلأَعْمَالِ الصـالِحاتِ ، واجعلنـا مِمَّنْ تَوكَّـلَ عَليكَ فَكَفيْتَهُ ، واسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فأجَبْتَهُ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياءِ منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

[فصـــــــــــل]

نُبــذَةٌ مِمَّا جَرَى لأولياءِ الله مِن المِحَن والقَتِل والضرب مِن الظلمة والطُغاة والمُجْرمَين جَازَاهُم الله بما يَستحقون .

لما قتـل الحجَاجُ بنُ يوسف عَبدَ الله بنَ الزُبَير أمَرَ بخشبةٍ فَصَلبه عليها .

فلما أقبلت أمُّهُ أسْمَاءُ بنتُ أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

إلى الخشبة فعانَقَتْهَا وجَلَسَت تبكِي وتقول واغوثاه .

ياللّه ما أعظم ما نَزَل بَنا بعدك يا محمد يارسول الله لو تُدْرك ما نَزَل بعدك بأصْهارِكَ وأرْحَامك وأبْنَاءِ المُهَاجِرين لرَأيْتَ أمرًا عظيما .

اللهم فبلغ عنا نبيك ﷺ في عَظِيم ما نزلَ بنَا فأخبرَ بمَقَالتها عبدَاالله بنَ عُمر فبكَى حتى كادَتْ نَفْسُه تَفِيْض .

ثم قال لابنه قُدْني إليها وقد كَبُرَ وكان يَرْتعش مِن الكَبر وكان قد عُمِّرَ فقادَه ابنُهُ إليها فلما أشْرَفَ على الخَشَبة نَظَر إليه مَصْلُوبًا .

قال سَمِعْتُ رسـول الله ﷺ يقـول ليَقْتُلُني أميْرٌ جَائِر على طَاعَـة أحبُّ إليَّ مِن أمُـوْتَ مُجاهِدًا في سبيل الله فَأَتَى شقيٌ مِن الأشقياء فَبَلَّغَ ذَلكَ إلى الحجاجَ فبلغَ منه قولُ ابن عمر كُلَّ مَبلغ .

فركبَ إلى خشبة بن الزُبَير فأصابَ أمَّهُ عندَها تبكيْ وابنَ عُمَر وابنَه سالَما فقال لَيس مِثلُه يُبكى عليه فقال ابنُ عمر قومى فقامت ولم تكلِمْهُ وانصَرَف ابنُ عُمرٍ إلى مَنْزله .

فدَعا الحجاجُ رجالَه فقال إنَّ ابنَ عُمَر بنِ خَلِيفَة وصَاحبُ رسول الله ﷺ وأخافُ إن خَرَجْنا أن يَستَحل مِنّا مَا اسْتَحَل ابنُ الزُبير وعُلماءُ العِراق .

قالوا فما ترى قال هذا أعْظَم مما كان مِنَّا إنما عَمَدْنَا إلى جَبَلِ الإسلام وحَاجِب محمد ومَن عُرِضَتْ عليه الخلافة فلم يقبلها ومَن حج أربعين حجة ومن سَمَّتْهُ قُرَيْشُ حَمَامَةَ البَيْت يُريْد بن عمر .

وقَدْرُهُ في العَرَب كَما عَلِمتُم وحُبُّ الأوس والخَزْرِج لأبيه عُمر بن الخطاب . نَعُوذُ بالله مِن الظَّلَمةِ وأعْوَانِهم .

فبعثَ الحجاجُ غلامَهُ أنْ يركب فَرَسًا جَامحًا وأمَرهُ أنْ يَطحَنهُ بالفَرس ويَقْتُلَه .

فركبَ الغُـلام الفَـرسَ فَنـظَر إلى ابن عمر وهو سَائِرٌ يومَ الجُمُعَة فَحَمل عليه وصَدَمَهُ ورَضَّهُ .

فَبَادَرَ الناسُ إليه وقَالُوا ياغُلام أهْلكْتَ المُسْلِمين في علمهم فَطَلبَك الله وأقام الحجاجُ يَنتَظِر مَوْتَه .

فلما أبطأ عليه عمد إلى الحديدة التي في الرمح فَسَمَّهَا سُمًا نَاقعًـا وجَعَلهَـا في عَصَـا وقال لأحَدِ رِجاله ضَعْه على ظَهْر قَدَمِهِ واتَّكِىءْ عليه حَتَّى يَدْخُل .

فإن قال أهلكْتَني فقل ما عَلِمْتُ أن رِجْلَكَ هَا هُنَا .

فَفَعَل ذَلكَ ثم خَرجَ عنه فاشْتَعَل جَسَدُ ابنِ عُمَر سُمًا فأقامَ ثلاثةَ أيام فمات رحِمةُ الله عليه .

ودَخَل الحَجَاج على ابن عمر يَعُوده قبل مَوْته فقال ابنُ عُمر أنْتَ قَتَلْتني ، حَسْبُنا الله ونعم الوكيل .

ومَن الذين أوذُوْا في سبيل الله وقتِلوا سعيدُ بنُ جبير وقصته أشهر مِن تذكر فلا نطيل بذكرها وكان قد دعا من قبل أن يَذْبَحهُ الحَجَاج فقال اللهم لا تُسَلِّطه على أحَدٍ يَقتُلُه بَعْدِي .

وقيل إنه عاشَ بَعد قتلهِ لِسَعِيد سِتةَ عَشَر يومًا فقط وقَعَتِ الآكلة في بَطْنه .

وكانَ يَنَادِي في بَقية حياتِهِ مَالِي ولِسَعيد بن جبير كُلَّما اردْتُ النومَ أخَذَ برجْلي .

وقيلَ دَعَا عليه بالزَّمْهَرِيْر البَرْدِ العَظيم فكانُوا يَجْعلون حَولَه الكوانِين تلْتَهبُ جَمْرًا مَعَ مَا عَليه من الثياب التِي يُدَثِّرونَه بها .

فمازَالَ في العذابَ الأليم ثم أرْسَلَ في طلب الحسن البصري التابعي المشهور فأتاه واشْتكي إليه ما نَزَلَ به مِن الألم ، فقال قَد نَهَيْتُكَ مَرةً بعْدَ أُخْرى لا تَتَعَرَّضْ لِلصَّالحين ، ولا تكن منهم إلا بسبيل خَير فأبَيْتَ وَلَجَجْتَ (ليقْضِيَ اللَّهُ أمرًا كان مَفعُولا) .

وذكر في كتاب المَحن أن الحجاج أرسَل إلى أبي صَالح مَاهَان المُسَبِّحُ فلما أتاه قال بَلغَنِي عَنكَ صَلاحٌ وخَيْرٌ وإني أرِيدُ أن أولِّيكَ القَضاء .

قال لَهُ أنا قال نَعَمْ قال أنا لَا أُحسِن أعُدُّ عَشرة قال يامُرائِي علي تَتَبَالَهْ .

قال والفُراتُ قَدْ مَدَّ فَعَدَا من بين يَدَيْهَ وهو شيخ كبير يَجْنَح حتى وقَفَ على جُرْفِ الفُراتِ .

فقال اللهم إنْ كنتُ مُرَائِي كما زَعَم الحَجَاج فغَرِقْنِي قال فرمَى بنَفْسِهِ .

فقام على مَتْن الماء فلم تَغِبْ قدَمَاهُ قال فوالله ما نَهْنَهَهُ ذلك فأخَذهُ وصَلَبَه على بابه .

ومِمَّن ضُرِبَ مَالِكَ ابنُ أنس رضِي الله عنه وذلك أن الحُسَّادَ دَسُّوْا إلى أبي جعفر بن سليمان مَن قال له إنَّ مَالكًا يُفْتِي الناس أن أيْمان البيعة لا تلزمهم لمخَالَفَتِكَ واسْتكارهك إيَّاهُم عَليها .

فدَسَّ عليه جَعْفَرُ مَن يَسأله عن ذلك فأفتاهُ مَالِك طُمَأنينَةً إليه وحسْبَةَ منه .

فجاءَهُ رسُولُ جَعْفر بن سليمان وإتى بهِ مُنْتهك الحُرْمَةِ مُهَانًا فأمَر به جَعْفر فضِربَه سَبْعِينْ سَوْطًا .

ومِنْ مَا جرَى على عبدالله بن عون البصري الذي قيل ما كان بالعراق أعلم بالسنة منه .

وكان ورعًا تزوج إمرأةً عَربية فضربَه بلال بنُ أبي بردة عشرة أسواط وقال له إنزل عنها قال لا أفعل فقال له بلال والله لا أبرح أضربك حتى تطلقها .

فقال ابن عون والله لا أبرح أصبر ولا أطلقها حتى أعْجَز قال وكان رجلا نَحِيْفًا لا يَحتمل الضّرب بالسوط قال فضربه أيضا عشرة أسواط وقال بلال هو ما ترى .

قال فأمر به فضرب عشرة أسواط وقال يا ابن عون هو ما ترى حتى تُطلِقَها قال هي طالق قال بتتها .

وممن امتحن عطاء بن أبي رباح وذلك أن رجلا أتى من الحجاج إلى مسجد مكة .

فنام فكشفت الريح الثوب عن بطنه فظهر جراب الفلوس فمر به أصحابه فخافوا عليه فنزعوا الجراب .

وبعد قليل انتبه الرجل فنظر فإذا جِرَابَه مأخوُذ فنظر يمينًا وشمالا فلم يَرى حَولَهُ إلا عَطاء بن أبي رباح قائما يُصَلي .

فَجَاءَهُ فأخَذَ بتَلابيْبهِ وَضيَّقَ عليه وقال له يا عَدُوَّ الله فَعَلْتَ الذي فَعلْتَ بي فَلَمَّا رَهَقْتُكَ قُمتَ تُصَلي .

فقال له ما بَالُكَ يا هذا قال منْطَقَتي حَلَلْتَها (أي الجراب) قال له وكم فيها قال مائتان دِيْنار قال فهل سَمِعَ بهذا غيرُكَ قال لا .

قال فاذْهَبْ مَعِي حتى أعْطِيْكَ ما ذَهَبَ لكَ قال فذهبَ فَعَدَّ لَهُ مِائتَي دِيْنار فذهبَ إلى أصْحَابه فأخبرهم الخبر .

فقالوا لَه ظَلَمْتَ والله الرجَل كان مِن قصَّتِنَا كَيْتَ وكَيْتَ ثم حَلَلْنَا عَنْكَ خَوفًا عَلَيْهَا وها هِيَ هَذه .

فقامُوا بأجمعهم إلى الرجُل فوقَفُوا عليه فسألوا عنه فقيلَ لَهُم هو عَطَاء بن أبي رباح فَقِيْهُ أهل مكة وسَيِّدهم .

فاعْتَذَرُوا إليه وسَألُوهُ أن يَجْعَل الرجلَ في حِلٍّ ويَقْبَلَ الدَّنَانِير .

فقال لهم هَيْهاتَ ما كانَتْ بالتي ترجَع إليَّ إذْهَبْ فأنْتَ في حِل وهَي لك .

شَمِّـر عَسَـى أنْ يَنْفَـعَ التَّشْمِـيرُ وانْظُرْ بِفكْـرِكَ ما إليْـهِ تَصِـيْرُ
طوَّلْتَ آمالاً تكَنَّفَهَا الهَوَى ونسِيتَ أنَّ العُمْرَ منكَ قصِيْرُ
قد أفْصَحَتْ دُنْيَاكَ عن غدَرَاتِها وأتَى مَشِيْبُكَ وَالمشِيُبُ نَذِيْرُ
دَارٌ لَهَوْتَ بزَهْوِهَا مُتَمَتِّعًا تَرْجُوْ المقامَ بهَا وأنْتَ تسيْرُ
واعْلَمْ بأنكَ رَاحِلٌ عَنْهَا ولَوْ عُمِّرْت فيها مَا أقامَ ثَبِيْرُ
لَيْسَ الغِنَى في العَيشِ إلا بُلْغَةَ ويَسِيْر ما يَكْفِيْكَ منه كثِيْرُ
لا يَشْغَلَنَّكَ عَاجِلٌ عن آجلٍ أبَدًا فَمُلْتَمِسُ الحَقِيْر حَقِيْرُ
ولَقَدْ تَسَاوَى بَيْنَ أَطْبَاقِ الثرَّى في الأَرْضِ مأمُوْرٌ بهَا وأمِيْرُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصـــــــل]

بعث أبو جَعْفَر في طلب أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق فقيل له إن أمير المؤمنين متغيظ عليك فدخل وهو يُحَرِّكُ شفتَيْهِ .

فلما رآه أبو جعفر نهض إليه واعْتَنَقَهُ وأجْلسَه معه ثم عانقه .

وقال له يا أبا عبدالله ما هذا الذي يَبْلُغُنِي عنك لقد هَمَمْتُ .

فقال له إن أيوب ابْتُلِي فصبر وإن سليمان أعْطى فشكر وأنْتَ من ذلك النَسْج .

قال ، فيُرْفَعُ إليَّ أن الأموال تُجْبَى إليك بلا سَوُطٍ ولا عَصَا ثم أمر بالرافع فأحْضِرَ .

فقال أبُو عبدالله أحَقًا رَفَعْتَ إلى أمِير المؤمنين قال نَعَمْ ، قال فاسْتَحْلَفْهُ يا أمير المؤمنين قال أبو عبدالله رد اليمين عليه .

فقال له أبو جعفر إحْلفْ فقال والله الذى لا إله إلا هو فقال له أبو عبدالله ليس هو كذا إنَّ العَبْدَ إذا مَجَّدَ اللَّهَ في يَمِيْنِه أمْهلَهُ في العُقُوبة .

ولكنْ قُلْ أنا بَرىءٌ مِن اللَّه واللَّهُ بَرىءٌ مِّنْي وأنا خَارِجٌ مِن حَوْلِ اللَّهِ وقُوَّتِهِ رَاجِعٌ إلى حَوْل نَفْسِي وقُوتِها .

قال فحَلَفَ فَوَاللَّه ما رُفعَ إلا مَيِّتا فَرَاعَ ذلك أبا جَعْفَر وقال انْصَرفْ يَا أبا عَبْدَاللَّه فَلَسْتُ أسْألُكَ بَعْدَهَا .

وسئِل عمَّا حَرَّكَ به شَفَتَيْهِ حِيْنَما دَخل عليه فَقَال قُلْتُ اللهم بك اسْتَفْتِحْ وبك اسْتنتج اللهم ذَلِلْ حُزونَته وكل حُزُوْنة وسَهِّلْ لي صُعُوبَتَهُ وكلَّ صُعُوبة .

اللهم أعْطِني منه مِن الخير ما أرجُو واصْرِفْ عَني منه مِن الشر ما أحْذَر فإنك تمحُو ما تشاءُ وتُثْبِتُ وعندَكَ أمُّ الكتاب ولا حَول ولا قوةَ إلا بالله .

كان صفوان بن سليم قد كُفَّ بَصَرُهُ في آخر عمره فبينما هو ذاتَ يَوم بالسوق يُقَاد إذ دخل بلال بن أبي بُردَة فسمع الطريق

والجلاوزَة بينَ يدَيْهِ .

فقـال مَا هذا فقيل بلال فقال سحائب صيف عن قريب تقشع فسمعه بلالٍ .

فقال والله لأُذيقنَّكَ من برْدك شُوبُوْنَا فلما نَزَلَ بهيْكَلِه بَعَث في طلبه ثم ضَرَبَهُ بالسِّيَاط نعوذ بالله من الظلمة وأعوانهم

عن مالك بن أنس أنه قال لو قيْلَ لِصَفْوانَ بن سليم غدًا يومُ القيَامَةِ ما قَدرَ على أن يَزيدَ على ما هو فيه من العِبَادَة شَيْئًا .

ومِنَ ذلك ما امتحنَ به أبو مسلم الخولانيْ لما أُلْقيَ في النار وذلك أن الأسود العَنَسِي تَنَبأ باليَمن فَدَعَا أبا مُسْلم الخولانيْ فقال إِشْهَدْ أني رسول الله .

قال لا أسْمَعْ قال اشْهَدْ أنْ محمدًا رسول الله قال نَعَم فأمر الأسودُ بنار فَقَذَفَ فيها أبا مسلم فخَرَجَ يَرشَح عَرَقًا .

فقيل للأسود إنفِه عَنكَ لا يُفْسِدُ عليكَ الناس فأخرجُوهُ ثم قدمَ المدينةَ وبها أبُو بَكر وعُمر رضي الله عنهما .

فقال له عُمر مِن أين أقبل الرجُل قال مِن اليمنْ قال ما فَعَل الرجلُ الذي أحْرَقَهُ الكذَّاب قال ذلكَ عَبدُالله بنُ ثَوب .

قال له عُمـر أنشـدُكَ بالله أنْتَ هُو قال نعم قال فأدْخَلَه وأجلسَهُ بينَه وبينَ أبي بكر .

وقال الحمدُ لله الذي أراني في هذه الأمة مَن فُعلَ به مثلَ مَا فُعلَ بإبراهيم خليل الرحمن .

ومَّنْ قُتِلَ صَبْرًا كُمَيْل بنُ زياد النَّخعي الكُوفي كان شجاعا زاهدًا قَتلَهَ الحجاجُ بنُ يُوسف .

وذلِكَ أن الحَجاجَ نقم عليه لأنه طَلَبَ من عثمان بن عفان

القِصَاصَ مِن لطْمَةٍ لَطَمَها إيَّاهُ فلَمَّا مَكَّنَهُ عُثمان من نفسه عَفَا عنه .

فقال له الحجاجُ أومِثْلِك يَسْأَلُ مِن أمِيْرِ المؤمنينَ القِصَاصَ ثم أمر به فضُرِبَتْ عُنُقُهُ نسْأَل العافية .

وذكر أنَّ رِياحَ بنَ يزيْد على أتانه في سفر إذْ غَشيَتْهُ السَّلاَبَةُ (أي قطاع الطريق) وهو يَسِيْرُ فاخَذُوْا أتَانَهُ ونَزَعُوا ثِيَابه إلاَّ واحدًا ثم ذَهَبُوا عنه .

فمال رِيَاح إلى مَوضع فأحْرَمَ بتكْبيْرَةٍ ثم أقبل يُصَلي فبَيْنَما هُو يُصَلي إذ أظْلمت السَّماء فلم تَدْرِي السَّلابَةُ أيْنَ يَتوجَّهُون .

فلَمَّا طَوَّل في الصلاة قالوا أحْسنْ صَلاتَكَ ياعبدَالله أما تَرى ما نَزَل بنا ولا نَحْسَبُ ذلك إلاَّ مِن أجْلِكَ .

فَسَلَّم ثم التَفَتَ إليهم فقال مَا تُرِيْدُوْنَ أخَذْتُوا ثِيابي وحِمَارِي فَرَدُّوا عليه ثيابه ودابتَهُ فانجلتْ عَنهم الظُّلمة .

فَرغبُوا عندَ ذلكَ إليه وسَألُوهُ مَن هُو وأقسَمُوا عليه فقال لهم رِيَاح بن يَزيد .

طَالِعْ تَوارِيْخ مَن في الدهرِ قد وُجِدُوا ... تَجِدْ خُطُوْبًا تُسَلِّيْ عَنْكَ مَا تَجِدُ
تَجِدْ أكَابرَهُمْ قَدْ جُرِّعُوا غُصَصًا ... مِنَ الرَّزَايا بِهَا قَدْ فُتِّتَتْ كُبُدُ
عَزْلٌ ونَهْبٌ وضَرْبٌ بالسِّياط يَلِيْ ... حَبْسٌ وَقَتْلٌ وَتَشْرِيْدٌ لِمَنْ زَهِدُوْا
وإنْ وُقِيْتَ بحَمْدِ اللَّهِ شِرَّتَهُمْ ... فَلْتَحْمدِ اللَّهَ في العُقْبَى كَمَنْ حَمِدُوْا

آخــــر :

إنَّ الشَّدَائدَ قَدْ تَغْشَى الكَرِيْمَ لأنْ ... تُبيْنُ فَضْلَ سَجَيَاهُ وتُوْضِحُهُ
كَمُبْرَدِ القَيْنِ إذْ يَعْلُوْ الحَدِيْدَ بِهِ ... ولَيْسَ يأكُلهُ إلاَّ لِيُصْلِحَهُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصـــــــــــــل]

قال ابن القيم ومِن تَجْرِيْبَات السَّالِكِين التي جَرَّبُوْهَا فألْفَوْهَا صَحِيْحَةً أن من أدْمَنَ (أي أكْثَرَ) من قول « ياحُيُّ ياقيوم لا إله إلا أنْتَ » أوْرَثَهُ ذَلِكَ حَيَاةَ القَلْب والعَقْل .

وكـان شيخ الإسـلام شَدِيْدَ اللَّهْج بهَا جِدًّا وقال لِيْ يَوْمًا لِهَذَيْنِ الاسْمينْ وهما « الحي القيوم » تأثير عظيم في حَيَاةِ القَلْب .

وكأنَّه يُشِيْر إلى أنهما الاسم الأعظم وسمعته يقول مَن واظَب على أربعـين مرة كل يوم بين سُنَّـةِ الفجر وصلاة الفجر « ياحَيُّ يَاقيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث » حَصَلَت لَهُ حَيَاةُ القَلْبِ وَلَمْ يَمُتْ قَلْبُه .

قال العلماء إعلم أنه لا يَقِفُ على الدواء مَن لا يَقِفُ على الداء إذْ لا مَعْنَى لِلدّواء إلَّا مُنَاقضَةُ أسْبَاب الداء ولا يَبْطُل الشيء إلا بضده .

وسَبَبُ الاصرار الغفلة والشهوة ولا تضادُ الغفلة إلا بالعِلم

ذكـر ابن القيم رحمه الله أن من كيده العجيب أنه يُشَام النفسَ حتى يَعْلم أيَّ القُوَّتَيْنْ تَغْلِبُ عليه قوة الإقدام والشجاعة أم قوة الانكفاف والاحجام والمَهانة .

فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام أخذ في تثبِيْطِه وإضعاف همته وإرادته عن المأمور به وثقله عليه فهون عليه تَركه جَملةً أو يقصر فيه ويتهاون به .

وإن رأى الغـالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة أخذ يُقَلِّلُ عنده المأمورَ ويُوهِمُه أنه لا يكفيه وأنه يحتاجُ مَعَه إلى مُبَالغةٍ وزِيادة ينقص بالأول ويتجاوز بالثاني .

كما قال بعض السلف : ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نَزْعَتَان ، إما إلى تفريط وتقصير ، وإما إلى مجاوزة وعلو ، ولا يُبَالي بأيِّهما ظَفِر .

وقـد اقْتَطَعَ أكثر الناس إلا أقلَّ القليل في هذين الوَادِيَيْنِ ، وادي التقصير ووادي المجاوزة والتعدي .

والقليل منهم جدًّا الثابت على الصراط المستقيم الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه .

فقومٌ قَصَّرَ بهم عن واجبات الطهارة .

وقومٌ تجاوز بهم إلى مُجَاوَزَةِ الحد بالوسواس .

وقومٌ قصَّرَ بهم عن إخراج الواجب من المال .

وقومٌ تَجَاوَزَ بهم حتى أخرجوا جميع ما بأيديهم .

وقومٌ قَصَّرَ بهم حتى عن تناول ما يَحتَاجُونَ إليه مِن الطعام والشراب واللباس حتى أضروا بأبْدَانهم وقُلوبهم .

وقومٌ تَجَاوَزَ بهم حتى أخذوا فَوق الحاجة فأضروا بقلوبهم وأبدانهم .

وقَصَّرَ بقوم في حق الأنبياء وورثتهم حتى قتلوهم .

وتَجَاوَزَ بآخرين حتى عَبَدُوهم .

وقَصَّرَ بقوم في خُلْطَةِ الناس حتى اعْتَزَلُوهُم في الطاعات كالجمعة والجماعات والجهاد وتعَلُّم العِلْم .

وتَجَاوَزَ بقَومٍ حتى خالطوهم في الظلم والمعاصي والآثام .

وقَصَّرَ بقوم حتى امْتَنَعُوا مِن ذَبْح عُصْفُورٍ أو شاةٍ ليَأكلهُ .

وتجاوَزَ بآخرينَ حتى جَرَّأهُم على الدِّمَاءِ المَعْصُومَة .

وقَصَّرَ بقوم حتى مَنَعَهُم مِن الاشتغال بالعلم النافع .

وتَجَاوَزَ بآخَرِيْنَ حتى جَعَلوا العِلْمَ وحْدَهُ هُوَ غَايتهم دُونَ العَملَ به .

وقَصَّرَ بقَومٍ حتى أطعَمَهُم مِن العُشب ونَبَاتِ البرية دونَ غِذَاءِ بني آدم .

وتَجَاوَزَ بآخَرين حتى أطعمهم الحرامَ الخالصَ .

وقَصَّرَ بقوم حتى زين لهم ترك سنة النبي ﷺ مِن النكاح فرغبوا عنه بالكلية .

وتجاوز بآخرين حتى ارتكبوا ما وصلوا إليه من الحرام .

وقَصَّرَ بقـوم حتى جفوا الشيوخ من أهل الدِين والصلاح وأعرضوا عنهم ولم يقوموا بحقهم .

وتجاوز بآخرين حتى عبدوهم مع الله .

وقَصَّرَ بقوم حتى منعهم قبول أقوال أهل العلم .

وتَجَاوَز بآخـرين حتى جعلوا الحَلالَ ما حَلَّلُوه والحـرام ما حرموه وقدموا أقوالهم على سنة رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة .

وعـد رحمه الله أشياء كثيرة يطول ذكرها إقتصرنا على ذكر بعضها والله أعلم وصلى الله على محمد واله وصحبه وسلم .

٦ (موعظـــــة)

قال الله جل ذكره ﴿وذكّر فإنّ الذكرَى تَنْفَعُ المؤمنين﴾ وقال جل وعلا ﴿فذكر إن نَفَعَتِ الذّكرى﴾ وقال عزَّ مِن قائل ﴿فذكّر بالقرآن من يخافُ وعيد﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ فذكر فما أنتَ بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون﴾ .

وقال تعالى ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ وقال جل وعلا ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا﴾ .

وكان النبي ﷺ يتَخَوَّلُ أصحَابَهُ بالموعظة فالوعظ والتذكيرُ فريضتان واجِبتان ماضيتان على أهلهما بكتاب الله وسنة رسوله، ﷺ .

وقد أمر الله المُوْعَوْظِين بالاستماع والإصغاء للموعِظَة لِمَا فيها من المنافع العظيمة .

فعلى كل إنسان مهما جل قدره وعظم خطره أن يحرص ويجتهد على استماع الموعظة وقبول النصيحة لأنه إذا فعل ذلك فاز بقسطه الأوفر وحظه الأجزل واستحق من الله البشرى في العاجل والثواب في الآجل ومن عُقلاء خلْقِه الثناء الحسن والمدحَ والإكرام والدعاء .

فإنّ الله جل ذكره يقول ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنَه﴾ ثم قال ﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ .

وقد شَبَّه الله الكفرةَ المعرضين عن القرآن الذي هو مشتمل على التذكرة الكبرى والموعظة العظمى بالحُمُر قال تعالى ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حُمُرٌ مُستَنْفِرة فرَّت من قَسْوَرة﴾ فليحذر المسلم أن يتشبه بهم ويُعرض عن الموعظة .

وقد جعل الله جل ذكره الخَيْرَ في الاعتبار والاعتبار بالتفكير وحَثّ عليه في عِدَّة مواضِعَ من كتابه قال تعالى ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ وقال ﴿إن في ذلك لَعِبْرة لأولي الأبصار﴾ .

وقال جلا وعلا ﴿أو لم يتفكروا في أنفُسِهِم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجَلٍ مسمى﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ .

وقال عز من قائل ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربناما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ وقال جل وعلا ﴿إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ .

فمن قريب ما يجبُ أن يُفكِّر فيه اللبيبُ ويتدبَّره أن يتذكر أحوالَ الأممِ والقرونِ الماضية والملوك الأولين الذين كانوا من أشد خلقِ الله قوةً وأكثر جمعا وأبيَن آثاراً وأطول أعماراً الذين بَنوا المدائن وجمعوا الخزائنَ وحفَروا الأنهارَ وعَمَّروا الديار وشيَّدوا القصورَ .

ودبروا الأمور وجمعوا الجُموع وقادوا الجُيُوش وساقوا الخيولَ ودَوَّخوا البلاد وأذلوا العبادَ ومشَوْا في الأرض مَرَحاً واختالُوا بما أوتوا فرحا فأخذهم الله بما كانوا يكسبون .

فأصبحوا بَعْد العز والمَنَعَة والملك والرفعة والصِّيت والسطوة والذكر والصولة عظاماً رميماً ورفاتاً هشيما وأصبحت منَازِلهم خاوية وقصورهم خالية وأجسادهم بالية وأصواتُهم هَادئة .

تُخبرك آثارُهم مُعاينة وتَقْرع سمعك أخبارُهم مجاهرة فلم يصحبهم من الدُنيا ما جَمَعوا ولم يَدْفع عنهم الرَّدى ما كسبوا ولَعَلهم نَدِموا حيثُ لم تنفعهُم النَّدامة وتلهفوا حيثُ لا يغني عنهم التلهف شيئا .

وإنّ الباقي عَمَّا قليل كالفاني والغابرُ عمَّا قليل كالماضي وما بينهما إلا أنفاسٌ معلومَة وأيامٌ معدودة سريعة الانقضاء قريبةُ الانتهاء .

فليحذر المُغتر بملكه والمُتَمَتِّع بعزه هذه الصَّرْعةَ وليستعدَّ لهَذه الوجبة ولْينْته لهذه الموعظة فإنّ الله جعلها في أوائل مواعظِه .

وكرّرها في مواضِعَ من كتابه حيث جل وعلا وتقدس يقول ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشدَّ منهم قوةً وآثاروا الأرض وعَمَرُوها أكثر مما عَمَرُوها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ .

وقال تعالى ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون﴾ .

وقال جل وعلا وتقدس ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وماكان لهم من الله من واق﴾ .

وعد جل وعلا كثيراً منهم في كتابه ووصفهم وسماهم في خطابه حيث يقول ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سَوطَ عذاب إن ربك بالمرصاد﴾ .

وقال ﴿وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيرا﴾ هذا خَبَرُ أصدَقِ القائلين وهذا قول حق وقد جعَلَ الله بكل ما شُوهِدَ في أيامه وعوينَ في زَمانه ممن رُفعوا ثم وُضِعوا وعَلَوا ثم صُرعوا ودارَت عليهم الدوائر ونابتهم النوائب ما في بعضِه مَقْنَعٌ لمُعتبر وبلاغٌ لمذكر .

قالوا وأشرف أبو الدرداء صاحبُ رسول الله ﷺ على أهل حِمْصٍ فقال يا أهل حمص أتبنون ما لا تسكُنُون وتأملُون ما لا تدركون وتجمعُون ما لا تأكلون .

إنّ من كان قبلكم بَنَوْا شديدا وأمَّلوا بعيدا وجَمَعوا كثيرا فأصبحت اليوم مساكنهم قبورا وأمَلهُم غرورا وجمعهم بورا .

وقد قال أحد فصحاء الملوك في خطبته : ألم تروا مَصَارع من كان قبلكم

كيف استدرجتهم الدنيا بزخارفها ونفتهم ثم تركتهُم وقد تَخلّت عنهم فهم في حيرة وظلمة مُدْلَهِمَّة تركوا الأهلين والأولاد والعيالَ والأموال .

مَسَاكِنُهُم القُبور وقد خلتْ منهم الدور وتقطَّعت منهم الأوصالُ والصُّدور وصاروا تراباً بالياً وكان الله لهم ناهياً قال تعالى ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير .

شعـــــرا :

نُبكِي عِلى الدنيا وما مِن مَعْشَرٍ ... جَمَعَتْهُم الدنيا فلَمْ يَتفرَّقُوا
أَيْنَ الأكاسِرَةُ الجَبَابِرةُ الأُولَى ... كَنزُوا الكنُوزَ فما بَقِينَ ولا بَقُوا
مِن كُلِ مَن ضاقَ الفضَاءُ بِجَيْشِهِ ... حتَّى ثَوى فَحواهُ لَحْدٌ ضَيِّقُ
خُرُسٌ إذا نُودُوا كأَنْ لم يفْهَمُوا ... أَنَّ ا لكلامَ لهُم حَلالٌ مُطْلَقُ
فالموتُ آتٍ والنفوسُ نَفَائِسٌ ... والمُسْتَغِرُ بِمَا لَدَيْهِ الأحْمَقُ

آخـــر :

أَجِدَّكَ مَا الدنيـــا ومَاذا نَعِيْمُها ... وهَـــلْ هِيَ إلاَّ جَمْرَةٌ تَتَوقَّـــدُ
لَعَمرِي لَقَدْ شَاهَـــدْتُ فيها عَجَائِبًا ... وصَاحبَنِي فيهـــا مَسوَدٌ وسَـــيِّدُ
رأيـتُ بهـا أَهْلَ المَواهِـبِ مَرَّةً ... وقد طَابَ عَيْشٌ والسُّرور يُجَدَّدُ
فمـا رَاعَهمُ إلّا الـرَّزا يـا ثَـوابِـتٌ ... عَلَيـهِم وقـامَـت في أذاهـم تُحَشِّـدُ
وأَسْقَتْهُمُوْا كاساً مِن الذُلِ مُتْرَعاً ... وكـانَ لهُـم فَـوقَ السِّمَاكَيِن مَقْعَـدُ
وُدانَتْ لِمَـنْ نـاوَاهُمْ بَعْضَ بُـرهَـةٍ ... عـلى نَكَـدٍ فِـي كُلِّ يَـومٍ يُجَـدَّدُ

اللهم وَفقْنَا لِلزُوْمِ الطَّرِيْقِ الذِيْ يُقَرِّبُنَا إلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُوْراً نَهْتَدِي بِهِ إلَيْكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسَّرْتَهُ لِأهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيْقِضْنَا مِنْ غَفَلاَتِنَا وَأَلْهِمْنَا رُشْدَنَا واسْتُرْنَا في الدُنْيَا والآخِرَةِ واحْشُرْنَا في زُمْرَةِ عِبَادِكَ المُتَّقِيْنَ والْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ واغفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ

والمَيتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فَصْلٌ

قَالَ عَلِيُّ بن أَبِي طالب مِن هَوان الدُنْيَا وحَقَارَتِهَا أَنَّ الله أخرجَ أطَايِبِهَا مِن خَسائِسِها فالدنيا سَبْعَةُ أشياء : مَأكولٌ ومَشْروبٌ وملبوسٌ ومشموم ومنكوح ومَسْمُوع ومُبْصَرٌ .

أَمَّا المأكولات فأشرفها العَسل وهو لُعَابٌ ذُبَابٍ وأطيب المشروباتِ الماءُ ويَسْتوِي فِيْ شُربِهِ الأدمي والكَلْبُ والخِنْزِيْرُ والحِمارُ .

وأفضلُ الملبوساتِ الحريرُ والإبْرَيْسِم وهو لُعَابُ دُوْدَةٍ وأشرف المناكِح النِسَاءُ وحقِيقَتُهَا مَبَالٌ في مَبَال وأشرف المشموماتِ المِسْكُ وهو دَمُ غَزَالٍ والمَسْمُوع والمُبْصَرُ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ ذلك وَبَيْنَ البهائِم .

قَدْ أَوْلَعَ الناسُ في الدنيا بأَرْبَعَـــةٍ أَكلٍ وشُرْبٍ ومَلْبُوسٍ وَمنكُـــوحِ
وغَايَةُ الكُلِّ إنْ فَكَّرْتَ فِيهِ إلـــى رَوْثٍ وبَولٍ ومَطْرُوحٍ ومَفضـــوحِ

فإن قيل ما السبب في حب الدنيا والتعلق بها والتكالب عليها مع كثرة همومها وغمومها وأنكادها فالجواب قلة المعرفة بعيوبها فلو كشف الغطاء لهربوا منها فإن قيل ما سبب زهد الأمراء في أبواب العلماء ورغبة العلماء فيما عند الأمراء قيل سبب زهدهم لقلة رغبتهم ومعرفتهم بالعلم وأما رغبة العلماء فلمعرفتهم بفضيلة المال عند الحاجة إليه والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم (**فائدة في مُعَالَجةِ حُبِّ الدنيا المستغرقِ لِلوقت**)

إعلم أن حُبَّ الدنيا يَنْدُرُ مَن يَسلم منه وهو يَنْبَعِثُ مِن طُولِ الأملِ لأن

الانسانَ يَقول الأيامُ بَيْنَ يَدَيَّ وأفْعَل غداً كذَا وبَعدَ غَدٍ سَأفْعَلُ وأتمَتَعُ بالدنيا والتوبةُ مفتوحٌ بَابُها وتتمادَى به الأيامُ في جمع الأموال وبناءِ القُصُور ونحو ذلك وتَتَشَعبُ آمالهُ إلى أن يَنْسَى أن النَّفَسَ الواحِدَ يُبَعِّدُهُ مِن الدُنيا ويُدْنِيهِ من الآخرة .

وما نَفَسٌ إلّا يُباعِدُ مَوْلِداً ويُدْنِي الْمَنَايَا لِلنُّفوسِ فَتَقْرُبُ

ولكن مِن العلاج النافِع أن يَقُول الموتُ لَيْسَ بِيدِي فكيفَ اعْتَمِدُ على الحياة فَرَبُّنَا قضَى والموتُ لا يَتَأخرٌ بِكراهَتِي قال الله جل وعلا ﴿ فإذا جَاء أجلُهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ وقال عَزَّ مِن قائل ﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلُها ﴾ .

ومن ذلك أن يقول هَبْني جَمَعْتُ الدنيا أَلَيْسَ عندَ الموت أتركُ ذلكَ وأسْأَل عنه وِيتَمَتَّعُ فيه غَيْرِي فَلِمَا لا أُفكِرُ في ذلك أجمَعُ الدنيا لِغيري وَأَبُوءُ بِحِسَابِهَا وأَضْرارِهَا . وأكون كما قال الشاعر :

كَدُودٍ كَدُودِ القَزِّ يَنْسِجُ دَائِماً ويَهْلِكُ غَمَّاً وَسْط ما هُوَ نَاسِجُ

آخر : وذِي حِرصٍ تَرَاهُ يُلِمُّ وَفرًا لِوَارِثِهِ ويَدْفَعُ عن حِمَاهُ

ككَلْبِ الصَّيْد يُمْسِكُ وهُو طَاوٍ فَرِيْسَتَهُ لِيَأكلَهَا سِوَاهُ

ومِن العلاج أن يَعْلَم أن مَن كانتْ دُنياهُ أكثرُ حَسْرَتُه أشَدَ وخَوفُه أعظمَ بخِلافِ مَن كان أخَفّ منه دُنْياً فأمْرهُ أسهَلُ فصَاحِبُ الألفين أشدُ حِسَاباً مِن صاحِب الألِف وهَلمَّ جرًّا .

ومِن العلاج زِيارَةُ المقابر والنظرُ في مَصَارِع الآباءِ والأُمَّهَاتِ والأخوة والأخوات وسَائِرِ القَرَابَاتِ والأقْرَان والزُمَلاء والأصْدِقاء ويَزوُرُ المُسْتَشْفيات والمرضَى والسجون والمستوصفات لِيشكر الله على نِعمه العظيمة .

تَزَوَّدْ مِن الدُنيَا فإنكَ رَاحِلُ وَبَادِرْ فإنَّ الموتَ لا شَكٌ نَازِلُ

آخر: خَلتْ دُورُهُم منهم وَأَقْوَتْ عِراصُهُم وسَاقَهُمُ نَحْوَ المنايَا المَقَادِرُ

وخلّوْا عَن الدُنيـا ومـا جَمَعُوا لها　　　وضَمَّهُـمُ تَحْـتَ التُرابِ الحَفَـائِرُ

آخر: وعَضَتَكَ أجْدَاثٌ وهُنَّ صُمُوْت　　　وَأَصْحَابُهَا تَحْـتَ التُراب خُفُـوْتُ

أيـا جَـامِعَ الدنيـا ومُهْمِـلُ نَفسِهِ　　　لِمَنْ تَجْمَـعِ الدُنْيَـا وأنْتَ تَمُـوْتُ

ومن العلاج أن يَنظُر الانسان إلى جِسْمِه وانحلال قُواهُ واشتَعال الشيب الذي هو بَرِيْدُ الموت وضُعْفِ نَظَرِهِ وسَمْعِهِ وتَقَارُبَ خُطاه وسُقُوطِ أسنانِهِ .

تَسَـاقَطُ أسْنِانٌ ويَضْـعُفُ نـاظِـرٌ　　　وتَقْصُـرُ خُطْـواتٌ ويَثْقُـلُ مَسْـمَعُ

ومِن العلاج أن تقوْلَ الرُسُلُ أعْلَمُ مِني قَنِعُوا بالقُوت ورَضُوا بالكَفَافِ وما طَلَبُوا الدُنيا فلمَاذا أنْهَمِكُ فيها وأُحْرِقُ نَفْسِي وأغْفُلُ عن ما قُدَّامِي مِن الأهَوالِ والعَظائِم التي أنا مُقْبِلٌ عَليها في الآخرة .

أين الملوكُ أينَ الجَبَابِرَة أينَ الطُغاةُ وأعوانُهم انظُري يا نَفسُ هَلْ بَقِي منهم أحَدٌ قال تعالى ﴿هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً﴾ .

ومِن العلاج أن تَقُولَ نَفرِضُ أنك مَلَكْتَ الدنيا بأسْرِها وَصَفا لَكِ عذْبُها وزِلالُها وَأدْرِكْت الأماني ألَيْسَ آخِرُ ذَلِكَ الموتُ وعاقِبَتُه الفَوتُ فِلماذَا تُحْرِقُ نَفسَكَ في طَلَب ما هُوا عَارِيَّةٌ وَوَدِيْعَةٌ ولا تَذْهب إلاَّ بالكفَنِ فقط .

فَقُلْ لِلَّذي قـد غَـرَّهُ طُـولُ عُمْـرِهِ　　　وما قَـدْ حَـوَاهُ مِن زَخَـارِفَ تَخْـدَعُ

أفِقْ وانظُـرِ الـدُنيـا بعَيْنِ بَصِيْرةٍ　　　تَجِـدْ كُـلّ ما فيهـا وَدَائـعَ تَرْجِـعُ

آخـر :

ومـا المـالُ والأهْـلُوْنَ إلاّ وَدَائـعٌ　　　وَلابُـدَّ يَـومـاً أنْ تُـرَدَّ الـوَدَائِـعُ

آخر : هَوّنْ عَلَيْكَ فما الدُنْيا بِدَائمةٍ　　　وَإنَّمَـا أنْـتَ مِثْـلَ النـاسِ مُغْـرُوْرُ

ولـو تَصَـوَّرَ أهـلُ الـدهْـرِ صُورَتَـهُ　　　لـم يُمْسِ منهُـمْ لَبِيبٌ وَهْـوَ مَسْـرُورُ

آخر : لَمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَابه مِن صُرُوْفهَا　　　يكُـونُ بُكَـاءُ الطِـفْلِ سَـاعَـةَ يُـوْلَـدُ

آخر : نَصِيبُكَ مِمَّا تَجْمَعَ الدَّهْرَ كُلَّهُ　　　رِدَاآنِ تُطْـوىَ فِيْهِمَـا وحَنُـوطُ

والله أعلم وصَلّى الله على محمّدٍ وآلهِ وسلم

(فَصْـلٌ)

عن إبراهيم التيمي قال يَنْبَغِي لِمَنْ لا يَحْزَنْ أن يَخَافَ أن يكون مِن أهل النار لأن أهل الجنة قالوا « الحمد لله الذي أذْهَبَ عنا الحَزَنَ » ويَنْبَغِي لِمن لم يُشْفِقْ أن يَخافَ أن لَا يكون مِن أهل الجنة لِأنَّهمُ قالوا « إنا كنا قَبْلُ في أهْلِنَا مُشْفِقِين » .

وعن الفضيل بن عياض قال قِيل لِسُليمان التيمي أنْتَ وأنْتَ أيْ يُثْنُونَ عليه قال لا تقُولوا هكذا فإني لا أدْرِيْ ما يَبْدُوْ لِيْ مِن رَبي عز وجل سَمِعْتُ الله عز وجل يقول ﴿ وبَدَا لهم مِن الله ما لم يكونوا يَحْتَسِبُون ﴾ وإني أخْشَى أن يَبدو لي مِن الله ما لم أكن احْتَسِبْ .

وعن عكرمة عن محمد بن المنكدر أنه جَزِعَ عِندَ الموتِ فَقِيْلَ لَهُ لِمَ تَجْزَعْ فقال أخْشَى آيةً مِن كتاب الله عز وجل قال الله تعالى ﴿ وبَدا لهم مِن الله ما لم يَكونُوا يَحْتَسِبُون ﴾ وإني أخْشَى أن يَبْدُو لي مِن الله ما لم أكُنْ أحْتَسِبْ .

قلت وفيه آيات أخرى يَنْبغي أن تكون نَصْبَ عَيْنِي العاقل اللبيب وذلك قوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غَفْلةٍ وهم لا يؤمنون ﴾ وقوله تعالى ﴿ يومَ تَبْلُوا كل نَفْسٍ ما أسْلَفتْ ﴾ وقوله ﴿ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ الله وإنْ كُنْتَ لمِنَ السَّاخِرين ﴾ وقوله جل وعلا وتَقَدس ﴿ لَولَا أخرتني إلى أجل قريْب فأصَّدَق وأكن من الصالحين ﴾ .

وقال عبدُ الأعلى التَّيمِي شَيْئان قَطَعا عَنى لَذّة الدنيا ذِكْرُ الموت والوقوفُ بينَ يدي الله عز وجل .

وعن أبي إسحاق قال أوَى أبُو مَيْسَرَة عَمرو بن شُرحبيل إلى فِراشه فقال

ياليتَ أمّي لم تَلِدْني فقالت له إمرأته أبا مَيسَرَة أليسَ الله قد أحسنَ إليكَ هَدَاكَ للإسلام وفَعَلَ بكَ كذا قال بَلى ولكن الله أخبرنا أنا وارِدونَ على النار ولم يُبيِّن لنَا أنَّا صادِرُون عنها .

وقال الحسنُ إنَّ المؤمِنَ يُصبِحُ حَزيناً ويُمْسي حَزيناً ويَنقلبُ باليقين في الحُزْن ويَكفيه ما يَكفِي العُنَيْزةَ الكفُّ مِن التمرِ والشَّربَةُ مِن الماء .

وقال حبيبُ ابن أبي ثابت ما استقرضتُ مِن أحد شيئا أحَبُّ إلى من نَفسي أقولُ لها أمْهِلِي حتى يَجيء مِن حيثُ أحِبُّ .

شعــــراً :

إذا رُمتَ أنْ تَستَقرِضَ المالَ مُنْفِقاً ... على شهواتِ النَّفْسِ في زَمَنِ العُسْرِ
فَسَلْ نَفْسَكَ الإنفاقَ مِن كَنْزِ صَبْرِها ... عَلَيْكَ وإنْضاراً إلى زَمَنِ اليُسْرِ
فإن فَعَلَتْ كُنْتَ الغَنيَّ وإن أبَتْ ... فكُلّ مَنــوُع بَعْـدَهـا واسِـعُ العُـذْرِ

وقال الثَّوري ما ضرَّهُم ما أصابَهُم في الدنيا جَبَرَ الله لهم كلّ مُصيبَةٍ بالجنة . وسأل رجل سفيان الثوري فلم يكن معه ما يعطيه فبكى سفيان فقال له مِسْعَرُ بنُ كُدَام ما يُبْكِيكَ قال وأيُّ مُصيبة أعْظَمُ مِن أن يُؤَمِّلَ فيكَ رَجلٌ خيراً فلا يُصيبُه عِندكَ .

وبكَى ثابِتُ حتى كَادَتْ عَيْنُه تَذْهَب فجاؤا برجَل يُعَالجها فقال الرجُلُ أعَالِجُها علىَ أن تطيْعَني قال وَأيُّ شيءٍ قال عَلى أن لا تَبْكِي قال فما خَيْرهُما إن لم تَبْكِيَا وَأبَى أنْ يُعَالِجَهَا .

وكان شقيقُ بن سَلمة إذا صَلى في بَيتِهِ يَنْشُجُ – أيْ يَخْشَعُ وَيبْكِي – ولو جُعِلت له الدنيا على أن يَفْعَلَـهُ وأحَـدٌ يَسْمَعُـهُ أو يَراهُ ما فَعَلَـهُ – أي يَخْشَى من الريَاء . رَوُى شدادُ بنُ أوس أنَّ النبي ﷺ قال «أخْوَف ماأخَاف على أمَّتِي الرِّيَاء» .

وكان عَمْرُو بنُ عُتْبَةَ بنُ فَرْقَد يَخرجُ على فرسِهِ ليلاً إلى المقبرة فَيقِفُ على القُبور فيقولُ يَا أهلَ القُبور قد طُوِيَتْ الصُحُفُ وقد رُفِعَت الأعمالُ ثم يَبكي ويَصُفُ قَدَمَيْهِ حتى يُصْبِحَ فيرجِعَ فيشَهدَ صَلاةَ الصُبح .

وقالت إمْرأةُ حسانِ بنِ سِنان كان يَجِيءُ فيدخل مَعِي في فِراشي ثم يُخَادِعُني كما تُخادِعُ المرأةُ صَبِيَّهَا فإذا عَلِمَ أني نُمْتُ سَلّ نَفْسَه فخرجَ ثم يقوم فيُصَلِي قالت فَقُلْتُ لَهُ يا أبَا عَبدَ الله كم تُعَذِبُ نَفسَكَ أرفُقْ بنَفْسِكَ فقال اسْكُتِي ويْحَكِ فَيُوشِكُ أنْ أرقُدَ رقدةً لا أقومُ منها زَمَاناً .

عن عبد الله بن المبارك قال حدثنا وهَيْبُ قال ما اجتمع قومٌ في مجلس أوْ مَلأ إلا كان أوْلاهُم بالله الذي يَفْتَتِحُ بذكِرِ الله حتى يُفِيْضُوا في ذِكْرِهِ وما اجتمع قومٌ في مجلس أو ملأ إلا كان أبْعدهم مِن الله الذي يَفتتِحُ بالشرِ حتى يخوضوا فيه وفي الحديث طُوبَى لِمَنْ كان مِفْتاحاً لِلْخَيْرِ مِغلاقاً لِلشرِ وَوَيْلٌ لِمَنْ كان مِفْتاحاً لِلشرِ مِغْلاقاً لِلْخَيْر .

« فصل »

كتب عُمرُ بنُ عبدالعزيز إلى سالم بن عبدالله أن اكتب إلى بشيء مِن رَسائِل عُمَرَ بن الخطاب فَكَتَبَ أن يَا عُمرَ اذكر الملوكَ الذين تَفقَأتْ أعينُهم الذينَ كانَتْ لا تَنْقَضِي لَذاتُهم وانْفَقَأتْ بُطُونُهم الَّتِي كانُوا لا يَشْبَعُونَ بها وصَارُوا جِيفاً في الأرض وتَحْتَ أكنافِها أن لو كانت إلى جَنْب مِسْكين لَتأذى برِيْحِهم .

وقال بلالُ بنُ سَعَدٍ رُبَّ مَسْرُوْرٍ مَغْبُون ورُبَّ مَغْبُون لا يَشْعُر فَوَيلٌ لِمَن له الويلُ ولا يَشْعر يأكلُ ويشربُ ويَضْحَكُ ويَلْعَبُ وقَد حَقَّ عليه في قضاءِ الله أنه مِن أهلِ النار .

عن عون بن عبد الله بن عُتْبَةَ أنه كان يقول يا وَيْحَ نَفْسِي كَيفَ أغْفُلُ ولا يُغْفَلُ عني أمْ كيفَ تَهنِيْنِي مَعِيْشَتِي واليومُ الثقيلُ وَرَائِي أمْ كيفَ يَشتد عُجْبِي بِدارٍ في غيرها قَرَاري .

وكان دَاوُد الطائي في دارٍ واسِعَةٍ خَربَةٍ ليسَ فيها إلاَّ بَيْتٌ ولَيسَ على بَيته بابٌ فقالَ بعضُ القوم أنتَ في دَارٍ وَحْشَةَ فلو اتخذتَ لبَيْتِكَ هذا بَاباً أما

تستَوحِشْ فقال حَالَتْ وحْشَة القبرِ بَيْني وبَيْنَ وَحْشَةِ الدنيا .

وقال محمدُ بنُ كعب : الدنيا دَارُ فناءٍ مَنْزِلُ بُلْغَةٍ رَغِبَتْ عنها السُعداء وأسْرَعَتْ مِن أيدِي الأشقِياءِ فأشقى الناس بها أرغبُ الناس فيها وأسْعَدُ الناسِ فيها أزْهَدُ الناس بها هي المعذِبَةُ لِمَن أطَاعَها المُهْلِكَة لِمَنْ اتَّبَعها الخائنةُ لِمن انقادَ لَهَا عِلْمُها جَهلٌ وغِناؤُها فَقْرٌ وزيادتها نُقْصَانٌ وأيامُها دُوَل .

وعن بكر بن محمد قال : قُلْتُ لِداود الطائي أوصِني قال : عَسْكَرُ الموتى يَنْتظِرُوْنكَ .

وقال أبو حازم : مَن عَرفَ الدنيا لم يَفرحْ فيها بِرَخاء ولم يَحْزَنْ على بَلْوَى .

وقال ابنُ المبارك : أهلُ الدنيا خَرَجُوا مِن الدنيا قَبْلَ أن يَتطَعَّمُوْا أطيبَ ما فيها قيل لَهُ وما أطيبُ ما فيها قال المعرفةُ باللهِ عز وجل .

وقال شَدَّادُ بْنُ أوْسٍ رضي الله عنه : إنكم لم تَرَوا مِن الخير إلا أسْبَابَهُ ولم تَرَوْا مِن الشرِ إلا أسْبَابَهُ الخيرُ كلُه بِحَذَافِيرِهِ في الجنةِ والشرُ كلُه بحذافيره في النَار وإن الدنيا عرضٌ حاضرٌ يأكُلُ منه البَرُ والفاجر والآخرةَ وعْدٌ صَادِقٌ يحكمُ فيها ملكٌ قاهِر ولِكُلٍ بَنُون فكوُنُوا مِن أبناءِ الآخرةِ ولا تكونوا مِن أبناءِ الدنيا .

وقال عُمَرُ بنُ ذَرٍ اعْمَلُوا لأنْفسِكُم رَحمكمُ الله في هذا الليل وسوادِهِ فإنّ المغبونَ مَن غُبِنَ خيرَ الليلِ والنهارِ والمحرومَ مَن حُرِمَ خيرهما وإنما جُعِلا سَبيْلاً لِلْمُؤمنين إلى طاعةِ رَبهم وَوَبَالاً على الآخَرِين لِلْغَفَلَةِ عن أنفُسِهم فأحْيُوا لله أنفسَكم بِذِكرِهِ .

فإنما تَحيَا القلوب بذكر الله كم مِن قائمٍ في هذا الليلِ قَد اغْتَبَط بقيامِهِ في حُفْرَتِهِ وكم مِن نائمٍ في هَذا الليل قَدْ نَدِمَ على طُول نَومِهِ عندَ ما يَرى مِن كَرامَةِ الله عَز وجل لِلْعَابِدينَ غَداً فاغتَنِمُوا مَمَرَّ الساعاتِ والليالي والأيام .

وقال رَجُلٌ لِدَاود الطائي أوصِني فَدَمَعَتْ عَيناهُ ثم قال لهُ يَا أخِي إنّما اللّيلُ والنهارُ مَرَاحِل تَنْزِلُ بالناسِ مَرْحَلةً مرحلة حتى يَنْتَهِي بهم ذلكَ إلى آخر

سَفرهم فإن استَطِعْتَ أنْ تُقَدِّمَ في كُلِّ يَوم مَرحَلةً زاداً لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ فافعل .
فإنَّ انْقِطَاعَ السَّفَر عن قريب والأَمْرَ أعْجَلُ من ذلكَ فَتَزوَّدْ لِسَفَرِكَ واقْضِ ما أنتَ قاضٍ مِن أمرِكَ فَكَأنَّكَ بالأمرِ قَدْ بَغَتَكَ إني لأقولُ هَذا ومَا أعْلَمُ أحَداً أشدَّ تضْيِيْعاً مِني لِذَلِكَ ثم قام .

وجاءَ دَاوُد الطائِي أحَدُ أصْحَابِهِ بالفَي دِرْهمٍ وقال هَذَا شَيءٌ جَاءَ الله به لم تَطْلُبه ولم تَشْرَهْ له نَفسكَ قال دَاوُد إنَّه لَمِنْ أمثَلِ ما يأخُذُوْنَ قال فما يَمنعُكَ منه قال لَعَلَّ تَرْكَهُ أن يكونَ أنْجَى .

وقال محمدُ بنُ واسِع : لقد أدْرَكت رِجَالاً كان الرجُلُ يكون رأسُه مَعَ رأسِ إمرأتِهِ على وسَادَةٍ واحدةٍ قدْ بَلَّ مَا تحتَ خدِّهِ من دُمُوعِهِ لا تشعُر بهِ إمرأته ولقَدْ أدركتُ رجالًا يقومُ أحَدهم في الصَّفِ فتسيلُ دُمُوعُه على خدِّهِ ولا يشعُرُ به الذي إلى جَنْبِهِ .
وقال سلمانُ الفارسي رضي الله عنه أضْحَكَني ثلاثٌ وأبكاني ثلاث ضحكتُ مِنْ مُؤمِّل الدنيا والموتُ يطلُبُه وغافل لا يُغْفَلُ عنه وضاحِكٍ مِلء فيه لا يدْري أمُسْخِطٌ ربَّهُ أم مُرْضِيه .
وأبْكاني ثلاثٌ فُرقَةُ الأحِبَّةِ محمدٍ وحِزبه وهولُ المطلع عند غمراتِ الموتِ والوُقُوفُ بينَ يَدَيْ ربِّ العالمين حينَ لا أدري إلى النارِ انصرافي أم إلى الجنة .
وقال أحدُ السلَفِ لأنْ أعْلَم أنَّ الله تَقَبَّل مِنِّيَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ أحَب إلي مِن الدنيا وما فيها لأن الله تعالى يقُول ﴿ إنما يتقبل الله مِن المتقين ﴾ .

وقال إبراهيم التيمي مَثَّلْتُ نَفْسِي في النارِ أعالج أغْلَالَها وسَعيْرَهَا وآكُلَ مِن زَقُومِهَا وأشربُ مِن حَمِيْمها فَقُلْتُ يا نفسُ أيُ شيءٍ تَشْتَهِين قالَتْ ارْجِعُ إلى الدنيا أعْمَلُ عَمَلاً أنْجو به مِن هَذا العذاب .
وَمَثَّلْتُ نفْسي في الجنةِ مَع حُورها ألْبسُ مِن سُنْدُسِهَا وإستَبْرقِهَا وحَرِيرها

فقلتُ يا نَفسُ أيُ شيءٍ تَشتَهِين قَالَتْ أرْجعُ إلى الدنيا فأعمَلَ عَمَلاً أزْدَادُ بِهِ مِن هذا الثواب فَقُلْتُ الآنَ أنتِ في الدنيا وفي الأمنية. والله أعلم وصلّى الله على محمد وآلِه وسلم .

٧ موعظة

عِبَادَ اللّهِ إنَّ مِفْتَاحَ سَعَادَةِ المَرءِ في دُنْيَاهُ وأُخْراهُ أنْ يُرَاقِبَ مَوْلاَهُ بِحَيْثُ يَكُونُ في كُلِّ حَالٍ مِنْ أحْوالِهِ مُسْتَحْضِراً عَظَمَةَ رَبِّهِ وَجَلاَلَه ولا يَنْساهُ مُؤْمِناً بأنهُ تَعالَى يَراهُ أيْنمَا كانَ وَيَعْلَمُ سِرَّهُ وَنَجْواهُ فَمَنْ كَانَ هَكَذا أوْرَثَهُ ذَلِكَ خَشْيَةَ رَبِّهِ في سِرِّهِ وَعَلاَنِيَتِهِ ، فَإذَا خَافَ الأنْسَانُ رَبَّهُ خَوْفَاً صَحِيْحَاً وَقَفَ وَلاَ بُدَّ عِنْدَمَا حُدَّ لهُ مِن حُدُودٍ يَفْعَلَ أوَامِرَهُ وَيَجْتَنِبُ نَوَاهِيَهُ ، لا يَحْمِلُهُ عَلَى ذَلِكَ إلاَّ إجْلاَلُهُ لِرَبِّهِ ، وَمِنْ أبْعَدِ البُعْدِ أنْ يَقْرَبَ المَعْصِيَةَ مَنْ كَانَ هَكَذا ، لأنهُ يَسْتَحْضِرُ أنَّ اللهَ تَعالَى يَراهُ ، ويُوْقِنُ أنَّ اللهَ تَعالَى يُجَازِيْهِ عَلَى كُلِّ مَا قَدَّمَ مِنْ طَاعَةٍ أو مَعْصِيَةٍ فإذَا وَصَلَ العَبْدُ إلى هَذِهِ الحَالَةِ كانَ مَعَ تَوْفِيْقِ اللهِ لهُ مِنْ صَفْوَةِ خَلْقِ اللهِ المتَّقِيْنَ الذِيْنَ لِلَّهِ تعالَى بِهِمْ عِنَايَة فَوْقَ مَا يَتَصوَّره المُتَصَوِّرُونَ هُوَ أنهُ تَعالَى أخْبَرَهُ عن مَبْلَغِ هَذِهِ العِنَايَةِ في الكِتَابِ المُبِيْنِ أخْبَرَ تعالَى أنَّهُ مَعَهُم لِمَا هم عليه مِمَّا وَفَّقَهُمْ لَهُ مِنْ تَقْوَى وَاحْسَانٍ ، وإذا كانَ الأمرُ هَكَذا . فَمِنْ يَغْلِبُ التَقِيَّ وَمَعَهُ القَاهِرُ الغَلاَّبُ وَمَنْ يُذِلُّهُ وَمَعَهُ مَنْ بِيَدِهِ نَاصِيَةَ كُلِّ مَخْلُوقٍ وَمَنْ يُحْوِجُهُ وَمَعَهُ مَن كُلُّ العَوَالِمِ تَتَقَلبُ في بَحْبُوحَةِ جُودِهِ وكَرَمِهِ البَاهِرْ ، وَمَنْ يُشْقِيْهِ وَمَعَهُ مَنْ لا سَعَادَةَ إلا وهِيَ مِنْ فَيْضِ كَرَمِهِ وإحْسَانِهِ . فَعَلَيْكَ بِلُزُوْمِ تَقْوَىٰ اللهِ وَطَاعَتِهِ تَنَلْ السَّعَادَةَ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، قَالَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أفْضَلُ الأيْمَانِ أنْ تَعْلَمَ أنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ » رَوَاهُ الطَبَرَانِيّ .

شِعْراً

أَعَـارَتْـك دُنْيَـاً مُسْـتَرَدٌّ مُعـارُهَـا ... غَضَارَة عَيشٍ سَوْفَ يَذْوِي اخْضِرارُها
وهَـلْ يَتَمَنَّى المُحْـكَمُ الرأى عِيْشَةً ... وقـد حَـانَ مِن دُهـم المَنـايا مَزارُها
وكَيـفَ تلـذُّ العَـينُ هَجعَةَ سَـاعَةٍ ... وقـد طَـالَ فِيـمَا عَـايَنَتْهُ اعْتِبَارُهـا
وكَيفَ تَقـرُّ النَّفْـسُ فـي دَار نُقْـلَةٍ ... قـد اسْـتيقَنَتْ أَنْ لَيسَ فيها قرارُهَا
وأنيَ لها في الأرضِ خَـاطِرُ فِكْـرَةً ... ولَـمْ تَـدْرِ بَعْـدَ الموتِ أَيْنَ مَحارُهَا
أَلَيسَ لَهَا في السَّعْيِ لِلْفوزِ شَاغِلٌ ... أَمَـا في تَوَقِّيهَا العَذابَ ازْدِجَارُهَا
فَخَابَتْ نُفُوسٌ قَـادَهَا لَهْـو سَـاعَةٍ ... إلىَ حَـرِّ نَـارٍ لَيْـسَ يَطْـفَى أُوَارُهَـا
لَهَـا سَـائِقٌ حَـادٍ حَثِيْثٌ مُبَـادِرٌ ... إلَى غـير ما أَضْحَى إليـه مَـدَارُهَـا
تُـرادُ لأَمْـرٍ وهْـيَ تَطْـلُبُ غَـيْرَهُ ... وَتَقْصِـدُ وَجْهـاً في سِـوَاهُ سِـفَارُهَا
أَمُسْـرِعَـةٌ فِيمَـا يَسُـوءُ قِيـامُهَـا ... وقَدْ أَيْقَنَتْ أنَّ العَـذَابَ قُصَـارُهَا
تُعَطِّلُ مَفْـرُوْضـاً وتَعْـنَى بِفَضْـلَةٍ ... لَقَـدْ شَـفَّهَا طُغْيَـانُهَا واغْـترارُهَا
إلـى مَا لَهَـا مِنْهُ البَـلاءُ سُكُونُهَا ... وعَمَّـا لَهَـا مِنـهُ النَّجَـاحُ نِفَـارُهَـا
وتُعْرِضُ عن رَبّ دَعَـاهَا لِرُشْـدِهَا ... وتَتبَـعُ دُنْيـاً جَـدَّ عنهـا فِـرَارُهَـا
فيـأَيُّهـا المَغْـرُوْرُ بَـادِرْ بِـرَجْعَةٍ ... فَلِلَّـهِ دَارٌ لَيْسَ تَخْمُـدُ نَـارُهَـا
ولا تَتَخَـيَّرْ فَانِيـاً دُوْنَ خَـالِـدٍ ... دَلِيلٌ على مَحْضِ العُقـول اخْتِيَارُهَا
أَتَعْـلَمُ أنَّ الحـقَّ فِيْمَـا تَـرَكْتَـهُ ... وتَسْـلُكُ سُبْلاً لَيسَ يَخْفَى عِوَارُهَا
وتَتْرُكَ بَيْضَـاءَ المَنَـاهِجَ ضِـلَّةً ... لِبَهْمَاءَ يُؤْذِيْ الرِّجْلَ فيها عِثَارُهَا
تُسَـرُّ بِلَهْـوٍ مُعْقِـبٍ بِنَـدَامَـةٍ ... إذا مَا انْقَضَى لا يَنْقَضِيْ مُسْتَشَارُهَا
وتَفْنَى اللَّيـالِي والمَسَـرَّاتُ كُلُّهَا ... وتَبْقَى تِبَـاعَـاتُ الذُّنـوب وعَـارُهَا
فَهَـلْ أَنْتَ يا مَغْبُـونُ مُسْتَيْقِظٌ فَقَدْ ... تَبيَّنَ مِن سِـرِّ الخُطُـوبَ اسْـتِتَارُهَـا
فَعَجِّلْ إلىَ رِضْـوانِ رَبِّـكَ واجْتَنِبْ ... نَـوَاهِيَـهُ إذْ قَـدْ تَجَلَّى مَنَـارُهَـا
تَجِدُّ مُـرُوْرُ الدهـرِ عَنْكَ بِلاَعِبٍ ... وتُغْـري بِدُنيـا سَـاءَ فِيْكَ سِرَارُهَا

فَكَمْ أُمَّةٍ قَدْ غَرَّهَا الدَّهْرُ قَبْلَنَا … وهَاتِيكَ منها مُقْفِرَاتٌ دِيَارُهَا
إِذَا حَفَّهُمْ عَفْوُ الإِلهِ وفَضْلُهُ … وأَسْكَنَهُم داراً حَلالاً عقارُهَا
يَفِزُّ بَنُو الدنيا بِدُنْيَاهُمُ الَّتي … يُظَنُّ على أهلِ الحظوظ اقْتِصَارُهَا
هِيَ الأُمُّ خَيرُ البِرِّ فيها عقوقُهَا … ولَيْسَ بغيرِ البذلِ يُحْمَى ذِمارُهَا
فما نَالَ منها الحظَّ إلا مُهِينُها … ومَا المُلْكُ إلَّا قُرْبُهَا واعْتِمارُهَا
تَهَافَتَ فيها طَامِعٌ بَعْدَ طَامِعٍ … وقد بانَ لِلُّبِّ الذَّكِيِّ اخْتِبَارُهَا
تَطَامَنْ لغَمْرِ الحادِثاتِ ولا تَكُنْ … لَهَا ذَا اعْتِمارٍ يَجْتَنِبْكَ غِمَارُهَا
وإيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ منها بما تَرَى … فَقَدْ صَحَّ في العقلِ الجَلِي عِيَارُهَا
رَأَيْتُ مُلوكَ الأرضِ يَبْغُونَ عُدَّةً … ولَذَّةِ نَفْسٍ يُسْتَطابُ اجْتِرَارُهَا
وخَلُّوا طَرِيقَ القَصْدِ في مُبْتَغَاهُمُ … لِمُتْبِعَةِ الصِفَارُ جَمٌّ صِغَارُهُ
وإنَّ الَّتي يَبْغُونَ نَهْجَ بَقِيَّةٍ … مَكِينٌ لِطُلَّابِ الخَلاصِ اخْتِصَارُهَا
هَلِ العِزُّ إلَّا هِمَّةٌ صَحَّ صَوْنُهَا … إذا صَانَ هَمَّاتِ الرجالِ انْكِسَارُهَا
وهَلْ رَابِحٌ إلا امْرُؤٌ مُتَوَكِّلٌ … قَنُوعٌ غَنِيُّ النَّفْسِ بادٍ وَقَارُهَا
ويَلْقَى وُلاةُ المُلْكِ خَوفاً وفِكْرَةً … تَضِيقُ بها ذَرْعاً ويَفْنَى اصْطِبَارُهَا
عِياناً نَرَى هذا ولَكِنَّ سَكْرَةً … أَحَاطَتْ بنا مَا إنْ يُفِيقُ خُمَارُهَا
تَدَبَّرْ مَنِ الباني عَلَى الأرضِ سَقْفَهَا … وفي عِلْمِهِ مَعْمُورُهَا وقِفَارُهَا
ومَن يُمْسِكُ الأجرامَ والأرضَ أَمْرُهُ … بِلَا عَمَدٍ يُبْنَى عَلَيهِ قَرارُهَا
ومَنْ قَدَّرَ التَّدبِيرَ فيها بحِكْمَةٍ … فَصَحَّ لَدَيْهَا لَيْلُها ونَهارُهَا
ومَنَ فَتَقَ الأمواهَ في صَفْحِ وَجْهِهَا … فَمِنها يُغَذِّي حَبُّها وثِمارُهَا
ومَنْ صَيَّرَ الألوانَ في نَوْرِ نَبْتِهَا … فأشرقَ فيها وَرْدُهَا وبَهارُهَا
فَمِنْهُنَّ مُخْضَرٌّ يَرُوقُ بَصِيصُهُ … ومِنْهُنَّ مَا يَغْشَى اللِّحَاظَ احْمِرارُهَا
ومَن حَفَرَ الأنهارَ دُونَ تَكَلُّفٍ … فَثَارَ مِنَ الصُّمِّ الصِّلابِ انْفِجَارُهَا

وَمَن رتَّبَ الشمسَ المنيرِ ابْيضَاضُهَا … غُـدوّاً وَيبْـدُو بالعَشِـيّ اَصْـفِرارُهَا
وَمَن خَلـقَ الأفـلاكَ فامْتـدَّ جَـرْيُهَا … وأُحْكَمَهَا حتى اسْـتَقَامَ مَـدَارُهَا
تَذَكَّـرْ عَـلَى مَا قَدْ مَضَى واعْتَبرْ بِـهِ … فـإِنَّ المُذَكِّيْ لِلْعُقُـولِ اعْتِبَـارُهَـا
تَحَـامَى ذُراهَا كُلُّ بَـاغٍ وطَـالِـبٍ … وكَـانَ ضَمَاناً في الأَعَادِي انْتِصارُهَا
تَوَافَتْ بِبَطْنِ الأَرضِ وانْشَتَّ شَمْلُهَا … وعَـادَ إِلَى ذي مُلكَـةٍ مُسْـتَعَارُهَا
وكَـمْ رَاقِـدٍ فـي غَفْـلَةٍ عَنْ مَنِيَّـةٍ … مُشَـمِّرَةٍ في القَصْـدِ وهْـوَ سِـعَارُهَا
وَمَظْلَمَـةٍ قَـدْ نَـالَهَـا مُتَسَـلِّطٌ … مُـدِلٌ بأَيْـدٍ عِنْدَ ذِي العَرشِ ثَارُهَا
أَرَاكَ إذَا حَـاوَلْـتَ دُنْيَـاكَ سَـاعِيـاً … عـلى أَنَّهَا بَـادٍ إلَيْـكَ أَزْوَرَارُهَـا
وفـي طَـاعَةِ الرحمـن يُقْعِدُكَ الوَنَى … وتُبْـدِيْ أَنَـاةً لا يَصِـحُّ اعْتِـذَارُهَـا
تُحَـاذِرُ إِخْـوَانـاً سَـتَفْنَى وتَنْقَضِـي … وتَنْسَـى الَّتِي فَرْضٌ عَلَيْكَ حِـذَارُهَا
كَأَنِّي أَرَى مِنْـكَ التَّـبَرُّمَ ظَـاهِـراً … مُبِيْنـاً إِذَا الأَقْـدَارُ حُـلَّ اضْطِرَارُهَا
هُنَاكَ يَقُولُ المـرءُ مَن لي بأَعْصُـرٍ … مَضَتْ كَانَ مِلْكاً في يَدَيَّ خِيَارُهَا
تَنَبَّـهْ لِيَـوْمٍ قَـدْ أَظَـلَّكَ وِرْدُهُ … عَصِيْبٍ يُوافي النَّفْسَ فِيْهِ احْتِضَارُهَا
تَـبَرَّأَ فِيـهِ مِنْـكَ كُـلُّ مُخَـالِـطٍ … وَإِنَّ مِـنَ الآمـالِ فيـهِ انْهِيَـارُهَـا
فأَوْدِعْـتُ في ظَـلْمَا ضَنْكٍ مَقَـرُّهَا … يَلُـوْحُ عَلَيْهَا لِلْعُيُـونِ اغْبِرَارُهَـا
تُنَـادَى فلا تَـدري المُنَـادي مُفْـرداً … وقـد حُطَّ عن وَجْـهِ الحَيَـاةِ خِمَـارُهَا
تُنَـادَى إلى يـومٍ شَـدِيْدٍ مُفَـزِّعٍ … وسَـاعةِ حَشْرٍ لَيْسَ يَخْفَي اشْتِهَارُهَا
إذا حُشرتْ فيه الوُحُوشُ وَجُمِّعَتْ … صَحَـائِفُنَا وانْثَـالَ فِيْنَـا انْتِشَـارُهَا
وزُيِّنَتِ الجنَّـاتُ فِيـهِ وأُزْلِفَـتْ … وأُذكِيَ مِن نـارِ الجحيمِ اسْتِعَارُهَا
وكُـوِّرتِ الشَّمْسُ المُنِيْرَةُ بالضُّحَى … وأُسْرِعَ مِن زُهْـرِ النُّجُومِ انْكِدَارُهَا
لَقَـدْ جَـلَّ أَمْـرٌ كـانَ منـه انْتِظَامُهَا … وقَدْ عُطِّلَتْ مِن مَـالِكِيْهَا عِشَارُهَا
فإِمَّا لِـدَارٍ لَيْسَ يَفْـنَى نَعِـيْمُهَا … وإِمَّـا لِـدَارٍ لا يُفَـكُّ إِسَـارُهَـا

بحَضْرَةِ جَبّارٍ رَفِيْقٍ مُعَـاقِـبٍ ... فَتُحْصَى المَعَـاصِي كُبْرُها وصِغَارُهَا
وينْـدَمُ يَـومَ البَعْثِ جَـانِي صِغَارِهَا ... وتُهْلِك أَهْلِيْهَا هُنَـاكَ كِبَـارُهَـا
سَتُغْبَـطُ أَجْسَـادٌ وتَحْيَا نُفُـوسُهَا ... إذا ما اسْتَوى أَسْـرارُهَا وجِهـارُهَا
ومَـن إنْ أَلمتْ بالعُقُـولِ رَزِيَّـةٌ ... فَلَيْسَ إلى حَيٍ سِـواهُ افْتِقَـارُهَا
تَجِدْ كُلَّ هَذا رَاجِـعٌ نَحْـوَ خَـالِقٍ ... لَـهُ مُـلْكُهَا مُنْقَـادَةً وائْتِمَـارُهَا
أَبَـانَ لَنَـا الآيَـاتِ فـي أَنْبيـائِـهِ ... فأَمْـكَنَ بَعْـدَ العَجْـزِ فيها اقْتِدَارُهَا
فَأَنطَـقَ أَفْـواهـاً بِأَلْفَـاظِ حِكْـمَةٍ ... ومَـا حَلهـا إثْغَـارُهَـا واتّغَـارُهَـا
وأبـرزَ مِـن صُـمِّ الحِجَـارةِ نـاقَـةً ... وأَسْـمَعمُ فـي الحِينِ منهـا حُـوَارُها
لِيُـوقِـنَ أَقـوامٌ وتكفُـر عُصبـةٌ ... أتَـاهَـا بِأَسْبَابِ الهَـلاكِ قـدَارُهَا
وشَـقَّ لِمُـوسَى البَحْـرَ دُونَ تَكَلُّفٍ ... وبَـانَ مِـن الأمـواجِ فيه انْحِسَارُهَا
وسَـلَّم مِـن نَـارِ الأَنـوق خَلِيْلَهُ ... فَلَمْ يُـؤذِهِ إِحْـراقُهَا واعْـتِرَارُهُـا
ونَجّى مِنَ الطوفانِ نُوحاً وقد هَدَتْ ... بِـهِ أُمـةٌ أَبْـدَى الفُسُـوقَ شِـرارُهَا
ومـكَّنَ دَاوُداً بِـأَيْـدٍ وإبْنَـهُ ... فَتَعْسِيرُهَا مُلْقَى لَهُ وبِذَارُهَا
وذَلَّلَ جبَّـارَ البـلادِ بِـأَمْـرِهِ ... وَعَـلَّمَ طَـيْراً في السمـاءِ حِـوارُهَا
وفَضَّـلَ بالقُـرآنِ أُمَّـةَ أَحْمَـدٍ ... ومَـكَّنَ فـي أَقْصَى البِـلادِ مُغَـارُهَا
وشَـقَ لَـهُ بَـدْرَ السَمَـاءِ وخَصَّـهُ ... بآيـاتِ حَـقٍ لا يُخَـلُّ مُعَـارُهَـا
وأَنْقَـذَنَـا مِـن كفُـرِ أَربـابنـا بِـهِ ... وقـد كان مِن قُطْبِ الهلاكِ مَنـارُهَا
فَمَـا بـالُنـا لا نَـتْرُكُ الجهـلَ ويحْنَـا ... لِنُسْـلَمُ مِـن نـارٍ تَـرامَى شَـرَارُهَا

اللهُمَّ تُبْ عَلَيْنَا قَبلَ أَنْ تَشْهَدَ عَلَيْنَا الجَوَارِحُ وَنَبِّهْنَا مِنْ رَقَدَاتِ الغَفلَاتِ وَسَامِحْنَا فَأَنْتَ الحَلِيْمُ المُسَامِحُ وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَعَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا فَمِنْكَ الفَضْلُ وَالمَنَائِحُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحمدٍ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِيْنَ .

[فصـــــــل]

قال الفُضيْلُ بْنُ عِيَاضٍ الدُخولُ في الدُنْيا هَينٌ ولكن الخُروْجُ مِنَها شديد وقالَ آخر عَجباً لِمَنْ عرفَ أنَّ الموت حَقٌ كيفَ يَفْرح وَعَجباً لِمنْ عَرَفَ النَارَ وأنها حق كيفَ يَضحُك ، وعَجَباً لِمَنْ رَأى تَقَلُّبَ الدنيا بأهْلِها كَيفَ يَطمئِن إليها ، وعَجَباً لِمن يَعْلَمُ أنَّ القدرَ حَق كيفَ يَنْصَب .

قال مالك بن دينار : إصْطَلَحْنَا على حُبِّ الدنيا ، فلا يأمر بعضُنا بَعْضــاً ، ولا يَنْهَى بَعْضُنا بعضاً ، ولا يدعنا الله على هذا فليت شِعْري أي عذاب الله يَنْزِلُ عَلينا .

وقِيلَ لِبشْرٍ ماتَ فلانُ فقال ، جَمَعَ الدنيا وذَهبَ إلى الآخرة وضَيَّعَ نَفْسَه .

وقال آخر : الدنيا تَبَغَّضُ إلينا ونحن نحبها فكيف لو تَحَبَّبَتْ إلينا .

وقال آخر : لا يَصبرُ عن شَهوات الدنيا إلا مَن كان في قَلْبِهِ ما يَشْغَلُه بالآخـــرة .

وقال آخر : يَعِظُ أخاً له في الله ويُخَوفُهُ بالله ، فقال يا أخي إن الدنيا دَحَضٌ مَزَلَّةٌ ، ودَارٌ مَذَلَّةٌ ، عُمْرانُها إلى الخراب صَائِر ، وعامرها إلى القبور زائر، شَمْلُهَا على الفُرقة موقُوف ، وغِناها إلى الفقر مصروف ، الإكثارُ فيها إعسار والإعسار فيها يسار .

فافزعْ إلى اللهِ وارضَى برزق الله ، لا تَتسَلَّفْ مِن دار فَنَائِكَ إلى دَارِ بقائك فإن عَيْشكَ في الدنْيا فَيءٌ زائل وجِدارٌ مَائِل أكثرْ مِن عَمَلِكَ وأقِلِلْ مِن أمَلِكَ .

وقال يَحْيا بنُ مُعَاذ العقَلاء ثلاثةٌ مِنَ تَركَ الدنيا قَبْلَ أن تَتْركَهُ ، وبَنَى قَبْرَهُ قبلَ أنْ يَدْخُلَه وأرْضَى خَالِقَه قبلَ أن يلقاه .

وقال بُنْدار إذَا رَأيتَ أبناءَ الدنيا يَتَكلمونَ بالزُهْدِ فاعلم أنهم في سُخرِيَّةِ إبليس .

وذَكَر أُناسٌ الدنيا وأقبلوا على ذمها عند رابعة العَدَوية ، فقالَتْ اسْكُتُوا عن ذِكرها فلولا موقعها مِن قلوبكم ما أكثرتم مِن ذِكرها ، إن مَن أحب شيئا أكثرَ مِن ذِكره .

شعـــــراً :

ألا إنما الدنيا كجيْفَة مَيْتَـــــةٍ وطُلّابُها مِثْلُ الكِلاب الهَـــوامِسِ
وأعظمُهمْ ذَمّاً لَهَا وأشــــدُهُمْ بهَا شَغَفاً قومٌ طِوالُ القـــلانِسِ

وقال آخر : الدنيا مَزْبَلَةٌ ومَجْمَعُ كِلاب وأقل مِن الكلاب مَن عكف عليها ، فإن الكلب يأخذ مِن الجيفة حاجته وينصرف والمحب للدنيا لا يفارقها بحال .

وقيل لأبراهيم بن أدهم كيفَ أنْتَ فقال :

نُرقِعُ دُنْيَانَا بتَمْزِيْق دِيْنِنَـــا فلا دِيْنُنَـــا يَبْقَى ولا مــــا نُرَقّـــعُ
فَطُوبَى لِعَبْدٍ آثَرَ الله وحْــــدَهُ وجَادَ بِدُنْيَاه لِمِاَ يُتَوَقّــــــعُ

وقال آخــــر :

أرَى طالبَ الدنيا وإن طَالَ عمْرُهُ ونالَ مِن الدُنياَ سُــــروراً وأنْعُمَا
كَبَانٍ بَنَى بُنْيَانَهُ فأقـــامَهُ فلَمّا استَوى ما قَدْ بَنــاه تَهَدَّمَا

وقال لقمان لابنه : يا بُنَيَّ بعْ دُنْياكَ بآخرتِكَ تَرْبَحْهُمَـــا جَمِيْعَـــا ولا تَبَعْ آخرتَكَ بدُنْياك تَخْسَرهُما جَميعا .

وقال محمد بن الحسين لَمَّا عَلِمَ أهلُ الفضلِ والعِلمِ والمعرفةِ والأدَبِ أنَّ الله عَزَّ وَجَل قد أهانَ الدنياوأنه لم يَرضَها لأوليائِه وأنها عنده حَقيرة ذليلةٌ .

وأن رسول الله ﷺ زَهِدَ فِيها ، وحَذر أصحابه مِن فِتنتها أكلُوا منها قَصْدَا وقدَّمُوا فَضْلا وأخذوا منها ما يَكْفِي ، وتَركُوا ما يُلْهِي ، لَبِسُوا مِن

الثياب ما سَتَر العَوْرَةَ ، وأكلُوا مِن الطعامِ أدْناه مِمَّا سَدَّ الجَوْعَةَ .

ونَظَروُا إلى الدنيا بعَينِ أنها فانية وإلى الآخرة أنها باقية ، فَتَزَوَّدُوا مِن الدنيا كَزادِ الراكب ، فَخَرَّبُوا الدنيا وعَمَّرُوا بها الآخرة .

ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعَلموا أنهم سَيَنْظُرونَ إليها بقُلُوبهم وأعْيُنِهِم، ولمَّا عَلِمُوا أنهم سَيَرْتَحِلونَ إليها بأبدانهم تَعِبُو قليلا وتنعَّمُوا طَويلا كل ذلِكَ بتوفيقِ مَوْلاهم الكريم أَحَبُوا ما أَحَبَّ لَهُمْ وكَرِهُوا مَا كَرِهِ لهم .

قال عبدالله بن مسعود نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثَّر في جنبه فَقُلْنَا يَا رسُولَ الله لو اتَّخَذْنَا لكَ وِطَاءً فقال مَالي ولِلدُّنْيَا ما أنا في الدنيا إلا كَراكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شجرة ثم راح وتركها .

إعلم بأن طَرِيقَ الحـــق مُنفَرِدٌ والسَّالِكُونَ طَرِيْقَ الحـــقِ أفْرَادُ
لا يَطْلُبُـــونَ ولا تُطْلَبْ مَساعِيهُمْ فهُمْ على مَهَلٍ يمشُـــون قُصَّـــادُ
والناسُ في غَفْلَةٍ عَمَّالهُ قَصَـــدُوْا فَجُلُّهُمْ عن طَرِيقِ الحَـــقِ رُقَّادُ

وخَطَبَ عُمر بنُ عبدالعزيز رحمه الله فقال : يا أيُّها الناس إنكم خُلِقْتُم لأمر إن كُنتُم تُصدِقون به وهَذا عَمَلُكُم فإنكُم حَمْقَى ، وإن كنتُم تكذبون به فَإنكُم هَلْكَى فما خُلِقْتُم لِلأبَدِ ولكنكم مِن دار إلى دار تُنْقَلُون

عبادَ الله إنكم في دار لكم فيها مِن طعامكم غُصَصٌ ومِن شرابكم شَرَق لا تصفُوا لكم نعمةٌ تسرون بها إلا بِفِراقِ أُخْرى تكرهُون فِراقها ، فاعْمَلُوا لِمَا أنتُم صائِرونَ إليه وخَالِدونَ فيه ثم غَلبُه البُكاءُ ونَزَلَ .

وقال بعضهم في وصف مراحل السلوك : إن المؤمن إذا آمَنَ بالله واستحكم إيمانه خافَ الله تعالى فإذا خَافَ الله تعالى تولّدَ مِن الخوف الهيبةُ .

فإذا سكَنَتْ غلبةُ الهيبةِ دَامَتْ طاعتُه لِربَه ، فإذا أطاع رَبَّهُ تولّدَ مِن الطاعة الرجَاء .

فإذا سكَنَتْ دَرَجَةُ الرجاء في القلب تولد مِن الرجاء المحبة .

فإذا استَحْكَمَتِ المحبةُ في قلبِ العبدِ سَكَنَ بَعْدَهَا مَقَام الشوق ، فإذا اشتاق أَدَّاهُ الشَّوْقُ إلى الأُنسِ بالله ، فإذا أَنِسَ بالله اطْمَأَنَّ إلى اللّهِ ، فإذا اطمأن إلى الله كان لَيْلُه في نَعِيْم ونهارُهُ في نَعِيْم وسِرُّهُ في نَعِيْم وعَلاَنِيَتُهُ في نَعِيْم .

وقال بعضهم يَا ابن آدم ما أنصفتَ إذْ يَدْعُوكَ دَاعِي الدنيا بكلمة واحِدة لِشيء ذاهَبٍ فتجيبُه مُسْرِعَا ، ويَدعوكَ داعِي الآخرةِ لِشيءٍ باقِي صَافِي ثابتٍ فلا تُجيْبُه مُسْرِعا ، فَليْتَكَ إذ لم تُقَدّرِ الآخرةَ سَوَّيْتَ بَيْنَهُمَا .

وقال آخر : العلماءُ العامِلون أَرْأَف بأمة محمد مِن آبائهم وأمهاتهم واشفق عليهم ، قيلَ له كيفَ ذلك ، قال لأنَّ آباءَهم وأمهاتِهم يحفظونهم مِن نار الدنيا ، والعُلماءُ يحفظونهم مِن نار الآخرة وأهوالها .

وقال آخر : مِن أقوى القُوى أن تغلبَ نفسَكَ ، مَن عَجَزَ عن أدب نفسِهِ كان عن أدب غيره أعجز ، وقال : مِن علامات الاستِدراج لِلْعَبدِ عَماهُ عن عَيبه ، وتطلعُه إلى عيوبِ الناس ، وقالَ مِن النذالة أن يأكل العبدُ بِدِيْنِهِ .

وقال آخر وقد سئِلَ عن الطريق إلى الله ، فقال : تَوْبَةٌ تحلُ الإصْرَارَ ، وخوفٌ يُزِيلُ الغُرورَ ورَجَاءٌ يَنْهَضُ الخَيرات ، ثم مراقبةُ الله في خواطرِ القلوب.

قال أَحْمَدُ بن عاصم : أنفعُ اليقينِ ما عَظَّمَ في عَيْنَيْك مَا به أيْقَنْتَ وأنفَعُ الخَوفِ ما حَجَزَكَ عن المعاصي ، وأطَالَ منْكَ الحُزْنَ على ما فات ، وألْزمَكَ الفكرَ في بَقِيّة عُمُركَ وخاتمة أمْركَ .

وأنفَعُ الصِّدق أن تُقرَّ لله عَزَّ وجَلَّ بعُيوب نَفْسِكَ ، وأنفعُ الحَياءِ أن تَسْتَحِي أنْ تَسألَهُ ما تُحِبُ وتأتي ما يَكْرَه .

وأنفَعُ الصَّبْرِ ما قَوَّاكَ على خِلاَفِ هَوَاكَ وأفَضلُ الجِهادِ مُجَاهَدتُكَ نَفْسَكَ لِتردَّها إلى قَبُولِ الحق .

وأوجَبُ الأعداءِ مْنكَ مُجَاهَدةً أقْرَبُهُم مِنْكَ دُنُوًّا وأخْفَاهُم عَنكَ شَخْصاً وأَعْظَمُهُم لَكَ عَداوَةً وهوَ إبْليس .

قُلْتُ : فما تَرَى في الأنس بالناس ؟ قال : إن وَجَدْتَ عاقِلاً مأموناً فأنَسْ به واهرُبْ من سَائِرِهم كَهربكَ مِن السِّباع .

قُلْتُ : فما أفضَلُ ما أتَقَرَّبُ به إلى الله عزّ وجَلَ ؟ قال : تَرْكُ مَعَاصِيْه الباطنة .

قُلْتُ : فما بَالُ الباطنةِ أوْلَى مِن الظاهِرةِ ؟ قال : لأنَّكَ إذا أجْتَنَبْتَ الباطنةَ بَطَلَت الظاهرةُ والباطنةُ .

قُلْتُ : فما أضَرُّ الطاعاتِ لي ؟ قال : ما نسِيْت بها مَسَاوئَكَ ، وجَعَلْتَها نُصْبَ عَيْنَيْكَ إدْلالاً بها وأمناً .

قال : وسمعته يقول : اسْتَكْثِر من الله عزّ وجلّ لِنَفْسِكَ قَلِيْلَ الرزق تَخلُّصاً إلى الشُكْر ، واسْتَقْلِلْ مِن نَفْسِكَ لله عزّ وجلّ كَثِير الطَاعةَ إزراءً على النَّفْس وتَعَرُّضاً لِلْعَفْو .

واسْتَجْلِبْ شِدّةَ التَّيَقُّظ بشِدَّة الخَوفِ ؛ وادفَعْ عَظِيمَ الحِرص بإيثار القَنَاعَةِ ، واقْطَعْ أسْبَابَ الطَّمَع بصِحّةِ اليأسِ ؛ وسُدّ سَبِيْلَ العُجْب بمعرفةِ النفس .

واطْلُبْ رَاحَةَ البَدن بإجْمَامِ القلب ، وتَخَلَّصْ إلى إجْمَام القَلْب بقِلَّةِ الخُلَطاءِ ، وتَعَرَّضْ لِرقّةِ القلَب بدوام مجالسة أهل الذكرَ ، وبادِر بانتهازِ البُغْيةِ عِندَ إمكانِ الفُرْصَةِ ، وأُحذِّرُكَ «سَوْفَ» .

وكُنْ صَارِماً كَالْوَقْتِ فَالْمَقْتُ في عَسَى ... وإيَّاكَ مَهْلاً فهي أخْطَرُ عِلّتي
وجُذّ بسَيْفِ العَزْمِ سَوْفَ فإن تَجُدْ ... تَجِدْ نَفَساً فالنَّفْسُ إنْ جُدْتَ جدَّتِ

عن الأوزاعي أنه وعظ فقال في موعظته : أيها الناس تقوّوْا بهذه النِعم التي أصْبَحْتُم فيها على الهرب مِن نار الله الموقدة التي

تطلع على الأفئدة .

فإنكم في دَارٍ الثواءُ فيها قَلِيل وأنتم فيها مُؤَجَّلُون خَلاَئِف مِن بعد القُرون الذين اسْتَقْبَلوا مِن الدنيا أنفها وزَهْرَتَهَا .
فهم كانوا أطول منكم أعماراً وأمدَّ أجساماً وأعْظَمَ آثاراً فَخَددُوا الجبَالَ وجَابُوا الصُخُورَ ونَقّبُوْا في البلاد مُؤَيَّدَيْنَ بَبْطش شَدِيدٍ وأجسام كالعِمَادِ .

فما لَبَثَتِ الأيامُ والليالي أنْ طَوَتْ مُدَدَهُم وعَفَّتْ آثَارَهُم وأخْوَتْ مَنَزِلَهُم وأنْسَتْ ذِكْرَهُمَ ، فما تُحِسُ منهم مِن أحدٍ ولا تَسمعُ لَهم رِكزاً .
كانُوا بلَهْو الأمل آمِنِيْنَ لِبَيات قوم غَافِلين أو لِصباح قوم نَادِمِين ، ثم إنكم قد علمتم الذي نَزل بِسَاحَتِهم بيَاتاً مِن عُقُوبةِ الله عز وجل .
فأصْبَحَ كثيرمنهم في دِيارِهم جاثمين وأصْبَحَ الباقُون يَنْظُرون في آثار نِقمةٍ وزَوال نِعْمَةٍ ومَسَاكن خَاوِيَة فيها آيةٌ لِلَّذِين يَخَافُون العذابَ الأليم وعِبرَةٌ لِمَنَ يَخْشَى .
وأصبحتمُ مِن بَعْدِهِم في أجَلٍ مَنْقُوصٍ ودُنَيا مَقْبُوضَة في زمان قد وَلّى عَفْوُهُ وذَهَبَ رَخَاؤُهُ .
فلم تَبْقَ منه إلا حُمَة شرٍ وصُبَابَةُ كدر ، وأهاويلُ عِبَر ، وعُقُوباتُ غِير وأرْسَالُ فِتَن ، وتَتَابُعُ زَلازِل ورَذالةُ خَلَفٍ بهم ظَهَرَ الفَسَادُ في البرّ والبحر .
فلا تكونُوا أشباهاً لِمَنْ خَدَعَهُ الأملُ وَغُرَّ بطولُ الأجَل وتَبَلغَ بالأماني . نسأل الله أن يجعلنا وإياكم مِمَّنْ وَعَى نذْرَهُ ، وعَقَلَ فمهد

لنفســـــه .

اللهُمَّ أَنْظِمْنَا في سِلْكِ عِبادِكَ المُفلِحينَ واحْشُرنَا مَعَ الذينَ أَنعمت عليهم مِن النبيينَ والصديقينَ والشهَداءِ والصَّالِحينَ واغفرْ لنا ولوَالِدَيْنَا ولجميعِ المسلمينَ الاحياءِ منهم والميتين برحمتِكَ يا أرحمَ الراحِمِينَ وصلَّى اللهُ على مُحمدٍ وعَلى آلهِ وَصحبِه أجمَعِينَ .

(فصل)

كَتَبَ بعضهم إلى أخ يُوصيه : أمَّا بَعد فإنِّي أُوصيك بتقوى الله ، والعمل بما علَّمك الله عز وجل ، والمراقبة حيث لا يراك أحد إلَّا الله عز وجل والاستعداد لما ليس لأحدٍ فيه حيلة ، ولا تنفع النِّدامة عند نُزوله .

فاحسِر عن رأسك قِناع الغافلين ، وانتبه من رَقْدة الموتى ، وشمَّر للسّباق غداً فإن الدنيا ميدان المسابقين ، ولا تغتَرَّ بمن أظهر النُّسك ، وتَشَاغَل بالوصف ، وتَرك العمل بالموصوف .

واعلم يا أخي أنه لابدّ لي ولك من المقام بين يدي الله عز وجـل ، ولست آمن أن يسـألني وإياك عن وَسَاوس الصّدور ، ولحظات العيون ، وإصغاء الأسماع ، وما عسى أن يَعْجز مثلي عن صِفته .

واعلم أنه مما وُصف به منافقوا هذه الأمة أنهم خالَطوا أهل الدنيا بأبدانهم وطابَقوهم عليها بأهْوائهم ، وخَضَعوا لما طَمِعوا من نائلهم ، وداَهن بعضُهم (بعضاً) في القول والفعل ، فأشِرٌ وبَطِرٌ قولُهم ، ومُــرٌّ خبيثٌ فِعلُهم ، تَركـوا باطِنَ العمـل بلا تَصْحِيْح

فحرَمهم الله تعالى بذلك الثمنَ الرَّبيح .

واعلم يا أخي أنه لا يجزى من العمل القولُ ، ولا من البَذل العِدَةُ ، ولا من التَّقوى ولا من التوقّى التّلاوُم .

وقـد صِرْنا في زَمانٍ هذه صفة أهله فمن كان كذلك فقد تعرّض للمقْت وصُدّ عن سَوَاءِ السبيل . وفقنا الله عزَّ وجلّ وإياك لما يحب ويرضى ، إنتهى والله أعلم وصـلى الله على محمـد وآله وصحبه وسلم

[فـــــــائدة]

كُلَّما قِويَتْ حَاجَةُ الناس إلى الشىء ومَعْرفَتِهِ يسّرَ الله أسْبَابَه كما يُيَسِرُ ما كانَتْ حاجَتُهم إليه في أبدانهم أشدَ .

فلما كانت حاجتهم إلى النَّفسَ والهوى أعظم منها إلى الماء كان مَبْذُولاً لكل أحد في كل وقت .

ولما كانَتْ حاجَتُهم إلى الماء أكثر مِن حَاجَتِهم إلى القُوت كان وجود الماء أكثر لذلك .

فلما كانَتْ حَاجَتُهم إلى مَعْـرفَـةِ الخالق أعظم كانَتْ آياتُه ودَلائلُ رُبُوبيته وقدرَتِهِ وعلمِه ومَشِيئَتِهِ وحكمتِهِ أعظم مِن غيرها .

ولمـا كانت حاجتهم إلى مَعْـرِفَةِ صــدْق الرسلِ بَعْدَ ذَلكَ أعظَمَ مِن حاجتهم إلى غير ذلك .

أقام الله مِن دَلائِل صِدقهم وشَواهِدِ نُبُوَّتِهم وحُسْن حَالِ مَن اتَّبَعَهُم وسَعـادَته ونجاته وبَيَان ما يحصل له مِن العلمَ النافع والعمل الصالح .

وقُبْح حالِ مَن خالفَهم وشقاوتهم وجهله وظلمه ما يظهر لن تدبر ذلكَ ﴿ ومَن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

وختاما فالواجب على الانسان المبادرة إلى الأعمال الصالحة وأنْ ينتهز فرصة الامكان قبل هجوم هادم اللذات .

وأن يَستَعين بالله ويتوكل عليه ويسأله العَون في تسير الأعمال الصالحة وصرف الموانع الحائلة بينه وبينها .

وليحرص على حِفظ القرآن ، وتَدبره ، وتفهمه ، والعمل به ، وكذلك السنة ، ويحرص على أداءِ الصلاة في جُماعَة .

ويحرص على مجالس الذِكر ، ويحفظ لسانه عن الغيبة والنميمة والسعاية والكذب وجميع الأعمال والأخلاق السيئة .

وَيتهيأ لِلرحيل ، ويتفقد نفسه بما عليه ، وما له فإن كان عنده حُقُوقٌ لله كزكاة أو لِخَلْقه كأمانات أوَ عَواري أو وصايا أداها بسُرْعَةٍ خَشْيةَ أن يفْجَاءَهُ الموتُ وهي عنده .

فإذا لم تُؤدِها أنتَ في حَيَاتِكَ ، فَمَنْ بَعدَكَ مِن أوْلاد أو إخوان يَبْعُدُ اهْتِمامُهم بذلك ، لِأنهُم يُهتمون ويَشْتَغلونَ بما خَلَّفْتَهُ لهم وضَيَّعْتَ بسَببه نَفْسُكَ .

فالله الله اَلبدارَ بالتَفتيش على النفس ، والمبادرة بالتوبة والاكثار من الاستغفار .

ومما يَحُثُك على ذلك ذكْرُ مَرارة الموت الذي سماه رسُول الله ﷺ هادم اللذات ، وتذكر شدة النزع والتفكر في الموتى الذي حُبسُوا على أعمالهم لِيُجَازَوا بها فليس فيهم من يَقْدِرُ على محو خَطِيْئَةٍ، ولا على زِيَادة حَسَنة .

وعادَ بعضهم مريضاً فقال له كيف تجدُك ؟

قال : هو الموت . قال له : وكيف عَلِمْتَ أنه الموت ؟ قال:

أجذُني أجْتَذَب اجْتِذَاباً ، وكأن الخَناجِرَ في جَوْفِي ، وكأن جَوفي تَنُورٌ مُحمىً يَتَلَهَّب .

قال له : فاعْهَدْ (أي أوْصى) ، قال : أرَى الأمرَ أعْجَلَ من ذلك فَدَعَا بِدَواة وصحيفة قال : فوالله ما أتِي بها حتى شَخَصَ بَصَرُهُ فمَاتَ .

وقال إبراهيم بن يزيد العبدي : أتاني رِياح القيسي فقال : يا أبا إسحاق انطلق بنا إلى أهل الآخرة نُحْدِثُ بِقُربِهِمْ عَهْداً .

فانْـطَلَقْتُ مَعَـه ، فأتى المقـابـر فجلسنـاَ إلَى بعض تلك القبور، فقال : يا أبا اسحاق ما تَرى هَذا مُتَمَنِّياً لو مُنِّىء ، قلت: أن يُرَدَّ والله إلى الدنيا فيَسْتَمتِعْ مِنِ طاعِة الله ويُصْلح .

قال : فها نَحْنُ ، ثم نَهَض فجَدَّ واجْتَهَد ، فلم يَلْبَث إلا يسراً حتى مات .

ومما يَحُثُكَ على التأهب والاستعداد لهادم اللذات أنْ تُصَوِّر لِنَفْسِـكَ عَرْضَهَا على رَبكَ وتَخْجِيْلِهِ إيَّاكَ بمَضِيْض العِتاب على فِعْلِ مَا نَهَاكَ عنه قال جلَ وعلا ﴿ وكلهم آتيه يوم القيَامة فردا ﴾ .

اللهم إنـا نسْـألَـكَ نَفْسـاً مُطْمَئنـةً تُؤمِنُ بِلقَائِكَ وتَرْضَى بقَضَـائِـك ، اللهم إنـا نسـألك باسْمِكَ الطاهِر الطَّيب المُبَارَك الأحَبِّ إليك الذي إذا دُعِيْتَ به أجَبْتَ ، وإذا سُئِلَتَ به أعْطَيْتَ ، وإذا اسْتُرْحِمْتَ به رَحِمْت ، وإذا استفـرجْتَ به فَرَّجَتْ أن تَغفرَ سَيئاتنا وتبدِلها لنِا بحَسَنات يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعينَ .

(فصـــــــل)

قال رسول الله ﷺ « ما منكم مِن أحد إلا سَيُكَلِّمُهُ ربه تبارك وتعالى ليس بينه وبينه ترجمان » .

وعن صفوان بن محرر قال : كنتُ آخذاً بيد ابن عمر إذ عَرَضَ له رَجُـل ، فقـال كيف سَمِعْتَ رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة .

فقال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول « إن الله يُدْني المؤمن فَيَضَعُ عليه كَنَفَه ، ويَسْتُره مِن الناس ، ويُقَرِّرُهُ بذُنُوبه .

ويقُولُ له أتَعْرِفُ ذَنْبَ كذا ، أتعرف ذنب كذا ، حَتَّى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك .

قال : فإني قد سَتَرْتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم .

ومما يَحُثُكَ على الاستعداد للموت والابتعاد عن المعاصِي أن تَتَخايل وتَتَصَوَّر شَهَادَةَ المكان الذي تَعْصِي فيه عَليكَ يومَ القيامة .

فعن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله ﷺ ﴿ **يومئذ تحدث أخبارها** ﴾ فقال « أتدرون ما أخبارها ، أن تشهَدَ على كل عبد بما عمل على ظهرها ، أن تقول عَمِلَ كذا وكذا في يوم كذا وكذا ، فهو أخبارها » .

ومـا يحثك على التأهب والاستعداد للموت والابتعاد عن المعاصي أنْ تُمَثِلَ نَفْسَكَ عند بعض زَلَلِكَ كأنه يُؤمَرُ بك إلى النار التي لا طاقَةَ لمخلوق بها .

وتصور نفادَ اللذة وذهابَهَا وبَقَاءَ العارِ والعذاب .

تَفنى اللَّذاذَةُ مِمَّنْ نَالَ شَهْـــوَتَهُ ... مِن الحَرَامِ ويَبْقى الإثم والعَـــارُ
تَبْقى عَوَاقِبُ سُوْءٍ في مَغَبَّتِهَـــا ... لا خَيْرَ في لَذَّةٍ مِن بَعْدِهَا النَارُ

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « ناركم هذه ما يُوقِدُ بَنُوا آدَمَ جُزْءٌ واحدٌ مِن سَبْعِينَ جزءاً من حر جَهَنَّمَ » قالوا : والله إن كانت لكافية .

وقال بعض السلف: ربما مُثِّلَ لي رأسي بين جبلين من نار وربما رأيتني أهوى فيها حتى أبلغ قعرها فكيف تهنا الدنيا من كانت هذه صفته .

وكان عمر رضى الله عنه ربما توقد له النار ثم يدني يديه منها ثم يقول : يا ابن الخطاب هل لك على هذا صَبر .

ومما يحثك على الاستعداد وتفقد شؤنك وأمرك ذكر أحوال كثير من السلف الصالح الذي أقلقهم خوفُ الحساب والعذاب في البرزخ والنار .

لما أهْدِيَت مُعَاذَة العدوية إلى زوجها صِلة بن أشيم أدْخَلَه ابن أخيه الحَمامَ ثم أدخله بَيْتاً مُطَيَّبا فقام يصلي حتى أصبح وفَعَلَتْ زوجتُه مُعَاذَةُ مِثْلَه .

فلما أصبح عاتبَهُ ابنُ أخيه على فعله ليلة الزواج فقال له : أدْخَلْتَنى بالأمس بَيْتاً ذَكَّرْتَني به النار ثم أدْخَلْتَنِي بَيْتاً ذَكَّرْتَنِي به الجنة فما زَالَت فِكْرَتي فيهما حتى أَصْبَحْتُ .

ونظر عمر بن عبدالعزيز إلى رجلٍ عنده مُتَغَيرٌّ اللون ، ، فقال له ما الذي بك ؟ فقال : إني ذُقْتُ حَلاوَةَ الدنيا فَصَغُر في عيني زَهْرَتُها ومَلاعِبُها ، واستوى عِنِدي حِجَارَتُهَا وذَهَبُهَا .

ورَأيْتُ كأن الناس يُسَاقُونَ إلى الجنة ، وأنا أسَاقُ إلى النار ، فأسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلي ، وأظمأتُ نَهارِي ، وكُلُّ ذلك صغيرٌ حقيرٌ في جَنْبِ عَفو الله ، وثوابه عز وجل وجَنْبِ عِقابه .

وقال إبراهيم التَّيْمِي مَثَّلْتُ نَفْسِي في النار آكلُ من زَقُّومِها وأشْربُ مِن صَديدها وأعَالِجُ سَلاسِلَها وأغْلالها .

فقلتُ لِنَفْسِي أيُّ شيءٍ تُرِيْدِين ، قالت أرِيْدُ أنْ أرَدَّ إلى الدنيا فأعْمَلَ صَالحاً ، قال : فقلتُ أنتِ في الأمْنِيَّةِ فاعْمَلي .

وسمعَ عُمَرُ بن الخطاب رَجُلاً يَتَهجَّدُ في الليل ويَقْرَأ سُورةَ الطَوْر ، فلما بلغ قوله تعالى **﴿إن عَذابَ ربك لواقع ما له من دافع﴾** .

قال عمر : قَسَم ورب الكعبة حق ، ثم رَجَعَ إلى بيته فمرضَ شهرا يَعُوده الناس ، ولَا يَدْرُونَ ما سَبَبُ مرضه .

وكان جماعة مِن السلف مَرِضوا مِن الخوف ولِزمُوا مَنَازِلهم وبَعْضُهم صار صاحبَ فراش .

وكان الحسنُ يقول في وصف الخائفين : قد بَراهُم الخوفُ فَهم أمثالُ القِداح يَنظر إليهم الناظر فيقول مَرْضَى وما بهم مَرَضٌ ويقولُ قد خُولِطُوا وقد خَالَطَ القومَ مِن ذِكر الآخِرةِ أمْرٌ عَظِيم .

هذه القصيدة عَدَّلنا فيها بعض الأبيات :

وحَقِّكَ ياذَ الجُودِ مَالي مَلْجَـؤٌ ... ولا لي إلى أبْوَاب غَيـركَ مَطْلَبُ
إذا لم تَكُنْ لي عِندَ غَيْرِكَ حَاجَـةٌ ... فكَيْفَ إلى أبْوَابِ غَيْرِكَ أذْهَبُ
إذ لم يَكن مُعْطٍ سِـوَاكَ بمَطْلَبِي ... فكيفَ سِوَى مَعْرُوْفِ جُوْدِكَ أطْلُبُ
عَذُوْ لِي فيهِ مَا يَرَى مَا رَأيْتُـهُ ... فَيُكْثِرُ مِن لَوْمي عَلَيْـهِ ويُطْنِبُ
سَلَكْتُ سَبِيْلًا ما اهْتَدَى لسُلُوْكِها ... فأعْجَبُ مِنْهُ وَهْوَ منِّيَ يَعْجَـبُ

وَكَيْفَ سُلُوٌّ عن جَمَــالِ مُحَجَّبٍ ... أَيَادِيْه عن كُلِ الوَرَى ليس تُحْجَبُ
إذا سْتَأنَسَ الحَادُوْنَ لِلرَّكْب باسْمِهِ ... فكُلُّهُمُوْا حتى الركائب تَطْــرَبُ
يَطِيْبُ ويَحْلُوْ لِلْمُحِبِّيْنَ ذِكْــرُهُ ... فَلا طَيِّبٌ إلا وذِكْرُكَ أطْيَــبُ
فإنْ قُلْتُ شَهْداً فهو أحْلَى مَذَاقَةً ... وإنْ قُلْتُ مَاءً فهو أصْفَى وأعْذَبُ
سَأَلْتُكَ يَا حَادِي الرِكَائِب حَاجَةً ... إذا مَا بَدَتْ يَوماً لِعَيْنَيْكَ يَثْــرِبُ
فَسَلِّم على مَنْ قَدْ حَوَتْهُ قِبَابُهَــا ... وشِرْعَتُه في الكَونِ تُمْلَى وتُكْتَبُ
مُحَمَّدٌ المُخْتَارُ والماجِــدُ الذي ... إلى فَخرِهِ كُلُ المناسِب تُنْسَــبُ
هو الصادِقُ الدَّاعِي إلى الله وَحْدَهُ ... فمَنْ لم يُجِبْهُ فَهْوَ في الحَشْرِ يُنْدَبُ
فَصَلوا عليه دائماً فَصَــــلاتكم ... ثَوابُكُمُوا فيها مِن الله يُطْلَــبُ

وختاماً فالواجب على العاقل المبادرة إلى الأعمال الصالحة ما دام في قيد الحياة وخصوصاً الصلاة التي فرضها الله جل وعلا على عبـاده آكد أركان الاسلام بعد الشهادتين ومحلها من الدين محل الرأس من الجسد .

فكما أن لا حَيَاةَ لمنْ لا رَأسَ له فكذلك لا دِيْنَ لمنْ لا صَلاةَ له وهى خاتمةُ وصيَّةِ النبي ﷺ عند آخر عَهْدِهِ مِن الدنيا .

فعن أنسٍ رضى الله عنه قال : كانت عَامةُ وصيَّةِ رسول الله ﷺ حِينَ حَضرَتْـهُ الوفَاةُ وهُو يُغرغر بنَفْسِهِ « الصلاة وما ملكت أيمانكم » رواه أحمد وأبو داود .

وهي أول ما يُحَاسبُ به العبـد يوم القيامة كما ورد بذلك الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة مِن عمله صلاته فإن صلحت فقـد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر »

الحديث رواه الترمذي .

والصلاة أكبر عون للعبد على مصالح دينه ودنياه قال الله تعالى ﴿ واسْتَعِيْنُوا بالصبر والصلاة ﴾ الآية .

فالصلاة سعادة وسرور للمؤمن الخاشع المحب لربه ، فقد قال رسول الله ﷺ « وجعلت قرة عيني في الصلاة » وكان إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة ، فالصلاة جَسَدٌ وَرُوْح .

أما جسدها فهو كلام اللسان وحركات الأعضاء وأما روحها فهو الخشوع ، قال الله جل وعلا ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ .

والخشوع حضور الذهن وأن يَتَصَوَّرَ الانسانُ أنَّ رَبَّهُ أَمَامَهُ يَسْمَعُه ويناجيه فلا يشغل فكره بشيء من الدنيا مَا دام في صلاته ويجمع فكره إلى تأمل ما يتلو وما يسمع من الإمام ويحرص كل الحرص على طرد الهَوَاجيس .

قال أحد العلماء : إن مِن المعلوم أن المنتصبَ لِخطاب مَلِكٍ مِن مُلوكِ الدنيا يَجْمَعُ قَلْبَهُ للاقبال عليه ويُحْسِنِ التَودُد إليه وَيَتَحرزُ التحرز الكلي عن أَنْ تَفْرط منه كلمةٌ مُسْتَهْجَنَةٌ أو التفاتَةٌ غير مُسْتَحْسنَةٍ أو ذُهُول عَمَّا يُخَاطُبهُ بِه أو يَتَلقَاهُ من خِطَابِهِ وإنْ كان لا يَخَاف نِقْمَتَهُ ولا يَرجُو نِعْمَتَه .

فياعَجَباً مِن مُنْتَصِبٍ لِمُناجَاتِ مِلِكِ السموات والأرض وهو يَعْلَمُ أنه حَاضِرٌ لَدَيه وَرَقِيبٌ عَليهِ وأنه مُحْتَاجٌ في كُلِّ لَحْظَةٍ إليهِ غير مُسْتَغْنٍ عنه وإن إحْسَانَهُ إليه فوقَ كُل إحسان .

وعاقبة عِصيانه إنه الخلودُ في قَعْر النيرانِ وإن عَظَمَتَهُ لا

تُدَانِيهـا عظمـة سُلطان ومع ذلك يترُكُ الاقبالَ عليه ويَعْرِضُ له الذهولُ عَنهُ لخواطِرَ دُنَيويةٍ ووَسَاوسَ غير نَافِعة ولا مَرْضِيَّة حتى لا يشعر بمعاني ما يتلوه في صلاته ولا يعقل ما المطلوبُ بها ويَسهو عن أركانها وأذكارها هذا مما تَحارُ فيه العقول .

ولعل السبيل إلى ذلك هو التحفظ عن تلك الشواغل في حالة الصلاة التي هي عماد الدين والفارقةُ بينَ الكَفَرَةِ والمؤمنين التي فرضَهـا الله ليَتَـطَهَّرَ بها عبادُهُ عَمَّا اقْتَرفُوه فيما بين أوقاتها مِن الذنوب ويَغسِلُوا بها أبدانهم وأرواحهم عن دَرَنِ الحُوْب .

كما يشعِرُ به قوله ﷺ « مَثَلُ الصلواتِ الخمس كَمَثَل نَهْرٍ جَارٍ يَمُرُّ على باب أحدكم يَغتسل منه كُلَّ يوم خمسَ مراتٍ . وفي رواية فماذا تَرَوْنَ أيَبْقَى عليه مِن الدَرَنِ بعد ذلكَ » .

والمهم أن يَصْرِفَ العبدُ ذِهنَهُ إلى أن قِيَامَهُ لِلْوُضُوءِ والصلاةِ إنما هو لخطاب مَلِكِ المُلُوكِ والاعتذار إليه مِن التقصير في الحَيَاءِ منه في أحْوالِهِ السابقة وليطْلُبْ مِنه العفوَ والمسامحةَ والاحسانَ ولأداءِ مَا كَلَّفَهُ مِن العِبادة .

اللهم إنـا نسـألُـكَ نَفْسـاً مُطْمَئِنـةً تُؤمِنُ بلِقَائِكَ وتَرضَى بقَضَـائـك ، اللهم إنـا نسـألك باسْمِكَ الطاهرِ الطَّيب المُبَارَك الأحَبِّ إليك الذي إذا دُعِيتَ به أجَبْتَ ، وإذا سُئلتَ به أعْطَيْتَ ، وإذا اسْتُرْحِمْتَ به رَحِمْت ، وإذا استفـرجْتَ به فَرَّجْتْ أن تَغفرَ سَيئاتنا وتبدِلها لنِا بحَسَنات يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعينَ .

[فصــــــل]

قال شيخ الإِسلام :

القَلْبُ لا يَصْلَح ولا يُفْلح ولا يَسُر ولا يلتذ ولا يَطِيْب ولا يَسْكُن ولا يَطْمئنُ إلا بعبادة رَبه وحُبّهِ والانابةِ إليه .

ولـو حصَلَ له كُلُ ما يَلْتَذُ به مِن المخلوقات لم يَطْمئنَّ ولم يَسْكُنْ إذْ فيه فَقْرٌ ذاتِي إلى رَبهِ مِن حيثُ هُو مَعْبُودُهُ ومَحْبُوبُه ومطلوبُه .

وبذلك يَحْصُلُ لَه الفَرَحُ والسُرورُ واللَّذَةُ والنِّعْمَةُ والسُكونُ والطمأنينةُ .

وهذا لا يَحْصُل إلا بإعانة الله لهُ ولا يقدرُ على تحصيل ذلك لَهُ إلا الله فهُو دائماً مُفْتَقِرٌ إلى حقيقةِ إيَّاكَ نَعبُدُ وإيَّاكَ نَستَعِينَ .

فهو مفتقرٌ إليه مِن حيثُ هو المطلوبُ المحبُوبُ المعبُودُ ومِن حيثُ هو المُسْتَعَانُ به المتوكلُ عليه .

فهو إلٰهُهُ لا إله لَهُ غَيرُه وهو ربُّهُ لا رَبَّ له سِوَاهُ ولا تتِمُ عُبُودِّيتُه إلا بهذين .

وقال : إعراض القلب عن الطلب من الله والرجا له يوجب إنصراف قلبه عن العبودية لله لا سيما مَن كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق .

بحيث يكـون قلبه معتمداً إما على رئاسته وجنوده وأتباعه وإمـا على أهله وأصدقائه وإما على أمواله أو غيرهم ممن ماتَ أو يموت قال تعالى ﴿ **وتوكل على الحي الذي لا يموت** ﴾ .

وقال على كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ ولا يتقدم بين يديه .

بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله وعمله تبعاً لأمره فمن قول الله وقول رسوله يتعلم وبه يتكلم .

وكل من خالف ما جاء به الرسول لم يكن عند علم بذلك ولا عدل بل لا يكون عنده إلا جهل وظلم وظن وما تهوى الأنفس ﴿ ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ .

وقال رحمه الله : من ابتِلي بِبَلاءٍ قَلْبِي أزْعَجَهُ فأعْظَمُ دَواءٍ له قُوةُ الالتجاء إلى الله ودَوامُ التضرع والدُّعاء بأن يَتَعلم الأدعيةَ المأثورة ويَتوخى الدُعاء في مَظانِ الإجابة .

مِثْلُ آخرِ الليل وأوقات الأذان والاقامة وفي سجوده وأدْبَار الصلوات ويَضُمَّ إلى ذلك الاسْتغفارَ .

وليتخذْ وِرْداً مِن الأذكار طرفي النهار وعندَ النوم وليَصْبِرْ على ما يَعْرِضُ له مِن الموانعِ والصوارف .

فإنه لابُدَّ أن يُؤيِّده الله بروح منه ويكتب الايمان في قلبه .

وليحرص على إكمال الفرائض من الصلوات الخمس بباطنه وظاهره فإنها عمود الدين .

وليكن هجيراه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فإنه بها يحمل الأثقال ويكابد الأهوال وينال رفيع الأحوال .

ولا يَسْأم مِن الدعاء والطلب فإن العبد يستجاب له ما لم يعجل .

وليعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العُسر يسرا .

وقال ابن القيم : مراقبة الرب علم العبد وتيقنه باطلاع الله على ظاهره وباطنه فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة .

وهى ثمرة عمله بأن الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله ومطلع على عمله كل وقت وكل لحظة .

قال النبي ﷺ « ذاقَ طَعْمَ الإيمان من رضى بالله ربـاً وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا .

وقـال : من قال حين يسمـع النِّداءَ رضيتُ بالله ربـاً وبالاسلام دينا وبمحمد نبيًّا غفرت ذنوبه » .

وهذا الحديثان عليهما مدار مقامات الدين وإليهما يَنْتَهِي .

وقد تضَمَّنَهَا الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته والرضا برسوله والرضا بدينه والتسليم له .

ومن اجتمعت له فهو الصديق حَقًا وقال : الأدبُ اجتماعُ خصال الخير في العبد وهي ثلاثة أنواع :

أدب مع الله بأن يَصُونَ قَلْبَهُ أن يَلتَفِتَ إلى غيره أو تَتَعَلّق إرادته بما يَمْقُتُه عليه ، ويصون معاملته أن يشوبها بنقيصه .

وأدب مع الـرسول بكمال الانقياد ، وتلقى خبره بالقبول والتصديق وأن لا يعارضه بغيره بوجه من الوجوه .

وأدب مع الخلق بمعاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم ويناسب حالتهم .

وقـال رحمه الله : المقبول من العمل قسمان : أحدهما أن يُصلى العبد ويَعمل سائر الطاعات وقلبه متعَلِق بالله عز وجل ذاكر الله على الدوام فعمله في أعلى المراتب .

الثاني : أن يَعْمَلَ العبد الأعمال على العادة والغفلة وينوي بها الطاعة والتقرب إلى الله .

فأركانه مشغولة بالطاعة وقلبه لاه عن ذكر الله وكذلك سائر أعماله فهذا عمله مَقْبُولٌ ومُثابٌ عليه بحَسَبه .

اللهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأبْرارِ وأَسْكِنَّا مَعَهمُ في دارِ القرارَ ، اللهم وفقنا بِحُسْن الاقبالِ عَليك والإصْغَاءِ إليك ووَفّقْنا لِلتّعاوُنِ في طَاعَتِكَ والمُبَادَرةِ إلى خِدْمَتكَ وحُسْن الآداب في مُعَامَلَتِكَ والتّسليم لأمْرِكَ والرِّضا بِقَضَائِكَ والصَّبْرْ على بَلائِك والشّكْرِ لِنَعْمَائِكَ ، واغفرَ لَنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتِكَ يا أرْحَمَ الراحمين وصلى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ أجمعين .

فــوائــد ومــواعــظ ونصــائــح

قال أحد العلماء إعلم أنه لا يسلم إنسان من النقص إلا منَ عصمه الله كالرسل قال الله جل وعلا عن الإنسان ﴿ إنه كان ظلوما جَهُوْلا ﴾ .

وقال ﷺ « كل بَني آدمَ خطَّا وخير الخطائين التوابون » فَمَّنْ خَفِيَتْ عليه عُيُوبُهُ فَقَدْ سَقَط .

وصَـارَ مِن السَّخَفِ والرذَالَةِ والخِسَّةِ وضَعْفِ التَّمْييز والعَقِل وقِلَّةِ الفَهْمِ بِحَيْثُ لا يَتخَلَّفْ عنه مُتَخَلِّفٌ مِن الرَّذَائِل .

وعليه أن يَتَدَارَكَ نفسَه بالبَحْثِ عن عُيُوبهُ والسُّؤالِ عنها بدِقَةٍ وأكثرُ مَن يَفْهَمُ عُيُوبَ الإنسان أعْدَاؤُهُ لأنهم دائماً يُنَقِبُونَ عنها .

وكذلكَ الأصْدقَاءُ الناصحين الصَّادقين المنصِفين يَفْهَمُونها غالباً .

فالعَاقِل يشْتَغِلُ بالبَحْثِ عنها والسَّعْي في إزالتها ولا يَتَعَرَّض لِعُيُوب الناس التي لا تضره لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا من باب النصيحة .

كما لو رآى إنسانا مُعْجَبًا بنفْسِهِ فَيُبْدِي له النُصْحَ وجهاً لِوَجْهٍ لا خَلْفَ ظَهْرِهِ .

واحْـذرْ أن تقـارن بَيْنَـكِ وبينَ مَن هو أكثرَ منْكَ عُيوبًا فتسْتَسْهِلْ الرَّذَائِلَ وتهَاوَنُ بعُيُوبِكَ .

لكن قارنْ بينَ نَفْسِـكَ ومَن هُو أفضـلُ منـكَ لِتسْلَم مِن عُجْبكَ بنَفْسِـكَ وتفُيْقَ مِن دَاءِ الكِـبر والعُجْب الـذي يُوَلِّـدُ عليكِ الاسْتِحْقارَ والاسْتِخْفَافَ بالناسِ معَ العِلم بأن فيهم مِن هُو خَيْرٌ مِنك .

فإذا اسْتَخْفَفْتَ بِهِمْ بغَيرِ حَقٍ اسْتَخَفُّوا بك بحقَ لأن اللَّهِ جل وعلا وتقدس يقول ﴿ وجَزَاءُ سَيئَةٍ سَيئَةٌ مثلها ﴾ .

فَتُسَببْ على نفسِكَ أن تكون أهْلاً للإسْتِخْفافِ بكَ مَعَ ما تَجْنِيْهِ مِن الذنوب وطَمْسِ ما فيكَ مِن فضيلة .

فإنْ كُنْتَ مُعْجَبًا بعَقْلِكَ فَفَكِّرْ وتأَمل في كُلِّ فكْرَةِ سُوْءِ تَحِلُ بخَاطِرِكَ وفي أضَاليلِ الأمَاني الطائفة بِكَ فإنكَ تَعْلم نقصَ عَقْلِكَ حِيْنَئِذٍ .

وإنْ أعْجبْتَ بآرائِكَ فتَأَمَّلْ وفكِّرْ في غلطَاتِكَ وسَقَطَاتِكَ واحْفَظْهَا وتَذكُّرهَا وَلا تَنْسَهَا .

وفي رَأْيٍ كُنْتَ تراهُ صَوابًا فتَبَيَّنَ لَكَ خَطَؤُكَ وصَوَابُ غَيرِكَ والغالِبُ أن خَطَأَكِ أكْثرُ مَن الصَّوَاب .

وهكذا تَرَى الناسَ غيرَ الرُسُلِ والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وإنْ أعْجبْتَ بعَمَلِكَ فتفكر في مَعَاصيْكَ هل بَيْتُكِ خال من الملاهي والمنكرات مثل الصور والتلفاز والمذياع وأغانيه والمجلات والجرائد التي فيها صور ذوات الأرواح .

وهَلْ هُو خالٍ مَن الأولاد الذي لا يَشهدون الجماعة وهَلْ أنت سَالمٌ مِن الغِيْبَةِ وإخلاف الوعد والكَذب والحَسَد والكِبرِ والرياء .

والعُقُـوق وقـطيعـةِ الرحم والظُلم والرِباء والدُخان وحَلْقِ اللِحْيَةِ

والغِش وقول الزور وسُوءِ الظن بالمسلمين والتجسس ِ عليهم والاحتقارِ لهم ونحو ذلك .

فأَنْتَ إذا تَفَقَدْتَ نَفْسَكَ وبَيْتَكَ وأولادَكَ وجَدْتَ عندك مِن الشُرور والآثام ما بَعْضهُ يَغْلِبُ على ما أعجبْتَ به من عَمَلِكَ الذي لا تدرى هل هو مقبول أو مردود .

وان أَعْجبْتَ بعلمك أو عَمَلِكَ فأعلم أنه موهبة من العزيز العليم وهبك إيَّاها فلا تُقَابِلْهَا بما يسخطه عليك .

قال الله جل وعـلا ﴿ وفـوق كل ذي علم عليم ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ .

وأسأل الله أن يزيد منه ، وأن يجعله حجة لك لا عليك ، قال تبارك وتعالى ﴿ وقل رب زدني علما ﴾ .

وتفكر فيما تحمله من العلم هل أنتَ عَامِل به أم لا واجْعَلْ مَكانَ عُجْبِكَ بنَفْسِكَ اسْتِنْقاصاً لها واستقصاراً فهو أولى بك .

وتفكر فيمن كان أعلم منك تجدهم كثيراً ، ثم اعلم أن العلم الذي تفتخر فيه ربما يكون وبالاً عليك .

فيكون الجاهل أَحْسَنَ حَالاً ومآلاً وأعذرَ مِنْكَ فبذلكَ التفكير يَزُوْلُ العُجْبُ والكبرُ عنك وتهون نفسُكَ عِنْدَكَ حِيْنَئِذٍ .

وإن أَعْجبْتَ بشجَاعَتِكَ وقُوتِكَ فتفكر فِيْمَنْ هو أشْجعُ وأَقْوَى مِنَكَ ثم أنْظُرْ في تلكَ النَّجْدَة التي مَنَحَكَ اللَّهُ تعالى فِيْم صرَفْتَهَا .

فإن كُنْتَ صرَفْتَهـا في مَعْصِيَةِ اللَّهِ فأَنْتَ جَاهِـل آثِم لأنكَ بَذَلْتَ نفسَكَ فيما لَيْسَ ثمنًا لَهَا .

وإن كُنْتَ صرَفْتَهَا في طاعةِ فقد أَفْسَدْتَهَا بإعْجَابكَ بعَمَلِكَ .

ثم تفكر في زوالها عَنْكَ وقْتَ الكِبَر عندما تَنْحَل قُوَّتُكَ ويَضْعُفُ

جِسْمُكَ .

نَسـاقَطُ أَسْـنَانٌ ويَضْـعُفُ نَـاضِـرٌ وتَقْصُـرُ خُطْـوَاتٌ ويَثْقُـل مَسْمَـعُ

قال الله جل وعـلا وتقدس ﴿ الله الذي خلقكم مِن ضَعْفٍ ثم جَعَل من بعد ضَعْفٍ قُوَّةً ثم جَعَل مِن قُوَّةٍ ضَعْفًا وشَيْبَة يَخْلُقُ مَا يَشاءُ وهو العليم القدير ﴾ .

وقال وصاحب التَّعَبُدِ المُطْلَقِ ليسَ لَهُ غرضٌ في تَعَبُّدٍ بعَيْنِهِ يُؤثِرُهُ على غيره .

بل غَرَضُـه تَتَبُّعُ مَرْضَاةِ اللَّهِ تعالى أَيْنَمَا كانَتْ فَمَدَارُ تَعَبُّدِهِ عليها فلا يَزَالُ مُتَنَقِّلاً في مَنَازِلِ العُبُودِيَّةِ كلما رُفِعَتْ له منْزِلَةٌ عَمِلَ على سَيْرِهِ إليها واشتَغَل بها .

اللهم وَفِّقْنَا لِسُلوكِ سبِيْلِ أهْلِ الطَّاعَةِ وارزقنا الثبات عليه والاستقامة وعافنا من موجبات الحسرة والندامة وأمنا مِن فزع يوم القيامة واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٨ مــوعظــة

اسْمَـعْ يا غَائِبُ في صَلاتِـهْ ، يا شَتِيْتَ الهَمِّ في جِهَاتِهِ
يا مَشْغُولاً بآفاتِهِ عن ذِكْر وَفَاتِهْ ، يا قَليلَ الزَّادِ مَعَ قُرْبِ مَماتِهْ .

يا مَن يَرحَـلُ عَنَ الدُنيا في كُلِّ لَحْظَةٍ مَرْحلة ، وكتَابُهُ قد حَوَى حَتَّى مِقْدَارَ الخَرْدَلَةْ ، وما يَنْتَفِعُ بالنَّذِيْرِ والنُّذُرُ مُتَّصِلَةْ .

ومـا يَرْعَويْ لِنَصِيْح وكَم قدْ عَذلَهْ ، ودِرْعُهُ مُتَخَرِّقَةٌ والسِهَامُ

مُرْسَلَة ، ونور الهُدَى قد يُروي وما رَآهُ ولا تأمّلهُ وهو يأمَل البَقاءَ وقَدْ رَآى مَصيرَ مَن أمَّلَهْ .

وأجَلُهُ قَدْدَني ولكِن أَمَلهُ قَدْ شَغَلهْ ، وقد عَكَفَ على العَيْب بَعْدَ الشّيْبِ بصَبابَةٍ ووَلَهْ ، ويُحْضِرُ بَدَنه في الصلاة وأمّا القَلْبُ فقد أهْمَلَهْ .

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فبَيْنَ يَدَيْكَ الحِسَابُ والزَّلْزَلَةْ ، ونَعِّمْ جِسْمَكَ فلا بُدَّ لِلدُّود أنْ يأكُلَهْ .

يا عَجَبًا مِن فُتور مُؤمنٍ بالجَزَاءِ والمَسْألَةْ ، أَيَقِينٌ بالنَّجاةِ أمْ غُرُورٌ وبَلَهْ ، بادِرْ مَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِكَ واسْتَدْرِكْ أوَّلَهْ ، فَبَقِيَّةُ عُمُرِ المؤمِنِ لا قِيمَةَ لَهْ .

ومُسْنَدُوْنَ تعاقَروا كأسَ الرَّدي ودَعَا بشُرْبِهِمُ الحِمَامُ فأَسْرَعُوْا
بَرَكَ الزَّمانُ عَلَيْهُمُوْا بِجرَانِهِ وهَفَتْ بِهِم رِيحُ الخُطُوب الزَّعْزَعُ
خُرُسٌ إذَا نَادَيْتَ إلاَّ أنَّهُمْ وعَظُوْا بِمَا يَزَعُ اللَّبِيْبَ فَأسْمَعُوْا
والدَّهْرُ يَفْتِكُ بالنُفُوس حِمَامُهُ فلِمَنْ تُعِدُّ كَرِيْمَةً أوْ تُجْمَعُ
عَجَبًا لِمَنْ يُبْقِيْ ذَخائرَ مَالِهِ ويَظَلُّ يَحْفَظُهُنَّ وهْوَ مُضَيِّعُ
ولِغَافِلٍ ويَرَى بكُلِّ ثَنِيَّةٍ مُلْقًى لَهُ بَطْنُ الصَّحَائِفِ مَضْجَعُ
أتَرَاهُ يَحْسَبُ أنَّهم مَا أسْأرُوْا مِن كَأسِهِ أضْعَافَ مَا يَتَجرَّعُ

عبادَ اللَّهِ كَمْ أخْلَى الموتُ دارَ ، وتَرَكَ المَعْمُورَ قِفَارًا ، كم أوْقَدَ مِنَ الأسَفِ في الجوانحِ نارا ، وكَمْ أذَاقَ الغُصَصَ المُرَّةَ مِرَارا .

لَقَدَ جَالَ يَمْيْنًا ويَسَارا فما حَابى فَقْرًا ولا يَسَارًا ، أين الجيشُ العَرَمْرَمْ ، أيْنَ الكَبِيْرُ المُعظَّم ، ألحِقَ الأخِيْرُ بمَنْ تَقَدَّم .

قال محمد بن كعب القرظي إنما الدنيا سُوقٌ خَرَجَ الناسُ منها بما يَضرهُم وبما يَنْفَعُهم .

وكم اغـترَ نَاسٌ فخـرجُـوا مَلُومِينَ واقْتَسَمَ ما جَمَعُوْا مَن لم يَحْمَدْهُم وصاروا إلى مَن لا يعذرهم .

فَيَحقُ لنا أنَ نَنْظُرَ إلى مَا نغبطهم بِهِ مِن الأعمال فَنَعْمَلُهَا ، وإلىَ مَا نَتخَوَّفُ فَنَتَجَنَّبُهَا .

ذَهَبَ الشَّبَابُ بَجْهلِهِ وبعارِهِ   وأتَي المَشِيْبُ بِحِلْمِهِ وَوَقَارِهِ
شَتَّانَ بَيْنَ مُبعِّدٍ مِن رَبِّه بغُرورِهِ   ومُبَشِّرٍ بجوارِهِ
مازلْت أمْرَحُ بالشباب جَهَالَةً   كَالطِّرْفِ يَمْرَحُ مُعْجَبًا بعِذَارِهِ
وسَحَبْت أثواب البَطالَةِ لاهِيًا   وجَررت مِن بَطرٍ فُضولَ أزارِهِ
حتي تقَلْصَ ظِلُّه فتكشَفَتْ   عَوْرَاتُه وبَدَا قبيحُ عَوارِهِ
لمْ أحْظَ مِنْهُ بطائلٍ غيْرُ الأسَى   وتَندمٌ مِنِّي عَلَى أوْزارِهِ
والآنَ قدْ خَطَّ المشيبُ بمفْرقِي   بِمَوَاعِظٍ والحقُ في تَذْكَارِهِ
والنَّفْسُ تَركَبُ غَيَّهَا لا تَرعَوي   عنه ولا تُصْغِ إلى إنْذارِهِ
لَهفِي على عُمْرٍ يَمُرُّ مُضَيَّعًا   مُحْصَى على بلَيْلِه ونَهارِهِ

قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه مَيْدَانُكم نُفُوسُكم فإنْ انْتصَرْتُم عليها كنتم على غيرها أقْدَرَ ، وإنْ خُذلتُم فِيْها كُنْتُم على غيرها أعْجَزْ ، فجَرِّبُوا مَعَهَا الكِفَاح أوّلاً .

كان سُفْيَانُ الثوري ما ينام إلاَّ أوَّلَ اللّيلِ ، ثم يَنْتفضُ فَزعَا مَرْعُوبَا يُنَادِي النارَ النار شَغَلِني ذِكْر النار عن النَّوْمِ والشهوات .

ثم يَتوضَأ ويَقُولُ عَلى أثرِ وَضُوئِهِ ، اللهم إنك عَالمٌ بِحَاجَتي غير مُعَلَّم وما أطلبُ إلا فَكَاكَ رَقَبتي مِن النار .

قال عَمُرُ بنُ عبدِالعزيز أيُّهَا الناس إنما يُرادُ الطَّبيْبُ لِلْوجَعِ الشديْدِ ، ألاَ فَلاَ وَجَعَ أشَدُّ مِن الجَهلِ ولا داءَ أخْبَثُ مِن الذُنُوب ولا خَوْفَ أخوفُ مِن الموت .

يُرْوَى عن الأصمعي قال قرأتُ « والسارقُ والسارِقَةُ فاقْطَعُوا أيْدِيَهَا جزاءً بما كَسَبا نكالاً من الله » والله غفورٌ رَحيم .

وبجنبي أعرابي فقال كلامُ مَنْ هَذا فَقُلْت كلامُ الله .

قال أعِدْ فأعَدْتُ فقال لَيْسَ هَذا كلامُ اللّهِ ، فانْتبهْتُ فقرأتُ « واللَّهُ عَزِيْزٌ حَكِيم » .

فَقَال أصَبْتَ هَذَا كلامُ الله ، فَقُلْتُ أتقْرأُ القرآن ، قال لاَ فَقُلْتُ مِن أينَ عَلِمْتَ .

فقال يا هَذا عَزَّ فَحَكَمَ فقَطَع ، ولو غَفَر وَرَحِمَ لما قطَع .

كان أحد العلماء له وظِيْفَةٌ يأخذ عليها راتبٌ جَيِّدٌ فاتَّفقَ أنَّه كان ياكلُ يَوْمًا مَعَ أصحابه طَعَامًا فجاء قط فَرَمَوْا لهُ شَيْئًا فأخذه وذَهَبَ سَرِيعا .

ثم رجَعَ فَرمَوْا لَهُ أيضا شَيْئًا فانْطَلقَ بهِ سَرِيْعًا ثم جَاءَ أيْضا فَرمَوْا له شَيْئًا فَعلموا أنَّه لا يَأكلُ هَذا كلَّه فتبعُوْهُ فإذَا هوَ يَذْهَبُ بهِ إلى قِطٍ آخَرَ أعْمَى في سَطْحٍ هُنَاكَ فَتَعَجَّبُوْا مِن ذَلِكَ .

فقال الشيْخ ياسُبْحَانَ الله هَذا حَيَوان بَهِيم قِدْ سَاقَ اللَّهُ إليه رِزْقِهُ على يَد غَيرِه أفلا يَرْزُقُني وأنا عَبْدُهُ واعْبُدُه .

ثم ترك ما كانَ لَهُ مِن الرَّاتِب وجمع حَوَاشيه .

وأقبل على العِبَادَةِ والمُلاَزَمَة في غرفة في جامعِ عَمْرو بنِ العاص إلى أن مَات .

وكَتَبَ بعضُهم إلى أخ له إيَّاكَ وتأمِير التَّسْوِيف على نفسكَ وإمْكَانِهِ مِن قَلْبِكَ ، فإنه مَحَلُّ الكَلال ومَوْئِل التَّلف وبه تنقطع الآمالُ وفيه تَنْقَطِعُ الآجال وبادِرْ يا أخي فإنه مُبَادَرٌ بكَ وأسْرِعْ فإنه مُسْرَعٌ بكَ وجِدَّ فإنَّ الأمْرَ جِدٌّ وتَيَقَّظْ مِن رَقْدَتكَ وانْتَبِهْ مِن غفلتكَ .

وتَذكَّر ما أسْلَفْتَ وقَصرَّتَ وفرَّطْتَ وجَنَيْتَ وعَمِلْتَ فإنه مُثْبَتٌ مُحْصَى فكأنك بالأمر قد بَغَتكَ فاغْتَبِطْ بما قَدَّمْتَ أو نَدِمْتَ على ما فَرَّطْتَ .

ثم أعلم أن في التسويف وتأخير الواجب آفاتٌ منها أنك لا تضمن أنْ تَعِيشَ إلى الغد ولا سِيَّمَا في هذا العصر الذي كثرت فيه الحوادث برغم تقَدم الطب وتوفر النعم وتقدم العلم .

ولكن لا يمنع ذلك الموتَ بسَبَبِ الحَوادثِ التي لا تُحْصَى كُلّ يَوم مِن أسْباب أدَوَاتَ الحَضَارَة : السَّيَّارَاتِ والطائرات والآلات والأجْهِزَة المِيْكَانِيْكِيَّةِ والكَهْرَبائِية والقَزِ والنَّفطِ وغيرها بل العلم هو الذي نشَأتْ عنه هَذه الأسباب بإذن الله حَيْثُ كَان الإنسان قبل حُصُول هذه في أمان منها .

ثانياً : إنك إن بَقِيتَ إلى الغَدِ لا تأمَنْ مِن المُعَوَقات مِن مَرضٍ طارىء أوْ شُغْل عَارِض أو بَلاءٍ نَازِل به فلهذا يَنْبَغِي للعاقل الحازم أن يُبَادر إلى اغتنام الفُرصِ وفِعْل الخيرات وأدَاءِ الواجبات وكان العَجْزُ أن تؤخِرَ وتُؤجِل حتى تَفُوتَكَ الفُرصة وتَشْكُو مِن الغُصة وقد قيل :

ولا تُؤَخِّرْ إذَا مَا حَاجَةٌ عَرَضَـــتْ ... فَهُمْ يَقولُونَ لِلتَّأخير آفَـــاتُ

آخـــــر :

عَليكَ بأمْرِ اليومِ لا تَنْتَظِرْ غَــداً ... فَمَنْ لغَدٍ مِن حَادِثٍ بكَفِيـــلِ

آخـــــر :

ولا أُأخِرُ شُغْل اليوم عن كَسَلٍ ... إلى غَدٍ إن يَومَ العَاجزينَ غَــدُ

اللهمَّ يا خالقَ الخَلْقِ يا قَيُّومُ نسألُكَ بأسْمائِكَ الحُسْنَى أنْ تنصُرَ الإسْلاَمَ والمسلمينَ وأنْ تُعْلِي بفضْلِكَ كَلِمَةَ الحقِّ والدِّينِ وأنْ تَشْمَلَ بعنايَتِكَ وَتَوْفِيقِكَ كلَّ مَنْ نَصرَ الدِّينَ وأنْ تَمْلأَ قلوبَنا بِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ مَنْ يُحِبُّكَ وأنْ تأخُذَ بِنَوَاصِيْنَا إلَى ما تَرْضَاهُ وأنْ تَرْزُقَنا الاْسْتعدادَ لِمَا أمَامَنَا وأنْ تُهَوِّنَ أمْرَ الدُّنْيا علينا وأن تَغْفِرَ لَنا ولوالدِيْنَا وَلِجميعِ المسلمين برحْمَتِكَ يا أرحَمَ الراحمينَ وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى أهْلِهِ وصحْبِهِ أجمعين .

(فَصْـلٌ)

قال بَعْضُهُمْ أعْجَبِ حالات الإنسان أنه يَحْسِبُ لِكلِ شيءٍ حِسَابا ويَسْتَعِدُ لهُ يَخْشَى الفقر فَيدَّخِرُ لَهُ المالَ ويَخْشَى البَرْدَ فيستعِدُ له والحَرَّ كذلك .

ويخشى الشَّيْخُوخَةَ والكِبَرَ فَيَسْعَى في تَحْصِيْـــلِ الأُولادِ لَعَلَّهُم يَخْدمُونَهُ عند العَجْزَ ويَخْلِفُونَه في شُؤُونِهِ الدُنْيوية والأُخْرَوِيِّةِ وهكذا .

لَكِنَّهُ لا يَدْخُلِ الموتُ الذي رُبَّمَا فاجأهُ في حِسَابِهِ فلا يَسْتَعدُ له مَعَ أنه يُشاهِدُ الموتَى يَذهَبُونَ ولا يَعُودُون .

وهُوَ مُهَدَّدٌ بالموت في كل ساعة خُصُوصاً في زمننا الذي كثُرتْ فيه أسْبَابُ مَوْتِ الفجأة نَسأل الله أنْ يُوقِضَ قُلُوبَنَا لِلاستعداد لَهُ .

وقال علي رضي الله عنه : أيها الناس اتقوا الله الذي إن قُلْتُم سَمِعَ وإنْ أضْمَرْتمُ عَلِم ، وبادروا الموت الذي إن هَرَبْتم عنه أدرككم ، وإن أقمتُم أخَذَكم، وإن نَسِيتُمُوْهُ ذَكَرَكم .

وقال رضي الله عنه : إذا كُنْتَ في إدْبَار والموتُ في إقْبَالٍ فما أسْرَعَ المُلْتَقى .

وقال آخر : الدنيا كطريق فيه شوك مُغْطى بالتراب يدُوْسُهُ مَن لا

يَعْرِف مَسْلَكَهُ فَيَنْخَسُهُ ويَضُرُهُ ويُؤلمه ويَقِفُ عنه مَن استرابَ به فَيَسْلَمُ مِن شَــــرِّه .

وقال مَن مَالَ إلى الدُنيا تَعَجَّلَ التَّعَبَ فيها وكان على يَقِينٍ مِن فَنَائِهِ .

وقال ما أغْفَلَ مَن تَيَقَنَ بالرحيل عن الدنيا وهو مُنْهَمِكٌ مُجتَهِدٌ في عِمارتها والجَدِيْرُ بالعاقل أن يجَعَلَ جُلَّ أوقاتِهِ للآخرة ولا يَنْسَى نَصِيْبَهُ مِن الدنيا .

فمن جعل همه كله للدنيا ضَيَّعَ نفسَه ، وفِعْلُ السبب لا ينافي التوكل قال ﷺ « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطَاناً » رواه الترمذي .

ففي الحديث دلالة على طلب الرزق الكفاف وعمارة الآخرة تفيد الراحة في الدنيا والنعيم في الآخرة وعمارة الدنيا تكسب التعب فيها والشقاء بعد مفارقتها .

والآخرة صَبْرٌ قليل وسرور طويل .

وقال آخر : الموت راحة لمن كان عبد شهوته ومملوكَ هَواه لأنه كُلَّما طالت حَيَاتُه كَثُرتْ سيئاته وانْبَثَّتْ في العالم جناياتُه .

وقال : الموت محمود على كل حال لِلْبَرِّ والفاجر ، فأما البَرُّ فَيصلُ إلى مَا قَدَّمَ مِن صالحِ أعماله وجميلِ أفعالِهِ ، وأما الفاجر فيستريح العالم من فجوره وشروره ويقل تَزَيُّدُه مِن الأوزار .

وختاماً فإن الانسان عند موته ينكشف له الحجَاب فإن كان ممن رضي الله عنه ينكشف له من سعة رحمة الله وجلاله ما تكون الدنيا بالاضافة إليه كالسجن المُضَيَّق .

يفتح له باب إلى الجنة ويأتيه من روحها وريحانها ويوسع له قبره مد بصـــــره .

وإن كان من أهل الشقاء فيرى نفسه محفوفة بالمخازي والفضائح والأنكال ويضيق عليه قبره . ويفتح له باب إلى النار ويأتيه من حرها وسمومها نعوذ بالله من ذلك .

والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وأولادنا وأصدقائنا مع العلم أننا سَنُفَارق الجميع ولكننا في غفلة ولو لم يكن للعاقل هم ولا غم إلا التفكر والتأمل في خطر تلك الحالة وهول المطلع لكان كافياً في استغراق جميع العمر ولكن ما عَرفَ قَدر العُمرِ وعَرف الدنيا حَقيقةً إلا أفراد من الآلاف الذي تمسكوا بسيرة النبي ﷺ وأصحابه الذين جعلوا الدنيا مَطيةً للآخرة نسأل الله العظيم أن يُوفقنا لِسُلوكِ طرِيقِهم وأن يجزيهم عنا وعن جميع المسلمين خيراً ، اللهم طَهِرْ قلوبنا مِن النِّفَاقِ والحَسَدِ والكِبر والعُجْبِ والرِّياءِ وأعْيُنَنا من الخيانة فإنَكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعْينِ وما تخفي الصُدور واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين وارحمنا برحمتك الواسعة يا رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال بعضهم مُوَبِّخاً نَفْسَـــهُ :

دَع التَّشَاغُلَ بالْغِزْلَانِ والغَـــزَلِ ... يَكْفِيكَ مَا ضَاعَ مِنْ أيَّامِكَ الأوَلِ
ضَيَّعْتَ عُمْرَكَ لا دُنْيَا ظَفِرْتَ بهَا ... وَكُنْتَ عَنْ صَالحِ الأعمَالِ في شُغُلِ
تَركْتَ طُرقَ الهُدَى كالشمس واضِحَةٍ ... وَمِلْتَ عنها لمُعْوَجِّ مِنَ السُّـــبُلِ
ولم تَكُنْ نَاظرَاً في أمْر عَاقبَــــةٍ ... أأنْتَ في غَفْلَةٍ أم أنْتَ في خَبَلِ
يَا عَاجزاً يَتَمَادَى في مُتَابَعَةِ النَّـــ ... ـفْسِ اللجُوجِ ويَرْجُو أكْرَمَ النُّزلِ
هلا تَشَبَّهْتَ بالأكياس إذْ فَطِنُوا ... فَقَدَّمُوا خَيْرَ مَا يُرْجَى مِنَ العَمَلِ
فَرَّطْتَ يَاصَاحِ فَاسْتَدْرِكْ عَلَى عَجَلِ ... إن المَنِيَّةَ لا تَأتي على مَهَـــــلِ
هِلْ أنْذَرَتْكَ يَقِيناً وَقْتَ زَوْرَتِهَـــا ... أوْ بَشَّرَتْكَ بعُمْرٍ غَيْرِ مُنْفَصِــــلِ
هَيْهَات هَيْهَاتَ مَا الدُّنْيَا ببَاقِيَةٍ ... ولا الزَّمَانُ بِمَا أمَّلْتَ فيـــه مَلي

لا تَحْسَبَنَّ الليَـــالي سَالَمَتَ أَحَداً صَفْواً فَمَا سَالَمَتْ إلا على دَخَـــلِ
ولا يَغُرَّنْكَ مَا أوليتَ مِنْ نِعَمٍ فَهَلْ رَأَيْتَ نَعِيماً غَيْرَ مُنْتَقِـــلِ
كَمْ مِنْ فَتىً جَبَرَتْهُ بَعْدَ كَسْرَتِهِ فَقَابَلَتْهُ بِجُرْحٍ غَيْرِ مُنْدَمِـــلِ
إلامَ تَرْفُلُ في ثَوْبِ الغُرُورِ على بِسَاطِ لَهْوِكَ بين التِّيهِ والجَـــذَلِ
والشَّيْبُ وَافَاكَ مِنْهُ نَاصِحٌ حَذِرٌ فَمَا بِه كُنْتَ إلا غَيْرَ مُهْتَبِـــلِ
ولَمْ تُرَعْ مِنْهُ بَلْ أَصْبَحْتَ تَنْشُـــدُهُ إنِّي أتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ في عَذَلِ
وَسِرْتَ تَطْلُبُ حَظَّ النَّفسِ مِنْ سَفَهٍ فَبَهْجَةُ العُمْرِ قَدْ وَلَّتْ ولَمْ تَصِلِ
وَمَالَ عَصْرُ التَّصَابِي مِنْكَ مُرْتَحِلاً وَحَالَةٌ عَنْ طَرِيقِ الغَيِّ لَمْ تَحُلِ
أَقْسَمْتُ باللهِ لو أنْصَفْتَ نَفْسَكَ مَا تَرَكْتَهَا بِاكْتِسَابِ الوِزْرِ في ثِقَلِ
أمَا عَلِمْتَ بِأنَّ اللهَ مُطَّلِـــعٌ على الضَّمَائِرِ والأَسْرَارِ والحِيَـــلِ
وكُلُّ خَيْرٍ وشَرٍّ أنْتَ فَاعِـــلُهُ يُحْصَى ولو كُنْتَ في الأَسْتَارِ والكِلَلِ
أمَا اعْتَبَرْتَ بِتَرْدَادِ المَنُـــونِ إلى هَذِي الخَلِيقَةِ في سَهْلٍ وفي جَبَلِ
وسَوْفَ تَأتي بِلا شَكٍّ إليكَ فَمَا أخَّرْتَ عَمَّنْ مَضَى إلاَّ إلى أجَلِ
لكِنَّهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَدَيْكَ فَخُـــذْ بالحَزْمِ وانْهَضْ بِعَزْمٍ مِنْكَ مُكْتَمِلِ
دَعِ البَطَالَةَ والتَّفْرِيطَ وَابْكِ على شَرْخِ الشَّبَابِ الذي وَلَّى ولَمْ يَطُلِ
ولَمْ تُحَصِّلْ بِهِ عِلْماً ولا عَمَـــلاً يُنْجِيكَ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الحَادِثِ الجَلَلِ
وابْخَلْ بِدِينِكَ لا تَبْغِي به عِوَضاً ولَوْ تَعَاظَمَ واحْذَرْ بَيْعَةَ السِّفَـــلِ
واتْلُ الكِتَابَ كِتَابَ اللهِ مُنْتَهِيـــاً عَمَّا نَهَى وتَدَبَّرْهُ بلا مَـــلَلِ
وكُلُّ مَا فِيهِ مِنْ أمْرٍ عَلَيْكَ بِهِ فَهْوَ النَّجَـــاةُ لِتَالِيهِ مِنَ الظُّلَلِ
ولازِمِ السُّنَّةَ الغَـــرَّاءَ تَحْظَ بِهَا وَعَدِّ عَنْ طُرُقِ الأَهْـــوَاءِ واعْتَزِلِ
وَجَانِبِ الخَوْضَ فِيمَا لَسْتَ تَعْلَمُهُ واحْفَظْ لِسَانَكَ واحْذَرْ فِتْنَةَ الجَدَلِ
وكُنْ حَرِيصاً على كَسْبِ الحَلالِ ولَوْ حَمَّلْتَ نَفْسَكَ فيه غَيْرَ مُحْتَمَـــلِ

واقنَعْ تجدْ غُنْيَةً عن كلِّ مَسْألَةٍ فَفِي القَنَاعَةِ عِـــزٌّ غَيْرُ مُرْتَحِلِ
واطْلُبْ مِنَ اللهِ واتْرُكْ مَنْ سِواهُ تَجِدْ مَا تَبْتَغِيهِ بلاَ مَنٍّ ولا بَـــذَلِ
ولا تُدَاهِنْ فَتىً مِنْ أجْلِ نِعْمَتِهِ يَوْماً ولَوْ نِلْتَ مِنْهُ غَايَةَ الأمَـــلِ
واعْمَلْ بعِلْمِكَ لا تَهْجُرْهُ تَشْقَ بِهِ وانْشُرْهُ تَسْعَدْ بِذِكْرٍ غَيْرِ مُنْخَذِلِ
ومَنْ أتَى لَكَ ذَنْباً فَاعْفُ عَنْهُ ولا تَحْقِدْ عَلَيْهِ وفي عُتْبَاهُ لا تطُـــلِ
عَسَاكَ بالعَفْوِ أنْ تُجْزَى إذَا نُشِرَتْ صَحَائِفُ لَكَ مِنْهَا صِرْتَ في خَجَلِ
ولا تَكُنْ مُضمِراً مَا لَسْتَ تُظْهِرُهُ فَذَاكَ يَقْبحُ بَيْنَ النَّاسِ بالرَّجُلِ
ولا تَكُنْ آيِساً وارْجُ الكَرِيمَ لما أسْلَفْتَ مِنْ زَلَّةٍ لكِنْ على وَجَلِ
وَقِفْ على بَابِهِ المَفْتُوحِ مُنْكَسِـــراً تَجْزِمْ بِتَسْكِينِ مَا في النَّفْسِ مِنْ عِلَلِ
وارْفَعْ لَهُ قِصَّةَ الشَّكْوَى وَسَلْهُ إذا جُنَّ الظَّلامُ بِقَلْبٍ غَيْرِ مُشْتَغِـــلِ
ولازِمِ البَابَ واصْبِرْ لا تَكُنْ عَجِلاً واخْضَعْ لَهُ وتَذَلَّلْ وادْعُ وابْتَهِلِ
ونَادِ يَا مَالِكِي قَدْ جِئْتُ مُعْتَذِراً عَسَاكَ بالعَفْوِ والغُفْرَانِ تَسْمَحُ لي
فَإنَّنِي عَبْدُ سَوْءٍ قَدْ جَنَى سَفَهـــاً وضَيَّعَ العُمْرَ بَيْنَ النَّوْمِ والكَسَلِ
وغَرَّهُ الحِلْمُ والإمْهَالُ مِنْكَ لَهُ حَتَّى غَدَا في المَعَاصِي غَايَةَ المُثُلِ
ولَيْسَ لي غَيْرُ حُسْنِ الظَّنِّ فِيكَ فإنْ رَدَدْتَني فَشَقَـــاءٌ كَانَ في الازَلِ
حَاشَاكَ مِنْ رَدِّ مِثْلي خَائِباً جَزِعاً والعَفْوُ أوْسَعُ يَامَوْلاى مِنْ زَلَلِي
ولَمْ أكُنْ بِكَ يَوماً مُشْرِكاً وإلى دِينٍ سِوَى دِينِكَ الإسْلامِ لَمْ مِلِ
وكَانَ ذَلِكَ فَضْلاً مِنْكَ جُدْتَ بِهِ ولَيْسَ ذَاكَ بِسَعْيٍ كَانَ مِنْ قِبَلِي

اللهم اعْتِقْنَا مِن رقِّ الذُنُوبْ ، وخَلِّصْنَا مِن أشَرِ النَّفوسْ ، وأذْهِبْ عَنّا وَحْشَةَ الإِسَاءَةْ ، وطَهِّرْنا من دَنَس الذنوب ، وباعِدْ بَيْنَنا وبَيْنَ الخَطَايَا وأَجِرْنا مِن الشيطان الرجيم .

اللهم طَيِّبْنَا لِلقَائِكَ ، وأهِّلْنَا لِوَلائِكْ وأَدْخِلْنا مَعَ المَرْحُوْمِيْنَ مِن

أوْلِيَائِكْ ، وتَوفَّنا مُسْلِمينْ والحقَنَا بالصالحين .

اللهم أعِنَّـا على ذِكْـرِكَ وشُكْـرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِكْ ، وتلاَوَةِ كِتَابِكْ ، واجْعَلْنَا من حِزْبِكَ المُفْلِحَيْنَ ، وأيِّدْنَا بجُنْدِكَ المنْصُورِين ، وارْزُقْنَا مُرافَقَةَ الذيْنَ أنْعَمْتَ عليهم من النبيينَ والصِّديقينَ والشهداء والصَّالحينِ . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فوائد ومواعظ وارشادات وأحكام

قال ابن مَسْـعود رضي الله عنه إني لأكره أنْ أرى الرَجُل فارِغَا لا في أمْرِ دُنْيَاهُ ولا في أمْرِ دِيْنِهِ .

وقال عُمرُ بن الخطاب رضي الله عنه لا يَقْعُدْ أَحَدُكم عن طَلَبِ الرِزْقَ ويَقُوْلُ اللَّهُمَّ ارْزُقني فقد عَلِمْتُمْ أَنَّ السَّماءَ لا تُمْطِر ذَهَبًا ولا فِضَّةً .

وكان مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ يَغرِسُ في أرْضِه فقال عمر رضي الله عنه أصَبْتَ اسْتَغْنِ عن الناس يَكُوْنُ اصْوَنُ لِدِيْنِكَ وأَكْرَمُ لكَ عليهم .

وَسُئِلَ إبْراهِيمُ النَّخعِيْ عَن التَّاجِرُ الصَّدُوْقُ أَهُوَ أَحبُّ إليْكَ أَمِ المُتَفِّرغُ لِلْعِبَادَةِ .

قال التاجر الصَّدُوْقُ أَحَبُّ إليَّ لأَنَّهُ في جِهَادٍ يَأْتِيْهِ الشَّيْطَانِ مِن طَرِيْقِ المِكْيَالِ والمِيْزَان ، ومِن قِبَلِ الأَخْذِ والعَطَا فَيُجَاهِدُهُ .

وقِيْلَ للإمـام أحْمَدِ ما تَقُولُ فِيمَنْ جَلَسَ في بَيْتِهِ أَوْ مَسْجِدِه وقال لا أَعْمَلُ شَيْئاً حتى يأتِيْني رِزْقِي .

فقال أَحْمَدُ هذا رَجُلٌ جَهِلَ العِلْمِ أَمَا سِمعَ قول النبي ﷺ « إنَّ الله جَعَل رِزْقِي تحْتَ ظِلّ رُمْحِي » .

وقوله ﷺ حِيْنَ ذَكَرِ الطَّيْرَ « تَغْدُوا خِمَاصًا وتَرُوحُ بطَانًا » فذكر أنها تَغْدُوْا

فِي طلب الرزقِ .

وكـان أَصْحَـابُ رَسُـول الله ﷺ يَتَّجِرُوْنَ في البَرِّ والبَحْرِ ويَعْمَلُونَ في نَخِيْلِهِمْ والقُدْوَةُ بِهِم .

وَجَاءَتْ رِيْحٌ عَاصِفَةٌ في البَحْرِ فقال أَهْل السَّفِيْنَةِ لإِبْرَاهِيْمَ بْنِ أَدْهَم رحمه اللَّهُ وكان مَعَهم في السَّفِيْنَةِ .

أَمَا تَرَى هَذِه الشِّدَّة فقال ما هَذِه شِدَّةٌ إِنَّما الشِدَّةُ الحَاجَةُ إلى الناس .

ورُوي أَنَّ الأَوْزَاعِي لَقِي إِبْـرَاهِيْمَ بْنَ أَدْهَم وعلى رَأْسِهِ حُزْمَةُ حَطَب فقال يَا أَبَا اسْحَاقَ إلى مَتى هَذَا إِخْوَانُك يَكفُونَكَ .

فقَالَ دَعْني عن هَذا يَا أَبَا عَمْرو فإِنَّهُ بَلَغَني أَنَّهُ مَنْ وَقَفَ مَوقفَ مَذَلَّةٍ في طلب الحَلالَ وجَبَتْ له الجَنَّة .

وقال أبُو سُلَيْمانَ الدَّارَني لَيْسَ العِبَادَةُ عِنْدَنَا أنْ تَصُفَّ قَدَمَيْك ، وغَيْرُكَ يَقُوْتُ لك ، ولَكِنْ إِبْدَأ برَغِيْفيْكَ فأَحْرِزْهُمَا ثم تَعَبَّدْ . أهـ .

فالإنسـانُ البَصِـيْرُ يَتَسَببُ ويَسْـتَرزِقُ اللَّهَ ويَبِيْعُ ويَشْـتَرِي بإِخَلاصٍ ونُصْحٍ لِنفسِهِ ولِلمسلمين .

كانَ عنـدَ يُونُس بْنِ عُبَيْد حُلل مُخْتَلِفَةَ الأَثمانِ قِسْم مَنها قِيْمَةُ الحُلَّةِ أَرْبَعْمائةٍ ، وقِسْمٌ قِيْمَةُ الحُلَّة مِئتَانِ .

فَذهَبَ مُبَـادِرًا إلى الصلاة وخَلَّفَ ابنَ أَخِيْهِ في الدُّكَانِ فَجاءَ أَعْرَابِيٌّ وطلب حُلَّةً بأَرْبَعمائة .

فَعَرضَ عليه مِن حُلَلِ المِئَتَين فاسْتَحْسَنَهَا ورَضِيَها فاشتراهَا بأَربَعْمَائة وذَهَبَ بها .

فلَقِيَهُ يُونُسُ فقال بِكَمْ اشتَرَيْتَ هَذِهِ فقال بأَرْبَعِ مِائَةِ فقال لا تُساوِيْ أَكثر مِن مِأَتَيْنِ فارْجِعْ حتى تَرُدَّهَا .

فقال هَذِه تُسَاوِي في بَلَدِنَا خَمْسُمائة وأنَا ارْتَضَيْتُهَا فقال لَهُ يُونُسُ انْصَرِفْ

فإِنَّ النُصْحَ فِي الدِيْن خَيْرٌ من الدُنْيَا وَمَا فِيها .

ثم رَدَّهُ إلى الدُكَانِ ورَجَّعَ عليه مِئتَيْ دِرْهَم وَوَبخ ابْنُ أَخِيْهِ وقال لَهُ أَما اسْتَحْيَيْتَ أَمَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ تَرْبَحُ مِثْلَ الثمَنِ وتَتْرُكَ النُصْحَ لِلْمُسْلِمِين .

فقال واللَّهِ ما أَخَذَهَا إِلَّا وَهُوَ رَاضٍ بها قال فَهَلَّا رَضِيْتَ لَهُ ما تَرْضَاهُ لنَفْسِك .

وكان يُوْنُسُ بنُ عُبَيْد المذكور التابِعي خَزَّازًا (أَيْ يَبِيْعُ الخَزَّ) فَطَلَبَ منه الْمُشْتَري خَزًا لِلشِرَاءِ .

فأَخْرَجَ غُلَامُهُ سِفْطَ الخَزِّ ونَشَرَهُ ونَظَرَ إليه وقال اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الجَنَّةَ .

فقال لِغُلَامُهُ رُدَّهُ إلى مَوْضِعِهِ ولم يَبِعْهُ ، لأَنَّهُ خَافَ أَن يَكُونَ كَلَامُ الغُلَامِ تَعْرِيْضًا بالثَّنَاءِ على السِّلْعَةِ ومَدْحًا لَهَا فَيَكُونُ مِن باب الغِش والخِدَاع .

اللَّهُمَّ يا مَنْ لا تَضُرُّهُ المعصيةُ ولا تَنْفَعُهُ الطاعَةُ أيقَظْنَا مِنْ نَوم الغَفلة وَنَبِّهْنا لاغتِنَام أوقَاتِ الْمُهْلَة وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا واعْصِمْنا من قبائِحِنَا ولا تؤاخِذْنا بما انْطَوَتْ عليه ضَمائِرُنَا وأَكَنَّتْهُ سَرائِرُنا مِنْ أنواع القَبَائح والمعائب التي تَعْلَمُها مِنا ، وامنُنْ علينا يا مولانا بتوبةٍ تمحو بها عَنا كُلَ ذَنْبٍ واغفِرْ لنا ولِوالِدِيْنا ولجميعِ المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمَتِك يا أرحم الراحمين وصلى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحْبه أجمعين .

(فَصْـــلٌ)

وكانَ لُمحَمَّدِ بن المنكَدِرِ قِطَعُ قماشٍ بَعْضُها بِخَمْسَةٍ وبَعْضُها بِعَشَرَةٍ فباعَ غُلَامُهُ قِطْعَةً مِن القِطَع التي على خَمسَة بِعَشْرَةٍ .

فلما عَلِم محمدُ بذلك ذَهَبَ يَطْلُب الذي اشْتَرَى مِن غلامِهِ لِيَرُدَّ عليه خَمسةً فلم يَزَلْ يَطْلُبُهُ طُولَ النَّهَار حتى وجَدَهُ .

فقال لَهُ إنَّ الغُلامَ قَدْ غَلطَ باعَكَ ما يُسَاوِي خَمْسَةً بعَشرةٍ .

فقال يا هَذا أنَا قَد رَضِيْتُ فقال له وإنْ رَضِيْتَ فإنا لا نَرضَى لَكَ إلا ما نَرْضَاهُ لأنْفُسِنَا .

فاخْتَرْ إحْدَى ثلاثَ خِصَالٍ إما أن تأخُذْ بَدَلَهَا مِن القِطَعِ التي على عَشَرةٍ بدَرَاهِمِكَ وإمَّا نَرُدَّ عَلَيْكَ خَمسَةً وإمَّا أنْ تَرُدَّ القِطْعَةَ وتأخُذَ دَرَاهِمَكَ .

فقال أعْطِني خَمْسَةً فرجَّعَ عليه خَمْسَةً وأخَذَهَا وانصرف .

فقال مَن هذا الرجل الناصح لِنَفْسِهِ ولِلْمسلمين فقالوا هذا مُحَمَّدُ بنُ المنكَدِر رحمه الله . هذا من رقم (١) في الزهد والورع .

وكان لِيُونس بن عُبيد غلام يُجَهِّزُ إليه السُكْرُ فكَتَبَ إليه مَرَةً أنَّ قَصَبَ السُكَرّ قَدْ أَصَابَتْهُ آفةٌ هذه السَّنَة فاشْتَر السُكرَ قال فاشتَرى سُكرًا كثِيْرًا .

فلَما جاءَ وَقْتُهُ رَبحَ فِيْهِ ثلاثينَ أَلْفًا فانْصرَف إلى مَنْزلِهِ ، فأفْكر لَيْلَتَهُ وقال رَبحْتُ ثلاثِيْنَ ألفا وخَسِرْتُ نُصْحَ رَجُلٍ مِن المُسْلمين .

فلما أصْبَحَ غدا إلى بَائِعِ السُكر فَدَفَع إليه ثلاثين ألْفَا وقال بارَكَ اللَّهُ لكَ فيها فقال مِن أَيْنَ صَارَتْ لِي فقال إني كتمتُكَ حَقِيْقَةَ الحال وكان السُكَّرُ قد غلا في ذلك الوَقْت .

فقال رحَمك اللَّهُ قد أعْلَمْتني الآن وقد طَيَّبْتُهَا لكَ قال فرجَعَ بها إلى مَنْزلِهِ وتفكَّر وَبَاتَ سَاهِرًا وقال مَا نَصَحْتُهُ فَلَعَلَّهُ اسْتَحْيَا منيّ فَترَكَهَا لِيْ .

فبكر إلَيه مِن الغَدِ وقال عَافَاكَ اللَّهُ خذْ مالَكَ إليْكَ فهو أطْيَبُ لِقلْبِي فأخَذَ منه ثلاثِيْنَ ألْفَا . هذا مِن رقم (١) في الورع والزُهْد .

ونُقِلَ عن بَعْضِ الوَرِعيْنَ أنه اشْتَرى كُرَّ لَوْزٍ وهُوَ سِتُون قَفِيْزًا بِسِّتِيْنَ دِيْنارا .

وكَتَبَ في دَفْترِهِ ثَلاثَةَ دَنانِيْرَ رِبْحُهُ .

وكأنَّهُ رَأى أنْ يَرْبَحَ على العَشَرةِ نِصْفَ دِيْنار فصَار اللَّوزُ بتِسْعِيْنْ .
فأتاه الدلال فطلَبَ اللَّوْزَ فقال خُذْهُ قال بكَمْ قال بثلاثة وسِتّين ديْنَارًا .
فقال الدَّلاَلُ وكان مِن الصَالِحِين الوَرِعين قَدْ صَارَ اللُّوزُ بتِسْعِينْ .
فقال قد عَقَدْت عَقْدًا لا أُحُلُّهُ لَسْتُ أَبِيْعُهُ إلا بثلاثٍ وسِتين .
فقال الدَّلاَلُ وَأَنَا عَقَدْتُ بَيْني وبَيْنَ اللّهِ أَلاَ أغُشَّ مُسْلِماً لَسْتُ أخُذْهُ مِنْكَ إلاَّ بتِسْعِين .
فَتَفَرَّقَا بدُونِ بَيْعٍ .
كُلُّ منهما مَا يُرِيْدُ أَنْ يُفْسِدَ نِيَّتَهُ وهذانِ مِن رقم واحِد في الوَرَعِ .
وباعَ ابنُ سِيْرين شاةً فقال لِلْمُشْتَري إن فِيها عَيْبًا « إنها تَقْلِبُ العَلَفَ برجْلِهَا » قلت فعلى المسلم الناصح أن يُبَيِّنَ لأَخِيْهِ المُسْلِم كُلَّ مَا يَعْلَمُه في المبيع مِن العُيُوبِ كَكَوْنِ الدابةِ تأكل العَذِرَةَ أو تأكل الخِرَقَ أوْ ما تحلبِ إلا عَلى نَوع من الطعام
ويُحْكَى أنَّ وَاحِدًا كان لَهُ بَقَرة يَحْلبَهَا ويَخْلِطُ لبَنَهَا بالماءِ ويَبِيْعُهُ فجاء سَيْلٌ فَغَرَّقَ البَقَرَة .
فقال أَحَدُ أوْلاَدِهِ إنَّ تِلْكَ المِيَاه المُتَفَرِّقَةٍ الَّتِي غَشَّيْنَا فيها اللَّبَنَ اجتَمَعَتْ دُفْعَةً واحِدَةً فأَغْرَقَتِ البَقَرَةَ .
وعن أَحَدِ التابعين أنَّهَ قال لَوْ دَخَلْتُ الجَامِعَ وهو غَاصٌ بأَهْلِهِ وقِيْلَ لِيْ مَن خَيْرُ هَؤلاَء لَقُلْتُ أنْصَحُهُمْ لَهُمْ ، فإذا قالُوا هذا قُلْتُ هُوَ خيرهم .
ولو قِيْلَ لِي مِنْ شَرُهُمْ قُلْتُ أغَشُهُمْ لَهُمْ فإذَا قِيْلَ هَذَا قُلْتُ هُوَ شَرُهُمْ .
وبَاعَ الحَسَنُ بنُ صَالح وهو مِن رجال البُخاري جَارِيَةً فقال لِلْمُشْتَري إنَّهَا تَنَخَّمَتْ عِنْدَنَا دَمًا .
وخِتَامًا فَعَلَى المُسْلِم أن يَجْتَنِبَ بَيْعَ المنكرات والملاهي كالصُور والتِلفاز والفِيديو وجَميعَ المُحَرَّمات والمُنْكَرات وأَوَاني الذهب والفِضَّةِ لمن يَسْتَعْمِلُهَا .

والدُّخانَ وَأَوْرَقَ اللَّعِبْ والطُّبول والمزامِير وكُلّ ما يُشْغِلُ عن طاعةِ اللَّهِ أَوْ يُعِينُ عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ .

ونَنْصَح مَنْ يَتَعَاطى هذه وأمثالَها نسأل اللَّهَ أن يُعَافِينَا وجميع المسلمين .

تَـورَّعْ وَدَعْ مَـا إِنْ يَـرِيبُـكَ كُـلَّهُ ... جَمِيْعـاً إِلـى مَـا لا يَـرِيبُكَ تَسْـلَم

وحَافِظْ عَلى أَعْضائِكَ السَّبْعِ جُمْلَةً ... ورَاعِ حُقُـوقَ اللَّهِ فِي كُلِّ مُسْـلِم

وكُـنْ رَاضِـياً باللَّهِ رَبًّـا وحَـاكِمًا ... وفَـوِّضْ إِلَيْـهِ فِي الأُمُـوْرِ وَسَـلِّم

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِصَالحِ الأَعْمَالَ ، ونَجِّنا من جميعِ الأَهْوَالِ ، وأَمِّنَّا مِنَ الفَـزَعِ الأَكْـبَرِ يومَ الـرَّجْفِ والـزلْـزَالْ ، وَاغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَم الرَّاحِمِيْنَ ، وصَلى اللَّهُ على محمدٍ وآلِه وصحبه أجمعين .

عن أبي بَرْزة الأسلمي أن جُلَيْبِيْباً كان امرأ من الأنصار ،

وكان أصحاب النبي ﷺ إذا كان لأحدهم أيّم (أي لا زَوْجَ لها) لم يزوجها حتى يُعلِمَ النبي ﷺ : هَلْ لَهُ فِيهَا حَاجَةٌ أمْ لا ؟

فقال رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ لِرَجُلٍ من الأنصار : يافُلَانُ زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ . قال : نَعَمْ ونِعْمَةُ عَيْنٍ . قال : إني لَسْتُ لِنفْسِي أُرِيدُهَا قال : لِمَنْ ؟ قال : لِجُلَيْبِيبْ . قال : يارسولَ ﷺ حَتَّى أستأمِرَ (أي أشَاورُهَا) وأمَّهَا .

فأتاها فقال : إن رسول الله ﷺ يَخْطُبُ ابنَتَكِ . قالتْ : نَعمَ ونِعْمةُ عَيْنٍ ، زَوِجْ رسولَ الله ﷺ .

قال : إنه لَيْسَ لنَفْسه يُرِيدُهَا . قَالتْ : فلِمَنْ ؟ قال : لِجُلَيْبِيبِ . قالت : حَلْقَى أَلِجُلَيْبِيب ؟ لا لَعَمْرُ الله لا أزَوِجُ جُلَيْبِيباً .

فلما قَامَ أبُوهَا ليأتِي النبي ﷺ قَالت الفتاةُ مِن خِدْرِها لأبَوَيْهَا: مَن خَطَبني إليكُما ؟ قالا : رسولُ الله ﷺ . قالت : أفتَرُدُّونَ على رسول الله ﷺ أمْرَهُ ؟ ادْفَعُوني إلى رسولُ الله فإنَّهُ لَنْ يُضَيِّعَني .

فَذَهَبَ أبُوها إلى النبي ﷺ فقال : شأنَكَ بها . فزوَّجَهَا جُلَيبيباً .

قال اسحاق بن عبد الله بنُ أبي طلحة لِثَابت : أتَدْري ما دَعَا لها به النبي ﷺ ؟ قال : وما دَعَا لها به النبي عليه السلام ؟

قال : اللهم صُبّ عَلَيها الخَيرَ صَبّاً ولا تجْعَلْ عَيشَهَا كَدّاً كَداً .

قال ثَابتُ : فَزَوَّجَهَا إيَّاهُ ، فبينما رسولُ الله ﷺ في مَغزَى له قال : هَلْ تَفْقِدُونَ مِن أحَدٍ ؟ قالوا : نَفْقِدُ فُلاناً ونَفِقْدُ فُلاناً ونَفْقِدُ فلاناً .

ثم قال : هَلْ تَفْقِدُونَ مِن أحَدٍ ؟ قالوا : نفقد فلاناً ونفقد فلاناً .

ثم قال : هل تَفقِدُونَ مِن أحَدٍ ؟ قالوا : لا .

قال : لَكِني أفْقدُ جُلَيْبيباً فطْلبُوه في القَتْلى .

فَنظَرُوْا فَوَجَدُوْهُ إلى جَنْب سَبْعَةٍ قد قَتَلَهمُ ثم قَتَلُوه .

فقال رسولَ الله ﷺ : هذا مِنِّي وأنا مِنه ، أقَتَلَ سَبْعَةً ثم قَتَلُوه هَذَا مِنّي وأنا مِنْهُ أقَتَلَ سَبْعَةً ثمْ قتلوْه هذا مني وأنا منه .

فوضعه رسول الله ﷺ على ساعِدَيه ثم حَفَرُوْا لَهُ ما له سَرِيْر إلا ساعِدَي رسول الله ﷺ حتى وضعه في قبره .

لله در هذه الأنفس فما أعزَّها وهذه الهمم فما أرفعها !

وَلَمَّا رَأَوا بَعْضَ الحياةِ مَذلــــةً ... عليهم وعِزّ المــــوتِ غَيرَ مُحَرَّمِ
أَبَوْا أنْ يَذُوقُوا العَيْشَ والذَمُّ واقعُ ... عليــــه وماتُوا مِيْتَةً لَمْ تُذَمَّــــمِ
ولا عَجَبٌ لِلأسْدِ إنْ ظَفِرَتْ بها ... كِلابُ الأعادِي مِن فَصِيحٍ وأعْجَمِ
فَحَرْبَةُ وحْشِيٍّ سقَتْ حَمزَةَ الردَى ... وحَتْفُ عليٍّ في حُسَامِ ابنِ مُلْجَمِ

روى مسلم في أفـراده من حديث أنس بن مالـكَ قال : انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بَدْر حتى سبقوا المشركين ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنةٍ عَرْضُها السمواتُ والأرض .

قال : عُمَيْر بن الحمام الأنصاري : يارسول الله جنةٍ عَرْضُها السموات والأرض ؟! قال ، نعم . قال : بَخٍ بَخٍ يارسول الله . فقال : ما يحملك على قولك بَخٍ بَخٍ ؟ قال [لا] والله يارسول الله إلا رَجَاءَ أن أكونَ مِن أهلها ، قالَ : فإنكَ مِن أهلها .

قال : فأخْرَجَ تَمراتٍ مِن قَرْنِه فَجَعَلَ يأكُلُهنَّ ثم قال : إنْ أنا حَيِيْتُ حَتَّى آكُلَ تَمراتي هذه إنها لَحياةٌ طويلة . فَرَمَى بما كان مَعَهُ مِنَ التمر ثم قاتل حتى قُتل .

قال الواقدي : لما أراد عمرو بن الجَمُوح الخروج إلى أحد ، مَنَعَهُ بَنُوه ، وقالوا : قد عَذَرَكَ اللهُ . فجاء إلى النبي ﷺ فقال : إن بَنِيَّ يُرِيدُونَ حَبْسِي عن الخُروجِ مَعَكَ وإني لأَرْجُو أنْ أطأ بعرْجتي [هذه] في الجنة ، فقال : « أمّا أنْتَ فقد عَذَرَكَ اللهُ » ثم قال لِبَنِيهِ : لا عليكم أنْ لا تمنعوه لَعَلّ الله عز وجل يرزقه الشهادة . فخلّوا سَبِيلَه .

قالَت امـرأتـه هند بنت عمرو بن خُزَام : كأني أنظر إليه مُوَلِّياً ، قد أخذ دَرقته وهو يقول : اللهم لا تردَّني إلى خَرْبى وهي

منازل بني سلمة .

قال أبو طلحة : فنظرتُ إليه حين انكشف المسلمون ثم ثابوا ، وهو في الرَّعيل الأول ، لكأني أنظر إلى ظَلع في رجله وهو يقول : أنا والله مشتاق إلى الجنة !

ثم أنظر إلى ابنه خَلَّاد [وهو] يَعْدو [معه] في إثْره حتى قتلا جميعاً .

وفي الحديث أنه دُفن عمرو بن الجَمُوح وعبدالله بن عُمر وأبو جابر في قبر واحد ، فخرَّب السيلُ قُبورهم ، فحفر عنهم بعد ست وأربعين سنة فوجدوا لم يتغيروا كأنهم ماتوا بالأمس .

عن أنس بن مالك قال : كنا جُلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: يَطْلُعُ الآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أهْل الجَنَّة ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَار تَنْطفُ لحِيَتُهُ مِنْ وَضُوئِهِ قَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْه بيَدِه الشِّمَال .

فَلَمَّا كانَ الغْـدُ قال النبي ﷺ : مِثْلَ ذلكَ ، فَطَلَعَ ذلك الرَّجُلُ مِثْلَ المرَّةِ الأولى .

فلمَّا كان اليومُ الثالثُ قال النبي ﷺ مِثْلَ مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى فلما قام النبي ﷺ تَبعَهُ عبدالله ابنُ عمـرو ، فقـال: إني لاحَيْتُ أبي ، فأقسمتُ أني لا أدخُـلُ عليه ثلاثاً، فإن رأيْتَ أن تُؤوِيَني إليكَ حتى تَمْضِي فَعَلْتَ . قال : نعم .

قال أنسٌ : فكانَ عبدالله يُحَدِّثُ أنَّهُ باتَ معهُ تلكَ الثَّلاثَ الليالي فَلَمْ يَرَهُ يَقُـومُ مِن الليل شَيْئاً غير أنهُ إذا تَعارَّ تَقَلَّبَ على فِرَاشِهِ ذكرَ الله عز وجل ، وكبر حتى لِصَلاة الفجر .

قال عبدالله : غَيْرَ أني لم أسمعهُ يقولُ إلا خَيْراً ، فلمَّا مَضَتِ الثَّلاثُ الليالي ، وكِدْتُ أنْ أحْتَقِرَ عَمَلَهُ .

قُلْتُ : يا عبدالله لمْ يَكُنْ بَيْني وبَيْنَ أبي غَضَبٌ ولا هُجْرَةٌ ، ولكن سَمعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ لكَ ثلاث مَرَّاتٍ : يَطْلُعُ عليكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِن أهل الجنة ، فَطَلَعْتَ أنتَ الثلاثَ المَرَّاتِ ، فأرَدْتُ أن آوِىَ إليكَ .

فأنْظُرَ مَا عَمَلُكَ ، فَأقْتَدِىَ بكَ ، فلم أرَكَ عَمِلْتَ كبيرَ عَمَلٍ ، فما الذي بَلَغَ بكَ ما قال رسول الله ﷺ ؟

قال : مَاهُوَ إلا مَارَأيْتَ ، فلمّا وَلَّيْتُ دَعَاني فقال : ماهُوَ إلا مارأيْتَ غيرَ أني لا أجدُ في نفسي لأحَدٍ مِن المسلمَين غِشًّا ولا أحْسُدُ أحداً على خَيْرٍ أعطاهُ الله إيَّاهُ .

فقال عبدالله : هذه التي بَلَغَتْ بِكَ ، رواه أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم والنسائي .

عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً فيهم رجل يقال له : حُدَيْر . وكانت تلك السنة قد أصابتهم سَنة مِن قِلةِ الطعام ، فزوّدَهمُ رسولُ الله ﷺ ونَسِيَ أنْ يُزَوِّدَ حُديراً .

فخرجَ حُديرٌ صابراً محتسباً وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ويقول : نعْم الزّاد هو يارَب . فهو يردّدها وهو في آخر الركب .

قال : فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له : إن ربّي أرسَلَني إليك يُخْبرُكَ أنكَ زَوَّدْتَ أصَحابَكَ ونسيتَ أنْ تُزَوِّدَ حُدَيْراً ، وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله

فدعا النبي ﷺ رجلاً فدفع إليه زاد حُدير وأمره إذا إنتهى

إليه حفظ عليه ما يُقول ، وإذا دفع إليه الزاد حَفِظَ عليه ما يَقُول، ويقول له : إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ورحمةَ الله ، ويُخْبِرك أنه كان نِسيَ أنْ يَزُوِّدك ، وإن ربّي تبارك وتعالى أرسل إليّ جبريل يذكّرني بك ، فذكّره جبريل وأعلمه مكانك .

فانتهى إليه وهو يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول : نعم الزاد هذا يارب. قال : فدنا منه ثم قال له : إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ورحمةَ الله وقد أرسلني إليك بزادٍ مَعي ، ويقول : إني إنما نَسِيتُكَ فأرسلَ إليّ جبريل مِن السماء يُذَكِّرُني بك . قال : فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ .

ثم قال : الحمد لله رب العالمين ، ذَكرَنِي ربّي مِن فوق سبع سمواتٍ ، ومِن فوق عرشه ، ورحِم جُوعي وضَعفي ، يارَبّ كما لم تنس حُديراً فاجعلْ حُديْراً لا ينساك .

قال : فحفظ ما قال ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره بما سمع منه حين أتاه ، وبما قال حين أخبره ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيتَ لكلامه ذلك نوراً ساطعاً ما بين السماء والأرض .

عن محمد بن سعد قال : كان ذو البجادَيْن يتيماً لا مال له . فمات أبوه ولم يورثه شيئاً ، وكفله عمه حتى أيسر .

فلما قدم النبي المدينة جَعَلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يَقْدِرُ عليه من عمه حتى مَضَتْ السُنُون والمشاهد .

فقال لِعَمِّهِ : ياعَمُّ إني قد انْتَظَرْتُ إسْلاَمَكَ فلا أراك تريد محمداً ، فأذن لي في الاسلام .

فقـال : والله لئن اتَّبَعْتَ محمداً لا أتْرُكُ بيدكَ شَيئاً كُنْتُ أعْطَيتُكَهُ إلا نَزَعْتُه منك، حتى ثَوبَيْكَ .

قال : فأنا والله مُتَّبِعٌ محمداً وتاركٌ عِبادَةَ الحَجَرِ ، وهذا ما بيدِي فَخُذْهُ ، فأخذ ما أعطاه حتى جَرَّدَهُ من إزاره .

فأتى أمَّـهُ فَقَـطَّعَتْ بجَـاداً لها باثنين فأتَزَرَ بواحدٍ وارْتَدَى بالآخر ثم أقبل إلى المدينة وكان بِورِقَانِ فاضطَجَعَ في المسجد في السَّحَرِ .

وكان رسولُ الله ﷺ يَتَصفَّحُ الناسَ إذا انْصَرفَ مِن الصُّبْحِ فَنَظَرَ إليه فقال : مَنْ أنْتَ ؟ فانْتَسَبَ لَهُ ، وكان اسمه عبدُ العزّى. فقال : أنْتَ عبدُ الله ذُوْ البجَادين .

ثم قال : انْزِلْ مِني قَرِيْباً . فكان يكون في أضْيَافِهِ حتى قرأ قرآناً كثيراً .

فلما خرج النبي ﷺ إلى تَبُوكَ قال : ادْعُ لي بالشهادةِ . فَرَبَطَ النبي ﷺ على عَضُدِهِ لِحَىَ سَمُرة وقال : اللهمَ إني أُحَرِّم دَمَهُ على الكفار .

فقال : ليسَ هذا أرَدْتُ .

قال النبي ﷺ : إنك إذا خَرَجْتَ غازياً فأخَذَتْكَ الحُمَّى فَقَتَلَتْكَ فأنْتَ شَهيْد ، أو وَقَصَتْكَ دَابَّتُكَ فأنْتَ شَهِيد . فأقامُوا بتَبُوكَ أياماً ثم تُوفِّيَ .

قال بلالُ بَنُ الحارث : حَضَرْتُ رسولَ الله ﷺ ومَعَ بلال المؤذنُ شُعْلَةٌ مِن نار عندَ القبرِ وَاقِفاً بها .

وإذا رسولَ الله ﷺ وهو يقول : «أدْنيا إليّ أخَاكُما . فلما هَيأه

لِشِقِّهِ في اللَّحْدِ قال : اللهم إني قد أمْسَيتُ عنه راضياً فارْضَ عنه» .

فقال ابنُ مسعود : لَيْتني كُنْتُ صَاحبَ اللَّحْدِ .

وعن أبي وائل ، عن عَبدالله قال : والله لكأني أرى رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك وهو في قَبْرِ عبدالله ذِي البِجادينِ ، وأبُو بكر وعُمر يقول : أدْنِيَا إلي أخَاكُمَا .

وأخَذَهُ مِن القِبْلَةِ حتى أسْكَنَهُ في لَحْدِه ثم خَرَجَ النبيُ ﷺ ووَلَّيَاهُمَا العَمَلَ .

فلمَا فرغَ مِن دَفْنِه اسْتَقْبَل القبلةَ رَافعاً يديه يقول : « اللهم إني أمسيتُ عنه راضياً فارْضَ عنه » .

وكان ذلك ليلاً فوالله لوددتُ أَنِّي مَكَانَه ، ولقد أَسْلَمْتُ قَبْلَهُ بخَمس عَشْرَ سَنَة .

عن محمد بن سعد قال : أتَى وَاثِلةُ رسول الله ﷺ فصلى معه الصبح . وكان رسول الله ﷺ إذا صلى وانصرف تَصَفَّحَ أصْحَابَهُ . فلما دَنا مِن واثلةَ قال : مِنْ أنْتَ ؟ فأخبره .

فقال : ما جَاءَ بكَ ؟ قال : جِئْتُ أبايِعُ . فقال رسول الله ﷺ : فيما أحْبَبْتَ وكَرِهْتَ ؟ قال : نعم . قال : فِيما أطَقْتَ ؟ قال: نَعَمْ . فأسلم وبَايَعَهُ .

وكان رسول الله ﷺ يَتَجَهزُ يومئذ إلى تَبُوكَ فَخَرَجَ واثلةُ إلى أهْلِهِ فَلَقِي أبَاهُ الأسقعَ فلما رَأى حَالُه قال : قَدْ فعلتها؟ قال: نعم. قال أبوه : والله لا أكَلِمُكَ أبَدَاً .

فأتى عمه فَسَلَّمَ عليه فقال : قَدْ فَعَلْتَهَا ؟ قال : نَعَمْ . قال: فلامَهُ أيْسرَ مِن مَلامَةِ أبيه وقال : لم يَكُنْ يَنْبَغِي لَكَ أن تَسْبِقْنَا بأمرٍ .

فَسَمِعَتْ أخْتُ واثِلَةَ كَلامَـهُ فَخَـرجَتْ إليه وسَلَّمَتْ عليه بتَحِيَّةِ الإِسلامِ . فقال وَاثِلةُ : أنَّى لَكِ هذا يَا أخَيَّةُ ؟ قالت : سَمِعْتُ كَلامَكَ وكلامَ عمك فأسْلَمْتُ .

فقـال : جَهزِّي أخَاكِ جَهازَ غَازٍ فإنَّ رسولَ الله ﷺ على جَنَاحِ سَفَرٍ . فَجَهَزَتْهُ فلحِقَ برسولِ الله ﷺ قَدْ تَحَمَّلَ إلى تبُوكَ وبَقِيَ غُبَّراتٌ مِن الناسِ وهم على الشُّخُوص .

فَجَعَلَ يُنادِي بسُوقِ بَني قَينُقَاع : مَن يَحْمِلُني و له سَهْمِي؟ قال : وكُنْتُ رَجُلا لا رُحلَةَ بِيَ .

قال : فَدَعَـاني كَعْبُ بنُ عُجْـرةَ فقال : أنَا أحْمِلُكَ عُقْبةً بالليلِ وعُقْبةً بالنهار وَيَدُكَ أسْوَةُ يَدِي وسَهْمُكَ لِي . قال واثلة : نعم .

قال واثلة : جَزَاهُ الله خيراً لقد كان يَحْمِلُني ويَزيْدُني وآكُلُ مَعَـهُ ويَرفَعُ لي حتى إذا بَعَثَ رسول الله ﷺ خالَدَ بنَ الوَليد إلى أكَيْدِرِ بن عبدالملك بدَوْمَةِ الجَنْدَل .

خَرجَ كَعبٌ في جَيْشِ خَالِد وخَرَجْتُ مَعَهُ فأصَبْنا فَيْئاً كَثيْراً فَقَسمَـه خالِـدُ بيننا فأصابني ستُ قَلائِص فأقبلْتُ أسُوْقُها حتى جِئتُ بها خَيْمةَ كَعْبِ بن عَجْرَةَ فَقُلْتُ : اخْرُجْ رَحِمَكَ الله فانْظُر إلى قَلائِصِكَ فاقْبضْهَا .

فَخَرجَ وهُوَ يَبْتَسمُ ويَقُولُ : بَارَكَ الله لَكَ فِيها ما حَمَلْتُكَ وأنا أرِيْدُ أنْ آخُذَ مِنْكَ شَيئاً .

عن بشر بن عبدالله عن واثِلةَ بن الأسْقَع رضي الله عنه قال : كُنَّا أصحابَ الصفّةِ في مسجد رسول الله ﷺ وما فِينا رَجُلٌ

لهُ ثَوْبٌ .

ولَقَدْ اتَّخَذَ العَرَقُ في جُلُودِنا طُرُقاً مِن الغُبار ، إذْ خَرَجَ علينا رسول الله ﷺ فقال : « لِيَبْشِرْ فُقَراءُ المهاجرين » ثلاثاً .

عن نعيم بن ربيعة بن كعب قال : كنتُ أخدِمُ رسولُ الله ﷺ وأقومُ له في حَوائِجه نهارِي أجمع ، حتى يُصَلي رسول الله ﷺ العشاء الآخرة .

فأجلسُ على بابه إذا دَخَلَ بيتَه ، أقولُ : لَعلهَا أنْ تَحْدُثُ لرسول الله ﷺ حاجَةٌ . فما أزالُ أسْمَعُه سُبحانَ الله ، سُبْحانَ الله ، سبحانَ الله وبحمده حتى أمَلَّ فأرجعُ أو تَغلُبني عَيني فأرقُد .

فقـال لي يومـاً لما رأى مِن خَفّتي (أي العناية والخدمة) له وخِدْمَتي إيَّاه ، يارَبيْعَةُ سَلْني أُعْطِك . قال : فقلتُ : أنْظُر في أمْرِي يَارسول الله ثم أعْلِمُكَ ذلك .

فقال : ففكرتُ في نفسي فعلمتُ أن الدنيا مُنْقَطِعَةٌ وزائلةٌ وأنَّ لي فيهـا رزقـاً سَيأتيني ، قال : فقلتُ أسأل رسول الله ﷺ لآخِرَتي فإنه مِن الله عزَّ وجل بالمنزل الذي هو به .

فجئتُه فقال : ما فَعَلْتَ يارَبيعَةُ ؟ فقلتُ : أسألُكَ يارسولَ الله أن تَشْفَعَ لي إلى رَبكَ فيَعْتِقَني مِن النار .

فقال : مَنْ أمَرَكَ بهذا يااربيعة ؟ فقلتُ : لا والذي بَعَثَكَ بالحق ما أمرني به أحَدٌ ولكنكَ لَمَّا قُلْتَ سَلْني أعْطِكَ وكُنْتَ من الله بالمنـزل الذي أنتَ به نَظَرْتُ في أمري فَعَرفتُ أن الدنيا مُنْقَطِعة وزائلةٌ وأنَّ لي فيها رِزْقاً سَيأتيني .

فقلتُ أسأل رسولَ الله ﷺ لآخِرَتي . قال : فَصَمَتَ رسولُ

الله ﷺ طَويْلاً ثم قال لي: إني فاعِلٌ فأعِنِّي على نَفْسكَ بكثرة السُّجُود.

وأخرجا في الصحيحين، من حديث قيس بن عبادة قال: كنت جالساً في مسجد المدينة في ناس فيهم بعض أصحاب النبي ﷺ.

فجاء رَجلٌ في وَجْهِهِ أثَرُ خُشُوع، فقال بعضُ القوم: هذا رَجُلٌ مِن أهلِ الجنة. فصلى ركعتين تَجَوَّزَ فيهما. ثم خَرَجَ فاتْبعتُه فدخل مَنزلَه فَدَخَلْتُ فأخْبرتُه.

فقال: لا يَنْبَغي لأحَدٍ أن يَقولَ ما لا يعلم، وسأحَدِثُكَ لِمَ ذَاكَ؟ رَأيْتُ رُؤْياً على عهد رسول الله ﷺ فَقَصَصْتُهَا عليه.

رأيتُني في رَوْضَةٍ، وَسَطَ الروضةِ عَمُودٌ مِن حَديد، أسْفَلُه في الأرض وأعلاهُ في السماء، في أعلاه عُرْوَةٌ.

فقيلَ لي إرْقَه. فَقُلْتُ: لا أسْتَطيعُ. فجاءني مِنْصَفٌ، يَعْنِي خادماً، فقال بثيابي مِن خَلْفِي، فأخَذْتُ بالعُروَةِ.

فَقَصَصْتُها على رسول الله ﷺ فقال: تِلْكَ الروضةُ الاسلام، وذاكَ العَمُودُ عَمُودُ الاسلام، وتلك العُروةُ، العُروة الوثقى، وأنْتَ على الإسلام حتى تموت، والرجلُ عبدالله ابن سلام.

وعن أبي بُردة بن أبي موسى قال: قدمتُ المدينة فأتيتُ عبدالله بن سلام، فإذا رجلٌ مُتَخَشِّعٌ، فجلستُ إليه فقال: يابنَ أخِي إنكَ جَلَسْتَ إلينا وقَدْ حَانَ قِيامُنَا، أفتَأْذَنُ؟

اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتَنَا في القُبُورِ وَآمِنَّا يَوْمَ البَعْثِ وَالنُّشُوْرِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ.

هَذِهِ قصَيدْة وعْظِيَّة أَلْقِ لهاً سَمْعَكَ

إنْتَهَى

آخـر :

انِسْتُ بِلأْواءِ الزمـانِ وذِلـهِ فيا عِزَّةَ الدنيا عليكِ سَلامُ
إلى كَمْ أُعَاني تِيْهَهَا ودَلالَهَا أَلَمْ يَأنِ عَنْهـا سَلْوةُ وسَـآمُ
وقد أَخْلقَ الأيامُ جِلْباب حُسْنِهَا وأضْحَتْ وديبَاجُ البَهاءِ مَسَـامُ
عَلَى حِيْنَ شَيْبٌ قد أَلَمَّ بَمَفْرِقِي وعَادَ رُهَـامُ الشَّعْرِ وهُوَ ثُغَامُ

طَلائعُ ضَعْفٍ قدْ أغَارَتْ على القُوى وثَارَ بِمَيْدَانِ المِزاجِ قَتَـامُ
فَلا هِيَ في بُرْجِ الجَمَالِ مُقِيْمَةٌ ولا أَنَا في عَهْدِ المُجُونَ مُدَامُ
تَقَطَّعَت الأَسْبَابُ بَيْنِي وَبَيْنَها ولَمْ يَبْقَ فِينَا نِسْبَةٌ ولِئَـآمُ
وعادَتْ قَلُوصُ العَزْمِ عَنِّي كَلِيْلَةً وقَدْ جُبَّ مِنْهَا غَارِبٌ وَسَنَامُ
كأنِي بِهَا والقَلْبُ زُمَّتْ رِكَابهُ وقُوِّضَ أَبْيَـاتٌ لَـهُ وخِيَـامُ
وسِيْقَتْ إلى دَارِ الخُمُولِ حُمُولهُ يَحُنُّ إليها والدُمُـوُعُ رُهَـامُ
حَنِينَ عجُول غَرَّهَا البَوُّ فانْثَنَتْ إلَيْهِ وفِيْهَـا أَنَّـةٌ وضُغَـامُ
تَوَلَّتْ لَيالٍ لِلْمَسَرَّاتِ وانْقَضَتْ لِكُلِ زَمَـانٍ غَـايَةٌ وتَمَـامُ
فَسَرْعَانَ مَا مَرَّتْ وَوَلَّتْ وَلَيْتَهَا تَدُوْمُ وَلكِنْ مَا لَهُـنَّ دَوَامُ
دُهُورٌ تَقَضَّتْ بالمسَرَّاتِ سَـاعَةً ويَومٌ تَـوَلَّى بالمَسَـاءَةِ عَـامُ
فلِلَّهِ دَرُّ الغَمِّ حَيثُ أَمَـدَّنِي بِطُولِ حَيَـاةٍ والهُمُومُ سِهَـامُ
أُسِيْرُ بِتَيْمَاءِ التَّحَـيُرِ مُفْـرَداً وَلِيْ مَعَ صَحْبِيْ عِشْـرَةٌ ونَدَامُ
وكَمْ عِشْرَةٍ ما أوْرَثَتْ غَيْرَ عُسْرَةٍ وَرُبَّ كَلَامٍ فِي القُـلُوبِ كُلَامُ
فَمَا عِشْتُ لا أنْسَى حُقُوقَ صَنِيْعِهِ وهَيْهَاتَ أنْ يُنْسَى لَدَيَّ ذِمَـامُ
كَمَا اعْتَادَ أَبْنَاءُ الزَّمَانِ وَأَجْمَعَتْ عَلَيْهِ فِئَـامٌ إثْـرَ ذَاكَ قِيَـامُ
خَبَتْ نَارُ أعْلَامِ المَعَارِفِ والهُدَى وشُبَّ لِنِيْرانِ الضَّـــلالِ ضِرَامُ
وكَانَ سَرِيرَ العِلْمِ صَرْحاً مُمَـرَّداً يُنَاغِي القِبابَ السَّبْعَ وهْـيَ عِظـامُ
مَتِيْنـاً رَفيعـاً لا يُطَـارُ غُرابُـــهُ عزِيـزاً مَنِيْعـاً لآ يَكَـادُ يُــرامُ

يَلوحُ سَنابَرْقِ الهُدَى مِن بُرُوْجِهِ كَبَرْقٍ بَدَا بَيْنَ السَّحَابِ يُشَامُ
فَجَرَّتْ عَلَيْهِ الراسِيَاتُ ذُيُولَهَا فَخَرَّتْ عُرُوشٌ مِنْهُ ثُمَّ دَعَامُ
وسِيْقَ إلَى دَارِ المَهَانَةِ أَهْلُهُ مَسَاقَ أَسيْرٍ لا يَزَالُ يُضَامُ
كَذَا تَجْرِي الأيَامُ بَيْنَ الوَرَى عَلَى طَرَائِقَ مِنْهَا جائِرٌ وقَوامُ
فما كُلُ ماقَدْ قِيلَ عِلْمٌ وحِكْمَةٌ وما كُلُ أفْرادِ الحَدِيْدِ حُسَامُ
ولِلْدَّهْرِ ثاراتٌ تَمُرُّ على الفَتَى نَعِيْمٌ وبُؤْسٌ ، صِحَّةٌ وسَقَامُ
ومنَ يَكُ في الدُنيا فَلَا يَعْتبِنَّهَا فَلَيْسَ عَلَيْهَا مَعْتَبٌ ومَلَامُ
أَجِدَّكَ ما الدنيا وماذَا مَتَاعُهَا وماذَا الذي تَبْغِيْهِ فَهْوَ حُطَامُ
تَشَكَّلَ فِيْهَا كُلُّ شَيءٍ بِشَكْلِ مَا يُعَانِدُهُ والنَّاسُ عَنْهُ نِيَامُ
تَرَى النَّقْصَ في زِيِ الكَمَالِ كَأَنَّمَا عَلَى رَأسِ رَبَّاتِ الحِجَالِ عِمَامُ
فَدَعْهَا ونَعْمَاهَا هَنيْئاً لِأَهِلْهَا ولاتَكُ فِيْهَا رَاعِياً وسَوَامُ
تَعَافُ العَرانِيْنُ السِمَّاطَ عَلى الخِوى إذَا ما تَصَدَّى لِلطَّعَامِ طَغَامُ
عَلَى أَنَّهَا لَا يُسْتَطَاعُ مَنَالُهَا لِمَا لَيْسَ فِيْهِ عُرْوَةٌ وعِصَامُ
ولَوْ أَنْتَ تَسْعَى إثْرَهَا أَلْفَ حَجَّةٍ وقَدْ جَاوَزَ الطِبْيَيْنِ مِنْكَ حِزَامُ
رَجَعْتَ وقَدْ ضلَّتْ مَساعِيْكَ كَلُّها بِخُفَيْ حُنَينٍ لاتَزَالُ تُلَامُ
هَبِ إنَّ مَقَالِيْدَ الأُمُورِ مَلَكْتَهَا ودَانَتْ لَكَ الدُنيا وأَنْتَ هُمَامُ
ومُتِّعْتَ باللداتِ دَهْراً بِغِبْطَةٍ أَلَيْسَ بحَتْمٍ بَعْدَ ذَاكَ حِمَامُ
فَبيْنَ البَرايَا والخُلُودِ تَبَايُنٌ وبَيْنَ المنَايَا والنُّفُوسُ لِزَامُ
قَضيَّةٌ انْقَادَ الأَنَامُ لِحكْمِهَا وما حَادَ عَنْهَا سَيِدٌ وغُلَامُ
ضرورية تقضي العقولُ بِصدْقها سَلْ إن كانَ فيها مِرْيَةٌ وخِصَامُ
سَلِ الأَرْضَ عن حالِ الملوكِ الَّتي خَلَتْ لهم فَوقَ، فوقَ الفرقدين مَقَامُ
بأبوابهم لِلوافِدِين تَراكُم باعتابِهِم للعاكِفين زِحامُ
تُجْبكَ عن أسرار السيوفِ التي جَرَتْ عَلَيْهم جَواباً لَيْسَ فيه كَلَامُ

بِأَنَّ المنـايَـا أَقصَدَتْهـمُ نِبَالُهـــا وما طَاشَ عن مَرْمَى لَهُـنَّ سِهَامُ
وَسِيقُوا مُسَاق الغابِرِينَ إلى الرَّدى وأقفــرَ منهم مَـــزَلٌ ومَقَـــامُ
وحَلُوا محــلاً غَـيْرَ ما يَعهـدُونـه فَلَيْسَ لَهـم حتـى القيـام قِيـامُ
أَلَـمَّ بهم رَيبُ المنـــونِ فَغَالَهُـــم فهم بَيْـنَ أطبـاقِ الرُّغَـامِ رُغَـامُ

إنْتَهى

(فصـــــل)

اعلم وفَّقَنا الله وإيَّاكَ وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أنَّ من رَضِي عن نَفْسِه اسْتَحْسَنَ حَالَهَا وسَكَنَ إليها ومَن اسْتَحْسَنَ حال نَفْسِهِ وسَكن إليها اسْتَوْلَتْ عليه الغَفْلَةُ .

وبالغَفْلَةِ يَنصَرِفُ قَلْبُه عن التَّفَقُدِ والمُرَاعَاةِ لِخَواطِرِهِ فَتَثُوْرُ حِيْنئذٍ دَوَاعِيْ الشهوة على العبد .

ولَيْسَ عنده مِن المراقبةِ والملاحظةِ والتَّذْكِيرِ ما يَدْفَعُهَا به ويَقْهَرُهَا .

فتصير الشهوةُ غَالِبَةً له بسَبَبِ ذلك ومَنَ غَلَبَتْهُ شَهْوَتُهُ وَقَعَ في المعاصي .

وأصل ذلك كُله رِضَاه عن نَفْسِهِ ومَن لم يَرْضَ عن نفسِهِ لم يَسْتَحْسِنْ حَالَهَا ولم يَسْكُنْ إليها .

ومَن كان بهذا الوَصْفِ كان مُتَيَقِّظًا مُتَنبِهًا لِلطَّوَارِىء وبالتَّيَقُظ والتَّنَبُهِ يَتمكَنُ من تفَقُدِ خَوَاطِرِه ومُرَاعَاتِها .

وعند ذلك تَخْمُدُ نِيْرانُ الشَّهْوَةِ فلا يكونُ لَهَا غَلَبَةٌ ولا قُوَةٌ فَيَضْعُفُ العبد حِيْنَئِذٍ بِصِفَةِ العِفَّةِ .

فإذا صار عَفِيْفًا كان مُجْتَنِبًا لِكُلِّ مَا نَهَاهُ اللَّهُ عنه مُحَافِظًا على جميع ما أَمَرَهُ بِه وهَذَا هُوَ مَعْنَى الطَّاعةِ لِلَّهِ عَزَّ وجَل وأصلُ هذا كلِه عَدَمُ الرِضا عن

نَفْسِهِ .

فإذًا يجبُ على الإنسان أنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ ويَلْزَمُ مِن ذلك عَدَمُ الرضا عنها وبقَدْرِ تحَقُّقِ العبدِ في مَعْرَفَة نَفْسِهِ يصلح له حَالُهَ ويَعْلُوا مَقَامُه .

وكانَ العلماءُ المُخْلِصُونَ يَذُمُّوْنَ نُفُوسَهم ويَتهمُوْنَهَا ولا يرضون عنها .

قال بعضُهم من لم يتَّهِمْ نَفْسَهُ على دَوَامِ الأوقات ولم يُخَالِفْهَا ولم يجُرَّهَا إلى مكروهها فهو مَغْرُوْر ومَنْ نَظَر إليها باسْتَحْسَانِ شيء منها فقد أهلكها .

وكيف يرضى عنها عاقل وهي الأمارة بالسُوء وقال بعض العلماء لا تسكن إلى نفسك وإنْ دامَتْ طاعَتُهَا لَكَ في طَاعَةِ الله .

وقال آخر : ما رَضِيْتُ عن نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنْ .

وقـال آخر : إنَّ مِن النَّاسِ ناسٌ لَو مَاتَ نِصْفُ أَحَدِهم ما انْزَجَرَ النصفُ الآخَرُ ولا أَحْسِبُنِي إلا منهم .

وقال آخر : فائدةَ الصحبة إنما هي لِلزِّيَادَة في الحال وعَدَم النُقْصان فيها فإيَّاكَ وصُحْبَةَ من لا يُنْهِضُكَ حَالُه ولا يَدُلُّكَ على اللَّهِ مَقَالُه .

فصحبة مَن يَرْضَى عن نفسِهِ وإنْ كانَ عَالِماً شَرٌ محْض ولا فائدة فيها لأن علمه في الغالب غير نافع له .

وجهلُه الذي أوجَبَ رِضاه عن نفسه صَارَ غايةَ الضرر لأنَّهُ فَاتَه العلم الذي يُرِيْهَ عَيْبَه حتى لا يرضى عن نفسه ا لأمارة بالسُوء .

وقـال ابن القيم رحمه الله لما ذكر النفسَ الامارةَ بالسوء قال منها أن يَعرِفَ أنها جاهلةٌ ظالمة وأن الجهلَ والظلم يصدرُ عنها كل قُولٍ وعملٍ قبيح .

ومَن وَصْفُه الجهلُ والظلم لا مَطْمَعَ في استقَامَتِهِ واعتدالِهِ البتة فيوجب له ذلـك بَذْلُ الجُهْـدِ في العلم النـافع الذي يُخْرِجُها به عن وصْف الجَهْل

والعمل الصالح الذي يُخرِجُها به عن وَصْفِ الظُلْم وَمَعَ هذا فجهلُهَا أكثر من عِلْمَها وظلمُهَا أعظَم مِن عَدلها .

فحَقيْقٌ بمَنْ هَذا شأنهُ أَنَّ يرغَبَ إلى خالقها وفاطِرهَا أن يَقيْهِ شَرَّهَا وأَنْ يُؤتِيْهَا تَقْوَاهَا ويُزَكِيْهَا فهو خير مَن زكاها وأنْ لا يَكِلهُ إليها طَرْفةَ عينَ فإنهُ إن وَكله إليها هَلَكَ فما هَلكَ مَن هَلكَ إلاَّ حَيْثُ وكِلَ إلى نفسِهِ .

وقال النبي ﷺ لِحُصَيْنِ بن المنذر « قل اللهم أَلْهِمْني رُشدِي وقِني شر نفسِي » وفي خُطْبَـةِ الحَاجةِ « ونعوذ بالله مِن شُرورِ أنفُسِنا » وقد قال تعالى ﴿ ومَن يُوق شح نفسه فأولَئكَ هم المفلحون ﴾ وقال ﴿ إنَّ النَّفْسَ لأمَّارةٌ بالسُّوء ﴾ .

فمَن عرف حَقِيْقَة نفسِهِ وما طُبعَت عَليْه عَلمَ أنها مَنْبَع كُلِ شَرٍ وَمَأوَى كل سُوء وأنَّ كلَّ خير فيها فَفَضْلٌ من اللَّهِ مَنَّ به عَلَيْها لم يَكُنْ منها كما قال تعالى ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحدٍ أبدا ﴾ .

وقال تعالى ﴿ ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفـر والفُسُوقَ والعصيان ﴾ فهذا الحُبُّ وهذِهِ الكراهةُ لم يَكُونَا في النفس ولا بها .

ولكن هو اللَّهُ الـذي مَنَّ بهما فجعـل العبـد بسَبَبهـما من الراشدين ﴿ فضلاً من الله ونعمةً واللَّهُ عليم حكيم ﴾ عليم بِمَن يَصْلَحُ لِهذا الفضل ويَزكوا عليه وبه ويثمر عنده حكيم فلا يَضَعُه عندَ غيرِ أَهْلِهِ إنتهى بِتَصَرُّفٍ يَسِير .

فعلى العاقِل اللبيب مُحاسَبَةُ نَفْسِهِ دَائمًا والمُحَاسَبَةُ هي مَطَالَعَةُ القلبِ وأَعْمَالِ اللّسَانِ وأَعْمَالِ الجوارح .

فأجْعَل ذُنوبَكَ نَصْبَ عَيْنَيْكَ فإنْ غَفَلْتَ عنها اجْتَمَعَتْ بُسْرعَةٍ وكَثُرتْ .

وتأمل وفكِّر فَلَو أنَّكَ وضَعْتَ في كل مَعْصِيَةٍ تُحْدِثُهَا حَجَرًا في دَارِكَ لامْتَلأَ بَيْتُكَ في مُدَّةٍ يَسْيرةٍ .

فمثلاً عندكَ غِيْبَةٌ أو عندكَ كَذِبَ أو عندكَ رِيَاء أو عندَكَ عقوق أو قطيعة رحم أو ظلمَ لِمُسْلم أو لنفسِكَ أو لأَهْلِكَ أو لأولادِكَ أو لجِيرانِكَ أو تُعامِل مُعَاملةً لا تَجُوز .

أو عندَكَ كُفَارَ خُدَّام أو سوَّاقِين أو عندكَ مَلاهِي كالتلفاز والفيديو أو عندك صُور أو تشرب الدُخان أو حلق لحية أو إِسْبَال أو تشبه بكفار أو سفر لبلادهم .

أو لكَ أولادٌ يَدْرسُون عندهم برضا مِنْكَ أو أكلُكَ وشربُك ولُبْسَكَ مِن شَرِكَاتٍ تَتعامَلُ بالرِّبَا أو أنَّ عَمَلَكَ لا تُؤدِيْهَ كامِلاً مُكَملاً وتأخُذ ما عليه كامِلاً .

أو لا تَتَنَسَّخ مِن الزكاة أو نحو ذلك مِمَّا لا يَحْصُرُهُ العَدُّ .

فَتَيقَّظْ وحَاسِب نَفسك وفتش عليها بدِقَّةٍ وأسأل الله الحي القيوم أن يَتَجاوَزَ عَنك .

فَـإنْ تَنْـجُ منَها تَنْجُ مِن ذِي عَظيمَةٍ ... وإلاَّ فَـإنّي لَا إخَـالُكَ نَـاجِيَـا

قال تبـارك وتعالى ﴿ وإنْ تُبْدُوْا مَا فِي أَنْفُسِكُم أو تُخفِوه يُحَاسِبْكُم بِهِ الله ﴾ قِيلَ إِنَّ هَذِه الآية أَعْظَم آية في المؤآخذَةَ .

ولَمَّا نَزَلَت بكى عَبدُ اللَّهِ بنُ عُمَر رضي الله عنهما فقال ابنُ عباس يَرحَمُ أَبَا عَبدالرحمن وإن اللَّهَ تبارك وتعَالى يقول ﴿ لا يكلف اللَّهُ نَفْسًا إلا وُسْعَها ﴾ .

وقال ابن القيم رحمه الله فَمَن له بصيرةٌ بنفسِهِ وبصيرة بحُقوق الله وهو صادقٌ في طلبه لم يُبْقِ له نَظَرُهُ في سَيئآتِهِ حَسَنَةً البتة فلَا يلْقَى الله إلا بالإفلاس المحْض والفقرِ الصِّرْف .

لأنه إذا فَتَّش عن عُيوب نفسِه وعُيوب عَمَلِه عَلِمَ أنَّها لا تصْلحَ لله وأنَّ تلكَ البضَاعَةَ لا تشْتَرىَ بها النَّجاةَ مِن عَذاب الله فضْلاً عن الفوز بعظيم ثوابه .

فإن خلص له عمل وحال مَعَ الله وصَفَا لَهُ مَعَهُ وَقْتٌ شاهَدَ مِنَّةَ الله عليه به ومُجَرَّدَ فَضْلِهِ وأنَّه ليسَ مِن نَفْسِهِ ولا هِيَ أهلٌ لذاك .

فهو دَائمًا مشاهدٌ لِمَنَّةِ الله عليه وَلِعُيوب نفسِهِ وعملِهِ لأنه متى تطلبَها رآها وهذا مِن أجَلِّ أنواع المعارف وأنفعها للعبد .

ولذلك كانِ سيد الاستغفار « اللهم أنْتَ ربي لا إله إلا أنْتَ خلقتني وأنا عَبْدُكَ وأنا على عهدك ووعدك ما اسْتَطَعْتُ أعُوذ بكَ مِن شر ما صَنَعْتَ أبُوءُ لَكَ بِنِعْمتِكَ عَليَّ وأبُوءُ بذَنْبِي فاغْفِرْ لي إنه لا يغْفِرُ الذنوب إلا أنْتَ » .

فتضمَّنَ هذا الاستغفارُ الاعْترَافَ من العبد برُبُوبيَّةِ الله وإلهِيَّتِهِ وتوحِيْدِهِ والاعتراف بأنه خالقُهُ العَالِمُ بِهِ إذْ أنْشَأهُ نَشْأةً تَسْتَلزِمُ عَجْزَهُ عن أدَاءِ حَقِّهِ وتَقْصِيْرَهُ فيه والاعتراف بأنه عَبْدُهُ الذي ناصِيَتُه بيده وفي قَبْضَتِهِ لا مَهْرَبَ له منه ولا ولي له سواه .

ثم التزَمَ الدخول تحت عهده وهو أمْرُهُ ونَهْيُهُ الذي عَهدَهُ إليه على لسان رسوله ﷺ وانَّ ذلك بحَسَب اسْتِطَاعَتِي لا بحَسَب أدَاءِ حَقِّكَ فإنَّهُ غيرُ مَقْدُوْرٍ لِلْبَشَرِ إنما هو جُهْدُ المُقِل وقَدْرُ الطاقة .

ومَعَ هذا فأنا مُصَدِق بوعدك ثم أنْزع إلى الاسْتِعَاذة والاعتصَام بكَ مِن شر ما فَرَّطْتُ فيه مِن أمِركَ ونهْيكَ فإنكَ إنْ لم تُعِذْني من شره وإلا أحاطَتْ بِي الهَلَكَةُ فإنَّ إضَاعَةَ حَقِّكَ سَبَبُ الهلاك وأنا أقرُ لك والتزم وأبْخَعُ بذَنْبي .

فِمَنْكَ المَنَّةُ والاحسانُ والفضلُ ومِني الذنبُ والإساءَةُ فأسألِك أنْ تَغفِرَ لي بمحْوِ ذنبي وأنْ تعْفِيْني من شره إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فلهذا كان

هذا الدعاء سَيِّدُ الاستغفار .

وهو مُتضمنٌ لَمحْض العُبودية فأيُ حَسَنَةٍ تبقى لِلبَصِيْر الصادِقِ مع مُشاهَدَتِهِ عُيوبَ نفْسِهِ وعملِهِ ومنَّةَ اللَّهِ عليه فهذا هو الذي يُعْطِيه نظَره إلى نفسِهِ ونقصِهِ أ هـ .

قال بعضُ الزهاد لا يكون العبد من المتقين حتى يُحَاسِبَ نفْسَه أشد من مُحَاسَبةِ الشرَّيكِ لِشَريكه والشريكان يَتَحَاسَبَان بَعْدَ العمل .

وقال الحسنُ المؤمنُ قوَّامٌ على نفسه يُحَاسِبُهَا لله تعالى وإنما خَفَّ الحسابُ على قومٍ حاسَبُوا أَنْفُسَهم في الدنْيا وإنما شَقَّ الحسابُ على قَومٍ أَخَذُوا هَذَا الأمْرَ مِن غير مُحَاسَبَة .

وفي حديث أبي طَلحَة أنه لَمَّا شغله الطِّينْ في صلاته فَتَدَبَّرَ شُغْلَهُ فجعَل حَائطهُ صَدَقَةً لله تعالى ندَمًا ورَجَاءً لِعوض مِمَّا فَاتَه وتأدِيْبًا لِنَفْسِهِ .

المهم أن يعلم العبد أن أعْدَى عَدُوٍ له نَفْسُه التي بَينَ جَنْبَيْهِ وقد خُلقَتْ أمارةً بالسوء أمارة بالشر فَرَّارَةً من الخير .

والإنسانُ مأمُورٌ بتَزْكِيتِهَا وتَقْوِيْمِهَا وقَوْدِهَا بسَلاَسِلِ العِبَرِ إلى عِبَادَة رَبهَا وخالِقِها ومَنْعِهَا عن لَذَّاتِها وشهواتها المُهْلِكَة .

فإنْ أهملها شَرَدَتْ وَجَمَحَتْ ولم يَظْفُر بها بَعْدَ ذلك وإن لازَمَهَا بالتوْبِيْخِ والتَّقْرِيع والمُعَاتَبَةِ والعَذْلِ والمَلامَةِ ولم يَغْفُلْ عن تَذْكِيْرها وعِتَابها اعْتَدَلَتْ بإذنِ الله تعالى .

والنَّفْسُ كالطِفْلِ إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ على حُـبِّ الرَّضَـاع وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِم
ورَاعِهَا وهْي في الأعْمَالِ سَائمةً وإنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَى فلا تُسِم
كـم حَسَّـنَتْ لَـذَّةً لِلْمَـرْءِ قـاتِلَةً من حَيْثُ لم يَدْرِي أنَّ السُّم في الدَّسَم

فالعاقل اللَّبِيْبُ مَن يُوَبِّخُ نَفْسَهُ ويُعَاتِبُها ويُوَضِحُ لَهَا عُيُوبَهَا كُلَّهَا ويُقرِّر

عْندَهَا جَهْلَهَا وحَمَاقَتَهَا فإنها إذا أَرَادَ اللَّهُ تُعْذِر وتَرْعَوي وترجع .

فيقول لها مَا أعظم جَهْلَكِ تدَّعِينَ الحِكْمَةَ والفِطْنَةَ وأنْتِ مِن أَجْهَل الناس وأحْمَقِهِم .

وأكْبَرُ برهان على ذلك إهْمَالُكِ واسْتِهَانَتُكِ أمَا تَعْرِفِيْنَ ما بينَ يدَيْكِ مِن الأهوال والعَظَائِم والمُزْعِجَاتِ والمَخَاوُفِ .

أمَـا تَقْـرئـينَ وتَسْمَعِينَ قول أصدق القائلين وأوفى الواعدين وأقْدرَ القادرين ﴿ إنا لَدَيْنَا أنكَالاً وجَحِيْمًا وطَعَامًا ذا غُصَّةٍ وعَذَابًا أليْمًا يَوم تَرجُف الأرضُ والجِبَالُ وكانت الجبَالُ كُثيْبًا مَهيْلا ﴾ .

وقـولـه تعـالى ﴿ وجيء يومَئـذٍ بجَهَنَّم يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإنسانُ وأنَّي له الذكرى يقول يا ليتنى قَدَّمْتُ لِحَياتي ﴾ الآية .

وقوله عَزَّ مِنْ قَائل ﴿ وإذا أُلْقُوا منها مكانًا ضيقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ الآية .

وقوله جل وعلا ﴿ مِن ورائه جَهَنم ويُسْقَى مِن مَاءٍ صَدِيْدٍ يَتَجرَّعُهُ ولا يَكادُ يُسِيْغُه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ ﴾ .

وقوله تبارك وتعالى ﴿ فأنذرتكم نارا تلظى ﴾ .

وقوله جل وعلا ﴿ إنها تَرْمي بِشَررٍ كالقَصرِ كأنه جِمَالَةٌ صُفر ﴾ .

ونحو هذه الآيات المخوفة ثم يقول لنفسه فمالك تفرحِينَ وتَضْحَكِين وتشتغلين باللهو وأنْتِ مَطلوبَةٌ لهذا الأمر العظيم والخطب الجسيم وبينَ يَدَيْكِ إحْدَى مَنْزِلَتَين الجنةِ أو النارِ فَكَيْفَ يَهْنَؤُكِ نَومٌ أو يَلَذُّ لَكِ مأكول أو مشروب وأنتِ لا تَدْرِيْن في أَيِّ الفريقين تكونينَ « فريق في الجنة وفريق في السعير » .

وكَيْـفَ تَنَـامُ العَيـنُ وهـي قَـرِيْرَةٌ ... ولَـمْ تَـدْرِ فـي أيِّ المَكانـيْنِ تَـنْزلُ

وقُلْ لَهَا أمَا تَعْلمَينْ أنَّ كُلَّ ما هو آتٍ قَرِيب وأن البَعيْد مَا لَيْسَ آتٍ .

أما تَعْلِمَيْنَ أنَّ المَوْتَ يأتي بَغْتَةً مِن غَيرِ تَقْدِيْم رسُول ومِن غَيْرِ مُوَاعَدَةٍ وأنَّه لا يأتي في شِتاءٍ دُوْنَ صَيْفٍ ولا في صَيْفٍ دُوْنَ شِتَاءٍ ولا في نَهَارٍ دُوْنَ ليل ولا في ليلٍ دُوْنَ نَهَار ولا يَأتي في الصبَّا دُوْنَ الكبرِ ولا في الكِبرِ دُوْنَ الصبَّا .

بل كُلُ نَفْسٍ يُمكنُ أنْ يَأتِيَهَا الموتُ بَغْتَةً فإنْ لم يأتِ الموتُ بَغْتَةً جاءَهُ المَرَضُ لا مَحَالَةَ ثم المَرض يُفْضِي إلى الموت .

فمالكِ يا نَفْسُ لا تَسْتعِدينِ والموت أقرب إليك من حبل الوريد .

فَهكَذَا مُعَامَلَةُ الزُّهَادِ والعُبَّادِ في تَوْبِيْخ أنفُسِهم وعِتَابها فإنَّ مَطْلَبَهُم من المناجاة الاسْتِرْضَاء ومَقْصُوْدُهُم مِن المُعَاتَبَةِ التَّنْبِيْه والاسترعاء .

فَمَنْ أهْمَلَ مُعَاتَبَةَ نَفْسِهِ وتَوبِيْخَهَا وأهْمَلَ مُناجَاتها لم يكُنْ لِنَفْسِهِ مُرَاعِيَا فَنَسْألُ اللَّهَ العظيم الحي القيوم مَعْرِفَةً حَقِيْقَةً بأحْوَالِ أنْفُسِنا وغرورها .

وخِتَامًا فالعاقلُ مَن بَذَلَ وُسْعَه في التَّفكُرِ التَّامِ وعَلِمَ أنَّ دَار الدنيا رِحْلَةٌ فَجمَعَ لِلسَّفَرِ رَحْلَهْ .

فمَبْدَأُ السَّفَرِ مِن ظهورِ الأباء إلى بُطُونِ الأمَّهَاتِ ثُمَّ إلى الدنيا ثُمَّ إلى القبر ثُمَّ الحشر ثم إلى دَارِ الاقامة الأبدِيّة .

فَدَارُ الإقـامـة لِلْمُؤْمِنِ هِي دَار السلام مِن جَمِيْعِ الآفات وهي دَارُ الخلود والعَدُّوُ سَبَانا منها إلى دَارِ الدنيا .

فالواجِبُ علينا الأجْتِهَادُ في فَكَاكِ أسْرِنا ثم في حَثِّ السير إلى الوصول إلى دارنا الأولى وفي مِثْلِ هذا قِيل :

فحَـيَّ عـلى جَنَّـاتِ عَـدْنٍ فـإنَّهـا ... مَنَـازِلُكَ الأُوْلَـى وفيهـا المُخَـيَّمُ
وَلَكِنَّنا سَبْيُ العَـدُوِّ فَهَـل تَـرى ... نُـرَدُّ إلَـى أوْطَـانِنَا ونُسَـلَّمُ

آخر : تَرَكْتُ هَوَى لَيْلَى وَسُعْدَى بِمعْزِل ... وعُـدْتُ إلى تَصْحِـيْحِ أَوْلَ مَـنْزلِ
ونادَتْ بِي الأشْوَاقُ مَهْلاً فَهَذِهِ ... مَنَـازِلُ مَـنْ تهـوى رُوَيْـدَكِ فَانْـزَلِ

ثم اعْلَمْ أنَّ مِقْدَارَ السَّيْرِ في الدنيا يَسِيْر ويُقْطَعُ بالأنْفَاس كما قيل :

ومــا نَفَــسٌ إلاَّ يُبَـاعِـدُ مَــوْلِـدًا   ويُــدْنِـي المَنَـايَـا لِلنُّفـوس فَتَقْـرُبُ

وَسِيْرُ الإنسانُ في هذه الدنيا سَيْرَ السفِيْنَةِ لا يُحُسُ بسَيْرِهَا وهُوَ جَالِسٌ فيها كما قيل :

وإنّـا لَفِـي الـدنيـا كَـرَكْـبِ سَفِيْنَةٍ   تَظُـنُّ وقُـوْفًـا والـزمـانُ بهـا يَجْـرِى

ويقوُل الآخر :

نَسِـيْرُ إلى الآجـال فـي كُلّ لَحْظَـةٍ   وأَيَّـامُنَـا تُطْـوَى وهُـنَّ مَـرَاحِـلُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصـــل : إعلم أيها الأخ أن جميع مُصِيْبَاتِ الدنيا وشُرُوْرها وأحْزَانَها كأحلام نوم أو كظِلٍ زائل .

إنْ أضحَكَتْ قليلاً أبْكَتْ كثيراً وإنْ سَرَّتْ يَوْمًا أو أيَّامًا سَاءَتْ أَشْهُرًا أو أعْوَامًا وإنْ مَتَّعَتْ قليلاً مَنَعَتْ طَوِيْلا .

وما حَصَل لِلْعَبْدِ فيها مِن سُرُوْر إلاَّ أعَقْبَهُ أَحْزَان وشُرور كما قيل : « مَن سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أزْمَانُ » .

وقال بعضَ العُلماء لِبعضِ الملوك إن أحَقَّ الناس بِذَمِّ الدنيا وقِلاهَا مَن بُسِطَ له فيها وأعْطِيَ حاجَتَه منها .

لأنه يَتَوقَّعُ أفَةً تَعْدُو على ماله فَتَجْتَاحُهُ ، أو على جَمْعِهِ فَتُفَرِّقَه ، أو تأتي سُلطانَه فَتَهْدِمَه من قَواعِدِه .

أو تَدِبُّ إلى جِسْمِهِ فَتسْقِمُهُ ، أَوْ تَفْجَعُهُ بشَيَءٍ هُو ضَنِيْنٌ به مِن أحْبَابِهِ .

فالدنيا أحق بالذَّم هيَ الآخذةُ لِمَا أعْطَتْ ، والراجعَةُ لِمَا وَهَبَتْ .

بَيْنَمَا هِيَ تُضْحِكُ صاحِبَهَا إذا هِيَ تُضْحِكُ منه غيره .

وبَيْنَمَا هِيَ تَبْكِي لَهُ إذْ بَكَتْ عليه .

وبَيْنَما هِيَ تَبْسُطُ كَفَّهُ بالاعطاء إذْ بَسَطَتْهَا بالاسترداد .
تَعْقِدُ التاجَ على رَأس صَاحِبِهَا اليوم وتُعَفِّرُهُ بالتُراب غَدًا .
سَواءٌ عليها ذَهَابُ ما ذَهَبَ وبقاءُ ما بَقِي تَجِدْ في الباقي مِن الذاهبِ خَلَفًا وتَرْضَى بِكُلٍّ بَدَلا .

شعـــرا :

بأَمْـرِ دُنْيـاكَ لا تَغْفُـلْ وكُـنْ حَذِرًا ... فَقَـدْ أَبانَـتْ لأَرْبـاب النُّهي عِبَرَا
فـأيُّ عَيْـشٍ بهَـا ما شَـابَـهُ غِـيَرٌ ... وَأيُّ صَفْـوٍ تَنَـاهَى لـم يَصِـرْ كَـدِرَا
كَمْ سَالِمٍ أَسْلَمَتْهُ لِلرَّدَى فَقَضى ... حَتْفًا ولم يَقْضِ مِن لَذَّاتها وطَـرا
ومُتْرَفٍ قَـلَبَتْ ظَهْـرَ المِجَـنِّ لَـهُ ... فَعَـادَ بَعْـدَ عُـلوِّ القَـدْرِ مُحْتَقَـرَا
فابْعِـدَنْهَـا ولا تَحْفَـلْ بِـزخْـرُفِهَا ... وغُـضَّ طَـرْفَـكَ عنـه قَـلَّ أو كَـثُرَا
فَكُلُّ شَيءٍ تَرَاهُ العَيْنُ من حَسَنٍ ... كَـرُ الأَهِـلَّةِ لا يُبْقِـي لَـهُ أثـرًا
واصْحَبْ وصَـلِّ وَواصِـلْ كُلَّ أونَـةٍ ... عـلى النـبيِ سَـلامًا طَـيِّبًا عَطِـرَا
وصَحْبِـهِ ومَـنِ اسْتَهْـدَى بِهَدْيِهِمُـوْا ... فَهُـمْ أئِمَّـةُ مَـن صَـلَّى ومَـن ذَكَـرَا

ثم علم أيها الأخ أَنَّ مَن بورِكَ له في عُمُرِهِ أَدْرَكَ في يَسِيْرِ الزمنِ مِن مِنَنِ اللَّهِ ما لا يَدْخُل تَحْتَ دَوَائِرِ العِبَارَةِ .

فَبركَةُ العُمْرِ أَنْ يَرْزُقَ اللَّهُ العَبْدَ مِن الفِطنَةِ واليَقَظَةِ ما يَحْمِلُه على الجِدِّ والاجْتهادِ على اغْتِنَامِ أَوْقَاتِ عُمُرِهِ وانتِهَازِ فُرْصَةِ إمكانه .

فيبـادِرْ إلى الأعـمال القَلْبِيَّةِ والأعمال البَدَنِيَّة ويَسْتَفْرِغُ في ذَلِكَ مَجْهُودَهُ بالكُلِيَّة وكُلُّ ذلك في عُمُرٍ قَصِيْرٍ وزَمَنٍ يَسِيْرٍ .

والخُذْلاَن كُلَّ الخُذْلان أنْ تَتَفرَّغَ مِن الشَّوَاغِل ثم لا تَتوجَّهَ إلى الله جل وعلا .

ومِن الخُذْلان أيضا أن تَصُدَّك العَوائِقُ والشواغِل عن التَّوجُّهِ إلى الله تعالى .

والواجب عليكِ أن تبادِرَ إلى التوجه إلى الله بالأعمال الصالحة وأن تَرمِي بالعَوائِقِ والشَّوَاغِل خَلْفَ ظَهْرِكَ .

وقد قيل سِيْرُوا إلى الله عُرْجًا ومَكَاسِيْرَ ولا تَنْتَظِروا الصِّحَّةَ فإنَّ انْتِظَار الصِّحَّـةَ بَطَالَةٌ والعاقِلُ مَن بَادَرَ إلى الأعمالِ الصالحة قال الشاعر حاثًا على اغتنام الوقت :

وخُذ مِن قَرِيْبٍ واسْتجِبْ واجْتَنِبْ غدًا ... وشَمِّرْ عن السَّاقِ إجْتِهَادًا بِنَهْضَةِ
وكُنْ صَارِمًا كالْوَقْتِ فالْمَقْتُ في عَسَى ... وإيَّـاكَ مَهْـلًا فَهْـيَ أَخْطَـرُ عِـلَّـةِ
وسِرْ زمِنًا وانْهَضْ كَسِيْرًا فَحَظُّكَ الْـ ... ـبَطَالَةُ مَا أَخَّـرْتَ عَـزْمًـا لِصِحَّـةِ
وجُـدَّ بسَيْفِ العَزْمِ سَوْفَ فإنْ تَجُدْ ... تَجِدْ نَفَسًا فالنَّفْسُ إنْ جُدْتَ جَدَّتِ

اللَّهُمّ انظِمْنَا في سِلْكِ عِبَادِكَ المخلصينَ ووفِّقْنَا للقِيَامِ بأَرْكانِ دينكَ القَويمِ وَنَجنا مِن لَفَحاتِ الجَحِيْمِ وأَسْكِنَّا في جَناتِ النَّعيم واغفرْ لَنا ولِوالِدِيْنَا ولِجَميع المُسْلمين الأَحْيَاءِ منهم والميتين بِرَحْمَتِك يا أَرْحَمَ الراحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعلى آله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصـــــل)

قال ابنُ الجوز تَبَاعَد عن أهلِ السُوءِ وباعِدْ أَوْلادَكَ عنهم لا يُعَادُوْنَكَ بأَفْعَالِهم وأَقْوالِهم وطِباعِهم ولا يَزَالُ يَقْسُو قَلْبُكَ حَتَّى يَسْتأنِسُ بِهِم فهُنَاكَ الهَلَاكَ .

والسُوءُ يَتَفَاوَتُ فَمِنْ أَهْلِهِ أهلُ الفَواحِشِ ومنهم أهلُ اللَّهْوِ ومنهم أهلُ الغِيْبَةِ والنَّمِيْمَةِ ومنهم أهلُ الملاهي وآلات الطرب .

فإنهم يَسْبُوْنَ أَهْلَ العُقولِ عُقُوْلَهُم حتى يَنْحَلُّوا عن دِيْنِهم ومُرُوءَتِهم فَيَعْسرُ عليهم الخلاصُ لِمَا يَجِدُوْنَهُ مِن لَذَّةِ النَّغَماتِ والأَصْوَاتِ .

حَتَّى يَكـون عَادَةً وطَبْعَا فَرُبَّمَا يَجْلِس الرجُلُ إليهم وهُو كَارِهٌ لِسَمَاعِ لَغْوِهِم مُسْتَوْحِشٌ مِن نَفْسِهِ ثم لا يَزَالُ على ذلكَ حتى يَرَاهُ حَسَنًا .

من كيد الشيطان أن يورد ابن آدم الموارد التي يخيل إليه أن فيها منفعته ثم يصدره المصادر التي فيها عَطَبُه ويَتَخَلَّى عنه ويُسْلِمُه لِلْهَلاكَ ويَقِفُ يَتَشَمَّتُ به ويضحك منه .

فيأمره بالسرقة والقتل واللواط والزنا ويدل عليه ويفضحه قال الله تعالى ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إني بَرِيْءٌ مِنكَ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وإذْ زَيَّنَ لهم الشيطان أعمالَهُم وقال لا غالبَ لكم اليوم من الناس وإني جَارٌ لكم فلما تَراءتِ الفِئتانِ نكصَ على عَقِبَيْهِ وقال إني بَرِيءٌ منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ﴾ .

ذكر ابن القيم رحمه الله الأَسْبابَ التي يُعتَصَمُ بها مِن الشيطان الأول إلاسْتِعاذَةُ باللَّهِ مِن الشيطان الرجيم قال تعالى ﴿ وإما ينزغنك مِن الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ .

والمرادُ بالسمعِ هُنَا سَمع الاجابة لا السمع العام .

الثاني قراءة المعوذتين فإنَّ لهما تأثيرًا عَجيْبًا في الاسْتِعَاذَةِ بالله مِن شر الشيطان ودَفْعِهِ .

ولِهَذا قال النبي ﷺ ما تَعوَّذَ الْمُتَعوِذُوْنَ بمثلِهما وكان ﷺ يَتَعوَّذُ بِهِما كلَّ ليلة عند النوم .

وأَمَرَ عُقْبَةَ بنَ عَامر أن يَتَعَوَّذُ بهما دُبُرَ كُلِ صَلاةٍ وذَكَرَ ﷺ أنَّ مَن قَرأَهُمَا مَعَ سُوْرَةِ الاخلاص ثلاثًا حِينَ يُمْسِي وثلاثًا حِيْنَ يُصْبِح كَفَتَاهُ مِن كُلِ شر .

الثالثُ قراءةُ آيةِ الكُرسِي .

الرابع قراءة سورة البقرة ففي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال « إن البيتَ الذي تُقْرَأ فِيْه سُورَة البَقرة لا يَدخُلُه الشيطان .

الخامسُ خاتِمَةُ سُورَةِ البَقرة فقد ثَبَتَ في الصحيح عنه ﷺ أنه قال مَن قَرأ الآيتين مِن آخِرِ سُورة البَقَرةِ في ليلَةٍ كَفَتَاهُ .

السادس أول سورة حم المؤمن إلى قوله ﴿ إليه المصير ﴾ ففي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ مَن قَرأ حَم المؤمن إلى قوله ﴿ إليه المصير ﴾ .

وآيَةَ الكُرسي حين يصبح حُفِظ بهما حتى يُمْسِي ، ومن قرأهما حين يُمْسِي حفظ بهما حتى يصبح .

السابع لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة .

ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال مَن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة .

كانت عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سَيئة وكان حرزًا له من الشيطان .

يَوْمَهُ ذلك حتى يمسي ولم يأتِ أَحَدٌ بأفضل منه إلا رجلٌ عَمِلَ أكثر من ذلك .

الثـامِنُ وهو أَنفعُ الحِروز مِن الشيطان كَثرةُ ذكِر اللّهِ عَزَّ وجَلَ وهذا بعَيْنِهِ هو الذي دَلَّتْ عليه سُورَةُ الناس .

فإنَّه وَصَفَ الشيطان فيها بأنه الخَنَّاسَ الذي إذا ذَكَر العبدُ رَبَّهُ انْخَنَسَ فإذا غَفَل عن ذكر الله التَقَمَ القَلْبَ وألْقَى إليه الوَسَاوِسَ .

فما أحْرَزَ العبدُ نَفْسَهُ مِن الشيطانِ بمثلِ ذِكرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَل .

الحرز التاسع الوضوء والصلاة وهذا من أعظم ما يحترز العبدُ به ولا سِيَّما عندَ الغضب والشهوة فإنها نارٌ تَصْلَى في قَلْب ابن آدم .

كما روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قَال ألا وإن الغَضَبَ جَمرةٌ في قَلْبِ ابنِ آدَمَ فما أطْفَأَ العبدُ جَمرةَ الغَضَب والشهوة بِمِثْلِ الوضوءِ والصلاة .

فإن الصلاة إذا وَقَعَتْ بخشُوعِها والإقبالِ على اللّهِ فيها أذْهَبَتْ أثرَ ذلك جُمْلَةً وهَذا أَمْرٌ تجربَتُهُ تُغْني عن إقامةِ الدليل عليه .

الحرزالعاشِرُ إمْسَاكُ فُضُولِ الكلامِ فإنها تَفْتَحُ أَبْوَابًا مِن الشرِ كُلّها مَدَاخِل للشيطان فإمساكُ فُضولِ الكلام يَسُدُّ عنكَ تلك الأبواب .

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فوائد ونصائح ومواعظ وحكم وآداب وَوَصَايا

مِن أَخْـلَاق المؤمِن حُسْنُ الحديث ، وحسنُ الاستماع إذا حُدِّث ، وحُسْنُ البِشرِ إذا لَقِي ، ووفاء بالوَعْدِ إذا وَعَدَ ومِن حُسْنِ إسلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيْه .

سُوْءُ الخُلُق سَبَبُ النكَـدِ في الحَيَاة والشُرور والآثـام ، فعلى العاقل اللَّبيب أَنْ يَعْرِفَ الأَخْلاق السَّيئَةَ لِيَجْتَنبَهَا ، وهي كثيرةٌ ولا يَخْلُوا أَحَدٌ منها فَتَفَقَّدْ نفسَكَ وأَزِلْ ما فيها .

فَمِن ذلك المَكْرُ ، والخَدِيْعَةُ والخِيَانَةُ والغِشُ ، والكَذبُ ، والغِيْبَةُ ، والنميمـةُ ، والسَّعَـايَةُ ، والـظُلْم والـرياء والعُقوقُ ، والقَطِيعةُ ، والكِبرُ ، والعُجْبُ ، والزَّهُوُ ، والأَنَفَةُ مِن المسْكَنةِ .

والنِّفَــاقُ ، والخِيانـةُ ، والغَـدرُ ، والحَسَـدُ ، والغِـلُ ، والحِقْـدُ ، والشَّمَاتَةُ ، والبَغْضَاءُ ، وسُوءُ الطن ، والتَّجَسُسُ على المسلمين .

وإضمارُ السُوء ، والتّربُص بالدَّوائِر ومُسَاعَدَةُ الهَوى ، ومُخالَفَةُ الحَقُ والرِضَى بالهِوَىَ والحِبُّ والبُغض بالهَوى ، والجَفَاءُ .

والقَسْـوَةُ ، وقِلَّةُ الـرحمـة ، والحِـرصُ ، والشَّرَهُ والـطَّمعُ والطِّيَرة ، والطُغيان بالمال ، والفَرَح بإقبال الدنيا ، واسْتِقلال الرزق .

واحْتقـار النِعم ، والاحتقـار بمَصَائِب الدِين ، واستعظامُ الدنيا ، والحُزْنُ على ما فات منها .

والاسْتَهَانَةُ بعِلم الله عز وجل عند فِعْلِكَ لِلذَّنْبِ والاسْتِهانَة بسَماعِهِ ما يَصْدُرُ منكَ مِن المَعَاصِي قولا وفِعلا .

وقِلَّة الحَياءِ مِن إطلاعِ اللَّهِ عَليكَ ومِن اطلاعِ مَن عَن اليَمين وعن الشمال قَعِيْد .

وأنْتَ لَو أطَّلَعَ عَليكَ مَخْلُوقٌ ضعِيْفٌ وأَنْتَ تعملُ مَعْصِيَةَ اللَّهِ لا نْزَعَجْتَ .

فَتَنَبَّهْ لِذَلِكَ ورَاقِبِ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا وتَقَدَّسَ وكُنْ منه عَلى حَذَر .

تَوارَى بِجُدْرَانِ البُيُوتِ عن الوَرَى وأنْتَ بِعَيْنِ اللَّهِ لا شَكَ تُنْظَرُ

وقال ابنُ القيم رحمه الله :

وهُوَ الحليمُ فلاَ يُعَاجِلُ عَبْدَهُ بَعقُوبَةٍ لِيَتُوبَ مِن عِصْيانِ
لَكِنَّهُ يُلْـقِي عَلـيه سِـتْرَهُ فهـو السَّـتِيْرُ وصَـاحِـبُ الغُفْـرانِ
وهُوَ العَفُوُ فعفْوُهُ وسِعَ الوَرَى لَـوْلاَهُ غَـارَ الأرضُ بالسُّـكانِ
وهُوَ الصَّبُورُ على أَذَى أعْدَائِه شَتَمُوهُ بَلْ نَسَبُوْهُ لِلْبُهْتَانِ
قالُوا لَهُ ولَدٌ ولَيْسَ يُعِيْدُنَا شَتْمًا وتَكْذِيْبًا مِن الإِنسانِ
هَذَا وَذَاكَ بِسَمْعِهِ وبِعِلْمِهِ لَوْ شَاءَ عَاجَلهُم بكُلِّ هَوَانِ
لَكِنْ يُعَافِيهِمْ ويَرْزُقُهُم وهُمْ يُؤْذُوْنَهُ بالشِرْكِ والكُفْرانِ

قال بَعضُ العلماء إخواني إذا تَقَرَّبَ الناسُ إلى الله عَزَّ وجَل بأنواع البرِّ الظاهِرَةِ مِثْلَ الجِهادِ والحج والصومِ والزكاةِ والصدقةِ وتلاوةِ القرآنِ وغيرِ ذلك .

فَنافِسُوهُم فيها واجْعَلُوا أعْظَمَ الرَّغْبَةِ في طَاعَةِ القُلُوب التي لا يَطَّلِعُ عليها الانسُ ولا الملائكةُ ولا الجنُ ، ولا يَعْلَمُهَا إلا عَلاَّمُ الغُيُوب .

فإنَّ القَلِيْلَ مِن أعْمَالِ البر كَثِيْرٌ لِسلاَمَتِهِ مِن الرِّيَاءِ وجَمِيْع المُكَدِّراتِ .

ألا فَتَقَرَّبُوا إلى الله بطَاعَةِ القُلُوب فإن فيها المعرفَةَ بعَظَمَةِ اللّهِ وكِبْرِيَائِهِ وجَلالِهِ وقُدْرَتِهِ وعَظِيم قَدْرِهِ سُبْحَانَهُ .

وتَقَـرَّبُوا إليه بمَحَابِهِ ، وبُغْضِ مَكارِههِ والرِّضَا والغضَبِ لَهُ وفيه ، وتَقَرَّبُوا إليه بشِدَّةِ الحُبِّ لَهُ .

والحُبِّ فيه والبُغْض مِن أَجْلِهِ ، وتَقَرَّبُوا إلى الله بالمعرِفَةِ بأيادِيْهِ الحَسْنَةِ ونعَمِهِ الظاهِرَةِ والبَاطِنَةِ ، وأَفْعَالِهِ الجَمِيْلَةِ .

ومِنَنِـهِ المُتَواتِرَةِ على تَوَاترُ الإسَاءَةِ مِنَّا ، وهُوَ جَل وعَلا وتَقَدَّسَ يَعُودُ بأَنْوَاعِ النِعَمِ عَلَيْنا .

ألا فَتَقَرَّبُوا إليه بالخَوْفِ مِن زَوَال النِّعَم ، وشِدَّةِ الحَيَاءِ من التَّقْصِير في الشكر .

وتَقَرَّبُوا بالوَجَلِ مِن مَكْر الله تعالى والاشْفَاقِ على إيْمانِكم .

وتَقَرَّبُوا إلى اللّهِ بشِدَّةِ الخَوفِ منه .

وحَقِيْقَـةِ الرجَاءِ فيهِ ، والسُرُوْرِ بذِكره ، ومُنَاجَاتِهِ ، والشَّوقِ إليه ، والرَّغْبَةِ في جِوَارِهِ .

وتَقَرَّبُوا إلى الله بِصِدْقِ اليَقِينِ والتَّوكُلِّ عليه والثِّقَةِ به والطُّمأنينةِ إليهِ والأُنْس به والانقطاع إليه .

وتَقَربُوا إليه بالوَفَاءِ ولِيْنِ الجانِبِ والجَنَاحِ والتَّواضُعِ والخُشوع والخُضُوع .

وتَقَرَّبُوا إليه بالحِلم والاحْتِمال وكَظْمِ الغيْظِ وتَجَرُّعِ المَرَارَةِ .

وتقرّبُوا إليه بسَلاَمَةِ الصَّدْرِ وإرَادَةِ الخَيْرِ للامَّةِ وكَراهَةِ الشَّرِ لَهُم .
وتقَرَّبُوا إلى اللَّهِ بالرأفَةِ والرحمةِ والشَفَقَةِ والحَوْطَةِ على المسلمين .

وتَقَرَّبُوا إليهِ بالجُودِ والكَرَم والتَّفَضُل والاحسَانِ وصِدق الوَفاء .
وتَقَرَّبُوا إليه بالقَنَاعَةِ والعَفَافِ والكَفَافِ والرِضَى بالبُلْغَةِ واليأسِ مِنْ نَائِلِ الناس .
وتَقَرَّبُوا إليه بالتَّدبُرِ لِكتابهِ وتفَهُّمِهِ والعَمَلِ به والاخلاص .
وتَقَرَّبُوا إليه بمُجَاهَدِةِ إبليس لَعَنَهُ اللَّهُ ومُخَالَفةِ الهَوى والنفس الأَمَّارَةِ بالسُوء والتَّفَقُدِ لأحْوَالِكم والتَّقْوىَ في كل أُمُورِكُمْ وتَقَربُوْا إلى الله بأَدَاءِ الأمانات .
وتَقَرَّبُوا إليه بالاحسان إلى المُسِيء والإيثارِ على أَنْفُسِكُم وإن كان بكم خَصَاصَة .
وارْغَبُوا في مَكَارِمِ الأَخلاق .
وتَقَرَّبُوا إلى الله بالتواضُعِ والابتعَادِ عن التَّرَفُعِ على عباد الله المؤمنين .
وتَقَرَّبُوا إلى الله بالفَرَحِ بِمَصَائِبِ الدنيا ، والرضا بقضاء الله وقدره .
وتَقَرَّبُوا إلى الله بالاستعداد للموت والبعث والنشور والحساب والميزان

ألم ترأنَّ المرء يِحبسُ ماله
وَوَراثِهُ فيه غداً يَتَمَتَّعُ كَأنَّ الحماة

المشفقين عَلَيْكَ قَدْ غَدَوا بكَ أَوْ رَاحُوا رَوَاحاً فَأَسْرَعُوا
وما هُوَ إلاَّ النَّعْشُ لَوْ قَدْ أَتَوا بِهِ
تُقَلُّ فتَلقَى فوْقَهُ ثُم تُرْفَعُ

وَمَا هُوَ إلا حَادِثٌ بعْدَ حَادِثٍ
عَلَيْكَ فَمِنْ أيِّ الحَوَادِثِ تَجْزِعُ
وَمَا هُوَ إلاّ المَوْتُ يَأْتِيْ لِوَقْتِهِ
فَمَالكَ في تَأْخِيْرِهِ عَنْكَ مَدْفَعُ
ألاَ واذا وُدِّعْتَ تَوْدِيْعَ هَالِكٍ
فَآخِرُ يَوْمٍ مِنْكَ يَوْمٌ تُوَدَّعُ
ألا وَكَمَا شَيَّعْتَ يَوْماً جَنَائِزاً
فَأنْتَ كَمَا شَيَّعْتَهُم سَتُشَيَّعُ
رَأَيْتُكَ في الدُّنْيَا عَلى ثِقَةٍ بِهَا
وَإنَّكَ في الدُّنْيَا لأَنْتَ المُرَوَّعُ
وَصَفْتَ التُّقَى وَصْفاً كَأنَّكَ ذُوْ تُقَى
وَرِيْحُ الخَطَايَا مِنْ ثِيَابِكَ تَسْطَعُ
وَلَم تُعْنَ بالأمرِ الذي هُوَ وَاقِعُ
وَكُلُّ امْرِىءٍ يَعْنَى بِمَا يَتَوَقَّعُ
وَإنَّكَ لَلْمَنْقُوصِ في كُلِّ حَالَةٍ
وَكُلُّ بَنِيْ الدُّنْيَا عَلى النَّقْصِ يُطْبَعُ
وَمَا زِلْتُ أرْمِيْ كُلَّ يَوْمٍ بِعِبْرَةٍ
تَكَادُ لَهَا صُمُّ الجِبَالِ تَصَدَّعُ
فَمَا بَالُ عَيْنِيْ لاَ تَجُوْدُ بِمَائِهَا
وَمَا بَالُ قَلْبِيْ لاَ يَرِقُّ وَيَخْشَعُ
تَبَارَكَ مَنْ لاَ يَمْلِكُ المُلْكَ غَيْرُهُ
مَتَى تَنْقَضي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ يَقْنَعُ

وَأيُّ امْـرِءٍ في غَـايَـةٍ لَيْسَ نَفْسُـهُ
إلى غَـايَـةٍ أُخْـرَى سِوَاهَـا تَـطَلَّعُ
وَبَعْضُ بَنِي الـدُّنْيَـا لِبَعْضٍ ذَرِيْعَـةٌ
وَكُـلٌّ بِـكُـلٍ قَـلَّمَـا يَـتَـمَـتَّـعُ
يُحِبُّ السَّعِيْدُ العَدْلَ عِنْدَ احْتِجَاجِهِ
وَيَبْغِي الشَّقِيُّ البَغْيَ والبَغْيُ يَصْـرَعُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلى نَهجِ الاسْتِقَامَةِ وَأَعِذْنَا مِنْ مُـوْجبَاتِ الحَسْـرةِ وَالنَّدَامَةِ يَوْمَ القِيَامةِ وَخَفِّفْ عَنَّا ثُقْلَ الأَوْزارِ ، وَارْزُقْنَا عِيْشَةَ الابْرَارِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِينَ برحْمتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِين .

٩ مَوْعِظة

عِبَادَ اللهِ كُلُّنَا نَعْلَمُ أَنَّ حَيَاتَنَا مَهمَـا امْتَدَّتْ وَصَفَتْ لِلزَّوالِ ، وَكَذلِك كُلّ وَاحِدٍ منَّا يَعْلَمُ أنه أتى للدنْيَا للاختِبَارِ بِمَا كُلِّفنا به مِنْ العِبَادَاتِ وَالمعَامَلاتِ ، وَسَيُصْبِحُ الوَاحِدُ مِنَّا عَمّا قَرِيْبٍ في حُفْرَةٍ وَحِيداً لَيْسَ مَعَهُ أَوْلَادٌ وَلا أَمْوَالٌ ، وَحِيْنئِذٍ تَكُوْنُ أيُّها الأخُ كأنكَ مَا رأَيْتَ الدُّنْيَا وَلا هِيَ رَأَتْكَ لَحْظَةً مِنْ اللّحظَاتِ .

وَيَالَيْتَكَ إذَا زَالَتْ الحَيَاةُ تَزُوْلُ دُوْنَ أَنْ يَتَرَتَّبَ عَلَيْهَا آثَارٌ لَوْ كَانَ ذَلِكَ لاَحبَّ بَعْضُنَا المَوْتَ ، لأنَّهُ يَكُونُ بَشِيْراً بانْتِهَاءِ الأَمْرَاضِ وَالمَصَائِبِ وِالآلامِ ، لكِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّه يَعْقُبُ ذَلِكَ المَوْتَ أهْوَالٌ ، وَأُمُورٌ مُزْعِجَاتٌ ، تُلاقِيْ جَزَاءَ مَا كَانَ مِنْكَ قَبْلَ المَوْتِ في الاخْتِبَار .

فَانْ كُنْتَ قَدْ أَحْسَنْتَ ، رَأَيْتَ قَبْرَكَ رَوْضَةَ نَعِيمٍ ، وَانْ كُنْتَ مُسِيئاً رَأَيْتَهُ نِيْرَاناً مُحْرِقَاتٍ .

عَن البَرَاءِ بن عَازِبٍ قَالَ كُنَّا في جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الانْصَارِ وَمَعَنا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم فانْتَهَينا إلى القَبْرِ ولم يُلْحَدْ ، وَوُضِعَتْ الجَنَازَةُ ، وَجَلَسَ رسولُ اللهِ صلى الله عَليه وسلم ، فَقَالَ إنَّ المؤمِنَ إذا احْتُضِرَ ، أتاه مَلَكُ الموتِ في أَحْسَنِ صُوْرَةٍ ، وأَطْيَبَ رِيْحاً ، فَجَلَسَ عِنْدَه ، لِقَبْضِ رُوْحِهِ ، وَأَتَاه مَلَكَانِ بحَنُوطٍ مِن الجَنَّةِ وَكَانَا منه على بَعِيْدٍ فَاسْتَخْرَجَ مَلَكُ المَوْتِ رُوْحَهُ مِن جَسَدِهِ رَشْحاً .

فَإِذَا صَارَتْ إلى مَلَكِ المَوْتِ ابْتَدَرَهَا الملكَانِ فَأَخَذَاهَا مِنْهُ فَحَنَّطَاهَا بحَنْوطٍ من الجَنَّةِ وكَفَّنَاهَا بكَفَنٍ من الجَنة ثم عَرَجا بهَا إلى الجَنة ، فتُفْتَحُ له أَبْوابُ السَّمَاءِ ، وتَسْتَبْشِرُ الملائِكةُ بها وَيَقُولُوْنَ لمن هَذِه الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ التي فُتِحَتْ لها أَبْوَابُ السَّمَاءِ .

وَيُسَمَّى بأَحْسَنِ الأَسْمَاءِ التي كان يُسَمَّى بها في الدنيا ، فَيُقَال هذه رُوْحُ فُلانٍ فإذا صَعَدَا بها إلى السَّمَاءِ شَيَّعَها مُقَرَّبُوا كُلِّ سَمَاءٍ ، حتى تُوْضَعَ بين يَدَيْ اللهِ عندَ العَرْشِ ، فيُخْرَجُ عَمَلُهَا مِن عِلِّيِّيْنَ فيَقُولُ الله عَز وجَلّ للمُقَرَّبين اشْهَدوا أَنّي قد غَفَرْتُ لصَاحِبِ هذا العَمَل ، وَيُخْتَمُ كِتَابُه فيُرَدُّ في عِلِّيِّيْنَ .

فيَقُولَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رُدُّوا رُوْحَ عَبْدِي إلى الارْضِ ، فَإِنِّي وَعَدْتُهُم أَنِّي أَرُدُّهُم فِيْها .

ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم « مِنْهَا خَلَقْنَاكُم وَفيها نُعِيْدُكم ومنها نُخْرِجُكم تَارَةً أخْرَى » فإذَا وُضِعَ المؤْمِنُ في لَحْدِهِ تَقُولُ له

الأَرْضُ إنْ كُنْتَ لَحَبِيْباً إليَّ وَأَنْتَ عَلى ظَهْرِيْ ، فَكَيْفَ إذْ صِرْتَ اليَوْمَ في بَطْنِيْ سَأُرِيْكَ مَا أَصْنَعُ بِكَ ، فَيُفْسَحُ لهُ في قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا وُضِعَ الكَافِرُ في قَبْرِهِ أَتَاهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٍ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ ، فَيَقُولَ لا أدْرِيْ فَيَقُولاَنِ لَهُ لادَرَيْتَ ، فَيَضْرِبَانِه ضَرْبَةً فَيَصُيْرُ رَماداً ، ثمَّ يُعَادُ فَيَجْلَسُ فَيُقَالُ لَهُ مَا قَوْلُكَ في هَذا الرَّجُلِ ، فَيَقُولُ أَيَّ رَجُلٍ فَيَقُولاَنِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ قَالَ النَّاسُ إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وسَلم فَيَضْرِبَانَه ضَرْبَةً فَيَصِيْرُ رَماداً .

وَيَا لَيْتَ الأَمْرُ يَنْتَهِي ، وَيَقِفُ عند هَذَا الحَدِّ ،فَتَبْقَى في قَبْرِكَ عَلى الدَّوَامِ ، فَإنَّه أخَفُّ مِمَا بَعْدَهُ ، فَتَكُونُ آلامُكَ فِيْهِ أخفُّ إنْ كُنْتَ مِن أَهْلِ الشَّقَاءِ وَالآثامِ ، وَلَكِن تَعْلَمُ أنَّ مَا أُخْبَرَ بِهِ اللّهُ سَيَقَعُ ، وَهُو القِيَامُ مِن القُبَورِ ، قَالَ اللهُ تَعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالِمَيْنِ ﴾ .

وَحِيْنَئذٍ تَسُوقُكَ نَتيجَةُ اخْتِبَارِكَ إمَّا إلى الجَنَّةِ وإمَّا إلى السَّعِيْرِ ، مَنْ كَانَ مكذبا بهَذا والعَياذُ باللَّهُ فلا كَلامَ لَنَا مَعَهُ ، لإنَّ مَآلَهُ إلى جَهنَّمَ وَبِئْسَ المِهَادِ لأَنَّهُ مِن الكافِرينَ ، وَإنْ كَانَ مُؤْمِناً بذَلِك كَمَا أَخْبرَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فهُوَ الذِي تُفيْدُ فِيْهِ المَواعِظُ وَضَرْبِ الأمْثَالِ وَيُقَالُ لِمَاذا نَرَاكَ مُتَّصِفاً بمَا يُخَالُف قولك :

يا قَسْوَةَ القَلْبِ مَالِي حِيْلَةٌ فِيْكَ ... مَلَكْتِ قَلْبِي فأَضْحَى شَرَّ مَمْلُوكِ
حَجَبْتِ عَنِي إفَادَاتِ الخُشُوعِ فَلَا ... يَشْفِيْكِ ذِكْرٌ ولاوَعْظٌ يُدَاوِيْكِ
وَمَا تَمَادِيْكِ مِن كُثْفِ الذُنُوبِ وَلَـ ... ـكِنَّ الذُنُوبَ أَرَاهَا مِن تَمَادِيْكِ
لَكِن تَمَادِيْكِ مِن أُصلِ نَشَأْتِ بِهِ ... طَعام سُوْءٍ عَلَى ضَعْفٍ يُقَوِّيْكِ

وأنْت يا نَفسُ مَأْوَى كُلِّ مُعْضِلَةٍ ... وكُلُ دَاءٍ بِقلبِي مِن عَوادِيْكِ
أَنْتِ الطَّلِيْعَةُ لِلشَّيْطَانِ فِي جَسَدِيْ ... فلَيْسَ يَدْخُلُ إلاَّ مِن نَواحِيْكِ
لَمَا فَسَحْتِ بِتَوفِيْرِ الحظُوظِ لَهُ ... أَضْحَى مَعَ الدَّمِ يَجْرِيْ فِي مَجَارِيْكِ
وَالَيْتِهِ بِقَبُوْلِ الزُورِ مِنْكِ فَلَنْ ... يُوَالِي اللهَ إلاَّ مَن يُعَادِيْكِ
مازلْتِ في أسْرِهِ تَهْوِيْنَ مَوْثقةً ... حَتَّى تَلِفْتِ فأَعياني تَلَافِيْكِ
يَا نَفْسُ تُوبِي إلَى الرحمنِ مُخْلِصَةً ... ثم اسْتَقِيْمِيْ عَلَى عَزْمٍ يُنَجِيْكِ

واسْتَرْكِيْ فَارِطَ الأَوْقَاتِ واجْتَهِدِيْ ... عَسَاكِ بالصِدْقِ أنْ تَمْحَيْ مَسَاوِيْكِ
واسْعَيْ إلَى البِرِّ والتَّقْوىَ مُسَارِعَةً ... فَرُبَّما شُكِرَتْ يَوماً مَسَاعِيْكِ
ولَنْ يَتِمْ لَكِ الأَعْمَالُ صَالِحةً ... إلاَّ بِتَركِكِ شَيْئاً شَرٌّ مَتْرُوْكِ
حُبُّ التَّكَاثُرِ فِي الدنيا وزِيْنَتِهَا ... فَهْيَ التِي عَن طِلَابِ الخَيرِ تُلْهِيْكِ
لا تُكْثِرِيْ الحِرْصَ فِي تَطْلَابِهَا فَلَكَمْ ... دَمٌ لَهَا بسُيُوفِ الحِرْصِ مَسْفُوْكِ
بَلِ اقْنَعِي بِكَفَافِ الرِّزْقِ رَاضِيَةً ... فَكُلَّمَا جَازَ مَايَكْفِيْكِ يُعْطِيْكِ
ثُمَّ اذْكُرِيْ غُصَصَ الموتِ الفَظِيْعِ تَهُنْ ... عَلَيْكِ أَكْدَارُ دُنْياً لا تُصَافِيْكِ
وظُلْمَةَ القَبْرِ لا تَخْشَيْ وَوَحْشَتَهُ ... عِنِدَ انْفِرَادِكِ عَنْ خِلٍ يُوَالِيْكِ
والصَّالِحَاتِ لِيَومِ الفَاقَةِ ادَّخِرِيْ ... فِي مَوْقِفٍ لَيْسَ فِيْهِ مِن يُوَاسِيْكِ
وأَحْسِنِي الظَّنَّ بالرحمنِ مُسْلِمَةً ... فَحُسْنُ ظَنِّكِ بالرحمنِ يَكْفِيْكِ

اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ نَفساً مُطْمَئنةً تُؤمِنُ بلِقَائِكَ وتَرضَى بقَضَائك ، اللهم إنا نَسأَلُكَ باسْمِكَ الطاهِرِ الطَّيب المُبَارَكِ الأَحَبِّ إليك الذي إذا دُعِيْتَ به أَجَبْتَ ، وإذا سُئلتَ به أعْطَيْتَ ، وإذا اسْتُرْحِمْتَ به رَحِمْتَ ، وإذا استفرجْتَ به فَرَّجْتَ أنْ تَغفرَ سَيئاتنا وتُبدلها لنا بِحَسَنات يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصبحه أجمعين .

١٠ « مــوعظــة »

كتبَ عَليٌّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ إلى وَلَدِهِ الحُسَيْنِ مِنْ عبدِ اللَّهِ عَليٍّ أَميرِ المؤمنينَ الوَالِدِ الفَانِي الذَّامِّ للدُّنْيا السَّاكِنِ مَسَاكِنَ المَوْتَى ، إلى الوَلَدِ المُؤَمِّلِ مَا لاَ يُدْرِكُ السَالِكِ سَبيْلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ ، عُرْضَةُ الأسْقامِ وَرَهينةُ الأيامِ وأَسِيْرُ المنايا وقرينُ الرَّزَايَا وَصَرِيْعُ الشَهَوَاتِ وَنُصُبِ الآفاتِ وَخَلِيْفَةُ الأمْواتِ .

يا بُنيَّ إنْ بَقِيْتُ أو فَنِيْتُ فإني أُوصِيْكَ بتَقْوى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بذِكرِهِ ولْاعْتِصَامِ بحِبْلِهِ فإنَّ اللَّهِ يَقُولُ واعْتَصِمُوا بحَبْلِ اللَّهِ جَميعاً ولاَ تَفَرَّقُوا واذكُرُوا نِعْمةَ اللَّهِ عليكم الآية وأيُّ سَببٍ يا بُنيَّ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبينَ الله عزَّ وجلّ .

أَحْيي قلبَكَ بالمَوْعظَةِ وَنَوِّرْهُ بالحِكْمَةِ وَقَوِّه بالزُهْدِ وَذَلِّلْهُ بالمَوْتِ وَقَرِّرْهُ بالفَنَاءِ وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَهْرِ وَتقَلُّبَ اللَيَالي .

وآعْرِضْ عليهِ أَخْبَارَ الماضِينَ وَسِرْ في دِيارِهِمْ وآثارِهِمْ فانظُرْ مَا فَعَلُوا وأيْنَ حلُّوا فَأنَكَ تَجِدُهُمْ قَدِ آنْتَقَلُوا مِنْ دارِ الغُرورِ وَنَزَلُوا دارَ الغُرْبَةِ .

وكأنكَ عنْ قَليلٍ يا بُنَي قد صِرْتَ كأحَدِهِمْ فبعْ دُنْيَاكَ بآخِرَتِكَ وَلاَ تَبِعْ آخِرَتك بدُنياكَ وَدَعِ القَوْلَ فِيْمَا لا تَعْرِفُ والأمْرَ فِيْمَا لا تُكَلَّفُ وَمرْ بالمعروفِ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَكُنْ مِن أَهْلِهِ وأنْكِرِ المُنْكَرَ بيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ .

وَخضْ الغَمَرَاتِ إلى الحَقِّ وَلاَ تَأخُذْكَ في اللَّهِ لَوْمَةُ لائِمٍ واحْفَظْ وَصِيَّتِي فلا خَيْرَ في عِلْمٍ لا ينفَعُ وَاعْلَمْ أنه لا غِنَى بك عن حُسْنِ الارتِيَادِ

مَعَ بَلاغِك مِنَ الزادِ .

فإنْ أَصبْتَ مِنْ أهلِ الفَاقَةِ مَنْ يَحْتَمِلُ عنْكَ زَادَكَ فيُوَافِيك بِهِ في مَعَادِكَ فاغْتَنِمْهُ فانَّ أمامَكَ عقبةً كَؤُوداً لا يُجاوزُها إلا أخَفُّ الناسِ حِمْلاً .

وأَجْمِلْ في الطَلَبِ وأَحْسِنْ في المَكْسَبِ فَرُبَّ طَلَبٍ قدْ جَرَّ إلى حَرْبٍ وإنَّما المَحْرَوبُ مَنْ حُرِبَ دِينَهُ والمَسلوبُ مَنْ سُلِبَ يَقينَه واعْلَمْ أنهُ لا غِنَى يَعْدلُ الجَنةَ وَلاَ فقرَ يَعْدِلُ النارَ والسلام عليكَ ورحمةُ اللَّهِ .

قال الناظم رحمه الله :

وكُنْ بينَ خَـوفٍ والرَّجَـا عـامـلاً لِمَـا
تَـخَـافُ وَلاَ تَـقْـنطْ وُثُـوقـاً بِـمَـوْعِـدِ
تَـذَكَّـرْ ذُنـوبـاً قَـدْ مَضَيْن وَتُبْ لَهَـا
وَتُبْ مُـطْلقاً مَـعْ فَقْـدِ عِلْمِ التَّعَمُّـدِ
وبـادِرْ مَـتَـابـاً قَبْـلَ يُـغْـلَقُ بـابُـه
وَتُـطوَى على الأعمـالِ صُحْفُ التـزَوُّدِ
فـحِـيْـنَئِـذٍ لا يَـنْـفَـعُ الـمَـرْءَ تَـوْبَـةٌ
إذا عـايَنَ الأَمْـلاكَ أو غـرْغَـرَ الصَّـدِي
ولا تَـجْعَـلِ الآمَـالَ حِـصْنـاً فَـإنَّـهـا
سَـرَابٌ يَغُـرُّ الغـافـلَ الجـاهـلَ الصَّـدِي

وَيُسْتَحَبُ أنْ يَقُولُ لَهُم في وَقْتٍ بَعْدَ وَقْتٍ مَتَى رَأَيْتُم مِنِّيْ تَقْصِيْراً في شَيْءٍ انْهَوْنِيْ عَنْهُ برفْقٍ وَلُطْفٍ لأنَّ النَّفْسَ تَضْعُفُ في ذَلِكَ الوَقْتِ وَأَدُّوا أَلَيَّ النَّصِيْحَةَ في ذَلَكَ فإِنِّيْ مُعَرَّضٌ لِلْغَفْلَةِ والسَّهْو والكَسَلِ والإِهْمَالِ فإِذَا قَصَّرْتُ فَنَشِّطُوْنِيْ وَعَاوِنُونِيْ عَلى التَّأَهبِ لِهَذَا السَّفرِ البَعِيْدِ والتَّغَرُّبِ المُخِيْفِ .

وإذا حَضرَهُ النَّزْعَ فَلْيُكْثِرْ مِن قَوْلِ لَا إِلَهَ إلَّا اللَّهُ لِتَكُون آخِرَ كَلَامِهِ فَيَالَهُ مِن خِتَامٍ وَيَا لَهُ مِنْ طَابَعٍ ، فَعَنْ مُعاذِ بن جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لَقِنُوْا مَوْتَاكُم لَا إِلَهَ إلَّا اللَّهُ .

وَيَسْتَحْضِرْ أَحَادِيْثَ الرَّجَا مِثْلُ حَدِيْثِ أَبي ذَرٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبيَ ﷺ وعليه ثَوْبٌ أَبيضُ وَهو نَائِمٌ ثم أَتَيْتُهُ وقد اسْتَيْقَظَ فقالَ ما مِنْ عَبْدٍ قال لَا إِلَهَ إلَّا اللَّهُ ثم مَاتَ عَلى ذَلِكَ إلا دَخَلَ الجَنَّةَ قُلْتُ وانْ زَنَى وإِنْ سَرَقَ قال وإن زَنَى وَإِنْ سَرَقَ الحديثَ متفق عليه .

وَحَديث ابن عباس أنَّ نَاساً مِن أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوْا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوْا وَزَنَوا وأَكْثَرُوْا فَأَتَوْا مُحَمَّداً ﷺ فقالُوا إنَّ الذي تَدْعُوا إِليهِ لَحَسَنٌ لو تُخْبِرْنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَارةً فَنَزَلَ ﴿ والذين لا يَدْعُونَ مع اللَّهِ إلهاً آخرَ ولا يقتلونَ النفسَ التي حَرَّم اللَّهُ إلا بالحق ولا يَزْنُون ﴾ الأيتين - ونَزَل ﴿ قل يَا عِبَادِي الذين أسرفُوا على أنفسِهم لا تَقْنَطُوا مِن رحمة اللَّهِ ﴾ الآية ونحو هذه الآية والأحاديث التي سَبَقَتْ .

شعـــراً :

إذا أَتى اللَّهُ يـومَ الحَشـرِ في ظُـلَلٍ ... وجـيءَ بالأُمَـمِ المَاضِينَ والرُّسُـلِ
وحاسَبَ الخَلْقَ مَنْ أَحْصَى بقُدرَتِه ... أَنْفَـاسَـهُم وتَـوفَّـاهُـم إلـى أَجَـلِ
ولـم أَجِـدْ فـي كِتَـابِـي غَـيْرَ سَـيِّئَةٍ ... تَسُـوءُني وعَسىَ الإِسْـلَامُ يَسْـلَمُ لِي
رَجَـوتُ رَحمَـةَ ربِّـي وهـيَ واسِعُـةٌ ... ورَحْمَـةُ اللَّهِ أَرْجَـى لِي مِـنَ العَمَـلِ

اللّهُمَّ اجْعَلْ في قُلوبنَا نُوْراً نَهْتَدِيْ بهِ إِلَيْكَ وَتولَّنا بحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتّى نَتوكلَ عَلَيكَ وارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّذلل بَينَ يَدَيكَ فَالعزيزُ مَنْ لَاذَ بعزِّكَ والسَّعيدُ مَن الْتَجأَ إلى حمَاكَ وَجُودِكَ والذليلُ مَنْ لَمْ تَؤَيّدْهُ بعنايَتِكَ والشَّقِيُ مَن رَضِيَ بالإعْرَاضِ عنْ طَاعَتِكَ اللهم نَزِّهْ قُلوْبَنَا عنْ التَّعلق بِمَنْ دُونَك واجْعَلْنَا مِنْ

قوم تحبُّهُمْ ويُحِبُّـونَكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الراحِمِينَ وصلى اللّهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

١١ مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللّهِ لَقَدْ كَانَ سَلَفُنَا في مَحَبَّةِ بَعْضِهِم بَعْضاً آيَة مِن الآيَاتِ وَكَانَ التَّراحُمُ بَيْنَهُم بَالِغاً مَبْلغاً يَعُدُّهُ أَهْلُ الانْصَافِ غَايَةَ الغَايَاتِ لِذَلِكَ كَانُوا في مَحَبَّةِ الخَيْرِ لِبَعْضِهِم عَلَى أَرْقَى مَا يُتَصَوَّرُ في الدَّرجَاتِ .

وَهَلْ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُم في أَشَدِّ الجُوْعِ وَيُؤْثِرُ أَخَاهُ بِمَالَهُ مِنْ طَعَامٍ عَامِلِيْنَ بِقَـوْلِهِ تَعَـالَى ﴿ وَيُؤْثِرُوْنَ عَلى أَنْفُسِهِم وَلَـوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ وَقَولِهِ ﴿ وَيُطْعِمُوْنَ الطَّعَامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيْناً وَيَتِيْماً وَأَسِيْراً ﴾ وَبِقَوْلِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .

وَإِنَّ الخَجَلَ لَيَعْلُو وُجُوْهَنَا إِذَا نَحْنُ قَارَنَّا بَيْنَ هَؤُلاَءِ وَبَيْنَ أَبْنَاءِ هَذَا الزَّمَانِ ، نَحْنُ في حَالةٍ تَصَوُّرُ حَقِيْقَتِهَا فَقَطْ يُثِيْرُ في قُلُوبِ المؤمِنِيْنَ الأحْزَانَ .

كَيْفَ وَنَحْنُ إذَا فَتَّشْنَا ثم فَتَّشْنَا لا نَجِدُ قَلْبَيْنِ مَعَ بَعْضِهِمَا مَعِيَّةَ الاخَاءِ التَّامِّ يَكُوْنُ الجَارُ في نِهَايَةِ الفَقْرِ وَلَا يَلْتَفِتُ إِليهِ جَارُهُ المُثْرِي وَيَنْزِلُ بِالأَخِ الشَّقِيْقِ أَوِ العَمِّ الشَّقِيْقِ أَو نَحْوِهِمَا مَا يَنْزِلُ مِن الكَوَارِثِ وَلَا أَثَرَ لِنُزُوْلِهَا عِنْدَ أَخِيْهِ وَلَا كَأَنَّهُ يَرَى تِلْكَ المَصَائِبَ الفَادِحَة وَلَعَلَّكَ مُنْتَظِرٌ الجَوَابَ مَا هُوَ السَّبَبُ في ذَلِكَ فَأَلْقِ سَمْعَكَ وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ .

فَأَقُولُ لِكُلِّ النَّاسِ اليَوْمَ شُغْلٌ وَاحِدٌ هُوَ المالُ شَغَلَهُم عَمَّا عَدَاهُ وَأَنْسَاهُم كُلَّ مَا سِوَاهُ مَلأَ القُلُوبَ حُبُّ هَذَا المالِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ في القُلُوبِ مُتَّسَعٌ لِسِوَاهُ فَمِنْ أَجْلِهِ تُسْتَبَاحُ الاعْرَاضُ وَمِنْ أَجْلِهِ تُرَاقُ الدِّمَاءُ وَمِنْ أَجْلِهِ يَكُونُ الصَّفا والمُعَادَاةُ هُوَ القُطْبُ الذِي تَدُورُ حَوْلَهُ أَفْعَالُ العِبَادِ في هَذَا الزَّمَانِ .

فَالقُلُوبُ في سُرُوْرٍ مَا دَامَ المالُ سَالماً وإن انهْارَ بناءُ الشَّرَفِ والدِّيْن والنُّفُوْسُ في هُدُوءٍ وَطُمَأْنِيْنَةٍ ما ابْتَعِدَ عَن المالِ فَإِذَا قُرِبَ حَوْلَهُ هَاجُوا هَيَجَانَ الجِمَالِ وَهُمْ في تَوَاصُلِ مَا لَمْ يَتَعَرَّضْ لِلْمَالِ فَإِذَا تُعرِّضَ لَهُ انْقطَعَت الصِّلاتُ حَتَّى بَيْنَ الأَقْرَبِيْنَ مِنْ آبَاءٍ وَأُمَّهاتٍ وأَوْلَاد وَإِخْوَانِ .

وهذا من ثمرات البُخْل قال بعضهم البخيل يستعجل الفقر الذي هرب منه ويفوته الغِنى الذي يطلبه فيعيش في الدنيا عَيْشَ الفُقَراء ويُحَاسَبُ حِسَابَ الأَغْنِيَاء فالبخيلُ هو الوحيدُ الذي يَسْتَبْشِرُ وَرَثَتُهُ بمَرَضِه وَمَوْتِه وتجده لَيْلَهُ ونهارَهُ مُسْتَغْرَقٌ في جَمْعِ المالِ لا يَفْتُر خَوفًا مِن الفقْرِ وهذا هُوَ الفَقْرُ كما قيل :

ومَن يُنْفِقِ الساعاتِ في جَمْعِ مَالِهِ   مَخافةَ فَقْرٍ فالذي فَعَلَ الفَقْرُ

آخر :

يُفْني البَخيْل بجَمْعِ المالِ مُدَّتَهُ   ولِلْحَوادِثِ والوُرَّاثِ ما يَدَعُ
كَدُوْدَةِ القَزِّ ما تَبْنِيْهِ يَهْدِمُهَا   وغَيْرُهَا بالذي تَبْنِيْهِ يَنْتَفِعُ

آخر :

وذِيْ حِرْصٍ تَراهُ يُلِمُّ وفْرًا   لِوَارِثِه ويَدْفَعُ عن حِمَاهُ
كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُمْسِكُ وهْوَ طَاوٍ   فَرِيْسَتَهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ

أمـا علِمَ هؤُلاَءِ أَنَّ المالَ الذِي كَانَ بأَيْدِيْنَا كَانَ قَبْلَنَا بيَدِ اخْوَانِنَا في الإِنْسَانِيّةِ الذين سَبَقُونَا إلى الدنيا ثم انْتَقَلَ إلى مَنْ بَعْدَهُم ثم انْتَقَلَ مِن جيْلٍ إلى جيْلٍ إلى أنْ وَصَلَ الَيْنَا سَعِدَ بِهِ مَنْ صرَفَهُ مَراضِيْ اللَّهِ وَشَقِيَ بِهِ مَنْ صرَفَهُ في مَا يُغْضِبُ اللَّهَ .

وَلَعَلَّكَ يَا أَخِيْ تَتَكَدَّرُ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ سَيَنْتَقِلُ عَنْكَ في أَسْرَعِ وَقْتٍ فلا تَفْزَعْ وَلاَ تَتَكَدَّرْ وَوطِّنْ نَفْسَكَ وَاعْلَمْ انَّكَ وَاللَّهِ مَيِّتٌ وَمَوْرُوثٌ عَنْكَ مَا جَمَعْتَ وَمَنَعْتَ رَغْمَ أَنْفِكَ يَتَمَتَّعُ بِهِ ذَلِكَ الوَارِثُ العَاقُّ أَوْ البار وَإِنْتَ تُسْأَلُ عَنْهُ هَلَلَةً وَقِرْشاً قِرْشاً .

وَتَكُـوْنُ النَّتِيْجَـةُ إِنْ كُنْتَ جَمُوعاً مَنُوعاً شَقَاءً تَسْتَغِيْثُ مِنْهُ فَلاَ تُغَاثُ وَتَتَمَنَّى لَوْ كَانَت الدُّنْيَا بأَسْرِهَا بيَدِكَ وَافْتَدَيْتَ نَفْسَكَ بهَا تَكُونُ النَّتِيْجَةُ ذَلِكَ إِنْ كُنْتَ مِنْ المَغْرُورِيْنَ الغَافِلِيْنَ لذِيْنَ ظَنُّـوا أَنَّ السَّعَادَةَ كُلَّهَا تَيْسِيْرُ جَمْعِ المالِ وَتَكْدِيْسُهُ عِنْدَكَ آلافاً وَملاَيينَ وَعَمَائِرَ وَفِلَلٍ وَأَرَاضِيْ وَبُيوتٍ كَدَأْبِ أَهْلِ هَذَا العَصْرِ الغَافِلِ المُظْلِمِ بالمعَاصِيْ وَالبِدَعِ والمُنْكرَاتِ .

الذيْ اعْتَاضَ أَهْلُهُ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ العُكُوْفَ عَلى الجَرائِدِ حَمَّالةِ الكَذِبِ والمَجلاتِ الخَلِيْعَاتِ وَالكُتُبِ الهَدَّامَاتِ والجُلُوسَ حَوْلَ المَلاَهِيْ والمُنْكَرَاتِ فَسَوْفَ تَنْدَمُ وَتَتَحسَّرُ حِيْنَما يَنْكَشِفُ عَنْكَ الغِطَا وَيَتَبيَّنُ لَكَ ذَلِكَ الخَطَأُ وَتَتَمَنَّى أَنَّكَ أَمْضَيْتَ أَوْقَاتَكَ في طَاعَةِ مَوْلاَكَ وَهَيْهَاتَ أَنْ يَحْصُلَ لَكَ مُنَاكَ ذَهَبَ الآوَانُ وَبَقِيَ النَّدَمُ وَالحِرْمَانُ .

قال تعالى ﴿ ولو ترى إذْ فزعُوا فلا فوتَ وأخذوا من مكان قريب . وقالوا آمنا به وأنَّي لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد . وحِيلَ بينهم وبين ما يشتَهُون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شكٍ مريب ﴾ .

لَقَدْ أَنْسَى النَّاسَ حُبُّ هَذَا المَالِ مَا لَهُم مِن شَرَفٍ وَمُرُوْأَةٍ وَدِيْنٍ وَجَعَلَهُم حَوْل حُطَام الدُّنْيَا كَمَا وَصَفَهُم الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَمَا هِيَ إِلَّا جِيْفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ عَلَيْهَا كِلَابٌ هَمُّهنَّ اجْتِذَابُهَا
فَإِنْ تَجْتَنِبْهَا كُنْتَ سِلْماً لِأَهْلِهَا وَإِنْ تجتذبها نَازَعَتْكَ كِلَابُهَا

أَمَا عَلِمُوا أَنَّ المَالَ مِن خَدَم الدِّيْن فَاذَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ كَان نَكْبَةً عَلى أَصْحَابِهِ وَكذاكَ الأَولادُ إنْ كانُوا غَيْرَ صَالِحِيْنَ فَهُمْ ضَرَرٌ عَلى أَبِيْهِم وَعَلى أَنفُسِهِم وَكَذَلِكَ الزَّوْجَةُ وَلِذلكَ وَرَدَ عَنْ دَاوُدَ عليهِ السلامُ أنهُ كَانَ يَقُولُ « اللهُمَّ إِنِّيْ أَعُوذُ بكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ وَمِنْ مَالٍ يَكُونُ عَلَيَّ عذاباً وَمِنْ وَلَدٍ يكُونُ وَبالاً ومِنْ زوجَةٍ تُشِيْبُنِيْ قَبْلَ المشِيْب وَمِنْ خَلِيْلٍ مَاكِرٍ عَيْنُهُ تَرْعَانِيْ وَقَلْبُهُ يَشْنَانِيْ إنْ رَأى خَيْراً أَخْفَاهُ وَإنْ رَأَى شَراً أَفْشَاهُ » .

وَقِيْلَ إِنَّهُ سُئِلَ عِيْسَى عليه السَّلامُ عَن المالِ فقَالَ لا خَيْرَ فيْهِ قِيْلَ وَلِمَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ لأَنَّهُ يُجْمَعُ مِنْ غَيرِ حِلٍّ قيلَ فانْ جُمِعَ مِنْ حِلٍّ قال لا يُؤدَّى حَقُّهُ قِيْلَ فإنْ أدِّيَ حَقهُ قالَ لا يَسْلَمْ صَاحِبُهُ مِن الكِبْرِ والخُيَلاءِ قِيْلَ فانْ سَلِمَ قَالَ يُشْغِلُهُ عن ذِكْرِ اللَّهِ قِيْلَ فإنْ لم يَشغَلْهُ قالَ يُطِيْلُ عليهِ حِسَابَهُ يَوْمَ القِيَامةِ .

فتَأَمَّلْ هَذِه العَقَباتِ الخَمْسَ وَقَلِيْلٌ منْ يَتَجاوَزُها سَالِماً وَوَردَ عَنْ عَطاءِ بن السّائِب عَن أَبِيْ البخْتَرِي قالَ كَانَ بَيْنَ عمّارِ بْن يَاسِرٍ وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ في المَسْجِدِ فَقَال عَمَّارٌ أسْأَلُ اللَّهَ تعَالَى إنْ كُنْتَ كَاذبًا أَنْ لا يُمِيْتَكَ حَتَّى يُكْثِرَ مَالَكَ وَولَدَكَ وَيُوَطِّىءَ عَقِبَكَ وَوَرَدَ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ رسولُ الله ﷺ « خِيَارُكُم في المائَتَيْنِ كُلُّ خَفِيْفِ الحاذِّ » قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الخَفِيْفُ الحَاذُّ قال : « الذِيْ لا أَهْلَ لَهُ وَلاَ وَلَد » .

شِعْرًا :

يَقُـولُ الذِيْ يَـرْجُو مِن اللّهِ عَفْـوَهُ
وَيَـرْجُوهُ نَصْـراً عَـاجِـلاً غَيْـرَ آجِـلِ

لِمَنْ يَتَّقِي المَـوْلَى وَيَـرْجُـو لِقَـاءَهُ
وَعَمَّـا يَقُـولُ النَّـاسُ لَيْسَ بِسَـائِـلِ

أَقُـولُ بِحَمْـدِ اللّهِ قَـوْلاً مُنَقَّحـاً
وَلَوْ أَنَّ فَهْمِي قَاصِـر فِي المَسَائِـلِ

عَلَيْـهِ مِن النَّصِّ الصَّرِيْـحِ شَـوَاهِـدٌ
إِذا قُلْتُـهُ يَهْـوِى لَـهُ كُـلُّ عَـاقِـلِ

أُسِـرُّ بِمَـا بِيْ وَالـعُيُـوْنُ عَـوَابِـرٌ
بِـدَمْعٍ عَلى الخَـدَّيْنِ ثَجّاً بِـوَابِـلِ

وَفِي مُـدَّعِيْ الإِسْـلَامِ قَلْبِيْ كَـأَنَّـهُ
عَلى الْمُهْلِ مِنْهُم لَيْسَ عَنْهُم بِذَاهِلِ

فَمَـا بَيْنَ دَهْـرِيٍّ وَمَـا بَيْنَ مُشْـرِكٍ
وَلَمْ يَعْـرِفِ الإِسْلَامَ غَيْـرُ القَـلائِـلِ

وَلَـوْ بَـذَلُـوْا الأَمْـوَالَ نَفْـلاً لِـرَبِّنَـا
إِذَا الفَـرْضُ ضَاعَ لَاغِنَى بِـالنَّوَافِـلِ

تَـرَكْنَـا الكِتَـابَ وَالحَـدِيْثَ وَرَاءَنَـا
لِأَجْـلِ مَجَـلاتٍ أَتَتْ بِـالتَّهَـازُلِ

لَقَـدْ حَصَّـلَ المَقْصُـودَ مِنَّـا عَـدُوُّنَـا
وَمَقْصُـودُنَـا مِنْهُم فَلَيْسَ بِحَـاصِـلِ

مَشَيْنَـا جَمِيْعـاً فِي فَسَـادِ صَـلاحِنَـا
وَرُمْنَـا مَرَامـاً خَـاسِـراً غَيْـرَ طَـائِـلِ

وَتَسْتَعْجِبُ الأَعْدَاءُ مِنَّا لأَنَّنَا
كَمِثْلِ القَطَا تَصْطَادُنَا بِالحَبَائِلِ
أَحَاطَتْ بِنَا الأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
كَأَنَّا طَعَامٌ قَدَّمُوهُ لِآكِلِ
وَصَارُوْا بِحَاراً يُغْرِقُ الفُلْكَ مَوْجُهَا
وَنحنُ لَهُمْ صِرْنَا كَمِثْلِ الجَداوِلِ
وَتَخْتَرِعُ الأَعْدَاءُ لِلْحَرْبِ قُوَّةً
وَقَدْ هَدَّدَتْ مَنْ لَمْ يُطِعْ بِالقَنَابِلِ
وَلَيْسَ لَنَا مِنَّا زَعِيْمٌ مُصَادِمٌ
أَتَتْ تَتمطَّى مَا لها مِنْ مُقَابِلِ
وَنَحْنُ هَبَطْنَا لِلتُّرَابِ تَوَاضُعاً
نُرِيْدُ نَجاحاً مِنْ خَفِيْفِ القَسَاطِلِ
« فَتَبّاً لِعُبَّادِ الدَّنَانِيْرِ كُلِّهِمْ
وَتَبّاً لِخَبِّ جَاهِلٍ مُتَعَاقِلِ »
وَتَبّاً لِعَبْدٍ مُشْرِكٍ خَانَ رَبَّهُ
وَضَيَّعَ دِيْناً مَا لَهُ مِنْ مُمَاثِلِ
وَتَبّاً لِقَوْمٍ عَزَّ فِيْهِمْ سفِيْهُهُمْ
وَصَارَ ذَلِيْلاً عِنْدَهُمْ كُلُّ فَاضِلِ
وَمِنْ أَعْظَمِ الخُسْرَانِ عِزُّ عَدُوِّهِمْ
وَذُلُّهُم مِنْ بَعْدِ عِزِّ الأَوَائِلِ
فَيَا لَيْتَ للإِسْلامِ في الحَالِ شَوْكَةً
ذَوُوا نَجْدَةٍ يَخْشَاهُمْ كُلُّ جَاهِلِ

رِجَـالٌ يَـرَوْنَ المَـوْتَ مَجْـداً وَجُنَّـةً
عَنِ الذُّلِّ مِنْ فِعْلِ الصُّقُوْرِ الحَلاَحِلِ
تَــذُوْدُ عَنِ الـدِّيْنِ القَــوِيْمِ بِسَيْفِهَـا
ومِنْ أرْضِهَــا تنفِيْ جَمِيْـعَ الأَرَاذِلِ

اللهُم اخْتُمْ بالسَّعادَة آجالَنا وَحقِّقْ بالزِّيَادَةِ أعْمالَنَا وَاقْرِنْ بالعَافِيَةِ غُدُوَّنَا وَآصَالَنَا واجْعَلْ إلى رَحْمَتِكَ مَصِيْرَنَا وَمَآلَنَا وَاصْبُبْ سِجَالَ عَفْوِكَ على ذنُوبنَا وَمُنَّ بإِصْلاحِ عُيُوبِنَا واجْعَل التقوى زَادَنا وفي دِيْنِك اجْتِهَادُنا وَعَليْكَ تَوَكّلُنا وَاعْتِمَادُنا إلهَنا ثَبِّتْنَا على نَهْجِ الاسْتِقَامَةِ وَأَعِذْنَا مِن مُوْجبَاتِ النَّدامَةِ يومَ القيامة وَاغفرْ لنا ولِوَالدَيْنا وجَميعِ المسلمين برَحمتِك يا أرحَمَ الرَّاحِمينَ وصَلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِينَ .

١٢ مَوْعِظَةٌ

رَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وسَلم « تَفَرَّغُوا مِنْ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا أكْبَرَ هَمِّهِ ، فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ أَكْبَرَ هَمِّهِ جَمَعَ اللهُ لَهُ أمُورَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ في قَلْبِهِ وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بِقَلبِهِ إلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا جَعَلَ اللهُ قُلُوبَ المُؤْمِنِيْنَ تَفِدُ إليه بِالوُدِّ وَالرَّحْمَةِ وَكَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إلَيْهِ بِكُلِّ خَيْرٍ أَسْرَعُ » وَلَمَّا دَخَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ الشَّامَ قَالَ يا أَهْلَ الشَّامِ اسْمَعُوا قَوْلَ أخٍ نَاصِحٍ فاجْتَمَعُوا إلَيْهِ فَقَالَ مَا لِيْ أرَاكُمْ تَبْنُونَ مَا لا تَسْكُنُونَ وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ وَتُؤَمِّلُونَ مَا لاَ تُدْرِكُوْنَ إنَّ الذِينْ كَانُوا قَبْلَكُم بَنَوا مَشِيْدَا وَأمَّلُوا بَعِيْداً وَجَمَعُوا عَتِيْدَا فَأَصْبَحَ أَمَلُهُم غُرُوْرَا وَمَسَاكِنُهُمْ قُبُوْرا : وَقَالَ بعضهم :

إنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَمُرُّ بِكُمْ يَحمِلُ مَا ثَبَتَ فِيْهِ مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ ثُمَّ يَمْضِيْ فَلاَ يَعُودُ أَبَدَاً فَإِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَحْظَوا كُلَّ يَوْمٍ بِمَكْرَمَةٍ وَتُثْبِتُوا فِيْهِ حَسَنَةً فَلاَ تُؤَخِّرُوا فإِنَّ الأَيَّامَ صَحَائِفُ فَخَلِّدُوا فِيْهَا الجَمِيْلَ فَقَدْ رَأَيْتُمْ حِفْظَهَا لِمَا اسْتودعتْ مِنْ المَحَامِدِ والمَحَاسِنِ وَالمَكَارِمِ فِي قَدِيْمِ الدَّهْرِ وَحَدِيْثِهِ.

شِعْراً :

لَيْسَ الغَرِيْبُ غَرِيْبَ الشامِ واليَمَنِ
إِنَّ الغَرِيْبَ غَرِيْبُ اللَّحْدِ والكَفَنِ
تَمُرُّ سَاعَاتُ أَيَّامِيْ بِلاَ نَدَمٍ
ولا بُكَاءٍ ولاَ خَوفٍ ولا حَزَنِ
سَفَرِيْ بَعِيْدٌ وَزَادِيْ لا يُبَلِّغُنِي
وَقَسْمَتِي لم تَزَلْ والموتُ يَطْلُبُنِي
مَا أَحْلَمَ اللهَ عني حَيْثُ أَمْهَلَنِي
وَقَدْ تَمَادَيْتُ في ذَنْبِي وَيَسْتُرنِي
أَنَا الذِي أُغْلِقُ الأَبْوَابَ مُجْتَهِدَاً
عَلَى المعاصِي وَعَيْنُ اللهِ تَنْظُرُنِي
يا زَلَّةً كُتِبَتْ يا غَفْلَةً ذَهَبَتْ
يا حَسْرَةً بَقِيَتْ في القَلْبِ تَقْتُلُنِي
دَعْ عَنْكَ عَذْلِيْ يا مَن كَانَ يَعْذِلُنِي
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا بِي كُنْتَ تَعْذُرُنِي
دَعْنِي أَنُوحُ على نَفْسِي وَأَنْدِبُهَا
وَأَقْطَعُ الدَّهْرَ بالتَّذْكَارِ والحَزَنِ

دَعْنِي أَسِحُّ دُمُوعاً لا انقطاعَ لَهَا
فَهَلْ عَسَى عَبْرَةٌ مِنْهَا تُخَلِّصُنِي
كَأَنَّنِي بَيْنَ تِلْكَ الأَهْلِ مُنْطَرِحَاً
على الفِرَاشِ وَأَيْدِيهِمْ تُقَلِّبُني
وَقَدْ أَتَوْا بِطَبِيْبٍ كَيْ يُعَالِجُنِي
وَلَم أرَ مِن طَبِيْبِ اليَوْمِ يَنْفَعُنِي
وَاشْتَدَّ نَزْعِي وَصَارَ الموتُ يَجْذِبُها
مِن كُلِّ عِرقٍ بِلاَ رِفْقٍ وَلاَ هَوَنِ

وَاسْتَخْرَجَ الرُّوْحُ مِنِّيْ في تَغَرْغُرِهَا
وَصارَ في الحَلْقَ مُراً حِيْنَ غَرْغَرنِي
وَغَمَّضُونِي وَرَاحَ الكُلُّ وَانْصَرَفُوا
بَعدَ الإِيَاسِ وَجَدُّوا في شِرَا كَفنِي
وَقَامَ مَنْ كَانَ أَوْلَى الناسِ في عَجَلٍ
إلى المُغَسِّلِ يأتِيْنِي يُغَسِلُنِي
وقَال يا قَوْمُ نَبْغِي غَاسِلاً حَذِقَاً
حُراً أدِيْبَاً أريباً عَارِفاً فَطِنِي
فَجَاءَنِيْ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَرَدَنِي
مِنَ الثِّيَابِ وَاعْرَانِي وأفردَنِي
واطَّرحُونِي عَلَى الأَلْواحِ مُنْفَرِدَاً
وَصَارَ فَوْقِي خَرِيْرُ المَاءِ يُنَظِّفُنِي
وَأَسْكَبَ المَاءَ مِن فَوقِي وَغَسَّلَنِي
غَسْلاً ثَلاَثَاً وَنَادَى القَوْمَ بِالكَفَنِي

وَأَلْبَسُــوْنِي ثِيَــابَــاً لا كُمُــومَ لَهَــا
وَصَــارَ زَادِي حَنُــوطَــاً حِيْنَ حَنَّــطَنِيْ
وَقَدَّمُونِي إلى المِحْرَابِ وانصرفُــوا
خَــلْفَ الأمَــامِ فَصَــلَّى ثُمَّ وَدَّعَــنِيْ
صَلُّوا عَلَيَّ صَــلاَةً لا رُكُــوعَ لَهَــا
ولا سُجُــوْدَ لَعَــلَّ الــلهَ يَــرْحَمُــنِي
وَأَنْــزَلُــونِي في قَبْــرِي عَلَى مَهَــل
وأنــزَلُــوا واحِــدَاً منهم يُلَحِّــدُنِــيْ
وَكَشَّفَ الثَّــوْبَ عن وَجْهِي لِيَنْــظُرنِي
واسْبَــلَ الــدَّمْــعَ مِن عَيْنَيْــهِ أغْــرَقَنِيْ
فَقَــامَ مُحْتَــرِمَــاً بــالعَــزْمِ مُشْتَمِــلاً
وَصَفَّفَ اللِّبنَ مِن فَــوقِي وَفَــارَقَــنِي
وَقَــالَ هُلُّوا عَلَيْــهِ التُّــرْبَ واغْتَنِمُــوا
حُسْنَ الثَّوَابِ مِن الرحمنِ ذِي المِنَنِ
في ظُلْمَــةِ القَبْــرِ لاَ أُمٌّ هُنَــاكَ ولا
أبٌ شَــفِيْــقٌ ولا أخٌ يُــؤَنِّــسُــنِــيْ
وَأَوْدَعُــوني وَلَجُــوا في سُــؤ الِهُمُــوا
مَــا لِي سِــوَاكَ إلَهي مَن يُخَلِّصُنِيْ
وَهَالَنِي صُــوْرةٌ في العَيْنِ إذْ نَظَرَتْ
مِن هَوْلِ مَطْلَعِ مَا قَدْ كَان أدْهَشَنِي
من مُنْكَــرٍ وَنَكِيْــرٍ مــا أَقُــولُ لَهُم
إذْ هــالَنِي مِنْهُمَــا مــا كــانَ أفْــزَعَنِي

فــامْنُن عَلَيَّ بِعَفْـو مِنْـكَ يَـا أَمَلِي
فَــإِنَّنِي مُــوثَقٌ بِــالــذَّنْبِ مُــرْتَـهَنِ
تَقَاسَمَ الأَهْلُ مالِيْ بَعْدَمَـا انْصَرَفُـوا
وَصَـارَ وزْرِي على ظَهْـرِيْ فـأَثْقَلَنِي
فَــلا تَغُــرَّنَــكَ الــدُنْيَـا وزِينَتُـهــا
وَانْظُرْ إلى فِعْلِهَا في الأَهْلِ والوَطَنِ
وانْظُر إلى مَن حَوَى الدنيا بأَجْمَعِهَا
هَـلْ رَاحَ منهـا بغَيْـرِ الـزَّادِ والكَفَنِ

خُـذِ القَنَاعَةَ مِن دُنْيَـاكَ وارضَ بها لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ لَكَ إلَّا رَاحَـةُ البَـدَنِ
يَا نَفْسُ كُفِّيْ عَنِ العِصْيَانِ واكْتَسِبي فِعْـلاً جَمِيْـلاً لَعَـلَّ اللَّـهَ يَرْحَمُـنِي

اللَّهُمَّ أَيْقِـظْنَـا مِنْ غَفْلَتِنَـا بِفَضْلِكَ وَاحْسَانِكَ وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ وَأَلْحِقْنَا بالذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمَ في دَارِ رِضْوَانِكَ وَارْزُقْنَا كَمَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ لَذِيْذِ مُنَاجَاتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى محمد وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فصـــــل)

ثم أعلم أيها الأخ أَنَّه مَا مِن سَاعَةٍ تَمُرُّ على العَبدِ لا يَذْكُرِ اللَّهَ فيها إلَّا تَأَسَّفَ وتَحَسَّرَ على فواتِها بغَيرِ ذِكرِ اللَّهِ ولِذَلك يَنْبَغِي للعاقل أَن يَجْعَل مَعَه شيئاً يُذَكِّرُهُ لِذِكرِ الله كُلَّما غَفَلَ عنه .

ويُقَـال إنَّ العبـدَ تُعْرِضُ عليه سَاعَاتُ عُمُرِهِ في اليوم والليلة فيرَاها

خَزَائنَ مَصْفُوفَةً أَرْبَعَ وعِشرينَ خِزَانَةً فيرَى في كلِّ خِزَانَةٍ أَمْضَاهَا في طَاعَةِ اللَّه ما يَسُرُّهُ . فإذا مَرَّتْ به الساعاتُ التي غَفَلَ فيها عن ذِكر اللَّهِ رَآهَا فارِغَةً سَاءَهُ ذلكَ وتَنَدَّمَ حِينَ لا يُفِيْدُه النَّدَمُ .

وأما السـاعاتُ التي كانَ يَذكُر اللَّهَ فيها فلا تسأل عن سُرُوْرِه فيها وفرحه بها حتى يكاد أن يقتله الفرح والسرور . قال بعَضُهم أوقاتُ الإِنسانِ أَرْبَعَةٌ لا خَامِسَ لها النعمَةُ ، والبليةُ ، والطاعة ، والمعصيةُ .

ولِلَّهِ عَلَيْكَ في كُلِ وقْتٍ منها سَهْمٌ مِن العُبُودِيَّةِ .

فَمَنْ كانَ وَقْتُه الطَاعة لِلَّهِ فسَبيلُه شُهُوْدُ المِنَّةِ مِن اللَّهِ عليه أَنْ هَدَاهُ وَوَفَّقَهُ لِلْقِيَام بها .

ومَن كَان وَقْتُه المَعْصِية فَعَلَيهِ بالتَّوبَةِ والنَّدَم والاسْتِغْفَار .

ومن كان وَقْتُه النَّعْمَة فَسَبْيلُه الشكرُ والحمدُ لِلَّهِ واالثناءُ عليه .

ومن كَانَ وَقْتـه البَلِيَّة فَسبيْلُه الـرضـا بالقَضَاء والصّبرُ والرضا رِضَى النَّفْسِ عن الله ، والصَّبْرُ ثباتُ القلب بَيْنَ يَدَي الرب . أهـ .

العُمُـرُ إذا مَضَى لا عِوَضَ ومـا حَصَل لَكَ منه لا قِيْمَةَ لَهُ . فعُمُر الإنسان هو مَيْدانُهُ لِلأعمالِ الصالحة المُقَرِّبَةِ مِن اللَّهِ تعالى والموجِبَةِ لَهُ جَزِيْلَ الثوّاب في الآخرة . ولَكِن ما يَعْرِفُ قَدْرَ العُمُر إلَّا نَوادُر العُلَماء .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ وقال تبـارك وتعـالى ﴿ كلوا واشربـوا هنِيْئًا بما أَسْلَفْتُم في الأيامِ الخالية ﴾ وقال ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾ الآيات .

وهذه هي السعادَةُ التي يَكْدَح العبد ويسعى من أجلها وليس له منها إلا ما سعى كما قال جل وعلا وتقدس ﴿ وأن ليس لِلْإِنسان إلا ما سعى ﴾ .

فَكُلُّ جُزْءٍ يَفُوتُه مِن العُمر خالِيًا من عمل صالح .

يَفُوتُه مِن السَّعَادة بقَدْرِه ولا عِوَضَ له منه .

فالوَقْتُ لا يُسْتَدْرَكُ ولَيْسَ شيٌ أَعَزَّ منه وكل جزء يحصل له مِن العمر غير خال مِن العمل الصالح يَتوَصَّل به إلى مُلْكٍ كبيْر لا يَفْنَي ولا قِيْمَةَ لِمَا يُوصِلُ إلى ذلك لأنه في غايةِ الشَّرفِ والنَّفَاسَةِ .

ولأَجْـلِ هَذا عَظُمَتْ مُرَاعَـاةُ السَّلَفِ الصَّـالِـحِ رضي اللَّهُ عنهم لأَنْفَاسِهم ولحَظَاتِهم وبَادَرُوا إلى اغْتِنَام سَاعَاتِهم وَأَوْقَاتِهم ولم يُضَيِّعُوا أَعْمَارَهُم في البَـطَالَـةِ والتَّقْصِيْرِ ولم يَقْنَعُوا لأَنْفُسِهم إلاَّ بالجِدِّ والتَّشْمِير فلِلَّهِ درهم ما أبصرهم بتصريْف أَوْقَاتِهم .

تَبْغِي الوُصُولَ بسَيْرٍ فيه تَقْصِيْرُ   لاَ شَكَّ أنَّكَ فِيْمَا رُمْتَ مَغْرُوْرُ
قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أَبْطالٌ فَمَا وَصلُوا   هَذا وفي سَيْرِهِم جدٌّ وتشْمِيْرُ

قال بعضُهم أدْرَكْتُ أَقْـوَمًـا كانـوا على ساعـاتِهم أَشْفَقَ منكم على دَنَانِيركم ودَرَاهمكم فكَمَا لا يُخْرِجُ أَحَدُكُم دِنْيَارًا ولا دِرْهَمًا إلاَّ فيما يَعُوْدُ نَفْعُه عليه فكذالك السلف لا يُحِبُون أن تَخْرجَ سَاعَةٌ بَلْ وَلا دَقِيْقَةٌ مِن أعمارهم إلا فيما يَعُوْدُ نَفْعُه عليهم ضد ما عليه أهل هذا الزمان من قتل الوقت عند المنكرات .

بَقِيَّةُ العُمرِ عندِي ما لِه ثمنٌ   وإنْ غَدَا غيرَ مَحْسُوبٍ من الزمَنِ
يَسْتدَرِكُ المرءُ فيها كلَّ فائِتةٍ   مِن الزمانِ ويَمْحُو السُّوءَ بالحَسَنِ

آخــر :

لا يحْقِر الرَّجُلُ الرَّفِيْعُ دَقِيْقَةً   في السَّهْو فيها لِلْوَضِيْعِ مَعَاذِرُ
فَكَبَائِرُ الرَّجُلِ الصَّغِير صَغِيْرَةٌ   وصَغَائِرُ الرجُلِ الكَبير كَبَائِرُ

رَأى أَحَدُ الزهاد إنسانًا يأكل فَطُوْرَهُ وهو يَحْتَاجُ إلى مَضْغٍ فقال هذا يَسْتَغْرِقُ وقتاً طِويلا فلما أَخْرَجَ فطُوْرَهُ وإذا هُوَ مَا يَسْتَغرق إلا وَقْتًا يَسِيرا .

فقال له ما حَمَلَكَ على هذا فقال إني حَسَبْتُ مَا بَيْنَ الْمَضْغِ والسَّفِّ سَبعِينَ تَسْبِيْحَة .

لله دره على هذه الملاحظة ولقد بَلَغَنَا أن أَحَدَ عُلماءِ السلف كان يأكلُ باليُمْنَى والكراسُ باليُسْرى .

وإِذَا دَخَلَ الخَلا أَمَرَ القارِيَء أن يَرْفَعَ صَوْته كُلُ هَذا مُحَافَظَةً على الوَقْتِ .

بَلِّغْ يَا أخِي قَتَّالَةَ الأوقات عند الملاهي والمنكرات مِن تِلْفَاز ومِذياع وكُوْرَاتٍ وجَرائدَ ومجلاتٍ وقيلٍ وَقَالٍ ونحو ذلك .

وَيَا أخِي إنْ كُنْتَ مِمَّنْ عَصَمَهُم اللَّهُ مِن هذه الشرور والبلايا والمنكرات فَكَثِّر من حَمْدِ اللَّهِ وشُكرِهِ وذِكره وأسأله الثبات حتى الممات .

وانصح إخوانك المسلمين واجتذبهم عن ضياع الأوقات فلَعَلَّكَ أن تكُونَ سَبَبًا لِهِدَايَتِهم .

ولا يَذْهَبَنَّ العُمْرُ منكَ سَبَهْلَلاَ ... ولا تُغْبَنَنْ بالنِّعْمتينَ بل اجْهدِ
فَمَنْ هَجَر اللذَّات نَالَ الْمُنَى ومَنْ ... أكَبَّ على اللَّذاتِ عَضَّ عَلى اليَدِ
فِفي قَمْعِ أَهْوَاءِ النُّفُوسِ اعْتِزَازُهَا ... وفي نَيْلِها ما تشتهِي ذِلُّ سَرْمَدِ

ثم أعلم أيها الأخ إنَّ الوَقْتَ لَيسَ من ذَهَبٍ كما يَقُول الناس فإنه أغلىَ مِن الذهب والفضة مهما بَلَغَا كثرةً إنه الحياة مِن ساعةِ المِيلاد إلى ساعة الوفاة فَتَنَبَّهْ لِذلكَ وحَافِظْ عليه واقْتَدْ بالسلف الصالح الذين عَرفُوا قيمةَ الوقت .

قال بنُ مسعود رضي الله عنه ما نَدِمْتُ على شيء نَدَمِي على يَومٍ غَرَبَتْ شَمَسُه نَقَصَ فيه عُمُري ولم يَزِدْ فيه عَمَلي .

وقال آخَرُ كُلُ يَومٍ يَمُرُّ بي لا أزادَادُ فيه عِلْمَاً يُقَرِبُني مِن اللَّهِ عَزَّ وجَل فلا بُوْرِكَ لي في طُلُوع شَمسِهِ .

وقالَ آخَرُ مَن أَمْضَى يَومًا مِن عُمُرِهِ في غيرِ حَقٍّ قَضَاه أو فرضٍ أَدَّاهُ أَوْ مَجْدٍ أَثَّلَهُ أو حَمْدٍ حَصَّلَهُ أو خَيْرٍ أَسَّسَهُ أَو عِلْمٍ اقْتَبَسَهُ فَقَدَ عَقَّ يَوْمَهُ وظَلَم نفسَه . ولاتَسْأَلْ عن نَدَمِهِ يَوْمَ يَنْظُر المرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاه .

وإذا كان هذا حِرْصُ السلف على الـوقت والمحـافظة عليه وتقديره عندهم فإن مما يُحْزِنُ المُسْلِمَ ويَجْرحه ويدمي القلب ويُمَزقُ الكبد أَسًى وأَسَفًا ما نُشَـاهُده عند كثيرين مِن المؤمنين مِن إضَاعَةٍ لِلْوقتِ تَعدَّتْ حَدَّ التَّبْذِيرِ والاسْرَاف والتَّبْدِيْد .

وبالحقيقة أنَّ السفيهَ هُو مُضِيّعُ الوقت لأن المالَ لَهُ عَوَض أمَّا الوقْتُ فلا عِوَضَ لَهُ .

فالعاقل مَن حَفِظَ وَقْتَهُ وتَجَنَّبَ ما يُضَيِّعُه عليه كالجلوس عند الملاهي والمنكـرات ومـطالعـة في الكتب الهـدّمات إنَّ مِن أخْسرِ الناس أعمارا مَن شغلتهم شهواتهم عن أمور دِينهم ومَصَالح أمورهم قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ ولا تطع مَن أغْفَلْنَا قَلْبَهُ عن ذِكرنا واتَّبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ وقال عز من قائل ﴿ أفمن زين له سُوْءُ عمله فرآه حَسَنَا ﴾ .

اللهُمَّ انْفَعْنَـا بِمَا عَلَّمْتَنَـا ، وَعَلِّمْنَـا مَا يَنْفَعُنَـا ، وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا فَهَّمْتَنَا ، اللهُمَّ إِنْ كُنَّا مُقصِّرِيْنَ في حِفْظِ حَقِّكَ ، وَالوَفَاءِ بِعَهْدِكَ ، فَأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا في رَجَاءِ رِفْدِكَ ، وَخَالِص وُدِّكَ ، اللهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مِنَّا ، فَبِكَمَالِ جُوْدِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، الأَحْيَاءِ مِنْهُم والمَيِّتِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

شِعْراً: قَصِيْدَةٌ زُهْدِيَّةٌ وَعْظِيَّةٌ سَقَطَ بَعْضُها وَعَوَّضْنَاهَا عَنْهُ مَا بَيْنَ الأَقْوَاسْ:

لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا   فَالْمَوْتُ لَا شَكَّ يُفْنِيْنَا وَيُفْنِيْهَا
وَمَنْ يَكُنْ هَمُّهُ الدُّنْيَا لِيَجْمَعَهَا   فَسَوْفَ يَوْماً عَلَى رَغْمٍ يُخَلِّيْهَا
لَا تَشْبَعُ النَّفْسُ مِنْ دُنْيَا تُجَمِّعُها   وَبُلْغَةٌ مِنْ قِوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِيْهَا
إِعْمَلْ لِدَارِ الْبَقَا رِضْوَانُ خَازِنُهَا   الْجَارُ أَحْمَدُ وَالرَّحْمنُ بَانِيْهَا
أَرْضٌ لَهَا ذَهَبٌ وَالْمِسْكُ طِيْنَتُهَا   وَالزَّعْفَرانُ حَشِيْشٌ نَابِتٌ فِيْهَا
أَنْهَارُهَا لَبَنٌ مَحْضٌ وَمِنْ عَسَلٍ   وَالْخَمْرُ يَجْرِي رَحِيْقاً فِي مَجَارِيْهَا
وَالطَّيْرُ تَجْرِي عَلَى الأَغْصَانِ عَاكِفَةً   تُسَبِّحُ اللَّهَ جَهْراً فِي مَغَانِيْهَا
مَنْ يَشْتَرِي قُبَّةً فِي الْعَدْنِ عَالِيَةً   فِي ظَلِّ طُوْبِي رَفِيْعَاتٍ مَبَانِيْهَا
دَلَّالُهَا الْمُصْطَفَى وَاللَّهُ بَائِعُهَا   وَجُبْرَئِيْل يُنَادِي فِي نَوَاحِيْهَا
مَنْ يَشْتَرِيْ الدَّارِ فِي الفِرْدَوْسِ يَعْمُرُها   بِرَكْعَةٍ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ يُخْفِيْهَا
أَوْ سَدِّ جَوْعَةِ مِسْكِينٍ بِشِبْعَتِهِ   فِي يَوْمِ مَسْغَبَةٍ عَمَّ الغَلَا فِيْهَا
النَّفْسُ تَطْمَعُ فِي الدّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ   أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْهَا تَرْكُ مَا فِيْهَا
وَاللَّهُ لَو قَنِعَتْ نَفْسِي بِمَا رُزِقَتْ   مِنَ الْمَعِيْشَةِ إِلَّا كَانَ يَكْفِيْهَا
وَاللَّهِ وَاللَّهِ أَيْمَانٌ مُكَرَّرَةٌ   ثَلَاثَةٌ عَنْ يَمِيْنٍ بَعْدَ ثَانِيْهَا
لَوْ أَنْ فِي صَخْرَةٍ صَمَّا مُلَمْلَمَةٍ   فِي الْبَحْرِ رَاسِيَةٌ مِلْسٌ نَوَاحِيْهَا
رِزْقًا لِعَبْدٍ بَرَاهَا اللَّهُ لَانْفَلَقَتْ   حَتَّى تُؤدِيْ إِلَيهِ كُلَّ مَا فِيْهَا
أَوْ كَانَ فَوْقَ طِبَاقِ السَّبْعِ مَسْلَكُهَا   لَسَهَّلَ اللَّهُ فِي الْمَرْقَى مَرَاقِيْهَا
حَتَّى يَنَالَ الَّذِيْ فِي اللَّوْحِ خُطَّ لَهُ   فَإِنْ أَتَتْهُ وَإِلَّا سَوْفَ يَأْتِيْهَا
أَمْوَالُنَا لِذَوِيْ الْمِيْرَاثِ نَجْمَعُهَا   وَدَارُنَا لِخَرَابِ الْبُومِ نَبْنِيْهَا
لَا دَارَ لِلْمَرْءِ بَعْدَ الْمَوتِ يَسْكُنُهَا   إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ يَبْنِيْهَا
فَمَنْ بَنَاهَا بِخَيْرٍ طَابَ مَسْكَنُهُ   وَمَنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانِيْهَا

والنَّاسُ كالْحَبِّ والدّنْيا رَحىً نّصُبتْ ... للْعَـالَمِينَ وكـفُّ المَـوْتِ يُـلْهِيْهَـا
فَلاَ الاقَامَةُ تُنْجي النّفْسَ مِنْ تَلَفٍ ... وَلاَ الفِـرَارُ مِـنَ الأحْـدَاثِ يُنجِيْهَـا
ولِلنُّفُـوس وَأَن كَانَتْ عَـلَى وَجَـلٍ ... مِـن المنيــة آمَـــالٌ تُقَـوِّيْهَـا
فالمَـرء يَبْسُـطُهَا والـدَّهْـرُ يَقْبضُهَـا ... والبِشْـرُ يَنشـرُهَـا والمَـوْتُ يَطْـويْهَـا
وَكُـلُّ نَفْـس لَهَـا زَوْرٌ يُصَبِّحُهَّـا ... مِـنَ المَنِيَّــةِ يَــوْمــاً أَوْ يُمَسِّــيْهَا
تـلْكَ المَنـازِلُ فـي الآفَـاقِ خَـاويَـةٌ ... أَضْحَـتْ خَـرَاباً وَذَاقَ المَـوْتَ بَانِيْهَا
كَـمْ مِـن عَـزِيزٍ سَيَلْقَى بَعْـد عـزته ... ذُلّاً وضَـاحِكَةٍ يـومـا سَـيُبْكِيها
ولِلْمَنَـايَـا تُـرَبِّي كُـلُّ مُـرضِعَـةٍ ... ولِلْحِسَـاب بَـرَى الأَرواحَ بـارِيهـا
لا تَـبْرَحَ النّفْـسُ تَنْعَـى وهي سَـالمَةٌ ... حَـتَّى يَقُـومَ بِنَـادِ القَـومِ نـاعِيهـا
وَلَـنْ تَـزَالَ طِـوَالَ الـدَّهْـرِ ظَـاعِنَـةً ... حَـتَّى تُقِـيْمَ بِـوَادٍ غَـيْرِ وَادِيــها
أَيْنَ المُـلوكُ الَّتِي عَـنْ حَظِّهَا غَفَلَتْ ... حَـتَّى سَـقَاهَا بِكَأْس المَوْتِ سَاقِيْهَا
أَفْنَى القُـرُونَ وَأَفْنَى كُـلَّ ذِي عُمُـرٍ ... كَـذَلِكَ المَـوْتُ يُفْـنِي كُـلَّ مَـا فِيْهَا
فَالمَـوْتُ أَحْـدَقَ بالدُّنْيَـا وَزُخْـرُفِهَـا ... والنَّـاسُ في غَفْـلَةٍ عَـنْ كُـلِّ مَا فِيْهَا
لَـوْ أَنَّهَـا عَقَـلَتَ مَـاذَا يُـرَادُ بهَـا ... مَـا طَـابَ عَيْـشٌ لَهَـا يوماً وَيُلْهِيْهَا
« تَجْنِي الثِّمَـارَ غَـدَاً فـي دَارِ مَكْرُمَةٍ ... لَا مَـنٌّ فِيْهَـا وَلَا التَّكْـدِيْـرُ يَأْتِيْهَا »
« فِيْهَـا نَعِـيْمٌ مُقِـيْمٌ دَائِمـاً أَبَـداً ... بِـلَا انْقِطَـاعِ وَلا مَـنٌّ يُـدَانِيْهَـا »
« الأُذْنُ وَالعَـيْنُ لَـمْ تَسْـمَعْ وَلَمْ تَرَهُ ... وَلَمْ يَـدْرِ فِي قُلُوبِ الخَلْقِ مَا فِيْهَا »
« فَيَا لَهَا مِـنْ كَـرَامَـاتٍ إِذَا حَصَلَتْ ... وَيَا لَهَا مِنْ نُفُـوسٍ سَـوْفَ تَحْـوِيْهَا »
« وَهَـذِهِ الـدَّارُ لَا تَغْـرُرْكَ زَهْــرَتُهَا ... فَعَـنْ قَـرِيْبٍ تَـرَى مُعْجبكَ ذَاوِيْهَا »
« فَـارْبَأْ بِنَفْسِكَ لَا يَخْدَعك لَامِعُهَا ... مِنَ الزَّخَارِفِ وَاحْذَرْ مِنْ دَوَاهِيْهَا »
« خَـدَّاعَةٌ لَمْ تَـدُمْ يَوْمـاً عَلَى أَحَـدٍ ... وَلَا اسْتَقَرَّتْ عَلَى حَـالٍ لَيَـالِيْهَـا »
«فَانْظُرْ وَفَكِّرْ فَكَمْ غَرَّتْ ذَوِي طَيْشٍ ... وَكَـمْ أَصَـابَتْ بِسَهْمِ المَوْتِ أَهْلِيْهَا»

اعْـتَزَّ قَـارُون في دُنْيَـاهُ مِـنْ سَـفَهٍ وَكَـانَ مِـنْ خَمْـرِهَـا يَا قَـوْمُ ذَاتِيْـهَا
يَبِيْـتُ لَيْـلَتَهُ سَهْـرَانَ مُنْشَـغِلاً فـي أَمْـرِ أَمْـوَالِـهِ فـي الهَـمِّ يَفْـدِيْهَا
وفـي النَّهَـارِ لَقَـدْ كَـانَتْ مُصِـيْبَتُهُ تَحُـزُّ فـي قَلْبِـهِ حَـزَّاً فَيُخْفِـيْهَا
فَمَـا اسْتَقَـامَتْ لَهُ الدُّنْيَـا وَلا قَبلتْ مِنْـهُ الـوِدَادَ وَلَـمْ تَـرْحَـمْ مُحِبِّيْـهَا
« ثُمَّ الصَّـلاَةُ عَلَى المَعْصُومِ سَيِّدِنَا أَزْكَـى الـبَرِيَّـةِ دَانِيْهَـا وَقَـاصِيْهَـا »

١٣ (مــوعظـــة)

قال الله جل وعلا ﴿ فاعتبروا يا أولى الأبصار ﴾ الاعتبار : النظر في الأمور ليعرفَ بها شيء مِن غيرِ جنسها ، والأبصار : العقول والمعنى تَدَبَّرُوْا .

إخواني : الدنيا دار عبرة ما وقَعَتْ فيها حبرة إلا ورَدِفَتْهَا عِبْرَة أيْنَ من عاشرنـاه كثـيراً وألِفْنَا ، أَيْنَ مِنْ مِلْنَا إليه بالوداد وانعَطَفْنَا ، أيْنَ مَنْ ذكَرْناهُ بالمحاسنِ وَوَصَفْنَا ما نعْرِفُهم لو عنهم كَشَفْنَا ، ما ينطقون لو سَألنَاهُم والْحَفْنَا .

وسَنَصِـيْرُ كما صَارُوْا فلَيْتَنَـا أنصَفْنَـا ، كم أغمضْمْنَـا مِن أحبابنا على كرههم جَفْنَا ، كَمْ ذَكَّرتْنَا مَصَارِعُ مَن فَنِىَ مَن يَفْنَى ، كم عزيزٍ أحْبَبْنَا دَفَنَاهُ وانصرفنا ، كَمْ مُؤنِسٍ أَضْجَعْنَاهُ في اللحد وَما وَقَفْنَا ، كم كريم علينا إذا مَرَرْنَا عليه انْحَرَفْنَا .

ما لنا نَتَحقَّقُ الحَقَّ فإذا أيْقَنَّا صَدَفْنَا ، أما ضَرَّ أهلهُ التَّسْوِيْفُ ، وَهَا نَحْنُ قد سَوَّفْنَا ، أمَا التُّرَابُ مَصِيرُنَا فلماذَا مِنه أنِفْنَا ، ألامَ تَغُرُّنَا السَّلامَةُ وكأَنْ قد تَلفِنَا .

أَيْنَ حَبِيْبُنَا الذي كان وانتَقَلْ ، أمَا غَمَسَهُ التَّلَفُ في بَحْرِهِ وارتَحلْ أما خلا في لحده بالعملْ أَيْنَ مَن جَرَّ ذَيْلَ الخُيَلاَءَ غافلاً ورَفَلْ أما سَافَر عَنا وإلى الآنَ مَا قَفَلْ .

أَيْنَ مَن تَنَعَّمَ في قَصْرَه وفي قَبْرِه قَدْ نَزَلْ ، فكأنه بالدَّار ما كانَ وفي اللَّحْدِ لم يَزَلْ ، أَيْنَ الجبابرة الأكاسرة الأولَ الذين كنزوا الكنوز العُتَاةُ الأول ، مَلَكَ الأَموالَ سِواهُم والدنيا دُوَلْ .

شِعْــراً :

تَنامُ وَقَدْ أُعِـدَّ لكَ السُهَادُ وتُوقِنُ بالرَّحِيْلُ وَلَيْسَ زَادُ
وتُصِبْحُ مِثْلَ ما تُمْسِيْ مُضِيْعًا كَأَنَّكَ لَسْتَ تدْرِيْ مَا المُرَادُ
أَتَطْمَعُ أَنْ تَفُوْزَ غَدًا هَنِيًا ولَمْ يَكُ مَنْكَ فِي الدُنْيَا اجْتِهَادُ
إِذَا فَرَّطْتَ في تَقْدِيمِ زَرْعٍ فَكَيْفَ يَكونُ مِنْ عَدَمٍ حَصَادُ

اللّهُمَّ اجْعَلْ في قُلوبنَا نُوْراً نَهْتَدِيْ بِهِ إِلَيْكَ وَتولَّنَا بحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتّى نَتَوكلَ عَلَيكَ وارْزُقْنَا حَلاَوَةَ التَّذلِلِ بَينَ يَدَيكَ فَالعزيزُ مَنْ لاَذَ بعزِّكَ والسَّعيدُ مَن الْتَجَأَ إلى حَماكَ وَجُودِكَ والذليلُ مَنْ لَمْ تَؤَيِّدْهُ بعنايَتِكَ والشَّقِيُّ مَن رَضِيَ بالإعْرَاضِ عنْ طَاعَتِكَ اللهم نَزِّهْ قُلوْبَنَا عنْ التَّعلق بمَنْ دُونَك واجْعَلْنَا مِنْ قوم تحبُّهُمْ ويُحبُّـونَكَ واغفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الراحِمِينَ وصلى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

١٤ مَــوْعِظَــةٌ

عِبَادَ اللّهِ سَيَجِيُء يَوْمٌ يَتَغَيَّرُ فِيْهِ هَذَا العَالَمُ تَنْفَطِرُ فِيْهِ السَّمَاءُ وَتَنْتَثِرُ فِيْهِ الكَوَاكِبُ وَتُطْوَىٰ السَّمَاءُ كَطَيِّ الصَّحِيْفَةِ يُزِيْلُهَا اللهُ وَيَطْوِيْهَا جَلَّ وَعَلاَ وَتُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَيُنْفَخُ فِي الصُّوْرِ فَيَقُوْمُ النَّاسُ مِنْ قُبُوْرِهِمْ أَحَيَاءَ كَمَا كَانُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً .

وحِيْنَئِذٍ يُحْشَرُ الكَافِرُ أَعْمَى لاَ يَرىَ أَصَمَّ لاَ يَسْمَعُ أَخْرسَ لاَ يَتَكَّلَمُ يَمْشِيْ عَلى وَجْهِهِ لِيَعْلَمَ مَنْ أَوَّلَ أَنَّهُ أَهْلٌ لِلإِهَانَةِ وَيكُوْنُ أَسْوَدَ الوَجْهِ أَزْرَقَ العَيْنَيْنِ في مُنْتَهى العَطَشِ في يَوْمٍ مِقْدَارُهُ خَمْسِيْنَ أَلفَ سَنَةٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ إلاَّ مِقْدَارُ مِيْلٍ إِذْ ذَاكَ يَقِفُ ذَاهِلَ العَقْلِ شَاخِصَ البَصَرِ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِ طَرْفَه وَفُؤَادُهُ هَوَاء وَيُعْطَى كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ فَيَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يُعْطَهُ .

ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ إلى النَّارِ وَيُسْلَكُ في سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُوْنَ ذِرَاعاً وَبَعْدَ دُخُولِهَا لا يَخْرُجُ أَبَداً وَلا يَزِيْدُهُ إلا عَذَاباً إِذَا اسْتَغَاثَ مِنْ العَطَشِ يُغَاثُ بِمَاءٍ كالمُهْلِ يَشْوِيْ الوُجُوْهَ وَيُذِيْبُ الأَمْعَاءَ والجُلُودَ تُحِيْطُ بِهِ جَهَنَّمُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَكُلَّمَا نَضِجَ جِلْدُهُ بُدِّلَ غَيْرَهُ .

وَلَهُ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيْدٍ ، كُلُّ هَذَا العَذَابِ يُعَانِيْهُ وَلاَ يَمُوْتُ وَيَأْتِيْهُ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ومِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيْظٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿لايَمُوْتُ فِيْهَا وَلاَيَحْيا﴾ وَسَوَاءٌ صَبَرَ أَوْ لَمْ يَصْبِرْ هُوَ خَالِدٌ في هَذَا العَذَابِ خُلُوْدَاً لا نِهَايَةَ لَهُ هَذَا أَقْصَى عَذَابٍ يُتَصَوَّرُ لأَنهُ جَزَاءُ أَقْصَى جَرِيْمَةٍ هِيَ الكُفْرُ باللهِ هَذَا عَذَابٌ مُجَرَّدُ تَصَوُّرِهِ يُطِيْشُ العُقُوْلَ وَيُذْهِلُ النُّفُوْسَ وَيُفَتِّتُ الأَكْبَادَ فَاسْتَعِذْ باللهِ مِنهُ أَيُّهَا المُؤْمِنُ وَاسْأَلِ اللهَ التَّثْبِيْتَ عَلى الاسْلاَمِ وَحُسْنِ الاعْتِقَادِ .

شِــعْراً :

اذَا مَـا خَلَوْتَ الـدَّهْـرَ يَـوْمـاً فَـلا تَقُــلْ
خَــلَوْتُ وَلَـكِـنْ قُــلْ عَــلَيَّ رَقِــيْــبُ
وَلَا تَـحْـسَـبَـنَّ الـلـهَ يَـغْـفُــلُ سَـاعَـةً
وَلَا أَنَّ مَـا يَــخْـفَـى عَـلَيْـهِ يَـغِـيْـبُ

لَهَـوْنَـا لَعَـمْـرُ اللهِ حَتَّى تَتَـابَعَتْ
ذُنُـوْبٌ عَـلى آثَـارِهِـنَّ ذُنُـوْبُ
فَيَـالَيْتَ أَنَّ اللّهَ يَغْفِـرُ مَـا مَضَـى
وَيَـأْذَنَ فـي تَـوْبَـاتِـنَـا فَـنَـتُـوْبُ
أَقُـوْلُ إِذَا ضَـاقَـتْ عَـلَيَّ مَـذَاهِـبِـيْ
وَحَـلَّ بِـقَـلْبِـيْ لِـلْهُـمُـوْمِ نُـدُوْبُ
لِـطُوْلِ جِـنَـايَـاتِيْ وَعُـظْمِ خَـطِيْـئَـتِيْ
هَـلَكْتُ وَمَـالِيْ في الـمَتَـابِ نَـصِيْـبُ
وَيَـذْكِـرُنِيْ عَفْـوُ الكَـرِيْمِ عَنْ الـوَرَى
فَـأَحْـيَـا وَأَرْجُـوْ عَـفْـوَهُ وَأُنِـيْـبُ
فأَخْضَعُ في قِولي وأَرْغَبُ سائلا
عَسَى كاشِفُ البَلْوى عَلَيَّ يَتُوب

١٥ مَوْعِظَةْ

خَطَبَ عَليٌّ رَضْيَ اللّهُ عَنْهَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ في خُطْبَتِهْ : اتَّقُوا اللّه عِبَادَ اللّهْ ، وَبَادِرُوا آجالَكُم بأعْمَالِكُمْ ، وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ - أيْ اشْتَرُوا مَا يَبْقَى مِنَ النَّعِيْم الأَبدِيْ ، مِمَّا لاعَيْنٌ رأتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَر عَلى قَلْبِ بَشَرْ ، بِمَا يَفْنِي مِنْ لذّة الْحَيَاةِ الدّنْيَا ، وَشَهَواتِها الزَّائِلَةْ ، وَتَرحَلوُا فَقَدْ جَدَّ لَكُمُ الانْتِقَالْ - أيْ حُثِثْتُمْ وَأُزْعِجْتُمْ إلى الرَّحِيْل - وَاسْتَعِدّوا فانْتَبَهُوا وَاعْلَمُوا أنّ الدُّنْيا لَيْسَتْ بِدَارِ إقامةٍ ، فَاسْتَبْدِلُوهَا بِدَارِ الآخِرَةْ فَإِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ، وَلَمْ يَتْرُكُكُمْ

سُدَى ـ أيْ مُهْمَلِيْن ، بلا رَاعٍ يزْجُرُكُمْ عَمَّا يَضُرُّكُمْ ، وَيسُوقَكُمُ إلى مَا يَنْفَعُكُمْ ـ وَما بَيْنَ أحدِكُمْ وَبينَ الْجَنّة أو النَّارِ إلاّ الْموتُ أنْ يَنْزِلَ بِهْ ، وَإنَّ غَايةً هِيَ الأَجَلُ ، تَنْقُصُهَا اللَّحْظةُ ، وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ ، لَجَدِيْرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ ، وَإنَّ غَائِبَاً يَحْدُوُهُ الْجَدِيْدَانِ اللّيْلُ وَالنَّهَارُ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الأَوْبَةِ ، وَإنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بالْفَوْزِ أوِ الشَّقْوَةِ ، لَمُسْتَحِقٌّ لِافضلِ الْعُدَّةْ فَتَزَوَّدُوا في الدُّنْيَا مِنَ الدّنيا ، مَا تُحْرِزُون به أنْفُسَكُم غداً ، فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ ، نَصَحَ نَفْسَهُ ، قَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ ، فَإنَّ أجَلَهُ مَسْتَورٌ عَنْهُ ، وَأمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ ، والشَّيْطانُ مُوكّلٌ بِـه ، يَزَيْنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا وَيمَنِّيْهِ التَّوْبَـةَ لِيُسَوفِهَا حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتَهُ عَلَيْه ، أغْفَلُ مَا يَكُونَ عَنْهَا ، اللّهُمَّ اجْعَلْنا مِمَّنْ لا تُبْطِرُهُ النِّعْمَةُ ، وَلاَ تُطْغِيْهِ ، وَلاَ تُسْدِلُ عَلَى بَصِيْرتِهِ حُجُبَ الْغَفْلةِ عَمَّا هُوَ صَائِرٌ إلَيْه ، وَلا تَقْصُرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبّهِ غَايَةٌ ، وَلاَ تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْموتِ نَدامَةٌ ، وَاغْفِـرْ لَنَا وَلِـوَالِدَيْنـا .وَلِجَمْيعَ المُسْلِمين بِـرَحْمَتِكَ يـا أرْحَمَ الرّاحِمين ، وصَلّى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجْمعين .

هَذِهِ قَصِيْدَةٌ بَلِيْغَةٌ جِدَّاً وَهِيَ زُهْدِيَّةٌ وَعَظِيَّةٌ ألْق لَهَا سَمْعك

سِهَامُ الْمَنَايَـا فِي الـوَرَى لَيس تُمْنَـعُ
فَكُـلٌّ لَـهُ يَـوْمـاً وَانْ عَـاشَ مَصْـرَعُ

وكُـلٌّ وِانْ طَـالَ المَـدَى سَـوْفَ يَنْتَهِي
إلى قَعْـرِ لَحْـدٍ في ثَـرَىً مِنْـهُ يُـوْدَعُ

فقُـلْ لِلَّذي قَـدْ عَـاشَ بَعْـدَ قَـرِيْنِـهِ
إلى مِثْلِهَـا عَمَّـا قَلِيْـلٍ سَتُـدْفَـعُ

فَكُلُّ ابْنِ أُنْثَى سَوْفَ يُفْضِيْ إلى الرَّدَى
وَيَـرْفَـعُـهُ بَعْـدَ الأَرائِـكِ شَـرْجَـعُ

وَيُــدْرِكُــهُ يَــوْمــاً وَإِنْ عَــاشَ بُــرْهَــةً
قَضَــاءٌ تَسَــاوَى فِيْــهِ عَــوْدٌ وَمُــرْضَــعُ

فَــلاَ يَفْــرَحَنْ يَــوْمــاَ بِــطُولِ حَيَــاتِــهِ
لَبِيبٌ فَمَــا فِي عَيْشِــهِ الْمَــرْءُ مَــطْمَــعُ

فَمَــا الْعَيْشُ إلاَّ مِثْلُ لَمْحَــةِ بَــارِقٍ
وَمَــا الْمَوْتُ إلاَّ مِثْــلُ مَا الْعَيْن تَهْجَــعُ

وَمَــا النَّــاسُ إلاَّ كَــالنَّبَــاتِ فَيَــابِسٌ
هَــشِيْــمٌ وَغَضٌّ إثْــرَ مَــا بَــادَ يَــطْلَعُ

فَــتَــبــاً لِــدَارٍ مَــا تَــزَالُ تَــعُــلُّنَــا
أَفَــاوِيْــقَ كَــأْسٍ مُــرَّةً لَيْس تُــقْنِــعُ

سَحَــابُ أَمَــانِيْهــا جَهَــامٌ وَبَــرْقُــهَــا
إذا شِيْــمَ بَــرْقٌ خُــلَّبٌ لَيْسَ يَــهْــمَــعُ

تَــغُــرُّ بَنِيْهَــا بِــالْمُنَى فَــتَــقُــودُهُــمْ
إلى قَعْــرِ مَهْــوَاةٍ بِهَــا الْمَــرْءُ يُــوْضَــعُ

فَكَمْ أَهْلَكَتْ فــي حُبِّهــا مِنْ مُتَيَّمٍ
وَلَم يَحْــظَ مِنْهَــا بِــالْمُنَى فَيُــمَتَّــعُ

تُمَنِّيْــهِ بِــالآمَــالِ فِي نَيْــلِ وَصْلِهَــا
وَعَنْ غَيِّــهِ فــي حُبِّهَــا لَيْسَ يَنْــزِعُ

أَضَــاعَ بِهَــا عُمْــراً لَــهُ لَيْسَ رَاجِعَــاً
وَلَــمْ يَــنَــلِ الأَمْــرَ الَّــذِي يُــتَــوَقَّــعُ

فَصَــارَ لَهَــا عَبْــداً لِجَمْــعِ حُــطَامِهَــا
وَلَمْ يَهْنَ فِيهــا بِــالَّــذِي كَــانَ يَجْمَــعُ

وَلَــوْ كَــانَ ذَا عَقْــلٍ لأغْنَتْــهُ بُلْغَــةٌ
مِنَ العَيْشِ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَكُ يَجْشَعُ
إِلَى أَنْ تُــوَافِيْــهِ المَنِيَّــةُ وَهُــوَ بَــالٌ
قَــنَــاعَــةِ فِيْــهَــا آمِــنــاً لَا يُــرَوَّعُ
مَـصَــائِبُـهَــا عَمَّـتْ فَلَيْسَ بِمُـفْلَتٍ
شُـجَــاعٌ وَلَا ذُو ذِلَّــةٌ لَيْسَ يَــدْفَــعُ
وَلَا سَــابِحٌ فِي قَعْــرِ بَحْرٍ وَطَــائِــرٌ
يُـدَوِّمُ فِـي بُـوْحِ الفَـضَــاءِ وَيَـنْــزِعُ
وَلَاذُوْ امْتِنَــاعٍ فِــي بُـرُوجٍ مُشَيْــدَةٍ
لَهَــا فِي ذُرَى جَوِّ السَّمَــاءِ تَــرَفُّــعُ
أَصَــارَتْـهُ مِنْ بَعْـدِ الحَيَاةِ بِـوَهْـدَةٍ
لَـهُ مِنْ ثَرَاهَا آخِـرَ الـدَّهْـرِ مَضْجَعُ
تَسَــاوَى بِهَــا مَنْ حَــلَّ تَحْتَ صَعِيْدِهَــا
عَلَى قُــرْبِ عَهْدٍ بِــالمَمَــاتِ وَتُبَّــعُ
فَسِيَّــانِ ذُو فَـقْــرٍ بِهَــا وَذُوُوْا الـغِنَــى
وَذُوْ لَكَنٍ عِـنْـدَ المَـقَــالِ وَمِصْـقَــعُ
وَمَنْ لَمْ يَخَفْ عِنْـدَ النَّوَائِبِ حَتْفَـهُ
وَذُوْ جُبْنٍ خَــوْفـاً مِنَ المَــوتِ يُسْـرِعُ
وَذُوْ جَشَــعٍ يَسْــطُو بِـنَــابٍ وَمِخْـلَبٍ
وَكُــلُّ بُـغَــاثٍ ذِلَّــةً لَـيْسَ يَـمْـنَــعُ
وَمَــنْ مَـلَكَ الآفَــاقَ بَـأْســاً وَشِــدَّةً
وَمَنْ كَــانَ مِنْهَــا بِــالضَّــرُوْرَةِ يَقْنَــعُ

وَلَـوْ كَشَفَ الأَجْـدَاثَ مُعْتَبِـراً لَهُـمْ
لِيَنْـظُرَ آثَـارَ البِلَى كَيْفَ يَصْنَـعُ
لَشَـاهَـدَ أَحْـدَاقـاً تَسِيْـل وَأَوْجُهـاً
مُعَفَّـرَةً في التُّـرْبِ شُـوْهـاً تُفَـزِّعُ
غَـدَتْ تَحتَ أَطْبَاقِ الثَّـرَى مُكْفَهِـرَّةً
عُبُـوْساً وَقَـدْ كَـانَتْ مِنَ البِشْـرِ تَلْمَعُ
فَلَمْ يُعْـرَفِ المَـوْلَى مِنَ العَبْـدِ فِيْهِم
وَلاَ خَـامِـلاً مِـنَ نَـابِـهٍ يَتَـرَفَّـعُ
وَأَنَّـى لَـهُ عِـلْمٌ بِـذَلِـكَ بَـعْـدَمَـا
تَبَيَّنَ مِنْـهُمْ مَـا لَـهُ الـعَيْـنُ تَـدْمَـعُ
رَأَى مَـا يَسُوءُ الـطَّرْفَ مِنْهُمْ وَطَـالَمَا
رَأَى مَـا يَسُـرُّ النَّـاظِـرِيْـنَ وَيُمْتِـعُ
رَأَى أَعْـظُمـاً لاَ تَسْتَـطِيْـعُ تَمَـاسُكـاً
تَـهَـافَـتَ مِـنْ أَوْصَـالِـهَـا وَتَـقَـطَّعُ
مُـجَـرَّدَةً مِنْ لَـحْمِـهَـا فَهِـيَ عِبْـرَةٌ
لِـذِيْ فِـكْـرَةٍ فِيْـمَـا لَـهُ يَتَـوَقَّـعُ
تَخَـوَّنَهـا مَـرُّ اللَّيَـالِي فَـأَصْبَحَـتْ
أَنَـابِيْبَ مِنْ أَجْـوَافِها الـرِّيْـحُ تُسْمَعُ
إِلَـى حَـالَـةٍ مُـسْـوَدَّةٍ وَجَـمَـاجِـم
مُـطَأْطَـأَةٍ مِـنْ ذِلَّـةٍ لَـيْس تُـرْفَـعُ
أُزِيْـلَتْ عَنِ الاعْـنَـاقِ فَهِـيَ نَـوَاكِسٌ
عَلى التُّرْبِ مِنْ بَعدْ الـوَسَائِـدِ تُوْضَـعُ

عَــلاَهَــا ظَــلاَمٌ لِــلْبِــلَى وَلَــطَالَــمَــا
غَدَا نُورُهَــا فِي حِنْدِسِ الــظُّلْمِ يَلْمَعُ

كَـأن لَمْ يَكُنْ يَوْمـاً عَـلاَ مَفْـرِقـاً لَهَـا
نَــفَــائِسُ تِــيْــجَــانٍ وَدُرٍ مُــرَصَّــعُ

تَبَــاعَــدَ عَنْــهُمْ وَحْشَــةً كُــلُّ وَامِقٍ
وَعَــافَــهُمُ الأَهْــلُونَ والنَّــاسُ أَجْــمَــعُ

وَقَــاطَعَهُمْ مَنْ كَــانَ حَــالَ حَيَــاتِــهِ
بِــوَصْلِهِمْ وِجْــداً بِهِمْ لَيْسَ يَــطْمَــعُ

يُبَكِّيْهِــمْ الأَعْــدَاءُ مِنْ سُــوءِ حَــالِــهِمْ
وَيَــرْحَمُهُمْ مَنْ كَــانَ ضِــداً وَيَجْــزَعُ

فَقُــلْ لِلّذِي قَــدْ غَــرَّهُ طُــوْلُ عُمْــرِهِ
وَمَــا قَــدْ حَــوَاهُ مِنْ زَخَــارِفَ تَخْــدَعُ

أَفِقْ وَانْــظُرِ الــدُّنْيَــا بِعَيْــنِ بَصِــيْــرَةٍ
تَجِــدْ كُــلَّ مَــا فِيْهَــا وَدَائِــعَ تَــرْجِــعُ

فَأَيْنَ المُلُوكُ الصِّيْدُ قِــدْماً وَمَنْ حَوَى
مِنَ الأَرْضِ مَا كَانَتْ بِهِ الشَّمْسُ تَطْلَعُ

حَــوَاهُ ضَــرِيــحٌ مِنْ فَضَــاءِ بُسَيْــطِهَــا
يُقَصِّــرُ عَنْ جُثْــمَــانِــهِ حِيْــنَ يُــذْرَعُ

فَــكَمْ مَــلِكٍ أَضْــحَــى بِهَــاذَا مَــذَلَّــةٍ
وَقَــدْ كَــانَ حَيَّــاً لِلْمَــهَــابَــةِ يُتْبَــعُ

يَقُــودُ عَلى الخَيْــلِ العِتَــاقِ فَــوَارِسَــاً
يَسُــدُّ بِهَــا رَحْبَ الفَيَــافِي وَيُــتْــرِعُ

فَـأصْبَـحَ مِنْ بَعْـدِ التَّنَعُّمِ في ثَـرَى
تُـوارِي عِـظَامـاً مِنْـهُ بَهْمَـاءُ بَلْقَـعُ

بَعِيْـداً عَـلى قُـرْبِ المَـزَارِ إيـابُـهُ
فَلَيْسَ لَـهُ حَتَّى القِيَـامَـةَ مَـرْجِـعُ
غَـرِيْبـاً عَنِ الأحْبَـابِ والأَهْـلِ ثَـاوِيـاً
بـأقْصَى فَـلاَةٍ خَـرْقُـهُ لَيْس يُـرْقَـعُ
تُـلِحُّ عَلَيْـهِ السَّـافِيَـاتُ بِـمَنْـزِلٍ
جَـدِيْبٍ وَقَدْ كَـانَتْ بِـهِ الأرْضُ تُمْـرِعُ
رَهِيْنـاً بِـهِ لاَ يَمْلِـكُ الـدَّهْـرَ رَجْعَـةً
وَلاَ يَسْتَـطِيْعَنَّ الـكَـلاَمَ فَيُسْـمَـعُ
تَوَسَّدَ فِيْـهِ التُّرْبَ مِنْ بَعْـدِ مَا اغْتَـدَى
زَمَـانـاً عَلَى فُـرُشٍ مِنَ الخَـزِّ يُـرْفَـعُ
كذَلِكَ حُكْمُ اللهِ في الخَلْقِ لَنْ تَـرى
مِنَ النَّـاسِ حَيّـاً شَمْلُهُ لَيْسَ يُصْـدَعُ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ المُفْلِحين وألْبِسْنَـا خِلَعَ الايْمَانِ واليَقِيْن وَخُصَّنَا مِنْكَ بالتَّوْفِيْقِ المُبين وَوَفِّقْنَا لِقَوْلِ الحَقِ واتْبَاعِهِ وَخَلِّصْنَا مِنَ البَاطِلِ وابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدا وَلاَ تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدا وَاجْعَلْ لَنا عَيْشاً رَغَدَا وَلاَ تُشْمِتْ بِنَا عَدوّاً وَلاَ حَاسِدَاً وارْزُقْنَا عِلْمَاً نافِعاً وَعَمَلاً مُتَقَبَّلا وَفَهْمَاً ذَكِيّاً وَطَبْعاً صَفِيّا وَشِفَاً مِنْ كُلِّ دَاء واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَميع المُسْلِمين بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين وصَلَّى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْن .

١٦ « موعظــة »

عِبادَ اللّه مَن تَكَبَّرَ أَذَلَّهُ وَمَنْ تَواضَعَ لِلّهِ رَفعَهُ اللّهُ والمُتَكَبِّرُوْنَ يُحْشَرُوْنَ يَوْمَ القِيامَةِ في صُوَرِ الذَّر تَطؤُهُمْ النّاسُ لِهَوانِهِمْ عَلَى اللّهِ تعالى المُتَكَبِّرُوْنَ شِرَارَ الخَلْقِ وأهلُ النّارِ كُلُّ جَعْظَرِيّ جَواظٍ مُسْتكْبِرٍ ، المُتَكبِّرُ يَشْمَخُ بأنْفِهِ إذا تَكلَّمَ ، وَيُجافِي مِرْفَقَيْهِ عَن جَنْبَيْهِ لاَوِياً عُنُقَهُ ، يُقَارِبُ خُطَاهُ إذا مَشى ، مُتَطاوِلاً عَلَى إِخْوَانِهِ ، مُتَرَفِّعاً عَلى أقْرَانِهِ ، يَنْظُرُ النّاسَ شَزَراً بمُؤَخَّرِ العَيْنِ ، مُتَقَدِّماً عَلَيْهِم إذا مَشَى ، مُحْتَقِراً لِلْعَامَّةِ ، ولا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَهُم وَبَيْنَ الحَميرِ اسْتِجْهَـالاَ مِنْهُ لَهُم ، فالمُتَكَبِّرُ لا يُحِبُّ لِلْمُؤْمِنينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، لأنَّهُ لا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، ولا يَقدِرُ على التَّواضُعِ وَهُوَ رَأسُ أخْلاَقِ المُتَّقِيْنَ ، وَلا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ الحِقْدِ ، وَلا يَقْدِرُ أنْ يَدُوْمَ عَلَى الصِّدْقِ ، ولا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ الغَضَبِ ، وَلا عَلَى كَظْمِ الغَيْظِ ، ولا يَسْلِمُ مِنَ الازْدِرَاءِ بالنّاسِ واحْتِقَارِهِم ولاَ يَسْلَمُ مِنْ اغْتِيابِهِمْ ، وتَنْقُصهِمْ ، لِأنَّ فِيْهِ مِنَ العَظَمَةِ والعِزَّةِ والكِبْرِيَآء ، مَا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَمَا مِن خُلُقٍ ذَمِيْمٍ إلا وَصَاحِبُ الكِبْرِ والعَظَمَةِ مُضْطَرٌّ إلَيْهِ ، لِيَحْفَظَ بِهِ عِزَّهُ وَعَظَمَتَهُ ، وَمَا مِن خُلُقٍ مَحْمُوْدٍ إلّا وَهُوَ عاجِزٌ عَنْهُ خَوْفاً مِن أنْ يَفُوتُهُ عِزُّهُ وعَظَمَتُهُ ، ولِذَلِكَ وَرَدَ فِي الحَدِيْثِ أنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ ،ومِمَّا جَاءَ فِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لابنِهِ﴿ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تمشِ فِي الأرْضِ مَرحاً إنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور » ومِن تَعَالِيمِ رَبِّنَا لِهَذِهِ الأُمَّةِ ونَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسّلامُ ، بقَولُ تَعالى : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرحاً إنّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأرْض ولنْ تَبْلُغَ الجبالَ طُوْلَا﴾ فَيَا أَيُّها المُتَكَبِّرُ النَّاظِرُ في عِطْفَيْهِ ، المُتَعَاظِمُ فِي نَفْسِهِ ، إنَّ شَأنَكَ حَقِيْرٌ ، وَقَدْرُكَ صَغِيْرٌ وَلَسْتَ بمَحْسُوبٍ في العِيْرِ ، ولا في النَّفِيْرِ ، وَمَا لَكَ عِنْدَ عَاقِلٍ مِنْ حِسَابٍ ، ولا تَقْدِيْر ، لاَ قَلِيْلٍ ولا كَثِيْرٍ ، فَهَوِّنْ عَلَيْكَ ، وارْفُقْ بنفسِكَ ، فَإِنَّكَ مَغْرُوْرٌ ،

يا مِسْكِيْن وَتَدَبَّرْ كَلامَ رَبِّ العَالَمِيْن ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْتَكْبِرِيْن﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُوْنَ عَن عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين ﴿قِيْلَ ادْخُلُوا أبوابَ جَهَنَّمَ خَالِدِيْنَ فِيْهَا فَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرينَ﴾ وذَمُّ الكِبْر في القُرآنِ كَثِيرٌ ، والمُتَكَبِّرُ عَدُوٌّ لِلّهِ ولِنَفْسِهِ ، ولِلّنَاسِ ، يُقَصِّرُ في الوَاجِبِ ويَدَّعِيْ مَا لَيْسَ لَهُ وَيَتَشَدَّقُ في الكَلَامِ ، وَيَتَأَلَّقُ في اللِّبَاسِ ، وإنَّهُ لَثَقِيْلٌ فِي حَرَكَاتِهِ ، وسَكَنَاتِهِ ، بَغِيْضٌ في أمْرِهِ ونَهْيِهِ ، وَمُجَالَسَتِهِ ، ومُؤاكَلَتِهِ وَمُشَارَبَتِهِ ، والوَيْلُ كُلُّ الوَيْلِ لِمَنْ صَاهَرَهُ أوْ شَارَكَهُ أوْ رَبَطَتْهُ بِهِ صِلَةٌ ، لأنَّ دَاءَ الكِبْرِ يُعْدِي ويَسْرِي فَتَبْعُدُ السَّلَامَةُ مِن المقْتَرِبِ مِنْهُ رَأى بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ مَنْ يَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ فَغَمَزَ جَنْبَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَيْسَتْ هَذِهِ مِشْيَةُ مَنْ فِي بَطْنِهِ خِراءٌ ، وكَيْفَ يَتَكَبَّرُ مَنْ أوَّلُهُ نُطْفَةٌ مذِرَةٌ ، وَآخِرُهُ جِيْفَةٌ قَذِرَةٌ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَحْمِلُ البَوْلَ والعَذَرَة ، هَذَا أكْبَرُ بُرْهانٍ على أنَّهُ دَنِس جَاهِلٌ مَجْهُوْلٌ نَكِرَةٌ مُمْتَلِئاً كِبْراً وإعْجَاباً بِنَفْسِهِ وسُمْعَةً ، ورِيَاءً ، ولُؤماً وشُؤْماً وشَرَهاً فَهُوَ أشْبَهُ شَيْءٍ بالدُّخَانِ يَمْلأُ الفَضَاءَ ويَتُكُ صُدُوْرَ النَّاسِ وأصْلُهُ مِن القُمَامَاتِ والأوْسَاخِ المُبَعْثَرَةِ نَسألُ اللّهَ أن يُقَلِّلَ هَذَا النوعَ المُنْحَطَّ وأنْ يُكثِّرَ ضِدَّهُ مِنْ أهْلِ التَّواضُعِ واللِّيْنِ والعَطْفِ والحَنَانِ : قَالَ اللّه تعَالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخرة نَجْعَلُها لِلّذِينَ لَا يُرِيْدُونَ عُلوا فِي الأرْضِ ولا فَسَاداً والعَاقِبَةُ لِلمتّقِين﴾

نُحْ وابْكِ فالمعروف أقْفَرَ رَسْمُهُ ... والمنكرُ اسْتَعْلَى وأثَّرَ وَسْمُهُ
لَمْ يَبْقَ إلاَّ بدعَـةٌ فَتَّـانَةٌ ... بهوى مُضِـل مُسْتَطِير سُمُّهُ
وطَعَامُ سُوْءٍ من مَكَاسِـبَ مُرَّةٍ ... يُعْمِي الفـؤآدَ بِدَائِهِ ويُصِمُّـهُ
فَفَشَـا الرِّيَاءُ وغِيْبَـةٌ ونَمِيْمَـةٌ ... وقَسَاوةَ مِنْـهُ وأثْمَـر إثْمُـهُ
لَمْ يَبْقَ زَرْعٌ أوْ مَبِيْـعٌ أوْ شِـرَى ... إلاَّ أُزِيْلَ عَن الشَّرِيْعَـةِ حُكْمُـهُ
فَلِكَيْفَ يُفْـلِحُ عَابِـدٌ وعِظَامُهُ ... نَشَأَتْ عَلَى السُّحْتِ الحَرَامِ ولَحْمُهُ

هذا الذي وَعَدَ النَّبِيُّ المُصْطَفَى بظُهُوْرِهِ وَعْداً تَوَثَّقَ حَتْمُـهُ
هذا لعَمْرُ إلٰهِكَ الزَّمن الذِي تَبْدُو جَهَالَتُهُ وَيُرْفَعُ عِلْمُـهُ
هذا الزمانُ الآخِرُ الكَدِرُ الذِيْ تَزْدَادَ شِرَّتُهُ وينْقُصُ حِلْمُـهُ
وَهَتِ الأمانَةُ فِيْهِ وانْفَصَمَتْ عُرَى التَّـقْوَى بِهِ والبِرُّ أَدْبَرَ نَجْمُـهُ
كَثُرَ الرِّبَا وفَشَا الزِّنَا ونَمَا الخَنَا وَرَمَي الهَوَى فيهِ فَأَقْصَدَ سَهْمُهُ
لَمْ يَبْقَ إلاَّ ظَالِمٌ هُوَ مُرْتَشٍ أَوْ حَاكِمٌ تَخْشَى الرَّعِيَّةُ ظُلْمَهُ
وَالصَّالِحُونَ عَلَى الذَّهَابِ تَتَابَعُوْا فَكَأَنَّهُمْ عِقْدٌ تَنَـاثَرَ نَظْمُـهُ
لَمْ يَبْقَ إلاَّ رَاغِبٌ هـو مُظْهِـرٌ لِلزُّهْـدِ والدُنْيَا الدَّنِيَّـةِ هَمُّـهُ
لَوْلَا بَقَـايَا سُـنَّةٍ ورِجَـالِهَـا لَمْ يَبْقَ نَهْـجٌ وَاضِـحٌ نَأْتَمُّـهُ
يَا مُقْبِلاً في جَمْعِ دُنْيَاً أَدْبَرَتْ كَبِنَاءِ اسْـتَوْلَى عَلَيْـهِ هَـدْمُـهُ
هَذِي أَمَاراتُ القِيَامَةِ قَدْ بَدَتْ لِمُبَصِّـرٍ سَبَقَ العَوَاقِبَ فَهْمُـهُ
ظَهَرَتْ طُغَاتُ التركِ واجْتَاحُوْا الوَرَى وأبادَهُم هَـرْجٌ شَـدِيْدٌ حَطْـمُهُ

الصغيرُ مِنّا والكبيرُ الكَمَالَ في نَفْسِهِ ومَن اعْتَقَدَ ذلكَ في نَفْسِهِ هَوَى لأنَّهُ لا يَلْتَفِتُ إلى مَا بِهِ كَمَالُ الرِّجَالِ ، وَمَرَضٌ يُنْتِجُ مَرَضاً آخَرَ هُوَ مَرَضُ الكِبْرِ وَصْفُ الأنْذَالِ والأرْذَالِ والجُهَّالِ ، والمُتَكَبِّرُ لا يُنْظَرُ إليهِ بعَيْنِ الرضَا والكِبْرُ يَنْشأُ عنه مَرَضُ الحَسَدِ والحَسُودُ يَتَمَنَّى زَوالَ نِعْمَةِ اللهِ عَن خَلْقِهِ ، والحَسَدُ يُوَلِّدُ الحِقْدَ الذِي رُبَّمَا حَمَلَ صَاحِبَهُ على قَتْلِ مَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ إلاَّ ما أَوْلاَهُ اللهُ مِن النِّعَمِ ، ولَيْسَ هَذَا كُلُّ مَا فِي قُلُوبِنَا مِن الأمْرَاضِ بَلْ فِيْهَا مَرَضُ البُخْلِ وَالشُّحِّ الذِي وَصلَ بِنَا إلى مَنْعِ الزكاةِ أو بَعْضِهَا ، وغيرُ ذَلِكَ كَثِيْرٌ وَكُلُّهَا أمْرَاضٌ مُهْلِكَاتٌ ، ونحنُ لا نَهْتَمُّ بقُلُوبِنَا ولا بأَمْرَاضِهَا وإنَّمَا نَهْتَمّ بأمْرَاضِ أجْسَامِنَا ، ونُبَادِرُ في عِلاَجِهَا إلى المُسْتَشْفَيَاتِ ، وأمْرَاضُهَا يَسِيْرَةٌ بَسِيْطَةٌ بِالنِّسْبَةِ إلى أمْرَاضِ القُلُوبِ ، ونَهْتَمُّ أيْضاً بِجَمَالِ ظَوَاهِرِنَا فنُبَالِغُ فِي تَحْسِيْنِ مَلاَبِسِنَا ومَرَاكِبِنَا ومَسَاكِنِنَا ومَجَالِسِنَا وأبْدَانِنَا ، أنْظُرْ إلَيْنَا عِنْدَ الذَّهَابِ إلَى مَقَرِّ

العَمَلِ لِتَتَعَجَّبَ مِن تَغْفِيْلِنا وانْخِدَاعِنَا ، ولَو كانَتْ عنَايَتُنَا بالقُلُوبِ كَعِنَايَتِنَا بالمَلَابِسِ فَقَطْ مَا كُنَّا بِهَذِهِ الحَالَاتِ المحزنات .

اللهُم يا عالِمَ الخَفياتِ وَيَا سَامِعَ الأَصْواتِ ويَا بَاعِثَ الأَمْواتِ وَيَا مُجِيْبَ الدَعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الحَاجَاتِ يَا خَالقَ الأرضِ والسَّمواتِ أَنْتَ اللَّهُ الاَحدُ الصمدُ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد الوَهَّابُ الذي لا يَبْخَلُ والحَليمُ الذي لا يَعْجَلُ لا رادَّ لامْرِكَ ولا مُعَقِّبَ لِحُكَمِكَ نَسْأَلكَ أنْ تغفرَ ذنوبَنَا وَتُنورَ قلوبنا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ في قُلوبِنَا وَتُسْكِنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إنكَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِير وَصَلَّى على محمدٍ وآلِه وَصَحْبه أجْمَعِيْنَ .

١٧ « موعظــة »

عِبَادَ اللّهِ إن دَاءَ الحَسَدِ مِن أَعظَمِ الأَدْوَاءِ ، والإِبْتِلاءُ بِهِ مِن أَشَدِّ البَلْوَى ، يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى مَرْكَبٍ صَعْبٍ ، ويُبْعِدُهُ عنْ التَّقْوَى ، ويُرْكِبُهُ الأَهْوَاءَ فَيَظَلُّ وَيَغْوَى ، يَضِيْقُ صَدْرُ الحَسُوْدِ ويَنْفَطِرُ قَلْبُهُ إذا رَأَى نِعْمَةَ اللّهِ عَلَى أخِيْهِ المُسْلِمِ فَيُعَانِي مِن البُؤْسِ واللأوى ، مَا لاَ يَسْتَطِيْعُ أنْ يَبُثَ مَعَهُ مَا يَجِدُهُ مِن الحُزْنِ والقَلقِ ، وَلا يَقْدِرُ عَلَى الشَّكْوَى ، إلاّ إلَى الشَّيْطَانِ ونَفْسِهِ الأمَّارَةِ بِالسُّوْءِ أوْ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ في الحَسَدِ ، فَقَاتَلَ اللّهُ الحَسُوْدَ لا يَفْعَلُ الخَيْرَ ولاَ يُحِبُّهُ لإِخْوانِهِ المُسْلِمِين ، غَايَةُ أُمْنِيَّتِهِ زَوَالُ نِعْمَةِ اللّهِ عن عِبَادِهِ إِنَّهُ بعَمَلِهِ سَالِكُ طَرِيْقَ إِبْلِيْسَ لَعَنَهُ اللّهُ ، فَمَا أوْقَعَ الشَّيْطانُ في مَعْصِيَةِ اللّهِ إلاّ حَسَدُهُ لِأَبِيْنَا آدَمَ وامْتِنَاعُهُ مِنَ السُّجُودِ بَعْدَ مَا أَمَرَهُ اللّهُ ، وَمَا حَمَلَ قَابِيْلَ عَلَى قَتْلِ هَابِيْلَ إلاّ حَسَدُهُ لأخِيْهِ حَيْثُ تَقَبَّلَ اللّهُ مِنْهُ قُرْبَانَهُ الّذي أرَادَ بِهِ وَجْهَ اللّهِ والدّارَ

الآخِرَةَ وَمَا مَنَعَ المُشْرِكِيْنَ والمُتْرَفِيْنَ مِن اتِّبَاعِ الرُّسُلِ إلاّ الحَسَدُ والكِبْرُ ، وَمَا حَمَلَ أَهْلَ الكِتابِ عَلَى كَرَاهَةِ الدِّيْنِ الإسلامِيّ وَصَرْفِ المُسْلِمِيْنَ عَنْ كِتَابِ اللّهِ والإيْمَانِ بِسَيّدِ الرُّسُلِ وَخَاتَمِهِمْ إلَّا مَا ذَكَرَهُ اللّهُ عَنْهُمْ ﴿وَدَّ كَثِيْرٌ مِن أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوْنَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الحَقُّ﴾الآية، وقال ﷺ « الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النّارُ الحَطَبَ » الحَاسِدُ لا يُضْمِرُ إلاّ غَدْراً ولا يَعْمَلُ إلاّ شَرّاً ولا يُدَبِّرُ إلاّ مَكْراً وجُمْلَةُ القَوْلِ أنَّ الحَاسِدَ مُيَسَّرٌ لِلْعُسْرَى لا تُجْدِيْ مَعَهُ المَوَاعِظُ والنَّصَائِحُ وَقَدْ قِيْلَ إنَّ بِضَاعَةَ إبْلِيْسَ خَمْسَةُ أَصْنَافٍ يَبِيْعُهَا مِنْ قَوْمٍ مَعْرُوْفِيْن ، وَهِيَ الحَسَدُ وأَهْلُهُ العُلَمَاءُ ، وأَهْلُ الحِرْفَةِ الوَاحِدَةِ ، أيْ كُلُّ مَنْ يَتَّفِقُ عَمَلُهُمْ مُسْلِمِيْن أَوْ غَيْرَ مُسْلِمِيْن ، والكِبْرُ وأهْلُهُ الأنْذَالُ والسَّفَلَةُ والسُّفَهَاءُ والْحَمْقَاءُ ومَنْ لا خَيْرَ فِيهِ مِن المُحْتَرِفِيْنَ .

والجَوْرُ والطُّغْيَانُ ، وأهْلُهُ المُلُوكُ والأُمَراءُ والوزَرَاءُ والعُظَمَاءُ ، وأعْوَانُهُمْ مِنَ الفَسَقَةِ والمُجْرِمِيْنَ ، والكَيْدُ ، وأهلُهُ النِّسَاءُ ، والنَّمامِيْنَ والدَّلاَلِيْنَ ، والمُتَسَبِبِيْنَ وبِئْسَتِ البِضَاعَةُ بِضَاعَةُ الشَّيْطانِ ، ويا حَسْرَةَ المُشْتَرِيْنَ ، وَيَا نَدَامَتَهُم ﴿يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلىً عنْ مَوْلىً شَيْئاً وَلاَ هُمْ يُنْصَرُوْنَ﴾ ﴿ولا يَحِيْقُ المَكْرُ السّيءُ إلاّ بأهْلِهِ﴾ قِيْلَ إنّهُ كَانَ رَجُلٌ يَغْشَى أحَدَ المُلُوْكِ فَيَقُوْمُ بِحِذاءِ المَلِكِ فَيَقُولُ أَحْسِنْ إلى المُحْسِنِ بإحْسَانِهِ ، فَإن المُسِيءَ سَيَكْفِيْكَهُ إسَاءَتُهُ ، فَحَسَدَهُ رَجُلٌ عَلَى ذَلِكَ المَقَامِ ، والكَلامِ فَسَعَى بِهِ إلى المَلِكِ ، فَقَالَ إنَّ هَذا الّذي يَقُومُ بِحِذَائِكَ وَيَقُوْلُ وَيَقُوْلُ ما يَقُوْلُ يَزعُمُ أَنَّكَ أَبْخَرُ ، فقَالَ لَهُ المَلِكُ وَكَيْفَ يَصِحُّ ذَلِكَ عِنْدِي ، قَالَ تَدْعُوْهُ إلَيْكَ فَإنَّهُ إذَا دَنا مِنْكَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى أَنْفِهِ لَئِلا يَشُمُّ رَائِحَةَ البَخرِ ، فَقَالَ لَهُ انْصَرِفْ حَتَّى انْظُرَ وأَتَحَقَّقَ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ المَلِكِ ، فَدَعَا الحَاسِدُ ذَلِكَ الرَّجُلَ إلَى مَنْزِلِهِ فَأَطْعَمَهُ

طَعَاماً فِيهِ ثُوْمٌ فَخَرَجَ الرَّجُلُ مِن عِنْدِهِ وَذَهَبَ إِلَى المَلِكِ عَلى عَادَتِهِ وَقَامَ بِحِذاءِ المَلِكِ فَقَال أَحْسِنْ إِلى المُحْسِنِ بإحْسَانِهِ فإِنَّ المُسِيْءَ سَيَكْفِيْكَهُ إِسَاءَتُهُ فقَالَ لَهُ المَلِكُ إِدْنُ مِنّيْ ، فَدَنا مِنْهُ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى فِيْهِ ، مَخَافَةَ أَنْ يَشُمَّ المَلِكُ مِنْهُ رَائِحَةَ الثُّوْمَ فقالَ المَلِكُ فِي نَفْسِهِ مَا أَرى فُلاَناً إلاّ صَدَقَ ، قَالَ وَكَانَ المَلِكُ لا يَكْتُبُ بخَطِّهِ إِلاَّ بجَائِزَةٍ أَوْ صِلةٍ ، فَكَتَبَ لَهُ كِتاباً بِخَطِّهِ إِلى عامِلِهِ : قَالَ فِيْهِ إِذا أَتاكَ حَامِلُ كِتَابِي هَذا فاذْبَحْهُ ، واسْلَخْهُ ، وأَحْشُ جِلْدَهُ تِبْناً وابْعَثْ بِهِ إِليَّ ، وأَخذَ الكِتَابَ وخَرجَ فَلَقِيَهُ الرَّجُلُ الّذِي سَعَى بِهِ إِلَى المَلِكِ وكَذَبَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ مَا هَذَا الكِتَابُ قالَ خطُّ المَلِكِ لِيْ بِهِ صِلَةٌ فَقَالَ هَبْهُ لِيْ فَقَالَ هُوَ لَكَ فَأَخَذَهُ ، السَّاعِيْ وَمَضَى بِهِ إِلى عَامِلِ المَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ العَامِلُ : فِي كِتَابَكَ **أَنِّيْ أَذْبَحُكَ ، وأَسْلَخُكَ فقَالَ إِنَّ الكِتَابَ لَيْسَ لِيْ ، فَاللّهَ اللّهَ ، فِي أَمْرِي حَتّى تُرَاجِعَ المَلِكَ فقَالَ لَيْسَ لِكِتَابِ المَلِكِ مُرَاجَعَةٌ فَذَبَحهُ وَسَلَخَهُ وَحَشى جِلْدَهُ تِبْناً ، وأَرْسَلَهُ لِلْمَلِكِ ، ثُمّ عَادَ الرَّجُلُ إِلَى المَلِكِ كَعادَتِهِ وَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ ، فَتَعَجَّبَ المَلِكُ ، وَقَالَ لَهُ مَا فَعَلَ الكِتَابُ ، فَقَالَ لَقِيَنِيْ رَجُلٌ هُوَ فُلانٌ فاسْتَوْهَبَهُ مِنِّيْ فَوَهَبْتُهُ لَهُ ، قَالَ لَهُ المَلِكُ إِنَّهُ ذَكَرَ لِيْ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنِّي أَبْخَرُ قَالَ مَا قُلْتُ ذَلِكَ ، قَالَ فَلِمَ وَضَعْتَ يَدَكَ عَلَى فِيْكَ قَال لأَنَّهُ أَطْعَمَنِيْ طَعاماً فِيْهِ ثُوْمٌ فَكَرِهْتُ أَنْ تَشُمَّهُ ، قَال صَدَقْتَ ، ارْجِعْ إِلَى مَكَانِكَ ، فَقَدْ كَفَى المُسِيءَ إِسَاءَتُهُ فانْظُرْ يَا أَخِيْ كَيْفَ دَارَتْ عَلى البَاغِي الدَّوَائِرُ واسْأَلْ رَبَّكَ أن يُعَافِيْكَ مِن هَذِهِ الأمراضِ الفَتَّاكَةِ الّتي رُبَّمَا قَضَتْ عَلى حَيَاتِهِ وَأَوْصَلَتْهُ فِي الآخِرَةِ نَارَ جَهَنَّمَ .**

وخِتَاماً فَعلى اللَّبِيْبِ أَنْ يَتَجَنَّبَ الحَسَدَ فإِنّهُ مِن خُلُقِ الأَدْنِيَاء وصِفَةِ الجُهلاءِ فإِنْ أَبْصَرْتَ بقائِمٍ بالحَقِّ فاعْضُدْهُ وَيَسِّرْ لَهُ السَّبِيلَ حَسَبَ اسْتِطَاعَتِكَ وإِنْ رَأَيْتَ نِعْمَةً أَسْبَغَهَا اللّهُ عَلَى عَبدٍ مِن عِبادِهِ فاسْعَ إِلَى مِثْلِهَا بِقَلْبٍ طَاهِرٍ

وَوِجْدَانٍ نَقِيٍ لعلّكَ أنْ تَبْلُغَهَا بإِذْنِ اللّهِ .

فَعَزِيْزُ النَّفْسِ إنْ أَبْصَرَ غَيْرَهُ فِي أَمْرٍ يُثْنَى عَلَيْهِ بِهِ ، أَوْ رَآهُ فِي مَنْزِلَةٍ يُغْبَطُ عَلَيْهَا فَلا يَجُوْلُ فِي وَهْمِهِ أنْ يَحْسِدَهُ على نِعْمَتِهِ أوْ يَحُطَّ مِن مَنْزِلَتِهِ بَلْ يَسْعَى كُلَّ السَّعْيَ لِيَنَالَ مِثْلَ مَنَالِهِ وَيَرْقَى مِثْلَ رُقِيِّهِ فإِنْ زَادَتْ فِيهِ عِزَّةُ النَّفْسِ والإِباءِ فَلاَ يَرْضَى لِنَفْسِهِ إلاّ بِمَا فَوْقَ ذَلِكَ المَقَامِ :

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا تَوفيقاً يَقِيْنَا عَنْ مَعَاصِيْكَ وَأَرْشِدْنَا إلى السَّعْيِ فِيْمَا يُرْضِيْكَ وأَجِرْنَا يَا مَوْلاَنَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وأَحْبَابِكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

١٨ موعظة

عِبَادَ اللهِ مَا بَالُ الكَثِيْرِ اليَوْمَ لا يَسْمَعُونَ ، وَإذَا سَمِعُوا لا يَنْتَفِعُون ، أَفي آذانِهم صَمَمٌ ، أمْ هُمْ في الأمْرِ مُتَهاوِنُوْنَ، وَلأيّ شَيْءٍ يَجْتَمِعُونَ ، وَيَقُومُ فِيْهِمْ الخُطَبَاءِ المُجِيْدُوْنْ ، وَالوُعَّاظُ المُبَلغُونَ ، وَيُذَكِّرونَهُمْ أَيَّامَ اللّهِ فلا يَخْشَعُ الوُعَاظُ وَلا المَوعُظُونَ ، ويُرَغِّبُونَهم في الخَيْرِ فلا يُسَارِعُونَ ، وَيُنْذِرُونَهُم عَوَاقِبَ السُّوْءِ فلا يَتأثَّرُونَ « فَسُبْحَانَ الذِيْ بيده مَلكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » لقَدْ كَانَ السَّلفُ الصَّالِحُ إذا وَعَظُوا تَأثَّرَ المُستمِعُ لهُمْ تأثراً عظيماً ، وفَارَقَ مَا عِنْدَهُ مِنْ المُنْكَرَاتِ ، وَالمُحَرَّمَاتِ ، وَفَارَقَ مَنْ أصَرَّ عَلَيْهَا مِنْ أقَارِبِهِ ، وَأَوْلاَدِهِ ، وَإِخْوَانِهِ ، وآبَائِهِ ، وَجَدَّدَ تَوْبَةَ نَصُوْحَاً ، عَمَّا سَلفَ لهُ مِنْ الأعْمَالِ ، التِيْ لا يَرْتَضِيْها الدِّيْنَ الاسْلامِيّ ، فَأيْنَ أُوْلئكَ مِنْ هَؤلاَءِ الخَلَفُ ، الذِيْنَ ضَيَّعُوا

تعالِيْمَ الدِّيْنَ الاسْلامِي ، وَضَيَّعُوا العَمَل بهِ ، وتَركَوا الانْقيادِ لِكِتَابِ الله ، وَسُنَّةِ رَسُولِه صَلَّى اللهُ عليه وسَلم ، تَأمَّل كيْفَ ترى أكثرهَم أضاعُوا الصَّلاةَ ، وَعَطَّلوا الأحْكَا م ، وتَساهَلوْا بأمْرِ الحَرامِ ، يَمُرُّوْنَ بالمساجدَ ، وَقْتَ الصَّلاةِ ، فـلا يُعِيْرونْهَـا أيَّ اهْتِمَام أمَّـا الملاهِيْ وَالمُنْكَراتِ فإليْهَا يُسْرِعُونَ وعَليْها يَعْكُفُون وَإلَى ما فِيْهَـا مِنْ الأغَانِيْ وَالمجُونِ والسُّخْفِ يَتَسابَقُونَ فإنّا للهِ وَإنّا إليْه راجِعُونَ ، أيْنَ الخوفُ مِنْ الجَبَّارِ ، أيْنَ الحَيَا مِنْ فَاطِرِ الأرضِ وَالسَّمواتِ ، أيْنَ المُروْءَةُ وَالاعْتِصَامُ بالقُرْآن ، ومَا كانَ عليْهِ آبَاؤكمُ وَأجْدَادُكُم العُبَّاد الكِرَامُ ، الذِيْنَ كانَتْ المَسَاجِدُ تغُصُّ بهِمْ شُيُوخاً وشُبَّانا ، وَكانَتْ تَعُجُّ بأصْواتِهم تَسْبِيْحاً ، وَتحْمِيْدا وتَهْلِيْلاً ، وَتكْبيرَا ، وَاستغْفَاراً ، وقُرْآناً ، وكَانوا يَؤُمُّونَ المساجَد قَبْلَ الآذانِ زُرَافَاتٍ وَوَحْدانَا ، ولاَ يَتَخَلَّفُ مِنْهُم إلا مَعْذُورٌ ، إمَّا مَرْيضٌ أو غَائِبٌ ، أو نَحْو ذلِكَ ، وكَان المارُّ بِبُيُوتِهم لَيْلاً يَسْمَعُ زَجَل التسبيح ،

والتَّهْلِيْل ، وَالبُكَاءِ وِالأنْينَ والتَّضرُّعِ إلىَ بَدِيْعِ السَّمواتِ وَالأرْضِ ، وَالألْحَاحِ بدُعَائِهِ ، وَالالتِجَـاءِ إليْهِ وَالانَـابَةِ ، عَكْسُ مَـا عَلَيْهِ هَؤلآءِ الخَلَفِ ، الذِيْنَ صَدَقَ عليْهِمْ قَوْلُ اللهِ تَعالَى ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهم خَلْفٌ أضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فسَوْفَ يَلْقَونَ غَيّا ﴾ الذِيْنَ إنْ بَحَثْتَ عَنْهُم في الليْلِ ، وَجَدْتَهُم حَوْلَ الملاهِيْ وَالمُنْكَراتِ ، مُتربِّعْينَ أمَامَ التِّلفِزْيُونِ ، وَغِنَاءِ المُطربْيَن ، وَإنْ بَحَثْتَ عَنْهُم في صلاةِ الفَجْرِ وَجَدْتَهُم في فُرُشِهم ، إثر سَهَرِهِم حَوْلَ تِلْكَ المُنْكَراتِ ، وَانْ بَحَثْتَ عَنْهُم وَقْتَ صَلاةِ الظهْر ففِي شؤون الدُّنْيا ، ومَا يَتَعَلَّقُ بهَا ، وَإنْ أرَدْتَهُم في صلاةِ العَصْرِ ، وَجَدْتَ بَعْضَهُم عِنْدَ الكُورَةِ ، وَالبَعْضَ عِنْدَ التِّلفِزْيُون ،وَالبَعْض عِنْدَ المذْيَاع ، وَأغَانِيْهَ ومَلاهِيْهِ ، وَإنْ سَألتَ عَنْهَم وَقْتَ صلاةِ المَغْرب ،

وَجَدْتَ بَعْضَهُم يَمْشِيْ مُتَردداً،والبَعْضَ في الـملْعَـب ، وَالبَـعْضَ عِنْـدَ التلفِزْيُونِ،أوِ المذْيَاع، وَأمَّا العِشَاءُ الآخِرَة فَتِلْكَ هُمْ فيْها أَقْسَامٌ اكثَرُهم حَوْلَ التّلفِزْيون أو في الأسْواقِ ، أو يَلْعَبُونَ ورَقَةً ، أو نْحو ذَلكَ مِنْ المُنْكَـراتِ وَهَكذا قَتَلوا أوْقَـاتَهُمْ الثَّمِيْنَةَ ، وَضَيَّعُـوهَـا، وَقَضَـوْا عَلَى مُسْتَقْبَلِهِمْ ، فَإِنَّا للهِ وإِنَّا إليهِ رَاجِعُونَ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّة إلاَّ باللّهِ وَاللهُ أعْلَمُ بِمَا أرَادَهُ بعِبَادِهِ ، قَالَ تَعالى ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرِّ وَالبَحْرِ بمَا كَسَبْت أيْدِيْ النَّاسِ لِيُذِيْقَهُم بَعْضَ الذِيْ عَمِلُوا لَعلَّهُم يَرْجِعُون ﴾ وَالحالة هَذِه مُخِيْفَة لِذَوِيْ العُقُولِ وَالفُهوم ، لا سِيَّمَا وَقد تَوالتْ أَسْبَابُ الهَنَـاءِ وَالرَّاحَةِ ، وَالسُّرُورِ ، وَالاطْمِئنَانِ ، وَقَدْ قِيْلَ إذا رَأيْتَ اللهَ تَعالَى أنْعَمَ على عَبْدٍ وهُو مُقِيْمٌ على مَعْصِيَتِه فَاعْلَمْ أنَّهُ مُسْتَدرَجٌ وَرَوَى عُقْبَةُ بنُ عامرٍ أنَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قالَ إذا رَأيْتَ اللهَ يُعْطِيْ العَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُو مُقِيْمٌ على مَعْصِيَتِهِ فإنَّما ذلكَ اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ تَلاَ ﴿ فَلَما نَسُوا مَا ذُكِرُوا به فتَحْنا عليهم أبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إذَا فَرِحُوا بمَا أوتُوا أَخَذناهُم بغْتَةً فاذا هم مُبْلِسُونَ ﴾ وَقال قتادةُ ما أخذَ اللهُ قَوْماً إلاّ عِنْدَ سَكَرِتِهِم وغِرّتِهِم ، ونِعْمَتِهِم ، فلا تَغْتَرُّوا باللهِ ، فإنَّهُ لا يَغترُّ بالله إلا القَومُ الفاسِقُونَ .

١٩ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللهِ لَقَدْ تَوعَّدَ اللهُ الذِيْنَ يُخَالِفُونَ أمْرَهُ وَيَنْصرِفُوْنَ عَنْ ذِكرِهْ وَيَجْتَرِؤُنَ على مَعَاصِيْهِ بشَدِيْدِ غَضَبِهِ وَعَظِيْم سَخَطِهِ وَحَذّرَهُمْ بأسَهُ وَانْتِقَامَهُ فمَا بَالُ كَثيْرٍ مِنْ النَّاسِ بَعْدَ القُرُوْنِ الأُولى عَمَدُوا إلى مَحَارِمِ اللّهِ فارْتَكَبُوهَا وَمَأمُوْراتِهِ فَاجْتَنَبُوهَا ثُمَّ عَادُوا بمُرِّ الشَّكْوَى مِنْ تَغَيُّرِ الأحْوَالِ

وَانْتِزَاعِ البَرَكَةِ مِنْ الأَرْزَاقِ والأمْوالِ .

أَحَسِبْتَ أنَّكَ يَا ابْنَ آدمَ تُهْمَلُ وَتُتْرَكُ فَلا تُعاقَبْ ، وَتَظْلِمُ وَتَتَقَلَّبُ في النَّعِيْمِ كَيْفَ شِئْتَ وَلا تُحاسَبْ أنَسِيْتَ قَوْلَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسَلم « إنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » كُلُّ هَذا مِنْ جَهَالَتِكَ وَانْطِمَاسِ بَصِيْرَتِكَ وَلكِنْ اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَسيرى اللهُ عَملكَ ثُمَّ تَرُدُّ إلَيْهِ وَيُجازِيْكَ بِما تَسْتَحِقُّ ، جَهِلْتَ في حَالِ النَّعِيْمِ وَكانَ الواجِبُ عَلَيْكَ أنْ تَتعرَّفَ إلىَ اللّهِ في الرَّخاءِ لِيَعْرِفَكَ في الشِّدَّةِ ، وَلكِنْ لَمْ تَفْعَلْ ، وَأصْبَحتْ بَعْدَ زَوَالِهَا مِنْكَ تَشْكُوْ لِمَنْ ؟ تَشْكُوْ لِمَنْ عَصَيْتَهُ بالأمْسِ تَشْكَو لِمَنْ خَالَفْتَ أوَامِرَهُ وَفعَلْتَ نَواهِيْهِ مَعَ عِلْمِكَ إنَّهُ المُنْتَقِمُ الجَبَّارُ تَشْكُوْ لِمَنْ حارَبْتَهُ بالمعَاصِيْ المُتَنَوِّعَةِ وَقَدْ أسْبَغَ عَلَيْكَ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنة وَلَو شَاءَ لَمَنعَها عَنْكَ لإِنَهُ الفعَّالُ لِمَا يُرْيدُ تَشْكُو لِمَنْ تَأكُلُ نِعَمهُ في أرْضِهِ مُسْتَعِيْناً بهَا على مَعَاصِيْهِ ألَيْسَ عَمَلُكَ هَذا في مُنْتَهَى اللاَّمَةِ وَالخَسَاسةِ يُمِدُّكَ بالنِّعَم وَتبارِزُهُ بالمعـاصِيْ ، ألَكَ صَبْـرٌ عَلَى جَهَنَّمَ وَزَمْهرِيْرهَا ، ألَكَ طَاقةٌ بالوَيْلِ والغَسَّاقِ وَالزَّقُّومِ وَالحَمِيْمِ وَالضَّرِيْعِ ، عِبَادَ اللهِ هَذا الذي نحنُ فيه مِنْ الانْهُمَاكِ في الدنيا وقَتْلِ كلِّ الوَقْتِ في جَمْعِهَا وَالابْتِعَادِ عَنْ الآخِرَةِ وَانْتِشَارِ المَعاصِيْ بسُرْعَةٍ هَائِلَةٍ مَا هُوَ والله إلاّ بِمَا كَسَبَتْ أيْدِيْنَا، قَالَ تَعَالى﴿ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرِّ وَالبَحْرِ ، بمَا كَسَبَتْ أيْـدِيْ النَّاسِ﴾ الآيَـةِ . عِبَـادَ الله إنَّ غَـلاء الأسْعَـارِ ، وانْتِشَـارَ الأمْرَاضِ ، ومَا رَأيْتُم مِنْ الفِتَنِ وَالتَّعْقِيـدِ في المُمْتَلَكَاتِ وَالتَّقـاطُعِ وَالعُقوقَ ، مَا هُوَ واللهِ إلاّ جَزاءُ عَمَلِنَا وَمَا هُوَ إلاَّ قَلِيْلٌ مِنْ كَثِيْرٍ فَقَدْ تَمادَيْنا في المَعَاصِي وَاللهُ يغَارُ عَلَى أوَامِرِهِ أنْ تُجتَنَبْ ومَحَارِمِهِ أنْ تُرْتَكَبْ قَالَ صلىَّ اللهُ عليه وسلم « لا أحَدَ أغْيَرُ مِنْ الله » الحَدِيْث .

اللّهُمَّ تَوفّنَا مُسْلِمِيْنَ وألْحِقْنَا بِعِبادِكَ الصَّالِحِيْنَ الّذيْنَ لاَ خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون وَاغْفِرْ لَنا وَلِوَالِديْنَا وجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلّى اللّهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٢٠ « مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللّهِ مَا لِلأَلْسُنِ عَنْ شُكْرِ نِعَمْ اللّهِ المُتَتالِيَةِ قَاصِرَةٌ ، وَمَا لِلعُيُونِ إلى زهْـرَةِ الحَيَاةِ الـدُّنْيَا الفَـانِيَةِ نَاظِـرَةٌ ، وَمَا للأَقْدَامِ عَنْ طَرِيْقِ الهِدَايَةِ الـوَاضِحَـةِ حَائِـرَةٌ وَمـا لِلعَـزَائِمِ وَالهِمَمِ عَنْ العَمَلِ الصَّالِحِ فَاتِرَةٌ وَمَا لِلنُّفُوسِ لا تَتَزَوَّدُ مِنْ التَّقْوى وَهِيَ مُسَافِرَةٌ وَمالَها لا تَتَأَهَّبُ وَتَسْتَعِدُّ لِلنُّقلةِ إلىَ الـدَّارِ الآخِرَةِ ، أَرُكُوناً إلى الدُّنْيَا وقَدْ فَرَّقَتْ الجُمُوع وَكَسَرتْ أَعْنَاقَ الأَكاسِرَةِ وَقَصَّرَتْ آمَالَ القَيَاصِرَةِ وَأَدَارَتْ عَلى أَهْلِهَا مِنْ تَقَلُّبِهَا الدَّائِرَةَ أَمْ اغْتَرَاراً بالاقامَةِ ، وَمَطَايَا الأَيَّامِ بكمْ فِي كلِّ لَحْظَةٍ سَائِرَةٍ أَمْ تَسْوِيْفاً بِالتَّوبَةِ وَالأَعْمَالِ فَهذَه واللَّهِ الفِكْرَةُ والصَّفقَةُ الخاسِرَةُ لقَدْ رَانَتْ عَلى القُلُوبِ قَبائِحُ الأَعْمَالِ ، وَضَرَبَتْ عَلَيْهَا وَعَلى المَسامِعِ مِنْ الذُّنُوبِ أَقْفَالٌ فيا خَجْلَةَ مَنْ سُئِلَ فَعَدِمَ الجَوابَ أَوْ بجَوابٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ أَلِيْمَ العَذاب ويا حَسْرَةَ مَنْ نُوْقِشَ عنْ الدّقِيْقِ وَالجَلِيْلِ فِي الآخِرَةِ الحِسَابَ ، وَيا نَدَامَةَ مَنْ لَمْ يَحْصُلْ إلاّ عَلَى الغَضَبِ مِنْ الكَرِيْمِ الوَهّاب ويَا خَيْبَةَ مَنْ مَآلُهُ إلىَ نَار تَلْتَهِبُ إلى إحْرَاقِهِ التِهابَا ، فَمَتى تُقْبِلُونَ عَلى اللّهِ بقُلوبٍ صَادِقَةٍ لا تَنْتَهُونَ مِنْ مُفَارَقَةِ الذنُوبِ بَعْزَمةٍ صَادِقةٍ ، لا فِي الصَّادِقِيْنَ تَيَقَّنُونَ أَنَّهُ ثابتٌ لَكُمْ قَدَمٌ ، وَلا فِي التَّائِبِيْنَ صَحَّتْ لكمُ تَوْبَةٌ وَاقْلاعٌ وَعَزْمٌ وَنَدَمٌ . ولا عِنْدَ تِلاَوَةِ كِتابِ اللّهِ تَقْشَعِرُّ مِنْكُمُ الجُلُودُ وَلا عِنْدَ سَمَاعِ المَوَاعِظِ تَرِقُّ مِنْكُم القُلُوبُ ، التي هِيَ

أقسَى من الجُلْمُودِ فبماذَا ترْجُون لَحاقَ السُّعَدَاءِ وكَيْفَ تطمعُونَ في الفوْزِ وَالنّجاةِ مَعَهُم غَداً وأَنْتُم تُتْبِعُونَ الخطايَا بالخَطَايا وتُبارِزُونَ .

اللَّهَ بهَا في البُكْر والعشيا ، فَيَا حَسْرَةَ نُفُوس أطْمَأنَّتْ إلى الدُّنْيَا دَار الغُرور ، ويَا خَرَابَ قُلُوبٍ عُمِرَتْ بَأَمَانيّ كُلُّهَا بَاطِلٌ وزُوْر ، ويَا نَفَاذَ أعْمَارٍ يَنْقصُ مِنْهَا كلَّ يَوْمٍ وَسَاعَةٍ وَلا يُزَادُ وَيَا خَيْبَةً مُسَافِرٍ يَسِيْرُ السَّيْرَ السَّرِيْعَ وَهُوَ بلا زَادٍ ، فَالبِدَارَ البدَارَ عِبَادَ اللَّه بالتَّوْبَةِ البدَارَ والغَنِيْمَةَ الغَنِيْمَة قَبْلَ خُرُوْجِ وَقْتْ الاخْتِيَارِ ، وإتيان وَقْتٍ لا تُقَالُ فِيْهِ العِثَارِ :

نَسيرُ إلىَ الأجَالِ في كُل لَحْظَةٍ   وأَيَّامُنا تُطْوَى وَهُنَّ مَرَاحِلُ
ولم نَرَ مِثْلَ المَوت حَقاً كَأَنَّهُ   إذَا مَا تَخَطَّتْهُ الأَمَانِيُ بَاطِلُ
تَرَحَّلْ مِن الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ التُقَى   فَعُمْرُكَ أيَّامٌ تُعَدُّ قَلائِلُ

اللهم يا حيٌّ ويا قيوُّم فَرِّغْنَا لما خَلَقْتَنَا له ، ولا تُشْغِلْنَا بما تَكَفَّلْتَ لنا به ، واجعلنا مِمَّن يُؤمِنُ بلقَائِك ، ويَرْضَى بقَضَائِك ، ويقنعُ بعطائك ، ويخشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِك .

اللهم اجْعَلْ رِزْقَنَا رَغَدَا ، ولا تشمِتْ بنَا أَحَدَا .

اللهم رَغِّبْنَا فيما يبقى ، وزهدنا فيما يَفْنى ، وهب لنا اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه ، ولا يُعَوَّلُ في الدين إلا عليه .

اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام ومُلْكِكَ الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفينا شر ما أهمنا وما لا نهتم به وأن تعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

٢١ « موعظة »

عِبَادَ اللهِ إنَّ لَكُمْ بأبْدَانِكُم عِنَايَةٌ عَظِيْمَةٌ لا تُسَامِيْهَا العِنَايَاتُ بَلْ كُلَ حَيَاتِكُم ذَاهِبَةٌ فِيْمَا تَبْذِلُونَهُ لِخِدْمَةِ هَذَا البَدَنِ مِنْ مَجْهُودَاتِ ألَيْس لَيْلُكُم وَنَهارُكُم في كَدٍّ مُدِيْمٍ لِجَمْعِ الأمْوَالِ وهَلْ كلُّ تِلْكَ الأمْوَالِ إلا وَسِيْلَةٌ تَصِلُونَ بِهَا مَا لِهَذَا البَدَنِ مِنْ مَلْذُوْذَاتٍ .

لا بَأْسَ بالاعْتِنَاءِ بالبَدَنِ لَكِنْ بدُوْنِ هَذَا الافْرَاطِ الَّذِيْ لَا يَرْتَضِيْهِ العَاقِلُ اللَّبِيْبُ لِأنَّ البَدَنَ مَهْمَا أكْرِمَ مَآلُهُ إلَى التُّرَابِ تَتَمَتَّعُ بِلَذِيْذِ لَحْمِهِ الدِيْدَانُ والذي يَنْبَغِي أنْ تَهْتَمَّ بِهِ وتَصْرِفَ عِنَايَتَكَ بِهِ نَفْسَكَ قَبْلَ جِسْمِكَ الَّتِيْ أنْتَ بِهَا مِن صَفْوَةِ هَذا العَالَمِ وعَلَى العِنَايَةِ بِهَا تَتَوَقَّفُ سَعَادَتُكَ في هَذِهِ الحَيَاةِ وَبَعْدَ المَمَاتِ .

ولِهَذِهِ النَّفْسُ غِذَاءٌ وَلَعَلَّكَ تَوَدُّ أنْ تَعْرِفَهُ وهُوَ جَدِيْرٌ بالإعْتِنَاءِ مِنْكَ والتَقْدِيْرِ والجِدّ لَهُ والتَّشْمِير لأنَّ مَنْفَعَتَهُ دُنْياً وأُخْرَى ولا نِسْبَةَ بَيْنَهَا وبَيْنَ مَنْفَعَةِ هَذِهِ الأبْدَانِ .

ذَلِكَ الغِذَاءُ أوِ القُوْتُ هُوَ أنْوَاعُ الطَّاعَاتِ كاخْلَاصِ الأعْمَالِ للهِ والذِكْرِ لَهُ والشُكْرِ لَهُ وَمَحَبَّتِهِ وتَعْظِيْمِهِ والقِيَامِ التَّامِ بأرْكَانِ الاسلامِ الشَّهَادَتَيْنِ وَالصلاةِ والزَّكَاةِ والصِيَامِ والحَجِ وسَائِرِ البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وأنْوَاعِ العُلُومِ والمَعَارِفِ أوْحَاهَا اللهُ وأوْدَعَهَا هَذِهِ المَصْنُوعَاتِ .

والاعْتِنَاءِ بمكَارِمِ الأخلاقِ ومَحَاسِنِ الشِيَمِ وما إلى ذَلِكَ مِن أنْوَاعِ القُرُبَاتِ والذي يَظْهَرُ لَنَا مِن حَالِكَ وسِيْرَتِكَ أنَّكَ في شُغْلٍ شَاغِلٍ عن الإقْبَالِ عَلَى النَّفْسِ وَتَغْذِيَتِهَا بِمَا قُلْنَا مِن أنْوَاعِ الطَّاعَاتِ ذَلِكَ أنَّ قَلْبَكَ مُتعَلِّقٌ بتَحْصِيْلِ غِذَاءِ الجِسْمِ والاعْتِنَاءِ بِهِ فَهُوَ الذِي نَصْبَ عَيْنَيْكَ .

ولِذَلِكَ تَشِبُّ وتَشِيْبُ وتَمُوْتُ وأَنْتَ جَاهِلٌ بِضَرُوْرِيَاتِ الدِيْنِ الإِسْلاَمِي ورُبَّمَا مَرَّ عَلَيْكَ مُدَّةٌ طَوِيْلَةٌ بِدُوْنِ أَنْ تَتَفَكَّرَ بِنِعَمِ اللهِ وتَذْكُرَهُ بِلِسَانِكَ وتَشْكُرَهُ عَلَى مَا أَوْلاَكَ وكَذَلِكَ الآخِرَةَ رُبَّمَا أَنَّهَا تَمْضِيْ المُدَّةُ لا تَذْكُرُهَا ولا تَسْتَعِدُّ لَهَا .

وكَمَا أَنَّ لِلأَبْدَانِ أَمْرَاضٌ كَثِيْرَةٌ فَلِنَّفْسِ أَمْرَاضٌ أَكْثَرُ وأَعْظَمُ وأَخْطَرُ وتِلْكَ الأَمْرَاضُ هِيَ السَّيِئآتِ التِيْ مَن وُقِيَهَا رُحِمَ قال اللهُ تعالى « ومَن تَقِ السَّيئآتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيْم » .

وكذلكَ مِن أَمْرَاضِ النَّفْسِ رَذَائِلُ الأَخْلاَقِ والجَهْلُ بالشَّرْعِ الحَكِيمِ ولِهذه الأَمْرَاضِ دَوَاءٌ نافعٌ بإِذنِ اللهِ أَنْ تَتُوْبَ تَوْبَةً نَصُوْحاً إلى اللهِ وتَتَخَلَّقَ بِضِدِّ الفِعْلِ أوِ الخُلُقِ الذَّمِيْمِ فهَلْ لَكَ شَوْقٌ إلى هَذا الدَّوَاءِ الشَّافِي بإِذْنِ اللهِ كَمَا أَنَّكَ تَشْتَاقُ بَلْ تُهَرْوِلُ وتُسْرِعُ إلى طَبِيْبِ الأَبْدَانِ وَمَعَكَ مَا مَعَكَ مِن المَالِ إذَا أَحْسَسْتَ بِمَرَضٍ في بَدَنِكَ وانْ لَمْ تَجِدْ في بِلَادِكَ ذَهَبْتَ تَطْلُبُ الشِّفَاءَ ولَو فِي بلادِ الحُرِّيَةِ والكُفْرِ مُحَكِّمَة القَوانِيْن أعداءَ اللهِ ورَسُوْلِهِ والمؤمِنِيْن .

أَمَّا بَدِيْعُ السَّموَاتِ والأَرْضِ فلا أَرَاكَ تَلْتَجِي لَهُ إلا عِنْدَ الشَّدَائِدِ وهذا وَاللهِ قَبِيْحٌ مِمَّنْ يَدِيْنُ بِدِيْنِ الاسلامِ ويُؤْمِنُ بالبَعْثِ والنُّشُوْرِ ، فالتَفِتْ يَا أَخِيْ لِنَفْسِكَ وَذَكِّرْهَا بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْكَ لِتَتَمَكَّنَ مَحَبَّتُهُ مِنها واقْبِل عَلَيْهَا وَعَوِّدْهَا على الآدابِ الشَّرْعِيَّةِ .

شعراً :

لِلَّـهِ قـومٌ أَخْلَصُـوْا فـي حُبِّـهِ ... فكَسَـا وجُـوهَهُـمُ الوَسِـيْمَةَ نُـوْرَا
ذكَـرُوْا النَّعِـيْمَ فَطَلَّقُوْا دُنْيَاهُمُوْا ... زُهْـدًا فَعَـوضَهُـمْ بـذَاكَ أُجُـوْرَا

قامُوْا يُنَاجُوْنَ الإِلَهَ بأدْمُعٍ تَجْري فَتَحْكِيْ لُؤلُؤاً مَنْثُورًا
سَتَرُوْا وُجُوهَهُمْوْا بأسْتَارِ الدُّجَى لَيْلاً فأَضْحَتْ في النهار بُدُوْرَا
عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوْا وَجَادُوْا بالذي وَجَدُوا فأَصْبَحَ حَظهُم موفُورَا
وإِذَا بَدَا لَيْلٌ سَمِعْتَ حَنِيْنَهُمْ وشَهَدْتَ وجْدًا مِنْهُمُوْا وزَفِيْرَا
تَعِبُوْا قَلِيْلاً في رضَا مَحْبُوبِهِمْ فأراحَهُمْ يَوْم اللِّقَاءِ كَثِيْرَا
صَبَرُوا على بَلْوَاهُمُوا فجَزَاهُمُوْا يَوْمَ القِيَامَةِ جَنَّةً وحَرِيْرَا
يَا أَيُّهَا الغِرُّ الحَزِيْنُ إلى مَتَى تُفْنِي زَمَانَكَ بَاطِلاً وغُرُوْرَا
بَادِرْ زَمَانَكَ واغْتَنِمْ سَاعَاتِهِ واحْذَرْ تَوَانَاكَيْ تَحُوْزَ أُجُوْرَا
واضْرعْ إلى المَولى الكريم ونَادِهِ يا وَاحِدًا في مُلكِهِ وقَدِيْرَا
ما لِيْ سِوَاكَ وأنْتَ غَايَةُ مَقْصَدِي وإذَا رَضِيْتَ فَنِعْمَةٌ وسُرُوْرَا

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأَبْرار وأَسْكِنَّا مَعَهمُ في دارِ القرارَ ، اللَّهُمَّ وفقنا بحُسْن الاقبالِ عليك والإِصْغاءِ إليك ووَفِّقْنا لِلتّعاوُنِ في طَاعَتِكَ والمُبادرَةِ إلى خِدْمَتِكَ وحُسْنِ الآداب في مُعَامَلَتِكَ والتّسليم لأَمْرِك والرِّضا بقَضَائِكَ والصَّبْرِ عَلى بَلائِك والشّكْرِ لِنَعْمَائِكَ ، واغفرَ لَنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتِكَ يا أرْحَمَ الراحمين وصلى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ أجمعين .

٢٢ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللهِ طَلَبُ الرِّزْقِ الحَلاَلِ فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَالْتَمِسْ الرِّزْقَ أَيُّهَا المُسْلِمُ مِنْ حِلِّهِ وَإِيَّاكَ وَمَا نَهَاكَ اللهُ عَنْهُ وَحَرَّمَهُ فَمَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيْلٌ ؛ أَيُّهَا المُسْلِمُ إِنَّ جَمْعَكَ لِلْمَالِ مِنْ حِلِّهِ عِبَادَةٌ إِذَا كُنْتَ تُرِيْدُ بِهِ إِعْفَافَ نَفْسِكَ ، وَالقِيَامَ بِمَا أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ مِنْ الحُقُوْقِ ، واحْذَرْ مِنْ تَرْكِ العَمَلِ ، وَافْعَلْ الأَسْبَابَ التِيْ بِهَا يَحْصُلُ الرِّزْقَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، واعْلَمْ

أَنَّ مَنْ تَرَكَ العَمَلَ وَغلَبَ عَلَيْهِ الكَسَلُ حَتَّى صَارَ كَلاًّ عَلَى الخَلْقِ يَعُدُّهُ أَهْلُهُ ثُقْلاً وَيَرَاهُ صَاحِبُهُ بَغِيْضاً ، وَلاَ يَلْقَاهُ أَحَدٌ إلاَّ وَكَرِهَ لُقْيَاهُ قَالَ تَعَالَى حَاثاً عَلَى طَلَبِ الرِّزْقِ ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلاةُ فانْتَشِرُوا في الأَرْضِ وابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيْهُم تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ والمُؤْمِنُ المُحْتَرِفُ الكَسُوْبُ الذِيْ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ مُكْرَمٌ مَحْبُوبٌ مُحْتَرَمٌ ، عِنْدَ أَهْلِهِ ، وَالأَوْلاَدُ ، وَكَانَ نُوْحٌ وَدَاوُدُ يَحْتَرِفَانِ التِّجَارَةَ وَمُحَمَّدٌ صَلى اللهُ عليه وَسَلَّمَ رَعَى الغَنَمَ ، وَمُوْسَى كَانَ أَجِيْراً عِنْدَ صَاحِبِ مَدْيَنَ وَكَانَ ادْرِيْسُ خَيَاطاً ، وَمَا أَبْعَدَ هَذِهِ الأَعْمَالِ الشَّرِيْفَةِ عَنْ الكَسَلِ وَالبَطَالَةِ وَكَانَ السَّلْفُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عُمَّالاً مُكْتَسِبِيْنَ ، فَكُلُّهُمْ مَا بَيْنَ غَنِيّ شَرِيْفٍ وَفَقِيْرٍ شَرِيْفٍ عَفِيْفٍ ، لاَ تَشْغَلُهُمْ الدُّنْيَا عَنْ الآخِرَةِ وَلا يَمْنَعُهُمْ الدِّيْنُ عَنْ طَلَبِ الكَسْبِ ، وَالقِيَامِ بالوَاجِبَاتِ ، وَهُمْ مَعَ هَذَا مِنْ أَقْوَى النَّاسِ تَوَكُّلاً عَلَى اللَّهِ وَرِضىً بِمَا قَدَّرَ اللَّهُ وَقَضَاهُ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لا تَضُرُّهُ المَعْصِيةُ ولا تَنْفعُهُ الطاعَةُ أَيقظْنَا مِنْ نَومِ الغَفلةِ وَنَبِّهنَا لاغْتِنَامِ اوقاتِ المهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا واعْصِمْنَا من قَبَائِحِنَا ولا تؤاخِذْنَا بما انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمائِرُنَا واكَتَّمْهُ سَرائِرُنَا مِنْ أنواعِ القَبَائِحِ والمَعائِبِ التي تَعْلَمُهَا مِنا ، وامنُنْ عَلَيْنَا يا مَولانَا بتوبةٍ تَمحُو بهَا عَنَا كُلَ ذَنْبٍ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْياءِ منْهم والميتيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلى اللهُ عَلَى محمدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أجمعيْنَ .

٢٣ « مَـوْعِظَـةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ لِلْعِلْم الدِيْنِيْ آثارٌ جَلِيْلَةٌ كَمْ جَلَّ بِهَا رَجُلٌ حَقِيْرٌ وَكُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ أَعْلَمَ بالعِلْمِ الدِيْنِي كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وعندَ العُقلاءِ جَلِيْلٌ مَضَى

السَّلفُ الصَّالِحُ الذِيْنَ يَطِيْبُ المَجْلِسُ بِذِكْرِهِمْ لِقَدْرِهِمُ المُنْقَطِعِ النَّظِيْرِ كأنوارِ رِجَالاً مِثْلَنَا وَلَكِنْ بِبَرَكَاتِ مَا وَهَبَهُمْ مَوْلاَهُمْ مِن العِلْمِ الدِيْنِي وَآثَارِهِ الجَلِيْلَةِ كَانُوا خَيْرَ الناسِ بَعْدَ النَّبِيِّيْنَ كانُوْا أَغْنَى العَالَمِ لأَنَّهُمْ رَضُوْا بِقِسْمَةِ مَوْلاَنا الحَكِيم الخَبِيْرِ وكانُوا أَشْجَعَ الناسِ لأَنَّهُم عَلِمُوْا أَنَّ الأَجلَ لا يُطِيْلَهُ الجُبْنُ الذَّمِيْمُ فَكَمْ مِن قَتْلَةٍ قُرِنَتْ بالجُبْنِ كَمَا قِيْلَ :

كَمْ مَخْلَصٍ وَعُلاً في خَوْضِ مَهْلَكَةٍ
وَقَتْلَةٍ قُرِنَتْ بالذَّمِ في الجُبُنِ

وكانُوا في الحِلْمِ والعَقْلِ كالجبَالِ الرَّوَاسِيْ وكانُوا مَحَطَّ رِحَالِ الجُوْدِ والكرمِ لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أنَّ البَخِيْلَ بَعِيْدٌ مِن اللَّهِ بَعِيدٌ مِن الناسِ وانَّ الذِي يَرْضَى بالبُخْلِ وَيَحُثُّ عَلَيْهِ ابْلِيْسُ لَعَنَهُ اللَّهُ وكانُوا يَسْتَقْبِلُونَ البَلاَيَا مَهْمَا قَسَتْ بالصَّبْرِ الجَمِيْلِ لِعِلْمِهِم أَنَّها تَصَرُّفُ الحَكِيْمِ الخَبِيْرِ وكانُوا يَسْتَقْبِلُونَ النِعَمَ بالحَمْدِ والشُكْرِ لِجَزْمِهِمْ أنها لِلَّهِ وَمِن اللَّهِ وَأَنَّهُ يَزِيْدُ الشَّاكِرِيْنَ وَيَرْضَى عن الحَامِدِيْن وكانُوا أَبْعَدَ الناسِ عن الشَّرِ ولا يُحِبُّوْنَ أَهْلَهُ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ يُغْضِبُ اللَّهَ وكانُوا يُحِبُونَ الخَيْرَ لإِخْوَانِهِمْ المسْلِمِيْنَ وكانُوا لا يُضْمِرُوْنَ حَسَداً ولا شَراً لأحدٍ مِن اخْوَانِهِمْ المُؤْمِنِين لِعِلْمِهِمْ أَنَّ اللَّهَ يُحِيْطُ عِلْماً بِمَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُونَ وَكانُوا إذا قالوا أَوْ فَعَلُوا يَتَحَرَّوْنَ ما يُرْضِيْ اللَّهَ تعالى فِيْمَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ وكَانُوا لاَ يَشْهَدُوْنَ المنكر والزُوْرَ بَلْ يُنْكِرُوْنَ عَلَى مَنْ يَحْضُرُوْنَ وَكَانُوْا يَحُنُّوْنَ إِلى مَجَالِسِ الذِكْرِ حَنِيْنَ الإِلْفِ فارَقَهُ الإِلفُ وهَكَذَا كانُوْا إذا أَرَادُوْا أَنْ يَتَحَرَّكُوا أَوْ يَسْكُنُوْا باسْتِشَارَةِ العِلْمِ الدِيْنِيْ يَتَحَرَّكُوْنَ وَيَسْكُنُوْن لِهَذا كَانُوا لِلْيَوْمِ مَوْضِعَ اعْجَابِ الشَّرْقِ والغَرْبِ وَنَالُوا فَوْقَ هَذَا رِضَى رَبِّ العَالَمِين هَكَذا كانُوْا بِبَرَكاتِ ما وَهَبَهُمْ اللَّهُ مِن العِلْمِ الدِيْنِيْ أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ كُنَّا مَوْضِعَ إِعْجَابٍ مِن نَاحِيَةٍ أَنَّ هَدَفَنَا

في التّعْلِيْمِ هُوَ الحُطَامُ الفَانِي لا غَيْرُ لِهَذَا كانَ الوَاحِدُ مِنَّا إذَا رَسَبَ يَكَادُ يَنْتَحِرُ وَيَقُولُ فَاتَ عَلَيَّ سَنَةٌ مَحْصُولُ رَوَاتِبِهَا لاَ يَقِلُ عَن خَمْسَةِ آلافٍ وَلَوْ كَانَ قَصْدُهُ العِلْمَ بِمَا جَهِلَهُ وَتَوْجِيْهَ عِبَادَ اللَّهِ عِنْدَمَا يَنْجَحُ كانَ عِنْدَه يَتَسَاوَى السُّرْعَةُ والبُطْءُ لِأَجْلِ أَنْ يَمْهَرَ في المَعْلُومَاتِ لِهَذَا القَصْدِ مَاتَتَ الفَضَائِلُ وانْتُزِعَتْ بَرَكَةُ العِلْمِ وفُقِدَتْ هَيْبَةُ العَالِمِ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ وَصَارَ كُلُّ يُفْتِيْ وَكُلُّ يُرَشِّحُ نَفْسَه لِلْفُتْيَا فَوْراً وَلَكِنَّ النَّاسَ الوَرِعِيْنَ لاَ يَطْمَئِنُوْنَ إلَّا إلى النَّوادِرِ مِمَّنْ يُوْثَقُ بِدِيْنِهِمْ وَأَمانَتِهِمْ وَيَتْرُكُونَ المُرَائِيْنَ والمُحِبِّيْنَ لِلظُّهُوْرِ والشُّهْرَةِ الذين ضَاعُوا وضَيَّعُوا عِبادَ اللهِ .

وَخِتَاماً فَلَوْ أَنَّنَا أَحْيَيْنَا طَرِيْقَةَ سَلَفِنَا في العِلْمِ المُطَابِقِ لِلْعَمَلِ لأَصْبَحْنَا وَقَدْ أَحْيَيْنَا عِزَّهُمْ وَشَرَفَهُمْ الدَّفِيْنَ رَحْمَةُ اللَّهِ على تِلْكَ الأَرْوَاحِ العَامِلَةِ بِمَا عَلِمَتْ .

إذَا أَنْتَ لَمْ تَبْكِ العُلُومَ وَأهلَهَا
وَقَدْ غَيَّبْتَهَا في التُّرَابِ لُحُوْدُ

فَأَنْتَ بَهِيْمِيُّ الطِّبَاعِ وَإنَّما
قُصَارَاكَ ثَوْبٌ نَاعِمٌ وَثَرِيْدُ

سَتَبْكِيْ العُلاَ قَوْماً تَسَامَوْا لِنَيْلِهَا
كَأَنَّ لَهُمْ دَمْعَ العُيُونِ هُجُودُ

يُعِيْدُوْنَ مِنْهَا مَا تَعفَّتْ رُسُوْمُهُ
فَتُضْحِيْ عَلَيْهَا لِلْفِخَارِ بُرُوْدُ

كَفَى غُرْبَةً لِلدِّيْنِ هَذَا الذِيْ نَرَى
فَلَيْسَ عَلَى ذَا الاغْتِرَابِ مَزِيْدُ

اللهُمَّ يَا مُثَبِّتَ القُلُوب ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَوَفِّقْنَا لِمَحَبَّةِ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضِ أَعْدَائِكَ وَيَسِّرْنَا لليُسْرَى وَجَنِّبْنَا العُسْرَى وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وبكتَابكَ وبرُسُلِكَ مُقْتَدِيْنَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْع المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وَصحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٢٤ « موعظـــة »

عِبَادَ اللّهِ نَحْنُ فِي عَصْرٍ بَارَكَ اللّهُ فِيْهِ بَرَكَةً عَمَّتِ المَشَارِقَ والمَغَارِبَ وَكُلَّ مَا للأَرْضِ مِنْ أَنْحَاءَ مِمَّا نَعْلَمُهُ وَجَّهَ بِقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ أَفْكَارَ بَنِي آدَمَ إِلى مَا أَوْدَعَهُ فِي خَلْقِهِ مِن أَسْرَارٍ تَفُوْتُ الاحْصَاءَ وَيَسَّرَ لَهُمْ السَّبِيْلَ فَوَصِلُوا مِنْ التَّرَاقِيْ فِي الاخْتِرَاعِ والاطّلاعِ إلى مَا يُدْهِشُ الأَفْكارَ وتَزْدَادُ بِهِ عَقِيْدَةُ المُؤْمِنِ قُوَّةً فَلا يَعْتَرِيْهِ أَدْنَى شَكٍّ فِي مَا أَخْبَرَ اللّهُ بِهِ وَرَسُولُه .

أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا كُلُّها كَأَنَّهَا بَيْتٌ وَاحِدٌ يُكَلِّمُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً مَعَ بُعْدِ المَسَافَةِ وَيُسَافِرُوْنَ بَرّاً وَبَحْراً فَيَقْطَعُوْنَ بِالمَرَاكِبِ البَرِيَّةِ والبَحْرِيَّةِ فِي مُدَّةٍ يَسِيْرَةٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَى مُدَّةٍ طَوِيْلَةٍ فِيْمَا مَضَى وَتَنْقُلُ تِلْكَ المَرَاكِبُ الّتِي خَلَقَهَا اللّهُ لَنَا مِنَ الأَثْقَالِ بِقُوَّةٍ وسُرْعَةٍ تَقِفُ أَمَامَهَا الأَلبَابُ حَائِرَاتٍ بَلْ لَوْ أَرَادُوْا مُسَابَقَةَ الطّيْرِ فِي السَّمَاءِ لَسَبَقُوْهُ بِالطّائِرَاتِ .

فَسُبْحَانَ مَنْ أَرْشَدَ عِبَادَهُ إِلَى صُنْعِ هَذِهِ المُخْتَرَعَاتِ قَالَ تَعَالَى « واللّهُ أخرجَكُم مِن بُطُوْنِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُوْنَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ والأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنْ » .

وانْظُر إِلَى الكَهْرَبَاءِ وَفَائِدَتِهِ العَظِيْمَةِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَقَدْ صَارَ اللَّيْلُ

بأنْوَارِهِ وكَأنَّهُ نَهارٌ وَمَا فِيْهِ مِنْ أسْبَابِ الرَّاحَةِ والمَنَافِعِ العَظِيْمَةِ الّتِي لَمْ تَحْصُلْ لِمَنْ قَبْلَنا أَلَيْسَ هَذا مِن أَعْظَم البَراهِيْنِ والأدِلّةِ عَلَى صِدْقِ مَا أَخْبَرَ اللّهُ بِهِ بِقَوْلِهِ « سَنُرِيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفاقِ وفي أَنْفُسِهِمْ حتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ » .

وَعَلَى صِدْقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ المَصْدُوْقُ مِنْ أَنَّ الزَّمَانَ يَتقَارَبُ وَهَا أَنْتَ لَا تَمْشِيْ شَرْقاً وَلاَ غَرْباً إلاّ وَأَنْت تَرى وَتَسْمَعُ مِنْ تِلْكَ الأَسْرَارِ مَا تَحارُ بِهِ الأَفْكَارُ فَنحْنُ اليَوْمَ نَتقَلَّبُ فِي كُلِّ أَحْوَالِنَا فِي نَعِيْمٍ لَمْ يَظْفَرْ بِهِ عَصْرٌ مِنَ الأَعْصَارِ حَتَّى إنَّكَ تَرى حَيَوانَ هَذَا العَصْرِ فِي رَاحَةٍ وإِكْرَامٍ لَمْ تَتمَتَّعْ بِهَا بَنُو العُصُورِ الْمَاضِيَاتِ إنَّ حَقّاً عَلَيْنَا إزاءَ كُلِّ هَذَا أنْ نَكُوْنَ أَسْبَقَ الأَجْيَالِ فِي مَيْدَانِ شُكْرِ اللّهِ لِيُبَرْهِنَ كُلٌّ مِنَّا أَنَّهُ يُحِسُّ وَيَشْعُرُ بِمَا اخْتَصَّهُ بِهِ مَوْلاَهُ أ ـ هـ .

ولكِنْ يَا لِلأَسَفِ لَمْ يَكُنْ مِنَّا شُكْرُ هَذِهِ النِّعَمِ وَاسْتِعْمَالُهَا فِي طَاعَةِ اللّهِ وَمَرَاضِيْهِ وَدَلِيْلُ ذَلِكَ مَا تَرَى وَتَسْمَعُ مِن المَعَاصِي والمُنْكَراتِ الّتِي تَكَادُ أَنْ تَبْكِي مِنْ فُشُوِّهَا وَازْدِيَادِهَا الجَمَادَاتُ .

فَيَا لَلَّهِ لِلْمُسْلِمِيْنَ إنَّهَا لَتَجْرَحُ قَلْبَ المُؤْمِنِ السَّالِمِ مِنْهَا جَرْحاً يُوْشِكُ أَنْ يُوْصِلَهُ إلى القَبْرِ اللّهُمَّ وَفِّقْ وُلاَتَنَا لإزالَة هَذِهِ المُنْكَراتِ وَلِتأْيِيْدِ الإسلام وَالمَسْلمين في جَميع الجِهَات وَوَفِّقْهُمْ لِلرِّفْق في رِعَايَاهم والنُّصْح لَهُم وَسدِّدَ خَطَايهَمْ وَلله أعلم وصَلَى الله عَلَى مُحمدٍ وَالِهِ وصَحبْهِ

٢٥ موعظة

عِبَادَ اللهِ انَّما حَرَّمَ اللهُ علَيْكُمْ الخَمْرَ ، لِمَا فِيْهِ مِنْ الأَضْـرَارِ وَالأَخْطَارِ ، وَمَا مَنعَكُمْ مِنْ شُرْبهَا إلا لما يَنْشَأُ عَنْ ذَلكَ مِنْ المفَاسِدِ والشُّرُوْرِ والأضرار، فشَارِبُ الخَمْرِ مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ نبيِّكُمْ مُحمَّد صَلى

اللهُ عليه وسلم ، وبَائِعُهَا ، وشَارِبُهَا ، وعَاصِرُهَا وَمُعْتَصِرُهَا ، وسَاقِيْهَا ، وحَامِلُهَا ، وَالمحَمْوُلَةِ إِلَيْهِ ، وَمُدْمِنُ شُرْبِهَا لَا يَدْخلُ الجَنَّةَ ، بَلْ يَدْخُلُ النَّارَ وَيُسْقى مِنْ طِيْنَةِ الخَبَالِ ، عَرقُ أَهْلَ النَّارِ ، وَوردَ أَنَّ مُدْمِنُ الخَمْرِ كَعابِدِ وَثَنٍ فَشَارِبُ الخَمْرِ مُفْسِدٌ لدِيْنِهِ ، وَمُفْسِدٌ لِجسْمِهِ ، وَصِحَتِهِ ، وَجَانٍ عَلَى نَفْسِهَ ، وعَلى أوْلَادِهِ ، وَأقَارِبِهِ ، وَأهْلِهِ وَجِيْرَانِهِ وَمُفرِّطٌ في مَالِهِ وَمُسْرِفٌ فِيْهِ وَعَابِثٌ بكَرامَتِهِ ، وَسَاعٍ إلىَ الشَّرِّ وَالَفَسَادِ بيَدِهِ ، وَرِجْلِهِ ، وَلِسَانِهِ ، وَصَائِلٌ ، خَبِيْثٌ ، عَلَى الأَخْلاَقِ وَالأدْيَانِ شَارِبُ الخَمْرِ عُضْوٌ مَسْمُومٌ في جِسْمِ مُواطِنِيْهِ ، إذَا لمْ يُبَادِرُوهُ بالعِلاج أو يَقطِعُوهُ أصابَهُم ضَررُهُ ، شَارِبُ الخَمْرِ يُزَيِّنُ الشَّرَّ وَيُحَسِّنُه ، لِبَنِيْهِ ، وبَنَاتِهِ ، وَأصْدِقَائِهِ وَيَدْعُوهُم بلسِانَ حالِه وَمَقالِهِ ، وَأنْتُم تَعْلَمُونَ أنَّ دَاعِيَ الفَسَادِ مُجَابٌ في كُلِّ زَمَانٍ ومَكَانٍ وأنْصَارُه بلا عَدٍّ وَلا حُسْبَان ، وَاذا دَبَّتْ الخَمْرُ في رَأسِ شَارِبهَا فَقَدَ شُعوره ، وَزنَى ، وَلاطَ ، أو لِيْطَ به ، وَجاء بأنْوَاعِ الفُحْشِ ، وَالفُجُورِ ، وَسَبَّ وَشَتَمَ ، وَقَذَفَ ، ولَعَنَ ، وَطَلَّقَ وَسَبَّ الدِّيْنَ وَالمُسْلِمْينَ ، بَلْ رُبَّما وَقع على أُمِّهِ ، أو بِنْتُهِ أو أُخْتِهِ أو عَلَى نِسَاءِ جيرانـه، أو عَلَى بهائِمِهِ ، وَرُبَّمَا كَفَر باللهِ وَارتْدَّ عنْ الاسْلام ، وَترَكَ الصَّلاةَ ، وأفْطَرَ في رَمَضَانَ ، وَسَبَّ القُرْآن ، وبالجُمْلَةِ أنَّ مَنْ تَعاطَى الخَمْرَ سَقطَ مِنْ شَاهِقِ مَجْدِه إلَى مُسْتَوَى الخَنَازِيْرَ، والقِرَدَةِ يُصَدِّقُ بهَذا مَنْ عَايَن شَارِبَ الخَمْرِ وَقَدْ اسْتَولَى عَلَيْهِ الشَّرابُ وَغَطَّى عَقْلَهُ فَترى مَنْ يَقُودُهُ مُتعَبُ ، يَجُرُّهُ كَما يَجُرُ الدَّابَّةَ الحَرُونْ بَلْ الدَّابَّةُ تَمْشِيْ أحْيَاناً هَادِئَةً إذَا جُرَّتْ لا تُتْعِبُ القَائِدَ دَائِماً ، وَأمَّا السَّكْرانُ فَيمِيْلُ بقَائِدِهِ هَكذا وَهَكَذَا ، حَتَّى يكَلِّفَهُ مَتاعِبَ عَظِيْمَةٍ ، وَالدَّابَّة إذَا رَأتْ حُفْرَةً امْتَنَعَتْ عَنْهَا وَتَباعَدتْ عَنْهَا ، أمَّا شَارِبُ الخَمْرِ فَتكُونُ الحُفْرَةُ أمَامَهُ ، وَيَسْقُطُ فِيْهَا ، وَالدَّابَّةُ رُبَّمَا دَافعَتْ عَنْ طعَامِهَا وَشَارِبُ الخَمْر تُسْلَبُ مِنْهُ النُّقودَ ، وَلا

يَحصُلُ مِنْهُ أدْنَى مُمَانعَةً ، وَمَعنَى هَذا أنَّ البَهِيْمَةَ أرْجَحُ وأحْسَنُ حَالاً مِنْهُ ، وَقَدْ قَالَ الخَبِيْرُ بأحْوَالِ شُرَّابِ الخَمْرِ ، مَنْ أرَادَ أنْ يَعْرِفَ قَدْرَ السِّكِّيْرَ ، فَلْيَنْظُرْ إلىَ قَهْقَهته ، وضَحِكِهِ ، وَالخَمَّارُ يُوَالِيْ الصَّفَعَاتِ عَلَى قَفَاهُ ، وَلْيَنْظُرْ رَقْصَهُ أَمَامَ البُزُوْر ، كأنَّهُ قِرْدٌ يُرَقِّصُهُ صَاحِبُه ، لِيَضْحَكَ مَنْ يَراهُ ، وَلْيَنْظُرْهُ وهُوَ يَجْرِيْ وَرَاءَ أُمِّهِ ، أو بنْتِهِ ، لِيَقْضِيْ مِنْهَا حَاجَتَـهُ ، وَمُنَاهُ ، وَلِيْنُظْرُه وَامْرَأتُهُ تَكْنِسُ مَلا بسَهُ ، وَتمْسحُهِا مِنْ الأوْسَاخِ ، التِيْ يَقْذِفُها عَلَى ثِيَابهِ ، وَالقاذُورَاتِ ، هَذا قَدْرُ شَارِبِ الخَمْرِ عندنَا ، أمّا عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فهُوَ كعابدِ وَثَنٍ مَلْعُونٌ ، نَسْألُ اللهَ جَلَّ وَعَلا أنْ يَعْصِمَنا وَاخوَاننا المسلِمْينَ منها ومَنْ سَائِر المعَاصِيْ وَأنْ يَلْطُفَ بِنَا ويُوَفِّقَنا لِمَا يُرْضِيْهِ عَنَّا وَيَغْفِرَ لنَا وَلوالِدَيْنا وَلِجَمْيعِ المُسْلِمْينَ بِرَحْمَتِـهِ أنهُ أرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ وصَلى اللهُ علىَ مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِيْنَ .

شِـعْراً :

نَـبْنِي وَنَجْـمَـعُ والآثـارُ تَـنْـدَرِسُ
وَنَـأْمَـلُ اللُّبْثَ والأعمـارُ تُخْـتَلَسُ
ذَا اللُّبِ فَكِّرْ فَمَا في العَيْشِ مِن طَمَعٍ
لا بُـدَّ مـا يَنْتَهِي أَمْـرٌ وَيَـنْعَـكِسُ
أَيْـنَ المُـلُوْكُ وَأَبْنَـاءُ الـمُلُوكِ وَمَـن
كانُوا إِذَا النَّاسُ قَامُـوا هَيْبَةً جَلَسُـوا
وَمَنْ سُيُـوفُهُم فـي كُـلِّ مُعْتَـرَكٍ
تُخْشَى وَدُوْنَهُم الحُجَّـابُ والحَـرَسُ
أَضْحَـوْا بِمَهْلَكَـةٍ في وَسْطِ مَعْـرَكَـةٍ
صَرْعَى وَصَارُوا بِبَطْنِ الأَرْضِ وانْطَمَسُوا

وَعَمُّهُم حَـدَثٌ وَضَـمَّهُـمْ جَـدَثٌ
بَاتُوا فَهُم جُثَثٌ في الرَّمْسِ قَدْ حُبِسُوا
كَأَنَّهُم قَطُّ مَا كَانُوا وَمَا خُلِقُوْا
وَمَاتَ ذِكْرُهم بَيْنَ الوَرَى وَنُسُوْا
واللَّهِ لَو عَايَنْتَ عَيْنَاكَ مَا صَنَعَتْ
أَيْدِي البِلَى بِهِمُوا والدُّودُ يَفْتَرِسُ
لَعَايَنْتَ مَنْظِراً تُشْجَى القُلُوبُ لَـهُ
وَأَبْصَرْتَ مُنْكَراً مِن دُوْنِه البَلَسُ
مِن أَوْجُهٍ نَاظِرَاتٍ حَارَ نَاظِرُهَا
في رَوْنَقِ الحُسْنِ مِنْهَا كَيْفَ يَنْطَمِسُ

(فصـــــل)

قال بعض العُلماء لَيْسَ في العَالَم مُنذْ كانَ إلى يَتَناهِى أحَدٌ يَسْتَحْسنُ الهَمَّ ولا يُريْدُ إلا طرحَهُ عن نفْسِهِ .

فلما اسْتَقَرَّ في نَفْسِي هذا العِلْمُ الرَّفِيعُ وانْكشَفَ لِيْ هذا السِرُّ العَجِيْب وأنارَ اللّٰهُ تعالى لِفِكْرِي هذا الكنز العظيم .

بَحَثْتُ عن سَبِيْل مُوْصِلَةٍ على الحَقِيْقَةِ إلى طَرْد الهَمِّ الذي هُو المطلوبُ النَفِيْس الذي اتفقَ جَمِيْعُ أنواع الإنسان الجاهل منهم والعَالِم والصالح والطالح على السَّعْي لَهُ فلم أجِدْ إلَّا التَّوجُهَ إلى الله عَزَّ وجَلَّ بالعَمَل للآخِرَة .

وإلَّا فإنَّما طَلَبَ المال طُلَّابُهَ ليَطْرُدُوا به هَمَّ الفَقْر عن أنْفُسِهم .

وإنما طَلَبَ الصِّيْتَ مَن طَلَبَهُ لِيَطْرُدَ به عن نَفْسِهِ هَمَّ الاسْتِعْلاءِ عليها .

وإنما طلَبَ العِلْمَ مَن طَلَبَهُ لِيَطْرُدَ به عن نَفْسِهِ هَمَّ الجهل .

وإنما هَشَّ إلى سَمَاع الأَخبارِ ومُحَادَثةِ الناس من يَطْلُبَ ذلك لِيَطْرُدَ بها عن نَفْسِه هَمَّ التَّوحُّدِ ومُغيَّبَ أحوال العَالَمِ عنه .

وإنَّما أكَلَ مَن أكل وشَرِبَ مَن شَرِبَ ونَكَحَ مَن نَكَح ولَبِسَ مَن لَبِسَ ولَعِبَ من لَعِب واكْتَنَزَ مَن اكْتَنَزَ ورَكِبَ مَن رَكِبَ ومَشَى مَن مَشى وتَودَّعَ مَن تَودَّعَ .

لِيَطْرُدُوْا عن أنفسهم أضْدَادَ هذه الأفعال وسائر الهُمُوم .

وفي كل ما ذَكَرْنَا لِمَنْ تَدَبَّرَه هُمُومٌ حَادِثَةٌ لابُدَّ لها من عَوارِض تعرضُ في خِلالها وتعذُّرُ ما يَتَعَذَّر منها .

وقال رحمه الله وَجَدْتُ العَمَل للآخِرَةِ سَالماً مِن كُلِّ عَيْب خالِصًا مِن كُل كَدَرٍ مُوْصِلاً إلى طَرْدِ الهَمّ على الحَقِيْقة .

ووَجَدْتُ العامِلَ للآخِرَةِ إنْ امْتُحِنَ بِمَكْرُوْهٍ في تِلْكَ السَبِيْل لم يَهْتَم بَلْ يُسَرُّ .

إذْ رَجاؤهُ في عَاقِبَةِ مَا يَنالُ به عَونٌ على مَا يَطْلُبُ وزائِدٌ في الغرَض الذي إيَّاهُ يَقْصُد .

ووَجَدْتُه إن عَاقَه عَمَّا هُو بسَبِيْلِه عائِقٌ لم يَهْتَمَّ إذْ لَيْسَ مُوآخَذًا بذَلِكَ فهو غَيرُ مؤثِرٍ فيما يَطلُبُ ورأيتُهُ إن قُصِدَ بالأَذَى سُرَّ .

وإنْ نَكَبَتْهُ نَكْبَةٌ سُرَّ وإن تَعِبَ فيما سلك فيه سُرَّ فَهُوَ في سُرُوْرٍ مُتَّصِلٍ أَبَدًا وغيره بِخِلافِ ذَلِكَ أبدا .

وقال رحمه الله تعالى : ولو تَدَبَّرَ العَالِمُ في مُرُوْرِ سَاعَاتِهِ ماذَا كَفَاهُ العِلْمُ مِن الذُلِ بتَسلِيْطِ الجُهَال .

ومِن الهَمّ بمَغِيْبِ الحَقائِقِ عنه ومِن الغِبْطَة بِما قَدْ بانَ لَه وجْهُهُ مِن الأُمور الخَفَّيةِ عن غيرِهِ .

لزادَ حمدًا وشكراً وذِكرًا لله عَزَّ وجَل وغِبْطَةً بما لَدَيْهِ مِن العِلْم ورَغْبَةً في المَزِيْدِ مِنْهُ .

أجَلُّ العُلُوم ما قَرَّبَكَ إلى خالِقِكَ جَلَّ وعَلا وما أعانكَ على الوُصُوْلَ إلى رِضاه .

العُلُومُ الغَامِضَةُ كالـدَّوَاءِ القَـوي يُصْلحُ الأَجْسَادَ القَوِيَّةَ ويُهْلِكُ الأَجْسَادَ الضَّعِيْفَةَ .

وكذلك العُلُوم الغامِضَة تَزِيْدُ العَقْلَ القَوِيَّ جَوْدَةً وتُصفِّيهِ مِن كل آفةٍ وتُهْلِكُ ذَا العَقْلِ الضَّعِيْف .

العاقلُ في الدُنْيَا مُتْعَبٌ ومِن جهةٍ أُخْرىَ مُسْتَرِيح .

وَوَجْهُ ذلك أنه مُتْعَبٌ ومُتكدِرٌ فيما يَرى مِن انتشار الباطِلِ وغَلَبَةِ دَوْلَتِهِ وبما يُحَالُ بَيْنَهُ من إظهار الحق .

وأَمَّا وَجْهُ رَاحَتِهِ فمِن كُلّ ما يَهْتم به سَائِرُ الناس مِن فُضُول الدنيا .

إذا حَقَّقْتَ أَمْر الدنيا لم تَجِدْهَا إلَّا الآن الذي هَوُ فَصْلٌ بَيْنَ زَمَانَيْنَ فقط .

وأمَّا ما مَضى وما لم يأتِ فمَعْدُوْمَانِ كما لم يكن .

فمن أضل مِمَّنْ يَبْيتُ باقِيًا خَالِدًا بمُدَّةٍ هيَ أَقَلُ مِن كرِ الطَّرْف .

مَن شغَل نَفْسَهُ بأدنى العُلُوم وترك أعلاها وهو قادر عليه كان كغارس الأثل والسدر في الأرض التي يَجُوْدُ ويزكُوا فيها النخيل والتِيْنُ والمَوْزُ والعِنَب .

نَشْرُ العِلْم عنـدَ مَن لَيس من أَهْلِهِ مُفْسِـدٌ لَهُمْ كإِطْعَامِكَ العَسَل والسُكَرَ وَالتَّمْرَ مَن بهِ مَرَضُ السُّكَّر ومَن به احْتَراق وحُمّى .

وكَتَشْمِيْمِكَ المِسْك والعَنبرِ لِمَنْ بهِ صُدَاع الصفراء ، أو به شَقِيْقَةٌ وهو وجَعُ نِصْفِ الرأس .

مَن أرادَ الآخِـرَةَ وحِكْمَةَ الدُنيا وعَدْلَ السِيْرةِ والاحْتَوَاءَ على محَاسِنِ الأعـمالِ والأَخْـلاقِ والآداب كُلها واستحقاق الفَضَائِلِ بأَسْرِهَا فليَقْتَدِي بمُحَمَّد ﷺ ولْيَسْتَعْمِلْ أَخْلاقَهُ وسِيَرهُ .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصـــــــــل)

وقال رحمه الله مَنْفَعَةَ العلم في اسْتِعْمالِ الفَضَائِل عَظيمةِ وهو أنْ يَعْلَم حُسْنَ الفضائِلِ فياتيَهَا ويَعْلَم قُبْحَ الرَّذَائِل فَيَجْتَنِبُهَا ويَسْتَمِعُ الثناء الحَسَنَ فَيَرْغَبُ في مِثْلِهِ والثناءَ الرَّدِيَ فَيَنْفُرُ منه .

فَعَـلى هَذِهِ المُقَـدّمَـاتِ وَجَبَ أن يكون لِلْعِلمِ حِصَّة في كل فَضِيْلَةٍ ولِلْجَهْل حِصَّةٌ في كل رَذِيْلَةٍ .

وقـال وقـد رَأَيْتُ مِن غِمارِ العَـامَّـةِ مَن يَجْرِي مِن الاعتـدالِ وحَمِيْدِ الأَخلاق إلى مالا يَتقَدَّمُهُ فيه حَكيمٌ عَالِمٌ رَائِضٌ لِنَفْسِهِ ولَكِنَّهُ قليلٌ جدًا .

ورَأَيْتُ مِمَّنْ طَالَعَ العُلومَ وعَرَفَ عُهُودَ الأَنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ ووَصَايَا الحُكَماءِ وهو لا يَتَقَدَّمُهُ في خُبْثِ السِيرة .

وفَسـادِ العَـلانِيةِ والسّـِيْرةِ شِرَارُ الخَلْقِ وهذا كثيرٌ جِدًّا فعَلِمتُ أنهما مَوَاهِبُ وحِرْمَان مِن الله تعالى .

وقال مَنْ جَالَسَ الناسَ لم يَعْدِمْ إثْماً وهما يُؤلِم نَفْسَهُ وغَيْظاً يُنْضِج كَبْدَهُ وذُلّاً يُنَكِّسُ هِمَّتَهُ .

فما الظن بعد بمن خالطهم ودَاخَلَهُمْ وانْدَمَجَ مَعَهُم .

وإنما يَنْدَمُ ويَحْزَنُ ويَتَحسَّرُ على ذلكَ في مَعَادِهِ .

فالعِزُ والسُرورُ والأُنْسُ والراحةُ والسلامةُ في الانفراد عنهم .

ولكن اجْعَلْهُم كالنار تَدفَّأُ بها ولا تُخَالِطْهَا .

وقال آخَرُ من مَضَار مُجالسة الناس ومُخَالَطَتِهم الانْهِمَاكُ في الغِيْبَةِ .

ثانياً ضَيَاعُ الوَقْت في الآثام .

ثالثاً فواتُ الأعمالِ النافعةِ في الآخرةِ أو الأعمال الدنيوية التي يَعُودُ نَفْعُهَا في الآخرة ولا سَبِيْل إلى السَّلامَةِ مِن ذلك إلا بالانفراد عن مجالَستِهم جُمْلَةً .

مَن جَنَّبَ الناسَ يَسْلَمْ مِن غَوَائِلهم ... وعَاشَ وَهو قَرِيْر العَيْنِ جَذْلَانَ

وقال لا تَحْقِرنَّ شَيْئًا مِن عَمَل غَدٍ بأنْ تُخَفِّفَهُ وتَعجله اليوم وإن قَلَّ فانَّ مِن قَلِيلِ الأعْمَالِ يَجْتَمِعُ كثيرُهَا .

لا تَحْقِرَنَّ مِنَ الأُمورِ صِغَارَهَا ... فالْقَطْرُ منه تَدَفَّقُ الخِلْجَانِ

وربما أن الأعمال إذا لم تُخَفَّفْ يُعْجزُ أَمْرُهَا فَيَبْطُلُ الكُلُ .

ولا تَحْقِرْ شَيْئًا مِمَّا تُثَقِّلُ به مِيْزانكَ يومَ البعث أنْ تُعَجِّلَه الآن وإنْ قَلَّ .

فإنَّه يَحُطُ عنكَ كَثِيراً لو اجْتَمَعَ لَقَذَفَ بك في النار .

اجْتَهِدْ في أنْ تَسْتَعِينَ في أُمُورِكَ بِمَنْ يُرِيْدُ منها لِنَفْسِهِ مِثل مَا تُرِيْدُ منها لِنَفْسِكَ .

أَبْلَغَ في ذَمّكَ من مَدَحَكَ بما ليس فيك لأنه نَبَّهَ على نَقْصِكَ .

وأبْلغَ في مَدْحِكَ مَن ذَمَّكَ بِمَا لَيْسَ فيك لأنه نَبَّه على فَضْلِكَ ولَقَدِ انْتَصرَ لَكَ مِن نَفْسِكَ بذَلِكَ وباسْتِهْدافِهِ إلى الإنكار واللاَّئِمَةِ .

ولو علم الناقِصُ نَقْصَهُ لَكَانَ كَامِلاً إذا عَدَّلَهُ .

مِن عَيْبِ حُبِّ الذِكْرِ أَنَّهُ رُبَّما يُحْبِطُ الأعمال إذا أَحَبَّ أن يُذْكَر بها لأنه

يَعْمَلُ لِغيرِ الله عز وجل .

وهو يَطْمِسُ الفَضَائِل لأنَّ صَاحِبَهُ لا يكاد يَفْعَلُ الخَيْرَ حُبًا لِلْخَيْرِ لكن لِيُذْكَرَ به .

مِن أَفْضَل نِعم الله على العبدِ أنْ يُحَبّبَ إليه العَدْلَ ويُوَفِّقَهُ لِلْعَملِ بهِ ويُحَبّبَ إليه الحَقَ وإيْثارَهُ وَالعمل بهِ .

ومِن قِلَّةِ تَوْفِيْقِ العَبْدِ وخُذْلانه أنْ يُطْبَعَ على الجَوْر واسْتِسْهَا لِهِ وعلى الظلم واسْتِخْفَافِهِ .

ومَن كان كذلك فلييْئَسْ مِن أَنْ يُصْلِحَ نَفْسَهُ أَوْ يُقَوِّمَ طِبَاعَهُ أَبَدَ إِلَّا أن يشأ الله .

إذا حَضَرتْ مَجْلِسَ عِلْمٍ فلا يكون حُضُوْرُكَ إلا حُضُوْرَ مُسْتَزِيْدٍ عِلْمًا وأَجرًا لا طَالبًا لِعَثْرَةٍ أَوْ زَلَّةٍ تُشَنِّعُهَا أَوْ غَريْبَةٍ تُشِيْعُهَا .

فإنَّ تَتَبُّعَ العَثراتِ والزَّلَاتِ أَفْعَالُ الأَرَاذَلِ والسُّفَل الذين لا يُفْلِحُونَ في العلم فإذا حَضرتَهَا على طلب الاسْتِرْشَادِ فقد حَصَّلْتَ خَيْراً .

وإنْ لم تَحْضُرها على نيَّةٍ صَالِحَةٍ فَجُلُوسُك في مَنْزلك أَحْسَنُ وَأَرْوَحُ لِبَدَنِكَ واكرم لِخُلُقِكَ وأسْلم لِدِيْنِكَ .

فإذا حضرتها فالْتَزِمْ أَحَد ثلاثةِ أُوجُه أحدها إمَّا أن تسكت فَتَحْصُلُ على أجْرِ النية بالمشاهدة وعلى الثناء عَليكَ بقلةِ فُضُولِ الكلامَ وعلى كرم المجالسة ومَودةِ مَن تُجَالِس .

وإذا سألت فاسْأل سُؤآل المُتَعَلِّم عما لا تَدْري فإنَّ السُّؤآل عَمَّا تَدْري سَخَفٌ وقِلَّةُ عَقل ولا تخلو من العُجْب .

وفيهِ شُغْلٌ عَمَّا هُوَ أَوْلَى وفيه قَطْعٌ لِزمَانِكَ بما لا فائدة فيه لَا لَكَ ولا لِغيْرِكَ ورُبَّمَا تَرتَّبَ عليه مَفْسَدةٌ أوْ مَفاسِد .

وإذا أَرَدْتَ أن تُراجِعَ فَراجِع مُرَاجَعَةَ العَالِم .

وصِفَةُ ذلك أنْ تُعَارِضَ جَوَابَه بما ينقضُهُ نَقْضًا بَيِّنًا فإن لم يكن عندك إلا تكرار قولك أو لُمَعَارَضَةٍ بها لا يَرَاهُ خصْمُكَ معارضة فأمْسِكْ .

لِأَنَّكَ لا تَحْصُلُ بتكرار ذلك على أَجْرٍ زَائِدٍ ولا على تعليم بل ربما حَصَلْتَ على ما يَسُؤكَ مِن الغَيْظِ والعَدَاوَةِ .

واحْذَرْ سُؤَآل التَّعَنُّت ومُرَاجَعَةُ المكابر الذي يَطْلُبُ الغَلَبَةَ بغير علم فهما خلقا سوء دليلان على قلة الدين وضعف العقل وقوة السخف وكثرة الفضول . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصـــــــل)

صَلاحُ القلب بِتقوى الله وطاعتِه والتوكلِ عليه وتوحِيده واخلاص العمل لوجْهِهِ الكريم .

وفسادُ القلب بعدم التقوى والتوكل والطاعة والتوحيد والاخلاص .

ومما يورث فسادَ القلبِ وانْتِكَاسُهُ وفَسَادُ الأخْلاق مجالسةُ أمواتِ القُلُوب وأهلِ الآراء الفاسِدَةِ وأهل البدع كالأشاعَرة والمُعْتَزِلة والرافضة والفَسَقَةِ كأهلِ الملاهِي والمنكرات .

عليك بمُجَالَسَةِ أَهْلِ الدين والصلاح فإنهم هم الناس لأن أعقل خلق الله من امْتَثَلَ أَمْرَهُ واجْتَنَبَ نهيه .

وأَجْهَلَ خَلْقِ الله مَن عَصَى اللَّهَ .

العلماء العاملون المخلصون هم السالكون طَرِيْقَةَ الرسل عليهم الصلاة والسلام .

الذين لا يَطْلُبونَ مِن الناسِ أجْرًا على أَعْمَالِهم بل يُرِيْدُوْن وجْهَهُ عز وجل قال الله جل وعلا لنبيه ﷺ ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة

والعَشِي يُريدون وجهه ﴾ وقال جل وعلا ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جَزاءً ولا شكوراً ﴾ .

قُلُوبٌ صَافِيَةٌ طَاهِـرةٌ مُعْرِضةٌ عن الخَلْقِ مُقْبِلَةٌ على الخالقِ ذاكرة لَهُ نَاسِيَة للدنيا ذاكرة للآخرة .

الجلوس مع الذين يطيعون الله نعمةٌ مِن اللَّهِ على عَبدِهِ والجلوسُ مَعَ المنافقين والمكذبين نِقْمَةٌ على العبد نَعُوذُ باللَّهِ مِن مُجَالسةِ أهل الضلال والبدع والأخلاق المنحرفة وأهل الملاهي والمنكرات .

فالواجبُ هِجْرَانُهم والابْتِعَادُ عنهم والتَّحذِيْرُ عنهم .

واهْجُرْ أيضا أقْرَانَ السُوءِ واقطع المَوَدَّةَ والصِّلَة بَيْنَكَ وبينهم وواصْلها بينك وبين الصالحين .

قال بعضهم لا تَغْتَرَّ بمَوضِعٍ صالحٍ فلا مَكَانَ أَصْلَحَ مِن الجنةِ فلَقِي فيها آدمُ مَا لَقِي ولا تَغْتَرَّ بكثرةِ العِبادَةِ فإن إبليسَ لَعَنه اللَّهُ بَعْدَ طُولِ تَعَبُّدِهِ لَقِيَ ما لَقِي .

ولا تَغْتَرَّ بكثِرة العِلمِ فإنَّ بُلْعَامَ كانَ يُحْسِنُ الاسم الأَعْظَم فانظر ماذَا لَقِي .

ولا تَغْتَرَّ برُؤيَةِ الصَّالحين فلا شَخْصَ أكْبَرمِن المصطفى ﷺ ولم يَنتِفعْ بلقائه أعْدَاؤُهُ وبعضُ أقاربه .

وقال إذا سَمِعْتَ بحال الكفار وخُلُودَهم في النارِ فلا تأمنَ على نَفْسِكَ فإن الأمر على الخطر ولا تدري ماذا يكون مِن العاقبة وماذا سَبَقَ لك في حكم الغيب .

ولا تَغْتَرَّ بصَفَاءِ الأَوْقاتِ فإنَّ تحتَها غَوَامِضُ الآفات .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصـــــــــل)

كتب أبو حامد العَزَالِي إلى أبي الفتح بن سلامة فقال : قَرَعَ سَمْعِي بأنك تلتمِسُ مِنّي كلاماً وجِيْزًا في مَعْرض النُصْح والوَعْظِ وإني لَسْتُ أَرَى نَفْسِي أَهْلًا له .

فإنَّ الوَعْظَ زَكاةُ نِصَابِهِ الاتِعَاضُ فَمَنْ لانِصَابَ لَهُ كَيْفَ يُخْرِجُ الزكاةَ وفَاقدُ النُور كَيْفَ يَسْتَنِيْرُ به غَيْرُه ومَتَى يَسْتَقِيْمُ الظِلُ والعُود أعْوَجُ .

وقد أَوْصَى اللَّهُ جَلَّ وعَلَا عِيْسَى بنَ مَرْيَم عَلَيْهِما السلام يا ابنَ مَرْيَم عِظْ نَفْسَكَ فإن اتَّعَظَتْ فعِظِ الناسَ وإلَّا فاسْتَحْيي مني .

وقال نبيُّنا ﷺ تركتُ فيكم ناطقًا وصَامتًا فالناطِقُ هو القرآن والصامتُ هو الموت وفيهما كفاية لكل مُتَّعِظَ فمَنْ لم يَتَّعِظْ بهما كَيْفَ يَعِظُ غيْرَه .

ولقد وعَظْتُ نَفْسِي بهمَا وقَبِلَتْ وصَدَّقَتْ قولاً وعِلْما وأبَتْ وتمَرَّدَتْ تَحْقِيْقًا وفِعْلا .

فقلت لِنَفْسِي أما أَنْتَ مُصَدِّقَة بأن القرآن هو الواعظ وأنه كلام الله المنزل الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه وَلاَ من خلفه ﴾ فقالَت بَلَى فَقُلْتَ لها قد قال الله تعالى ﴿ مَن كان يريد الحياة وزينتها نُوَفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبْخَسون أولَئك الذين ليس لهم في الاخرة إلا النار وحَبِطَ ما صَنَعُوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ .

فقد وعَدَ اللَّهُ جَلَّ وعَلَا بالنار على إرادة الدنيا وكل ما لا يصحب بعد الموت فهو من الدنيا فهل تَنزَهْتِ عن حُبِّ الدنيا وإرادتها .

ولَوْ أَنَّ طَبِيْبًا نَصْرانِيًا وعدك بالموت أو بالمرض على تناوُل الَذِّ الشهوات لَتَحَامَيْتِهَا وأَنِفْتَ منا وجَنَّبْتِهَا أَفَكانَ النصراني عندَكِ أَصدَقَ مِن الله جل وعلا .

فإن كان كذلك فما أَكْفَرَكِ أم كان المرض أشد عَلَيْكِ مِن النار فإن كان كذلك فما أَجْهَلكِ فَصَدَّقَتْ ثم ما انْتَهَتْ بل أصرت على الميل إلى العاجلة واسْتَمَرَّتْ .

ثُمَّ أَقْبَلْتُ عليها فَوَعَظْتُها بالواعظ فَقُلْتُ لها قد قال الله جل وعلا ﴿ قل إن الموت الذين تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ .

وقلت لها هَبي أنَّكِ مِلْتِ إلى العاجلة أَفَلَسْتِ مُصَدِّقةً بأن الموتَ لا مَحَالةَ يأتيْك قاطِعًا عَليْكِ ما أَنْتَ مُتمسِّكةٌ به وسَالِبًا مِنْكِ كُلَّ ما أَنْتِ راغبة فيه .

وأن كُلَّ ما هو آتٍ قريب وقد قال الله جل جلاله ﴿ أفرأيتَ إنْ مَتَّعْنَاهُم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أَغْنَى عنهم ما كانوا يُمَتَّعُون ﴾ .

وقال مُخْبِرًا عن نَفْسِهِ عِنْدَمَا وَعَظَهَا ولم تجتهد في التَّزَوُّدِ لِلْآخِرةِ كاجتهادها في تَدْبِيْرِ العَاجِلةِ ولم تجتِهدْ في رضا الله كاجتهادها في طَلَبِ رِضَاهَا وطَلَبِ رِضَا الخَلْقِ .

ولم تَسْتَحِي مِنَ اللّهِ تعالى كما تَستحِي من واحدٍ من الخَلْق ولم تُشَمِّرْ للإِسْتِعْدَادِ للآخرة كَتَشْمِيْرِها في الصَّيْفِ لأَجل الشتَاءِ وفي الشِتَاءِ لأَجْل الصَّيف فإنها لا تطمئن في أوائل الشتاء ما لم تتفرغ عن جميع ما تحتاج إليه فيه مَعَ أنَّ الموتَ رُبَّما يَخْطِفُها والشِتَاءُ لا يُدْرِكُها .

فَقُلْتَ لها أَلَسْتِ تَسْتَعِدِّيْنَ لِلصَّيْفِ بِقَدْر طُوْلِهِ وتَصْنَعِيْنَ لَهُ آلة الصيف بقدر صبرك على الحر قالت نعم .

ثم اسْتَمرت على سَجِيَّتِهَا ولَمَّا رَأَيْتُهَا مُتَمادِيَةً في الطُّغْيَان غير مُنْتفِعَةٍ

بمَـوْعِـظَةِ الموت والقُرآن رَأَيْتُ أَهَـمَّ الأمور التَّفْتِيْشِ عن سَبَب تَمَادِيْهَا مَعَ اعْتَرافِهَا وتَصْدِيْقَها فإن ذلكَ مِن العَجَائِبِ العَظِيْمَةِ .

فَطَالَ تَفْتِيْشِي عنه حَتى وقَفْتُ على سَبَبِه وها أنا ذَا مُوصٍ نَفْسِي وإِيَّاكَ بالحَذَرِ منه فهو الداء العظيم/وهو السبب الداعي إلى الغرُوْرِ والإهمال .

وهو اعْتِقَادُ تَرَاخِي الموت واسْتِبْعَادُ هُجُومِهِ على القُرب فإِنَّهُ لو أُخْبِرَ صَادِقٌ في بَيَاضِ نَهَارِهِ أَنَّـه يَمُوتُ في لَيْلَتِهِ أَوْ يَمُوْتُ بَعْدَ أُسْبُوْعٍ أَوْ شَهرٍ لاسْتَقَامَ واسْتَوى على الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْم .

فانْكشَفَ لي تحقيقًا أنَّ مَن أَصْبَحَ وهو يُؤَمِّلُ أنه يُمْسِي أَوْ أَمْسَى وهو يؤَمِّلُ أنْ يُصْبِحَ لم يَخْلُ مِن الفُتُورِ والتَّسْوِيْفِ .

فأُوْصِيْكَ ونَفْسِي بما أوصَى به رسولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قال « صَلِّ صلاةَ مُوَدِّعٍ » ولَقَدْ أُوْتِيَ جَوَامِعَ الكَلِم وفصل الخطاب ولا ينتفع بوعظ إلا به .

ومَن غلبَ على ظَنِهِ في كل صلاة أنها آخرُ صَلاتِهِ حَضَرَ مَعَهُ خَوْفُهُ مِن الله تعالى وخَشْيَتُهُ منه .

بخلاف مَن لم يخطر بخاطِرِهِ قِصَرُ عُمُرِهِ وقُرْبُ أجلِهِ وغَفَلَ قَلْبُه عن صلاته وسَئِمَتْ نَفْسُهُ فلا يَزَالُ في غَفْلَةٍ دَائمةٍ وفُتُورٍ مُسْتَمِر وتَسْوِيْفٍ مُتَتَابِعٍ إلى أنْ يُدْرِكَهُ الموتُ ويهلكه حَسْرَةِ الفَوْتِ .

فعلى الإنسان العاقل أن يَحْذَرَ مَواقِعَ الغُرور ويَحْترِزْ مِن خِدَاعِ النفس فإن خداعها لا يقف عليه إلا الاكياس وقليل ما هم .

والـوصايا وإنْ كانَت كثيرةً والمذكورَاتُ وإن كانَتْ كبيرةً فَوَصِيَّةُ اللَّهِ أَكْمَلُهَا وأَنْفَعُهَا وأَجْمَعُهَا وقد قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ ولقد وَصَّيْنا الذين أوتو الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾ فما أَسْعَدَ مَن قبل وَصِيَّةَ اللَّهِ وعَمِلَ بها وادَّخَرَهَا لِيَجِدَها يَومَ مَرَدِّهَا ومُنْقَلَبَهَا .

عَصَمَنَا اللّهُ وإِيَّاكُمْ مِنْ الزَّلَل وَوَفَّقَنَا لِصَالِح العَمَل وَهَدَانَا بفَضْلِه سَبيْلَ الرَّشَادِ وَطَرِيْقَ السَّدَادِ إِنَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيْرِ وَصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْـــــلٌ)

وَقَال ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ لا يَتِمُّ الرَّغْبَةُ في الآخِرَةِ إلاَّ بالزُّهْدِ في الدُّنْيَا وَلاَ يَسْتَقِيْمُ الزُّهْدُ في الدنيا إلاَّ بَعْدَ نَظَرَيْنِ صَحِيْحَيْنْ : نَظَرٌ في الدُّنْيَا وَسُرْعَةِ زَوَالِهَا وَفَنَائِهَا وَاضْمِحْلاَلِهَا وَنَقْصِهَا وَخِسَّتِهَا وأَلَم المُزَاحَمَةَ عَلَيْهَا وَالحِرْص عَلَيْهَا وَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ الغُصَص وَالنَّغَص وَالأَنْكَادِ .

وَآخِر ذَلكَ الزَّوَالُ وَالأنْقِطَاع مَعَ مَا يُعْقِبُ ذَلِك مِن الحَسْرَةِ وَالأَسَفِ فَطَالِبُهَا لاَ يَنْفَكُّ مِنْ هَمٍّ قَبْلَ حُصُوْلِهَا وَهَمٍّ في حَال الظَّفَرِ بِهَا وَغَمٍّ بَعْدَ فَوَاتِهَا فَهَذَا أَحَدُ النَّظَرَيْن .

(النَّظَرُ الثَّانِيْ) النَّظَرُ في الآخِرَةِ وَاقْبَالِهَا وَمَجِيْئِهَا وَلاَ بُدَّ وَدَوَامِهَا وَبَقَائِهَا وَشَرَفِ مَا فِيْهَا مِن الخَيْرَاتِ وَالمَسَرَّاتِ وَالتَّفَاوتِ الَّذي بَيْنَهُ وَبينَ مَا هَهُنَا فهي كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ فَهِي خَيْرَاتٌ كَامِلَةٌ دَائِمَةٌ ، وَهَذِهِ خَيَالاَتٌ نَاقِصَةٌ ، مُنْقَطِعَةٌ مُضْمَحِلَّةٌ .

فَإِذَا تَمَّ لَهُ هَذَانِ النَّظَرَانِ آثَرَ مَا يَقْتَضِي العَقْلُ إِيْثَارهُ وَزَهِدَ فِيْمَا يَقْتَضِي الزُّهْدَ فِيْهِ فَكُلُّ أَحَدٍ مَطْبُوْعٌ على أَنْ لاَ يَتْرُكَ النَّفْعَ العَاجِلَ وَاللذَةِ الحَاضِرَةِ إلى النَّفْـع الآجِـل وَاللَّذَّةِ الغَـائِبَةِ المُنْتَظَرَةِ إلاَّ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ فَضْلُ الآجِلِ عَلَى العَاجِل وَقَوِيَتْ رَغْبَتُهُ في الأَعْلَى الأفضل فإذا آثَرَ الفَانِيَ الناقصَ ، كان ذلك إما لِعَدَم تَبَيُّنِ الفضْل لَهُ وإمَّا لِعَدَمِهم رَغْبَتِهِ في الأَفْضَل .

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ الأَمْرَيْنِ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الأَيْمَانِ وَضَعْفِ العَقْلِ وَالبَصِيْرَةِ فَإنَّ الرَّاغِبَ فِي الدُّنْيَا الحَرِيْصَ عَلَيْهَا المُؤْثِرَ لَهَا إمَّا أنْ يُصَدِّقَ أَنَّ مَا هُنَاكَ أشْرَفُ وَأفْضَلُ وَأبْقَى وَأمَّا أنْ لا يُصَدِّقَ فإنْ لَمْ يُصَدِّقْ بِذَلِكَ وَلَمْ يُؤْثِرْهُ كَانَ فَاسِدَ العَقْلِ سيِّءَ الأخْتِيَارِ لِنَفْسِهِ .

وَهَذَا تَقْسِيْمٌ حَاصِرٌ ضَرُوْرِيٌّ لَا يَنْفَكُّ العَبْدَ مِن أَحَدِ القِسْمَيْنِ مِنْهُ فَإيْثَارُ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ إمَّا مِنْ فَسَادٍ فِي الأيْمَانِ وَإمَّا مِن فَسَادٍ فِي العَقْلِ وَمَا أَكْثَرَ مَا يَكُونُ مِنْهُمَا وَلِهَذَا نَبَذَها رَسُولُ اللَّهِ صَلى اللَّهُ عليه وسلَّم وَرَاءَ ظَهْرِهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَصَرَفُوا عَنْهَا قُلُوْبَهُم وَاطَّرَحُوْهَا وَلَمْ يَأْلَفُوْهَا وَهَجَرُوْهَا وَلَمْ يَمِيلُوا إليها وَعَدُّوْهَا سِجْناً لا جَنَّةً فَزَهِدُوا فيها حَقِيْقَةَ الزُّهْدِ وَلَو أَرَادُوْهَا لَنَالُوا مِنْهَا كُلَّ مَحْبُوبٍ وَلَوَصَلُوا مِنْهَا إلى كُلِّ مَرْغُوبٍ .

فَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ مَفَاتِيْحُ كُنُوزِهَا فَرَدَّهَا وَفَاضَتْ عَلَى أَصْحَابِهِ فَأثَرُوْا بِهَا وَلَم يَبِيْعُوا بِهَا حَظَّهُم مِن الآخِرَةِ بِهَا وَعَلِمُوا أَنَّهَا مَعْبَرٌ وَمَمَرٌّ لَا دَارُ مَقَامٍ وَمُسْتَقَرٍّ وأَنَّهَا دَارُ عُبُورٍ لَا دارُ سُرُوْرٍ وَأنها سَحَابَةُ صَيْفٍ تَنْقَشِعُ عن قليلٍ وَخَيَالُ طَيْفٍ مَا اسْتَتَمَّ الزِّيَارَةَ حتى آذَنَ بالرَّحِيْل .

قَالَ النبي صَلى اللهُ عليه وسلم « مَا لِي وَللدُّنْيَا إنَّمَا أَنَا كَرَاكِبٍ مَالَ في ظِلِّ شَجَرةٍ ثم رَاحَ وَتَرَكَهَا » وقال « ما الدنيا في الآخرةِ إلا كَمَا يُدخل أَحَدُكُم أُصْبُعَهُ في اليَمِّ فَلْيَنْظُر بِمَ تَرْجِع » .

وقَالَ خَالِقُهَا سُبحانه « إنَّما مَثَلُ الحَيَاةِ الدنيا كَماءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِن السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأرضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأنْعَامُ حَتَّى إذا أخَذَتِ الأرْضُ زُخْرفَها وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُم قَادِرُوْنَ عَلَيْها أَتَاهَا أَمْرُنا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيْداً كَأنْ لَمْ تَغْنَ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُوْنَ وَاللَّهُ يَدْعُو إلى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِيْ مَنْ يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ ».

فَأَخْبَرَ عَن خِسَّةِ الدنيا وَزَهَّدَ فيها وأخبَرَ عن دَارِ السَّلَامِ وَدَعَا إليها وقَال تعالى ﴿ وَاضْرِبْ لهم مَثَلُ الحَيَاةِ الدنيا كَماءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِن السَّماءِ فاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأرضِ فأَصْبَحَ هَشِيْمَاً تَذْرُوْهُ الرياحُ وَكانَ اللهُ على كُلِّ شَيءٍ مُقْتَدرا• المالُ والبنُونَ زِيْنَةُ الحَيَاةِ الدنيا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخيْرٌ أَمَلا ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِيْنَةٌ وَتَفَاخر بَيْنَكُم وَتَكَاثُر في الأمْوَالِ وَالأوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أعجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُه ثُمَّ يَهِيْجُ فتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثم يَكُونُ حُطَاماً وفي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ اللهِ ورِضْوَانٌ ومَا الحَيَاةُ الدنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُوْرِ﴾ .

وَقَالَ ﴿ زيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَهَوَاتِ مِن النِّسَاءِ وَالبَنِيْنَ وَالقَنَاطِير المقَنْطَرَةِ مِن الذهبِ والفِضَّةِ والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ والأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذلِكَ مَتَاعُ الحَيَاة الدنيا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المآبِ ﴿قُل أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذِلكُمْ لِلَّذِيْنَ اتَّقوا عِنْدَ رَبِّهِم جَنَّاتٌ تَجْرِي مَنْ تَحْتِهَا الأَنْهار خَالِديْنَ فِيْهَا وَازْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللّهِ وَاللهُ بَصِيْرٌ بِالعِبَادِ ﴾

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَفَرِحُوا بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إلاّ مَتَاعٌ ﴾ وَقَدَ تَوَعَّدَ سُبْحَانَهُ أَعْظَمَ الوَعِيْدِ لِمَنْ رَضِيَ بالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّ بِهَا وَغَفَلَ عَنْ آيَاتِهِ وَلَمْ يَرْجُ لِقَاءَهُ فَقَالَ ﴿ إنَّ الذِيْنَ لا يَرْجُوْنَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا ـ وَالذِيْنَ هُمْ عَنْ آيَاتِنا غَافِلُونَ• أُولئِكَ مَأوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ وَعَيَّرَ سُبْحَانَهُ مَنْ رَضِيَ بالدُّنْيَا مِن المؤمِنِينَ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا مَالَكُمْ إذَا قِيْلَ لَكُم انْفِرُوا في سَبِيلِ اللهِ اثَاقَلْتُمْ إلى الأرْضِ ، أَرَضِيْتُم بِالحَيَاةِ الدّنْيَا مِنْ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدّنْيَا في الآخِرَةِ إلاَّ قَلِيْل ﴾ .

وَعَلَى قَدْرِ رَغْبَةِ العَبْدِ في الدُّنْيَا وَرِضَاهُ بِهَا يكونُ تَثَاقُلُهُ عَنْ طَاعَةِ اللّهِ وَطَلَبِ الآخِرَةِ وَيَكْفِي في الزُّهْدِ في الدُّنْيَا قولُـهُ تَعَالى ﴿ أَفرأيْت إِن مَتَّعْنَاهُم سِنِيْنَ. ثمَّ جَاءَهُم مَا كانوا يُوْعَدُوْنَ ما أَغْنَى عَنْهُم مَا كَانُوا يُمَتَّعُوْنَ ﴾ وَقَوْلُهُ .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُم كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ النَّهَارِ يَتَعارَفُوْنَ بَيْنَهُمْ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوْعَدُوْنَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِن نَهَارٍ بَلاَغٌ فَهَل يُهْلَكُ إِلاَّ القَوْمُ الفاسِقُوْنَ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ يَسْأَلُوْنَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاها . فِيْمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا .إلى رَبِّكَ مُنْتهاهَا. إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا.كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاها ﴾ .

وَقَوْلُهُ ﴿ وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمُوْنَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ وَقَوْلُه ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُم في الأَرْضِ عَدَدَ سِنِيْنَ . قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوبَعْضَ يَوم فَاسْأَلِ العَادِّيْنَ . قَالَ إِنْ لَبِثْتُم إِلاَّ قَليلاً لَوْ أَنَّكُم كُنْتُم تَعْلَمُون ﴾ وَقَولُهُ ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ في الصـورِ وَنَحشُرُ المُجْرِمِيْنَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا . يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُم إِلاَّ عَشْرا . نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُم طَرِيْقَة إِنْ لَبِثْتُم إِلاَّ يَوْماً ﴾ وَاللّهُ أَعْلَمُ وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

خُلِقْنَـا لأَحْـدَاثِ اللـيالِـي فَـرائساً
تَـزَفُّ إلـى الأَجـداثِ مِنَّـا عَـرائِـسـاَ

تُجَهِّـز مِنَّـا لِلْقُـبـور عَسَـاكِـراً
وتُـرْدِفُ أعـوادُ المـنـايا فَـوارِسـاَ

إذا أَمَـلٌ أَرْخَـى لَنَـا مِـن عِنَـانـه
غَـدَا أجَـلٌ عَمَّـا نُحـاوِلُ حَابِـسـاَ

أَرَى الـغُـصْـنَ لَمَّـا اجْـتُـثَّ وهـو بمـائِـه
رَطـيبـاً ومـا إِنْ أَصْبَـحَ الغُصْـن يابسـاَ

نَشِيدُ قُصُوراً لِلْخُلُودِ سَفَاهَةً
وَنَصبِرُ ما شِئنا فُتُوراً دَوَارِساَ
وقد نَعَتِ الدُنيا إلينَا نُفُوسَنا
بِمَنْ مَاتَ مِنَّا لَو أصَابَتْ أكَايِساَ
لَقَد ضَرَبتْ كِسْرَى المُلُوكِ وتُبَّعا
وقَيْصَرَ أمْثالاً فلم نَرَ قَائِساَ
نَرَى ما نَرى مِنها جَهَارا وقد غَدَا
هَوَاهَا عَلى نُور البَصِيرةِ طَامِساَ
وقد فَضَح الدنيا لَنَا الموتُ وَاعِظاً
وهَيْهَاتَ ما نَزْدَادُ إلا تَقَاعُساَ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا بَدِيْعَ السَّمواتِ وَالأَرْض نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنا لِمَا فِيهِ صَلاحُ دِيْنِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ : عِبَادَ اللَّه انَّ النَّاس فِي هَذِهِ الحَيَاةَ انْقَسَمُوا قِسْمَيْنِ قِسْمٌ جَعَلُوا غَايَتَهُم الأَكْلُ والشُّرْبُ وَالتَّمَتع بِمِلاذِّ الدنيَا مِنْ مَسَاكِنَ وَمَلابِسَ وَقَضَاءِ وَطَر وَلَيْسَ وَرَاء هَذِهِ الغَايَةِ عِنْدَهُمْ غَايَةٌ أُخْرَى فَهُمْ يَقْضُونَ أَوْقَاتَهُمْ يَصْرِمُوْنَ أَعْمَارَهُمْ لِيَتَمَتَّعُوا مَا وَسِعَهُم التَّمَتُّعُ فَمَا بَعْدَ نَظرِهِمْ الكَلِيْل الحَسِيْرِ وَقُلُوبِهِم المَيِّتَةِ إلاّ العَدَمَ وَالفَنَاءُ .

وَهَؤُلاءِ هُمْ جُنْدُ الشَّيْطَانِ شَرُّ خَلْقِ اللّهِ وَأَشْقَاهُمْ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَذَرْنِي وَالمكَذِبِينَ أُوْلِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُم قَلِيْلا ﴾ وَقَالَ ﴿ وَالذِيْنَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأكُلُوْنَ كَمَا تَأكُلُ الأنعامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ ﴾ فَهُمْ صَارُوا كَالأنْعَام لا يَخْتَلِفُوْنَ عَنْهَا إلاَّ فِي الصُّورَةِ وَالشَّكل وَإلاَّ فِي دُخُولِهِم النَّارَ وَلِذَلِكَ قَالَ اللّهُ جلَّ وَعَلا

﴿ إنْ هُمْ إلاَ كالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيْلاَ ﴾ .

تِلْكَ هِيَ غَايَةُ هَذَا الصِّنْفِ أمَّا مَرْكَزُهُم بَيْنَ النَّاس فَهُوَ مَرْكَزُ الأفْسَادِ والأضْلالِ وَمآلُهُمْ جَمِيْعاً دُخُوْلُ النَّار ، قالَ تَعَالَى ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الذِيْنَ كَفَرُوا في البِلاَدِ مَتَاعٌ قَلِيْلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهَادِ ﴾ وَقَالَ ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإنَّ مَصِيْرَكُمْ إلى النَّارِ ﴾ .

الصِّنْفُ الثَّانيْ الذِينَ عَرَفُوا الحَقِيْقَةَ وَالغَايَةَ التِيْ خُلِقُوا لَهَا عَرَفُوا أَنَّ اللَّه خَلَقَهُم لِعِبَـادَتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والأنْسَ الاَّ لِيَعْبُدُوْن ﴾ أَيْقَنُوا بِقَوْلِهِ تَعالى ﴿ يَا أَيُّها الأنْسَانُ إنَّكَ كَادِحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيْهِ ﴾ فَغَايَتُهم كَمَا تَقَدَّمَ عِبَادَةُ اللَّهِ .

وَمِنْهَا الجِهَادُ في سَبِيْلِ اللَّهِ وَالدَّعْوَةُ إلَيْهِ وَعِمَارَةُ الأَرْض بِفِعْلِ الخَيْرِ وَهِـدَايَةُ الحَيَارَى إلى الحَقِّ وَقِيَادَتُهمْ في دُرُوْبِ الحَيَاةِ الـدنيَا وَوَرَاءَهَا الغَايَةُ العُظْمَى وَالعُليا وَهِيَ ابْتِغَاءُ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَحْدَهُ جَلَّ جَلاَلُهُ .

قَالَ اللَّهُ تَعَـالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوْا واعبُدُوا رَبكم وَافْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُم تُفْلِحُوْنَ . وَجَاهِدُوْا في اللَّهِ حقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُم وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ في الدِّيْنِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيْكُمْ إبْرَاهِيْم هُوَ سَمَّاكُمْ المُسْلِمِيْنَ من قبلُ وفي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُوْلُ شَهِيْدَاً عَلَيْكُم وَتَكُونوا شُهَدَاءَ على الناس فَأَقِيْمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيْرِ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُم على تِجَارَةٍ تُنْجِيْكُم مِن عَذَابٍ أَلِيْم ، تُؤمِنُـوْنَ بِاللَّهِ وَرَسُـولِـه وَتُجَـاهِـدُوْنَ في سبيلِ الله بِأَمْـوَالِكُم وأَنْفُسِكُم ذلِـكَ خَيْرٌ لكُم ان كُنتُم تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرْ لكُم ذُنُوبكُم وَيُدْخِلكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي من تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنُ طَيِّبَةٍ في جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيْم ﴾ .

هَذِهِ مُهِمَّةُ المُسْلِمِ وَغَايَتُهُ فيها عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ وَجِهَادُهُ في سَبيلِهِ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ حَتَّى يَحْمِلَهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَيُبْعِدَهَا عَنْ المَعْصِيَةِ جُهْدَهُ وَيُجَاهِدُ بِقَلَمِهِ وَلِسَانِهِ وَمَالِهِ وَيَدِهِ في سَبِيْلِ اللَّهِ حَتَّى تَعْلُو كَلِمَةُ اللَّهِ وَيَسْتَنِيْرَ البَشَرُ بِنُوْرِ الإِسْلَامِ .

وقَدْ اخْتَارَ اللَّهُ المُسْلِمِيْنَ لِهَذِهِ المُهِمَّةِ الخَطِيرةِ مُهِمَّة دَلَالَةِ الناسِ وَقِيَادَتِهِم وَإِخْرَاجِهِم مِنْ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ فَلَا مَجَالَ لِلتَّخَلِّيْ عَنْ هَذِهِ المُهِمَّةِ الشَّرِيْفَةِ هَذِهِ طَرِيْقَةُ الرُّسُلِ عَلَيْهِم أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلَامِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُم فِي رَسُوْلِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ .

وَقَالَ صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ المُسْلِمِيْنَ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ وَلَا يُعْذَرُ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُم أمةً وَسَطاً لِتَكُونوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ شَهِيْدَاً عَلَيْكُم ﴾ .

فَالذِي يَقُولُ إِنَّهُ مُسْلِمٌ عليه أَنْ يُبَلِّغَ وَيَدْعُو وَيُؤدِّي هَذِهِ الشَّهَادَةِ لِهَذَا الـدِّيْنِ شَهَادَةً تُؤَيِّدُ حَقَّ هَذَا الدِّيْنِ في البَقَاءِ وَيُؤَيِّدُ الخَيْرَ الذِي يَحْمِلَهَ هذا الدِّيْنُ لِلْبَشَرِ .

وَهُـوَ لا يَؤَيِّـد هَذِهِ الشَّـهَادَة تَمَاماً حَتَّى يَجْعَـلَ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ خُلُقِـهِ وَمِنْ سُـلُوْكِهِ وَمِنْ حَيَـاتِهِ صُوْرَةً لِهَذَا الدِّيْنِ صُوْرَةً يَرَاهَا النَّاسُ فَيَرَوْنَ فِيهَا مَثَلاً رَفِيْعَاً يَشْهَدُ لِهَذَا الدِّيْنِ الأَسْلَامِيّ بالأَحَقِيَّةِ في الوُجُودِ بالخَيْرِيَّةِ وَبالأَفْضَلِيَّةِ عَلَى سَائِرِ مَا فِيْ الأَرْضِ .

فَالشَّهَادَةُ في النَّفْسِ أَوَّلاً بِمُجَاهَدَتِهَا حَتَّى تَكُونَ تَرْجَمَةً لَهُ تَرْجَمَةً حَيَّة في شُعُورِهَا وَسُلُوكِهَا حَتَّى صُوْرَةُ الأَيْمَانِ في هَذِهِ النَّفْسِ فَيَقُولُوْا ما أَطْيَبَ هَذَا الأَيْمَانِ وَماَ أَحْسَنُهُ وَمَا أَزْكَاهُ .

وَهُوَ يَصُوغُ أَصْحَابَهُ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ مِن الخُلُقِ وَالكَمَالِ فَتَكُونُ هَذِهِ شَهَادَةً لِهَذَا الدِّيْنِ في النَّفْسِ يَتَأَثَّرُ بِها الآخَرُوْنَ وَالشَّهَادَةُ لَهُ بِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ وَبَيَانِ فَضْلِهِ وَمَحَاسِنِهِ وَمَزِيَّتِهِ بَعْدَ تَمَثُّلِ هَذَا الفَضْلِ .

وَهَذِهِ المَزِيَّةُ فِي نَفْسِ الدَّاعِيَةِ فَمَا يَكفِي أَنْ يُؤَدِّيْ المُؤْمِنَ الشَّهَادَةَ لِلايْمَانِ فِي ذَاتِ نَفْسِهِ إِذَا هُوَ لَمْ يَدْعُ إِلَيْهَا النَّاسَ وَمَا يَكُوْنُ قَد أَدَّى الدَّعْوَةَ والتَّبْلِيْغَ وَالبَيَانَ قَال تعالى ﴿ ادْعُ الى سَبِيـلِ رَبِّكَ بـالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بالتِيْ هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وَقَال ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيْلِيْ أَدْعُو إِلى اللَّهِ عَلَى بَصِيْرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِيْ ﴾ الآية .

ثُمَّ الشَّهَادَةُ لِهَذَا الدِّيْنِ بِمُحَاوَلَةِ إِقْرَارِهِ فِي الأَرْضِ مَنْهَجاً لِلْجَمَاعَةِ المُؤْمِنَةِ وَمَنْهَجاً لِلْبَشَرِيَّةِ جَمِيْعَا والمُحَاوَلَةِ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ الفَرْدُ مِنْ وَسِيْلَةٍ وَبِكُلِّ مَا تَمْلِكُ الجَمَاعَةُ مِنْ وَسِيْلَةٍ .

فَإِقْرَارُ هَذَا المَنْهَجِ فِي حَيَاةِ البَشَرِ هُوَ كُبْرَى الأَمَانَاتِ بَعْدَ الأَيْمَانِ الذَّاتِيّ وَلَا يُعْفَى مِنْ هَذِهِ الأَمَانَةِ الأَخِيْرَةِ فَرْدٌ وَلَا جَمَاعَةٌ وَمِنْ ثَمَّ فَالجِهَادُ مَاضٍ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ أ هـ .

اللَّهُمَّ خَفِّفْ عَنَّا الأَوْزَارَ وَارْزُقْنَا عِيْشَةَ الأَبْرَارِ وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الأَشْرَارِ واعْتِقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا مِنْ النَّارِ يَا عَزِيْزُ يَا غَفَّارُ يَا كَرِيْمُ يَا سَتَّارُ وَيَا حَلِيْمُ يَا جَبَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

شِعْراً :

لَقَـدْ عَفَتْ مِنْ دِيَـارِ العِلْمِ آثَـارُ
فَـأَصْبَـحَ العِـلْمُ لا أَهْـلٌ وَلَا دَارُ

يَـا زَائِـرِيْنَ دِيَـارَ العِلْمِ لاَ تَفِـدُوا
فَمَـا بِـذَاكَ الحِمَى وَالـدَّارِ دَيَّـارُ
تَـرَحَّـلَ القَـوْمُ عَنْهَـا وَاسْتَمَـرَّ بِهِم
مُـشَمِّـرٌ مِـنْ حُـدَاةِ البَيْنِ سَـيَّـارُ
قَدْ أَوْرَدَ القَوْمَ حَادِيْهِم حِيَاضَ رَدَى
فَمَـا لَهُـم بَعْـدَ ذَاكَ الـوِرْدِ اصْدَارُ
لَهَفِيْ عَلَى سُرُجِ الدُّنْيَا الَّتِي طَفِئَتْ
وَلاَ يَـزَالُ لَهَـا فِي النَّـاسِ أَنْـوَارُ
لَهَفِيْ عَلَيْهِمْ رِجَـالاً طَـالَمَا صَبَـرُوا
وَهَـكَـذَا طَـالِبُ العَلْيَـاءِ صَبَّـارُ
لَهَفِيْ عَلَيْهِم رِجَـالاً طَـالَمـا عَـدَلُـوا
بَيْنَ الأَنَـامِ وَمَـا حَـابَـوْا وَلاَ جَـارُوْا
مَـالُـوا يَمِيْنَـاً عَنْ الـدُّنْيَـا وَزَهْـرَتِهَـا
لِأَنَّهَـا فِي عُـيُـوْنِ القَـوْمِ أَقْـذَارُ
وَصَـاحَبُـوْهَـا بِـأَجْسَـادٍ قُـلُوْبُهُـم
طَيْرٌ لَهَا فِي ظِـلاَلِ العَرْشِ أَوْكَـارُ
هُم الـذِيْنَ رَعَـوا لِلْعِلْمِ حُـرْمَتَـهُ
لِـلعِـلْمِ بَـيْـنَـهُـم شَـأْنٌ ومِـقْـدَارُ
صَـانُـوْهُ طَـاقَتَهُم عَنْ مَا يُـدَنِّسُـهُ
كَمَـا يَصُـونُ نَفِيْسَ المَـالِ تُجَّـارُ
وَأَحْسَنُـوا فـيـه تَصْـرِيْـفـاً لِأَنَّهُـم
لَـهُـمْ مِـن اللهِ تَـوْفِـيْـقٌ وإِقْـدَارُ
رَأَوْهُ كَـالنَّجمِ بُعْـدَاً لَيْسَ يُـدْرِكُـهُ
بَـاعٌ قَصِيْـرٌ وفَـهْم فـيْـهِ إِقْصَـارُ

اللهم أَلْهِمْنا القيامَ بحقِك ، وبارِكْ لنا في الحلالِ مِنْ رزقِك ، ولا تفضحنا بين خلقك ، ياخيرَ مَنْ دعاه داعٍ وأفضلَ مَنْ رجاه راجٍ ياقاضِيَ الحاجاتِ ويامجيبَ الدعواتِ هَبْ لنا ماسألناه وحَقِّقْ رجاءَنا فيما تمنيناه وأمّلْناه يامَنْ يملكُ حوائجَ السائلينَ ويعلمُ مافي ضمائِر الصامتين ، أذقْنا بَرْدَ عفوِك ، وحلاوة مغْفِرتك ، ياأرحمَ الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

٢٦ موعظة

عِبَادَ اللهِ كُلُّنَا يَعْلَمُ أَنَّ الزِّنَا مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ وَأَنَّ فِيْهِ فَسَادَاً لِلزَّانِيْ وَالزَّانِيَةِ أَمَّا فَسَادُهُ لِلزَّانِيَةِ فَهُوَ وَاضِحٌ لأنَّها بِذَلِكَ الجُرْمُ العَظِيْمُ - جُرْمُ الزِّنَا - تَجِدُ حَلاَوَةً ، فَتُفْسِدُ كُلَّ مَنْ اتَّصَلَ بِهَا ، فَيُصْبِحُوْنَ في تَعَلُّقِهِم بالنِّسَاءِ كالكَلْبِ المَسْعُورِ هَذَا مِنْ جِهَةٍ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى تُفْسِدُ فِرَاشَ زَوْجِهَا إنْ كَانَتْ ذَاتَ زَوْجٍ وَرُبَّمَا ادْخِلَتْ عَلَيْهِ أَوْلاَداً مِنْ الزِّنَاةِ يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ طُوْلَ حَيَاتِهِ وَيرِثُوْنَ مِنْهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَيَتَفَوَّطُونَ حَرَمَ الزَّوْجِ ، وَرُبَّمَا تَوَلَّوا عَقْدَ نِكَاحٍ لَهُنَّ ، أَوْ صَارُوا مَحَارِمَ لَهُنَّ في حَجٍّ أو نَحْوِ ذَلِكَ نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَمِنْ جِهَةِ فَسَادِ الزَّانِيْ ، فَإِنَّهُ بِالزِنَا يَنْكَلِبُ ، وَيَتَوَلَّعُ فِيْهِ ، وَكُلُّ أُنْثَى يَتَعَدَّىٰ عَلَيْهَا يَحْلُو لَهَا هَذَا السِّفَاحُ فَتَفْسدُ كالأولى كَثِيْرِيْنَ مِنْ النَّاسِ تَنَبَّهُوا بَعْدَ أنْ كَانُوا غَافِلِيْنَ فَيُفْسِدُونَ مِنْ النِّسَاءِ كَثِيْرَاتٍ وَهَكَذَا فَالزَّانِيْ لِصٌّ يَسْرِقُ ثَرْوَةَ النَّاسِ في حَيَاتِهِمْ وَبَعْدَ المَمَاتِ بِمَا يُدْخِلُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوْلاَدٍ يَعُولُونَهُم ، وَإِنْ كانَتْ المَرْأَةُ التِيْ تَعَدَّى عَلَيْهَا غَيْرُ مُتَزَوِّجَةٍ ، فَقَدْ أَفْسَدَ حَيَاتَها ، بِهَتْكِ عِرْضِهَا ، وَصَرْفِ أَنْظَارِ رَاغِبِيْ الزَّوَاجِ عَنْهَا ، فَتَعِيْشُ بَعْدَ جُرْمِ الزِّنَا عِيْشَةَ ذُلٍّ وَهَوَانٍ لاَ زَوْجَ يُحَصِّنُهَا وَلاَ عَائِلَ يَعُولُهَا هَذَا مُضَافَاً إلَى سُوْءِ السُّمْعَةِ وَإِلَى الجِنَايَةِ عَلَى شَرَفِهَا وَأَهْلِهَا فَيقِفُونَ مِنْهُ

مَوْقِفَ الأَنْتِقَامِ غَالِباً وَرُبَّمَا قَضَوْا عَلَيْهِ أو عَلَى إبنتهِمْ وَانْ لَمْ يَقْضُوا وَثَبَتَ ذَلِكَ بِطَرِيْقِ الشَّرْعِ فِإمَّا جَلْدُ مِائةٍ ، وَإمَّا رَجْمُ يُؤَدِّي بالنَّفْسَيْنِ ، هَذَا عَاقِبَةُ هَذِهِ الكَبِيْرَةِ عَصَمَنَا اللهُ وَايَّاكُمْ مِنْهَا وَمِنْ جَمِيْعِ المَعَاصِيْ فَعَلَى الأنْسَانِ أنْ يُفَكِّرَ ويَعْرِفَ عَوَاقِبَ الجِنَايَاتِ عَلَى الأعْرَاضِ لِيَحْذَرَ وَيُحَذِّرَ عَنْهَا أجْنَبِيَّةً أو قَرِيْبَةً وَلاَ أدْرِيْ كَيْفَ يُقْدِمُ الزَّانِيْ عَلَى الزِّنَا وَهُوَ يُؤْمِنُ أنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ لا تَخفَى عَلَيْهِ مِنهُ خَافِيَةٌ وَأنَّ جَزَاءَهُ إنْ لَمْ يَتُبْ تَوْبَةً نَصُوحاً الهَاوِيَةُ نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَة مِنها وَلا أَدْرِيْ كيفَ يَزْنِيْ وَهُوَ لاَ يَشُكُّ انهُ سَيُجَازَى عَلَى فِعْلِهِ في الدنيا قَبْلَ الآخِرَةِ ، وَمَنْ كان الزِّنَا مِنْ أعْمَالِهِ فَلاَ يُؤْمَنُ حَتَّى عَلَى مَحَارِمِهِ وَلاَ يُرْغَبُ في مُصَاهَرَتِهِ وَلاَ مُجَاورَتهِ وَلاَ مُشَارَكَتِهِ وَلاَ مُعَامَلَتِهِ وَلاَ الأجْتِمَاع مَعَهُ في مَحَلِّ عَمَلِهِ قَالَ اللهُ تعالَى ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إنَّهُ كانَ فَاحِشَةً، وَسَاءَ سَبِيْلاَ ﴾ وَقَالَ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ﴿ اذا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا في قَرْيَةٍ ، فَقَدْ أحَلُّوا بِأنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللهِ ﴾ رَوَاهُ الحَاكِمُ اللَّهُمَّ احْمِنَا مِنْ الفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَن وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

٢٧ « مَـوعظـة »

عِبَادَ اللهِ إنَّ صِفَاتِ الشَّرِ وَخِصَالِ السُّوْءِ مَا وُجِدَتْ فِي قَوْمٍ إلاَّ كَانُوْا أَهْلاً لِغَضَبِ اللهِ وَسَخْطِهِ فَاسْتَحَقُّوْا الشَّقَاءَ والذِلَّ في الـدُّنْيَا والآخِرَةِ وإنَّ مِن أَقْبَحِ الخِصَالِ وَأَشْنَعِ الخِلَالِ الغِيْبَةَ والنَّمِيْمَةَ وقد انْهَمَكَ الناسُ فِيْهِمَا وَصَارَتْ مَجَالِسُهم لا تَعْمُرُ إلاَّ بِهِمَا يَسْمَعُ المَرْءُ مِن أَخِيْهِ الكَلِمَةَ لِيُفَرِّجَ بِهَا مِن كُرَبِهِ وَيُخَفِّفَ بِهَا مِن آلامِهِ فَيَنْقُلُهَا إلى صَاحِبِهَا قَصْدَ الايقاعِ بِهِ والتَّفْرِيْقِ بَيْنَ المؤمِنِيْنَ هَذِهِ يَا عِبَادَ اللهِ غَايَةُ الدَنَاءَةِ، وَمُنْتَهَى الخِسَّةِ والنَّذَالةِ واللآمَةِ، أَلاَشَهَامَةَ تَحْمِلُ النَّمَامَ عَلَى كِتْمَانِهِ سِرَّ أَخِيْهِ أَلاَ مُرُوْءَةَ تَمْنَعُهُ مِن أَنْ يَنِمَّ عَلَى أَخِيْهِ المُسْلِمِ، إنَّ النَّمَامَ لا يَعْرِفُ لِلشَّهَامَةِ سَبِيْلاً، ولا لِلْمُرُوْءَةِ طَرِيْقاً، إنَّ مَنْ يَنِمُّ عَلَى المُسْلِمِيْنَ لِيُبَدِّلَ الوِدَّ جَفَاً وَبُغْضَاً والصَّفْوَ كَدَراً وَحِقْداً وَيَفْتَحَ أَبْوَابَ الشُّرُوْرِ وَالجِنَايَاتِ عَلَى مِصْرَاعَيْهَا بَيْنَ المؤمِنِيْنَ مِن أَكْبَرِ المَصَائِبِ، وَاشَدِّ الرَّزَايَا عَلَى هَذَا المُجْتَمعِ الإِنْسَانِي، وَكَذَلِكَ الغِيْبَةُ فَإِنَّها تُذْهِبُ الحَسَنَاتِ، وَأَنْتَ إذا قُلْتَ في أَخِيْكَ كَلِمَةً يَكْرَهُهَا فَأَنْتَ لَهُ بِهَا مُغْتَابٌ وَهُوَ لاَ يَكْرَهُ كَلِمَةً إلاَّ إذا كَانَتْ مُتَضَمِّنَةً عَيْباً، ذَلِكَ العَيْبُ الذي أَنْتَ تُرِيْدُ أَنْ تَكْشِفَهُ لِلنَّاسِ تُرِيْدُ مِنْهُم أَنْ يَحْقِرُوْهُ وَيَزْدَرُوْهُ وَيَحْتَرِسُوْا مِنه أَنْ يَكُونَ يَوْماً لَهُم مِن الأَصْحَابِ أَنْتَ تُرِيْدُ مِنْهُم أَنَّهُ أَن خَطَبَ مِنْهُم مَنَعُوْهُ لِتَحْقِيْرِكَ إِيَّاهُ عِنْدَهُمْ تُرِيْدُ مِن غِيْبَتِكَ لَهُ أَنْ يُبْعِدَ مِنْهُمْ وَيَكُونَ مُنْطَوِيَاً عَنْهُم لِمَا لَقَنْتَهُمْ مِمَّا ذَكَرْتَهُ فِيْهِ وَيَكُوْنَ في وَحْشِيَةٍ مِنْهُمْ وَتُرِيْدُ مِن غِيْبَتِكَ أَنَّهُ إِذَا احْتَاجَ لاَ يُدْلِيْ عَلَيْهِم بِشَيْءٍ يَقْضِيْ فِيْهِ حَاجَتَهُ بَلْ تُرِيْدُ مِنْهُمْ أَنْ لاَ يَرُدُوْا عَلَيهِ السلامَ إذا سَلَّمَ لِمَا عِنْدَهُم لَهُ مِمَّا لَقَنْتَهُم مِن الازْدِرَاءِ والاحتقارِ وإن كان صَانِعاً فَبِسَبَبِ

غِيْبَتِك لَهُ أَنْ يَجْفُوا صَنْعَتَهُ فَتَقِفُ ، وَإِنْ كَانَ تَاجِراً فَتُرِيْدُ بِعَيْبَتِك أَنْ تَخْسَرَ تِجَارَتُهُ لإعْرَاضِهِمْ عَنْهُ ، وَتُرِيْدُ أَنهُ إذا كَانَ لَهُ أَوْلَادٌ أَوْ بَنَاتٌ يُرْغَبُ في تَزْوِيْجِهِمْ أَنْ يَأْنَفَ الناسُ مِنْهُم فَيَبُوْرُوْنَ ، هَذَا واللهِ شَيْءٌ يُؤلِمُ النُفُوسَ الزَّكِيَّةَ لأنَّهَا مَضارٌ عَظِيْمَةٌ جِداً تَنْزِلُ بِمَن تَغْتَابُهُ فَعَلَى العَاقِلِ أنْ لا يُصَدِّقَ المُغْتَابَ وَأَنْ يَرُدَّهُ خَائِباً ولا يَظُنُّ بِأَخِيْهِ المُسْلِمِ إلاَّ خَيْرَاً واللهُ أَعْلَمُ .

شِــعْرَاً :

حَيَـاتُـكَ فِي الـدُّنْيَا قَلِيْـلٌ بَقَـاؤُهَـا
وَدُنْيَـاكَ يَـا هَـذَا شَـدِيْــدٌ عَنَـاؤُهَـا

ولا خَيْـرَ فِيْهَـا غَيْــرَ زَادٍ مِنَ التُقَى
يُنَــالُ بِـهِ جَنَّــاتُ عَـدْنٍ وَمَــاؤُهَــا

بَـلَى إِنَّـهَــا لِـلْمُـؤْمِـنِيْـنَ مَـطِيَّـةٌ
عَلَيْهَــا بُلُوغُ الخَيْـرِ والشـرُ دَاؤُهَـا

وَمَنْ يَزْرَعِ التقْوىَ بهَا سَوْف يَجْتَني
ثِمَاراً مِنَ الفِرْدَوْسِ طَـابَ جَنَاؤُهَـا

نُؤَمِــلُ أَنْ نَبْقَى بِهَــا غَيْــرَ أَنَّـنَـا
عَلَى ثِقَــةٍ أَنَّ المَمَـاتَ انْتِهَـاؤُهَــا

فَكُنْ أيُهـا الإِنْسانُ في الخَيْـرِ رَاغِباً
يَلُوحُ مِن الـطَّاعَـاتِ فِيْـكَ بَهَـاؤُهَـا

وَجَـانِبْ سَبِيْلَ الغَي واتْـركْ مَعَاصِيـاً
يُـذِيْـكَ مِنَ نَــارِ الجَحِيْمِ لَظَاؤُهَـا

اللّهُمَّ توَفّنَا مُسْلِمِين وألْحِقْنا بِعِبادِكَ الصَّالِحِيْنَ الّذِينَ لاَ خَوْف عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنا وجَمِيع المُسْلِمِيْن بِرَحْمتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلّى اللّهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْن .

٢٨ « موعظــة »

عِبَادَ اللّهِ نحْنُ فِي زَمَنٍ بَلَغَ فِيْهِ الفَسَادُ مَبْلَغاً مَا كَانَ يَدُوْرُ فِي خلدِ إنسانٍ وَهَانَ عَلَى كَثِيْرٍ مِنَ النّاسِ اليَوْمَ أنْ يَتقَدَّمُوا إِلى المَعَاصِيْ مُطْمَئِنِّيْنَ وَخَفَّ عَلَيْهِم جِداً أنْ يَرْتَكِبُوا مَا حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ غَيْرَ هَيَّابِيْنَ وَسَهُلَ كُلَّ السُّهُوْلَةِ عَلَيْهِمْ أنْ يَقْتَحِمُوا حَتَّى مُوْبَقاتِ الأَوْزَارِ غَيْرَ خَائِفِيْنَ مِنَ اللّهِ تَعَالى وَلاَ مُبَالِيْنَ بِنَواهِيه .

وَلَعَلَّ زَمَنَنَا هَذَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ مَا فِي حَدِيْثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يأتِي على النّاسِ زَمَانُ القَابِضُ عَلَى دِيْنِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ وَمَا فِي حَدِيْثِ أبي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنّهُ قالَ « بَدَا الإِسْلاَمُ غَرِيْباً وَسَيَعُودُ غَرِيْباً كَمَا بَدَا فَطُوبى لِلْغُرَبَاءِ أخرجَهُ مسلم .

وأخْرجَهُ الإِمَامُ أحمَدُ وابْنُ ماجَةَ مِنْ حَدِيْثِ بنِ مَسْعُودٍ بزِيادةٍ فِي آخِرِهِ وهي - قِيْلَ يا رَسُولَ اللّهِ ومِنَ الغُرَبَاءُ قَالَ « النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِلِ » وأخرجه أبو بكر الآجُرِيُّ وعِنْدَهُ - قِيْلَ ومَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللّهِ ، قال « الذين يَصْلُحُوْنَ إذا فَسَدَ النّاسُ » .

وخَرَّجَهُ غَيْرُهُ وعِنْدَهُ قال « الّذِينَ يَفِرُّوْنَ بِدِيْنِهِمْ مِنَ الفِتَنِ » وخَرَّجَهُ التِّرْمِذيُّ مِنْ حَدِيثِ كَثِيْر بْنِ عَبْدِ اللّه المُزَنِيِّ عَنْ أبِيهِ عنْ جَدِّهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ « إنَّ الدِّيْنَ بَدَا غَرِيْباً وَسَيَرْجِعُ غَرِيْباً فطُوبى لِلْغُرَبَاءِ الّذِيْنَ يُصْلِحُوْنَ مَا أفْسَدَ النّاسُ مِنْ سُنَّتِيْ » وفِي حَدِيْثِهِ قِيْلَ وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللّهِ قالَ « الّذِيْنَ يَصْلَحُوْنَ حِيْنَ فَسَادِ النّاسِ » .

أمّا الحَدِيْثُ الأوَّلُ فَهُوَ وَاضِحٌ وَمُنْطَبِقٌ كُلَّ الانْطِبَاقِ عَلَى هَذَا الزَّمَانِ فِيْمَا أرَى وَاللّهُ أعْلَمُ وَذَلِكَ أنَّكَ تَرَى الشَّرَّ والفَسَادَ فِي كُلِّ مَكَانٍ مُنْتَشِراً والخَيْرَ نَادِرُ الوُجُودِ فالفِتَنُ فِي البُيُوْتِ والأسْوَاقِ والدَّكَاكِيْن والسَّيّارَاتِ والقِطَارَاتِ والطّائِرَاتِ فِتَنُ شَهَواتٍ نِسَاءٌ سَافِرَاتٌ وفِتَنُ شُكُوكٍ وإلحَادٍ وشُبُهَاتٍ مِن أناسٍ مُنْحَرِفِيْنَ وكُتُبُ ضَلالٍ ومَجَلّاتٌ تَحْمِلُ فِي طَيِّهَا البَلاَيَا والشُّرُوْر وفِدْيُوَاتٌ تُعَلِّمُ الفَسادَ أبْلَغَ تَعْلِيْم وتُهَيِّجُ عَلَيْهِ ، حَدَثَ فِتَنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُها بَعْضاً وحَوَادِثُ الأُخْرَى أعْظَمُ مِن الأُوْلَى ومن أعظَم ما حَدَثَ كَثْرَةُ الخَدَّامِينِ والخَدامات والسَّوَاقِينَ والطباخينَ والمُربينَ فإنَّ ضررهم عَظِيمٌ على الدينِ والأخلاقِ والدنيا . فأنتبه يا مَن زُينَ له سُوءُ عَمَلِهِ وأَتَى بكفار أعداء الله ورسوله والمؤمنين وأمنهم على محارمه خدامين أو سوَاقين أو مربين أو نحو ذلك عياذا بالله من ذلك .

يا غافلاً عن ساعَةٍ مَقْرُوْنَةٍ بنـــوَادِبٍ وصَوَارِخٍ وثَوَاكِـــلِ
قَـدِّمْ لِنَفْسِكَ قَبْـلَ مَـوْتِـكَ صَـالِحـاً
فـالمَوْتُ أسْـرَعُ مِن نُزُوْلِ الهَـاطِلِ
حَتَّـامَ سَمْعُـكَ لا يَعِـي لِمُـذَّكِـرٍ
وصَـمِيْـمُ قَلْبِـكَ لا يَـلِيْنُ لِعَـاذِلِ

تَبْغي مِنَ الــدُّنْيا الكَـثِيْــرَ وإنَّمَــا
يَكْفِيْــكَ مِنْ دُنْيَاكَ زَادُ الــرَّاحِــلِ
آيُ الكِتَــابِ يَهُـزُّ سَمْعَــكَ دائِمــاً
وتَصُمُّ عَنْهــا مُعْـرِضــاً كـالغَــافِـلِ
كَمْ لِــلإِلٰـهِ عليْــكَ مِن نِعَمٍ تُـرَى
وَمَــواهِــبٍ وفَــوائِــدٍ وفَــوَاضِــلِ
كَمْ قَـد أَنَالَـكَ مِن مَـوَانِـحِ طَـوْلِـهِ
فـأسْأَلْـهُ عَفْواً فهُـوَ غَـوثُ السَّـائِـلِ

اللّهُمَّ مَكِّنْ حُبَّكَ في قُلوبِنا وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ ووفِّقْنا لامْتِثَالِ طَاعَتِكَ وأمْرِكَ واغْفِرْ لَنَا ولِوالِدِيْنَا ولجَمِيع المُسْلِمينَ بِرَحْمتِكَ يَا أرْحَمَ الرّاحِمِين وصلّى الله على مُحَمّد وآلهِ وصحْبِهِ أجمَعِين .

٢٩ « موعظـة »

عِبَادَ اللّه مَن تَكَبَّرَ أَذَلَّهُ وَمَنْ تَواضَعَ لِلّهِ رَفَعَهُ اللّهُ والمُتَكَبِّرُوْنَ يُحْشَرُوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ في صُوَرِ الذَّر تَطَؤُهُمْ النّاسُ لِهَوانِهِمْ عَلَى اللّهِ تعالى المُتَكَبِّرُوْنَ شِرَارَ الخَلْقِ وأهلُ النّارِ كُلُّ جَعْظَرِيّ جَوّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ ، المُتَكَبِّرُ يَشْمَخُ بأنْفِهِ إذا تَكَلَّمَ ، وَيُجَافِي مِرْفَقَيْهِ عَن جَنْبَيْهِ لَاوِياً عُنُقَهُ، يُقَارِبُ خُطَاهُ إذا مَشَى ، مُتَطاوِلاً عَلَى إخْوَانِهِ ، مُتَرَفِّعاً على أقْرَانِهِ ، يَنْظُرُ النّاسَ شَزَراً بمُؤَخَّرِ العَيْنِ ، مُتَقَدِّماً عَلَيْهِم إذا مَشَى ، مُحْتَقِراً لِلْعَامَّةَ ، ولا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَهُم وَبَيْنَ الحَميْرِ اسْتِجْهَـالاً مِنْهُ لَهُم ، فالمُتَكَبِّرُ لا يُحِبُّ لِلْمُؤْمِنينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، لأنَّهُ لا

يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، ولا يَقدِرُ على التَّواضُعِ وَهُوَ رَأسُ أَخْلاَقِ المُتَّقِيْنَ ، وَلا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ الحِقْدِ ، وَلا يَقْدِرُ أنْ يَدُوْمَ عَلَى الصِّدْقِ ، ولا يَقْدِرُ عَلى تَرْكِ الغَضَبِ ، وَلا عَلَى كَظْمِ الغَيْظِ ، ولا يَسْلِمُ مِنَ الازْدِرَاءِ بالنَّاسِ واحْتِقَارِهِم ولاَ يَسْلَمُ مِنْ اغْتِيابِهِمْ ، وتَنْقُصِهِمْ ، لِأَنَّ فِيْهِ مِنَ العَظَمَةِ والعِزَّةِ والكِبْرِيَآء ، مَا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَمَا مِن خُلُقٍ ذَمِيْمٍ إلا وَصَاحِبُ الكِبْرِ والعَظَمَةِ مُضْطَرٌّ إِلَيْهِ ، لِيَحْفَظَ بِهِ عِزَّهُ وَعَظَمَتَهُ ، وَمَا مِن خُلُقٍ مَحْمُوْدٍ إلاّ وَهُوَ عاجِزٌ عَنْهُ خَوْفاً مِن أنْ يَفُوتَهُ عِزُّهُ وعَظَمَتُهُ ، ولِذَلِكَ وَرَدَ فِي الحَدِيْثِ أنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ ،ومِمَّا جَاءَ فِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لابنِهِ﴿وَلاَ تُصَعِّر خَدَّك لِلنَّاسِ وَلاَ تمشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور » ومِن تَعَالِيمِ رَبِّنَا لِهَذِهِ الأُمَّةِ ونَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، بِقَولُ تَعَالى : ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إنّك لَنْ تَخْرِق الأَرْض ولنْ تَبْلُغَ الجبالَ طُوْلاَ﴾ فَيَا أَيُّها المُتَكَبِّرُ النَّاظِرُ في عِطْفَيْهِ ، المُتَعَاظِمُ فِي نَفْسِهِ ، إنَّ شَأنَكَ حَقِيْرٌ ، وَقَدْرُكَ صَغِيْرٌ وَلَسْتَ بِمَحْسُوبٍ في العِيْر ، ولا في النَّفِيْرِ ، وَمَا لَكَ عِنْدَ عَاقِلٍ مِنْ حِسَابٍ ، ولا تَقْدِيْر ، لاَ قَلِيْلٍ ولا كَثِيْرٍ ، فَهَوِّنْ عَلَيْكَ ، وارْفُقْ بنَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ مَغْرُوْرٌ ، يا مِسْكِيْنَ وَتَدَبَّرْ كَلاَمَ رَبِّ العَالَمِيْنَ ﴿إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْتَكْبِرِيْنَ﴾ إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُوْنَ عَن عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين ﴿قِيْلَ ادْخُلُوا أبوابَ جَهَنَّمَ خَالِدِيْنَ فِيْهَا فَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرينَ﴾ وذَمُّ الكِبْر في القُرآنِ كَثِيرٌ ، والمُتَكَبِّرُ عَدُوٌّ لِلّهِ ولِنَفْسِهِ ، ولِلّنَاسِ ، يُقَصِّرُ في الوَاجِبِ ويَدَّعِيْ مَا لَيْسَ لَهُ وَيَتَشَدَّقُ في الكَلاَمِ ، وَيَتَأَلَّقُ في اللّبَاسِ ، وإنّهُ لَثَقِيْلٌ فِي حَرَكَاتِهِ ، وسَكَنَاتِهِ ، بَغِيْضٌ في أمْرِهِ ونَهْيِهِ ، وَمُجَالَسَتِهِ ، ومُؤاكَلَتِهِ وَمُشَارَبَتِهِ ، والوَيْلُ كُلَّ الوَيْلَ لِمَنْ صَاهَرَهُ أوْ شَارَكَهُ أوْ رَبَطَتْهُ بِهِ صِلَةٌ ، لأنَّ دَاءَ الكِبْرِ يُعْدِي ويَسْرِي فَتَبْعُدُ السَّلاَمَةُ مِن المقْتَرِبِ مِنْهُ رَأى بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ مَنْ يَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ فَغَمَزَ

وَمِنْ آثارِ الكِبْرِ تَصْعِيْرُ الخَدِّ ، والنَّظَرُ شَزْراً ، واطْرَاقُ رَأْسِهِ ، وجُلُوسُهُ مُتَرَبِّعاً أَوْ مُتَكِئاً .

وتَظْهَرُ الكِبْرِ أَيْضاً في أَقْوَالِ المُتَكَبِرِ حَتَّى في صَوْتِهِ ونَغْمَتِهِ وَصِيْغَةِ كَلَامِهِ في الإِيْرَادِ وقِيْلَ لإِحْمَقَ تَكَبَّرَ وقَامَ سَاخِطاً على اسْتَاذِهِ لِماذا قُمْتَ فقال دَخَلْتُ ولم يَحْتَرِمْنِيْ وَجَلَسْتُ فلم يُكْرِمْنِي ولم يَدْرِ مَنْ أَنَا واسْتَشْهَدَ بقولِ جَنْبَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَيْسَتْ هَذِهِ مِشْيَةَ مَنْ فِي بَطْنِهِ خِراءٌ ، وكَيْفَ يَتَكَبَّرُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ مذِرَةٌ ، وَآخِرُهُ جِيْفَةٌ قَذِرَةٌ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَحْمِلُ البَوْلَ والعَذَرَة ، هَذَا أَكْبَرُ بُرْهانٍ على أَنَّهُ دَنِس جَاهِلٌ مَجْهُوْلٌ نَكِرَةٌ مُمْتَلِئاً كِبْراً وإِعْجَاباً بِنَفْسِهِ وسُمْعَةً ، ورِيَاءً ، ولُؤماً وشُؤماً وشَرَهاً فَهُوَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بالدُّخَانِ يَمْلأُ الفَضَاءَ ويَتُكُ صُدُوْرَ النّاسِ وأَصْلُهُ مِن القُمَامَاتِ والأَوْسَاخِ المُبَعْثَرَةِ نَسأَلُ اللّهَ أن يُقَلِّلَ هَذَا النوعَ المُنْحَطَّ وأنْ يُكثِّرَ ضِدَّهُ مِنْ أَهْلِ التَّواضُعِ واللِّيْنِ والعَطْفِ والحَنَانِ : قَالَ اللّه تعَالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرة نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لَا يُرِيْدُونَ عُلوا فِي الأَرْضِ ولا فَسَاداً والعَاقِبَةُ لِلمتَّقِين﴾ : اللّهُمَّ أَنْظِمْنَا في سِلْكِ عِبادِكَ الأَخْيار ونَجِّنَا بِرحْمَتِكَ مِن عَذَابِ النَّارِ وأسكنّا الجَنّة مع أوليائِكَ الأبرَار واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِيْنَا ولِجَمِيع المُسْلِمينَ يا أَرْحَم الرَّاحِمِين وصلّى الله على مُحَمّد وعلى آلِهِ وصَحبِهِ أجمَعِين .

(فَصْــلٌ)

ولِلْكِبْرِ آثارٌ تَظْهَرُ عَلَى الجَوارِحِ كُلُّهَا تَدُوْرُ حَوْلَ ذَلِكَ النَّظَر ، فَتَرَى المُتَكَبِرَ إِنْ سَمَحَ بِمَمْشَاهُ مَعَ النّاسِ يَكُونُ مُتَقَدِّماً عَلَيهِم ،حَرِيْصاً جِدّاً أَنْ يَكُونُوا كُلُّهُم خَلْفَهُ ، وتَرَاهُ إن جَلَسَ مَعَهُم ورَضِيَ أَنْ يَكُونُوا جُلَسَاءَهُ ، مُحْتَفِظاً بِصَدْرِ المَجْلِسِ مُسْتَقِلاً بِهِ وَيَسُرُّهُ أَنْ يُصْغُوْا إِلى كَلامِهِ ، ويُؤْلِمُهُ كَلَامُ غَيْـرِهِ وتَجِدُهُ يَنْتَظِرُ مِن النّاسِ أَنْ يَتَلقَوْا كَلَامِهِ بالقَبُوْلِ والتَّصْدِيْقِ .

الشاعرِ

(وَلَــوْ كَــانَ ادْرَاكُ الــهُــدَى بِتَــذَلُّــلٍ
رَأَيْتُ الهُـدَى أَنْ لَا أَمِيْـلَ إِلى الهُـدَى)

وَيَظْهَرُ أَيْضاً أَثَرُ الكِبْرِ في مَشْيِهِ وَتَبَخْتُرِهِ وَقِيَامِهِ وَجُلُوسِهِ وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَفِيْ تَعَاطِيْهِ لأَفْعَالِهِ ، وَفِيْ سَائِرِ تَقَلُّبَاتِهِ فِيْ أَحْوَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ .

وفي كِتَابِ الخُمُولِ والتَّوَاضُعِ لابنِ أبي الدُّنْيا عن أبِي بَكْرٍ الهُذَلِي قال : بَيْنَمَا نَحنُ مَعَ الحَسَنِ ، اذْ مَرَّ عَلَيهِ ابنُ الأهْتَمِ يُرِيْدُ المَنْصُورَ وعليهِ جُبَابُ خَزٍ ، قد نَضَدَ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ على سَاقِهِ ، وانْفَرَجَ عَنْهَا قَبَاؤُهُ وهو يَمْشِيْ وَيَتَبَخْتَرُ، إذْ نَظَرَ إِلَيْهِ الحَسَنُ نَظْرَةً فقال: أُفٍّ أُفٍّ، شَامِخٌ بِأَنْفِهِ ثَانِي عِطْفِهِ ، مُصَعِّرٌ خَدَّهُ ، يَنْظُرُ في عِطْفَيْهِ أَيُّ حَمِيْقٍ يَنْظُرُ في عِطْفَيْهِ في نِعَمٍ غَيْرَ مَشْكُوْرَةٍ ولا مَذْكُوْرَةٍ ، غَيْرَ المأخُوْذِ بِأَمْرِ اللّهِ فِيْهَا ، ولا المُؤَدِيْ حَقَّ اللّهِ مِنهَا واللّهِ أَنْ يَمْشِيْ أَحَدُهُمْ طَبِيْعَتَهُ يَتَلَجْلَجُ تَلَجْلُجَ المجنون في كل عضو منه نِعْمَةٌ وللشيطان بها لعنة ، فسمعه ابنُ الأَهْتَمِ ، فَرَجَعَ يَعْتَذِرُ إليهِ ، فقال لا تَعْتَذِرْ إليَّ وَتُبْ إلى رَبِّكَ ، أما سَمِعْتَ قَوْلَ اللّهِ تَعالَى ﴿ ولا تَمْشِي في الأرضِ مَرَحاً إنك لَنْ تَخْرِقَ الأرضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُوْلاً ﴾ .

اللهم أمْنُنْ علينَا باصْلاحِ عُيوبِنَا واجعلْ التقْوى زادَنا وفي دِيْنِكَ اجتهادَنا وعليك توكّلنا واعتَمادُنا واغفرْ لنا ولوالِدِيْنَا ولجميعِ المسلمينَ الاحياءِ منهم والميتينَ برحمتك يا أرحمَ الراحمينَ وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبِهِ أجمعين .

٣٠ « موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ كَانَتِ القُلُوبُ مَوْضِعَ العِنَايَةِ التَّامَّـةِ عِنْدَ السَّلَفِ الصَّالِحِ لِأَنَّهُمْ يَعلمون أنّها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَـدُ كُلُّهُ » وذلكَ لِأَنَّهـا مَبْدَأُ الحَـرَكَاتِ البَـدَنِيَّةِ ، والإِراداتِ النَّفْسَانِيَّة ، فإن صَدَرَتْ مِن القُلُوبِ إِرادَةٌ صَالِحَةٌ تَحَرَّكَ البَدَنُ حَرَكَةً طاعة ، وان صَدَرَتْ عَنْهَا ارادَةٌ فَاسِدَةٌ تَحَرَّكَ البَدَنُ حَرَكَةً فاسِدَةً ، فَهُوَ كَمَلِكٍ والأَعْضَاءُ كَالرَّعِيَّةِ ، ولا شَكَّ أَنَّ الرَّعِيَّةِ تَصْلَحُ بِصَلَاحِ المَلِكِ وَتَفْسُدُ بِفَسَادِهِ ، وكانَ وَاجِباً عَلَيْنَا أن نَكُونَ كَمَا كَانَ سَلَفُنَا فِي العِنَايَةِ بِهَاتِيْكَ القُلُوبِ لأنّ بِهَا سَعَادَتُنَا بإِذْنِ اللهِ وَبِهَا شَقَاؤُنَا ، ولكن يَا لِلأَسَفْ مَا كَان مِن ذَلِكَ شَيْءٌ والذي كانَ مِنَّا أَنَنَا أَهْمَلْنَا قُلُوبَنَا إِهْمَالاً تَتَجَرَّحُ لَهُ القُلُوبُ ، وَتَذُوبُ لَهُ الأَكْبَـادُ وَلِذَلِـكَ نَشَأَ فِيْنَـا نَتِيْجَةَ الإِهْمَـالِ كَثْرَةُ الأَمْرَاضِ فِي القُلُوبِ وَتَشَعَّبَتْ وَأَعْضَلَتْ وَصَعَبَ شِفَاؤُهَـا ، وانْعَدَمَ أطبَاؤُهَا وَمَنْ وَصِلَ إلى هَذَا الحَدِّ فَهُوَ في خَطَر عَظِيْمٍ .

فَمِنْ الأَمْرَاضِ التِي أَزْمَنَتْ فِي قُلُوبِنَا مَرَضُ الرِّياءِ الذِي لا يَكَادُ يَسْلَمُ منه إلَّا النَّوَادِرُ ، وَمِنَ الأَمْرَاضِ التِي أُصِبْنَا بِهَا مَرَضُ العُجْبِ ، ولِهَذَا يَعْتَقِدُ **الصغيرُ مِنَّا والكبيرُ الكَمَالَ في نَفْسِهِ ومَن اعْتَقَدَ ذلكَ في نَفْسِهِ هَوَى لأنَّهُ لا يَلْتَفِتُ إلى مَا بِهِ كَمَالُ الرِّجَالِ ، وَمَرَضٌ يُنْتِجُ مَرَضاً آخَرَ هُوَ مَرَضُ الكِبْرِ وَصْفُ الأَنْذَالِ والأَرْذَالِ والجُهَّالِ ، والمُتَكَبِّرُ لا يُنْظَرُ إليهِ بعَيْنِ الرضَا والكِبْرُ يَنْشأُ عَنه مَرَضُ الحَسَدِ والحَسُودُ يَتَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَةِ اللهِ عَن خَلْقِهِ ، والحَسَدُ يُوَلِّدُ الحِقْدَ الذِي رُبَّمَا حَمَلَ صَاحِبَهُ على قَتْلِ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ إلَّا ما أَوْلَاهُ اللهُ مِن النِّعَمِ ، ولَيْسَ هَذَا كُلُ مَا فِي قُلُوبِنَا مِن الأَمْرَاضِ بَلْ فِيْهَا مَرَضُ البُخْلِ**

وَالشُّحّ الذِي وَصلَ بِنَا إلى مَنْعِ الزكاةِ أو بَعْضِهَا ، وغَيرُ ذَلِكَ كَثِيْرٌ وَكُلُّهَا أمْرَاضٌ مُهْلِكَاتٌ ، ونحنُ لا نَهْتَمُّ بقُلُوبِنَا ولا بأَمْرَاضِهَا وإنَّمَا نَهْتَم بأمْرَاضِ أَجْسَامِنَا ، ونُبَادِرُ في عِلاَجِهَا إلى المُسْتَشْفَيَاتِ ، وأَمْرَاضُهَا يَسِيْرَةٌ بَسِيْطَةٌ بِالنِّسْبَةِ إلى أمْرَاضِ القُلُوبِ ، ونَهْتَمُّ أَيْضاً بِجَمَالِ ظَوَاهِرِنَا فَنُبَالِغُ فِي تَحْسِيْنِ مَلاَبِسِنَا ومَرَاكِبِنَا ومَسَاكِنِنَا ومَجَالِسِنَا وأبْدَانِنَا ، أنْظُرْ إلَيْنَا عِنْدَ الذّهَابِ إلَى مَقَرِّ العَمَلِ لِتَتَعَجَّبَ مِن تَغْفِيْلِنَا وانْخِدَاعِنَا ، ولَو كانَتْ عنَايَتُنَا بالقُلُوبِ كَعِنَايَتِنَا بالمَلاَبِسِ فَقَطْ مَا كُنَّا بِهَذِهِ الحَالاَتِ المحزنات .

اللهُمَّ يا جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيْهِ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصِّدْقِ وَالنِّيةِ الصَّالِحَةِ والاخلاصِ والخُشُوعِ والمُرَاقَبَة واليَقِيْنِ والعِلْمِ والمَعْرِفَةِ والفَصَاحَةِ والبَيَانِ وَالفَهْمِ في القُرْآنِ وَخُصَّنا مِنْكَ بالمَحَبَّةِ وَالاصْطِفَائِيَّةِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الرَّشِيْدِ والرِّزْقِ الهَنِيْءِ الذِي لاَ حِجَابَ بِهِ في الدُّنْيَا وَلاَ حِسَابَ ولا سُؤالَ ولا عِقَابَ عَلَيْهِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

اللهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وعَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، ووَفِّقْنَا للعمل بما فَهَّمْتَنَا ، اللهُمَّ إنْ كُنَّا مُقَصرِّيْنَ في حِفْظِ حَقِّكَ ، والوفاء بعَهْدِكَ ، فأنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا في رَجَاءِ رِفْدِكَ ، وخالِص وُدِّكَ ، اللهُمَّ أنْتَ أعْلَمُ بنا منَّا ، فَبِكَمالِ جُوْدِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِيْنا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، الأَحْيَاءِ مِنْهُم والمَيِّتِيْنَ ، برَحْمَتَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصلى الله على مُحَمَّدٍ وعلى آله وصَحْبِهِ أجمعين .

٣١ (مَـوْعِظَـة)

عِبَادَ اللَّهِ بِمَا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ مَنَّ عَلَيْكُمْ بِالإِسْلاَمِ فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحِبُّوهُ ، فَإِنَّه الذِيْ بِيَدِهِ خَيْرُ الدّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَأَنْ تُحِبُّوا رَسُوْلَهُ ﷺ الذِيْ لَوْلا اللَّهُ ثمَّ لَوْلاَهُ لَكُنْتُمْ مِنْ حَطَبِ جَهَنَّمَ تَلْتَهِبُ بِكُمْ أَبَدَ الآبِدِيْنَ ، وَأَنْ تُحِبُّوا أَحْبَابَ اللَّهِ ، وَأَحْبَابُه هُمُ الذِينَ لَزِمُوا طَاعَةَ مَوْلاَهُمْ وَتَبَاعَدُوا عَنْ مَعْصِيَتِهِ كَمَا يَتَبَاعَدَ الإِنْسَانُ عَمَّا يَقتُلُهُ مِنْ سُمٍّ وَنَحْوِهِ بَلْ السُّمُّ أَهْوَنُ وَأَخَفُّ مِنْ كَثِيْرٍ مِنْ المَعَاصِيْ كَيْفَ لاَ وَالمَعَاصِيْ لاَ تُسْلِمُ فَاعِلَهَا إِلاَّ إِلَى العَذَابِ الأَلِيْمِ إِنْ لَمْ يَتَجَاوَزْ عَنْهُ مَوْلاَهُ ، مَضَى فِي صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ أُنَاسٌ قَالَ اللَّهُ فِيْهِمْ ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ وَهُمْ الذِيْنَ كَانوا بِأَرْوَاحِهِمْ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ يَجُوْدُوْنَ ، وكَانُوا يَرَوْنَ السَّعَادَةَ كُلَّ السَّعَادَةِ فِي ذَلِكَ الجُودِ وَإِذَا لَمْ يَسْتَطِيْعُوْا كَانُوا لِذَلِكَ يَحْزَنُوْنَ وَكَانَ هَؤُلاَءِ الناسُ يُحِبُّونَ رَسُولَهُمْ فَوقَ مَحَبَّتِهِمْ لأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَكَانَ حُبُّ أَحَدِهم لأَخِيْهِ أَعْظَمَ مِن حُبِّهِ لآثَاثِهِ وَمَالِهِ يُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَلِذَلِكَ كَانُوا فِي كُلِّ المَنَافِعِ لاَ يَعْرِفُوْنَ إِلا خُلُقَ الإِيثَارِ ، كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ، وَلَو كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ سَلِ التَّارِيْخَ عَنْهُمْ يُخْبِرْ عَنْهُمْ أَخبَاراً مَا سَمِعْتَ قَطُّ بِمِثْلِهَا يُخْبِرْكَ أَنَهُمْ كَانُوا سَادَةَ الدُّنْيَا يَعْتَرِفُ بِذَلِكَ العَدُوُّ قَبْلَ الصَّدِيْقِ اعْتَرَافَ إِقْرارٍ وإِذعانٍ يُخْبِرْكَ أَنهُمْ كانُوا إِذَا اتَّجَهُوا لِغَزْوِ جِهَةٍ يَنْهَزِمُ أَهْلهَا وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ مَسَافَةٌ عَظِيْمَةٌ وَكَيْفَ لاَ يُعِزُهُمْ رَبُّهُمْ وَقُلُوبُهُمْ كَانَتْ وَقْفاً عَلَى حُبِّهِ وَحُبِّ رَسُوْلِهِ ﷺ وَحُبِّ كُلِّ مَا يُرْضِيْهِ مِنْ مَبَارٍّ ، هَؤُلاَءِ كَانُوا عَبِيْدَ اللَّهِ عُبُوْدِيَّةً مَا رَأَتْ الدُّنْيَا عُبُوْدِيَّةً مِثْلَهَا فِي سَائِرِ العَبِيْدِ عَدَا الرُّسُلِ الكِرَامِ لِذَلِكَ كَانُوا يَحِنُّونَ لِطَاعَتِهِ حَنِيْناً لاَ يَنْقَضِي عَجَبُهُ وَهُوَ مُخْلَصٌ وَشَدِيْدٌ كَانُوا لاَ يَشْبَعُونَ مِنَ العِبَادَةِ بِالنَّهَارِ

فَيَسْتَقْبِلُونَ اللَّيْلَ بعَزَائِمِهِمْ بَعَثَتْهَا هِمَمٌ عَالِيَةٌ ، لَا تَكِلُّ وَلا تَمِلُّ مِنَ العِبَادَةِ ، بَلْ هِيَ فِي العِبَادَةِ كَالسَّمَكِ فِي البَحْرِ ، واللَّيْل عَلَى ذَلِكَ شَهِيْدٌ وَمَنْ الذِيْ يقول إِنَّ الحَبِيْبَ يَشْبَعُ مِن خَدْمَةِ حَبِيْبِهِ وسَيِّدِهِ ومَوْلَاهُ الذي بِيَدِهِ الخَيْرُ كُلُّه خَيْرُ الدُنْيَا والآخِرَةِ هَؤُلَاءِ الذِيْنَ هُمْ خِيْرَةُ الله مِن خَلْقِهِ هُمْ سَلَفُنَا الصَّالِحُ ، فَيَنْبَغِيْ أَنْ نَقْفُوا آثَارَهُمْ ، وَنَكُونَ عَلَى مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِن المَحَبَّةِ الفائِقَةِ والطَّاعَةِ الفَرِيْدَةِ لِمَوْلَانَا .

اللهم ياعظيم العفو ياواسع المغفرة ياقريب الرحمة ياذا الجلال والاكرام فَرِّغْنَا لِمَا خَلَقْتَنَا له ، ولا تشغلنا بما تكفلت لنا به ، وهب لنا العافية في الدنيا والآخرة ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك ياأرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

٣٢ موعظة

عِبَادَ اللهِ فَتِشُوْا قُلُوْبَكُم بِتَأَنٍّ واتِّئَادٍ ، وابْحَثُوْا عَمَّا تَغَلْغَلَ فِيْهَا مِن الأَضْغَانِ والأَحْقَادِ ، فَاذا وَجَدْتُمْ شَيْئاً مِن ذَلِكَ فاجْتَهِدُوْا وَاعْمَلُوا عَلَى سُرْعَةِ إِزَالَتِهِ وَمَحْوِهِ بِجِدٍ واجْتِهَادٍ وأَعْرِضُوْا بِكُلِّيَتِكُم عن وَحْيِ الشيطانِ وَوَساوِسِهِ ، واسْتَعِيْذُوا باللهِ القَوِيِ القَدِيرِ مِن هَمَزَاتِهِ وهَوَاجِسِهِ ، فانَّهُ لا يُرِيْدُ إلَّا إِيقَاعَكُم في البَلَا ، وَتَعْرِيْضَكُم لِسَخَطِ اللهِ ومَقْتِهِ الشَّدِيدِ ، مَاذَا يَضُرُّكُم إِنْ تَنَازَلْتُمْ عَنْ بَعْضِ حُقُوقِكُم ، وتَجَاوَزْتُم وصَفَحْتُم عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكُم مِن إِخْوانِكُم ، وقَصَدْتُمْ وَجْهَ اللهِ وثَوابَهُ في صَفْحِكُم وتَنَازُلِكُم ، وبِذَلِكَ تكُونُونَ قَدْ أَرْضَيْتُمْ اللهَ رَبَّ العَالِمَيْن ، وأَبْعَدْتُم شَبَحَ الشَّرِ عَنْكُم . وعَنْ إِخْوَانِكُم المُسْلِمِيْن وكُنْتُم أَصْحَابَ الفَضْلِ والمِنَّةِ ، يَشْكر

اللهُ والناسُ لكُم هَذَا الخُلُقَ الطَّيِّبَ الحَمِيْدَ ، ألَا فاحْرِصُوْا عِبَادَ اللهِ على الفَضْلِ العَظِيْمِ ، وأَقْبِلُوا سِرَاعاً إليْهِ ، واكْظِمُوا غَيْظَكُم ، وابْذِلُوا جُهْدَكُم في التَّغَلُّبِ عليهِ ، واعْلَمُوا أنَّ الجَزَاءَ مِن جِنْسِ العَمَلِ ، فاللهُ يَغْفِرُ مِن ذُنُوبِ العَافِيْنَ عن الناسِ ، وَيُمَجِّدُ الكَاظِمِيْنَ الغَيْظَ ، ويَتَوَلَّاهُمْ بالفَضْلِ والكَرَامَةِ ، ويُزَوِّجُهُم مِن حُوْرِ الجِنَانِ ما يَشَاؤُونَ يومَ القِيَامَةِ ، ويَدْعُوْهُمْ يَومَ القِيَامَةِ على رُؤوسِ الخَلائِقِ إلى تِلْكَ الكَرَامَةِ ، لِيَعْلَمَ فَضْلَهُمْ ، ويَشْهَدَ مَجْدَهُمْ القَرِيبُ والبَعِيْدُ . فاذَا مَا عَلِمْتُمْ هَذَا فَقَارِنُوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُعَامِلُ اللهُ به المُشَاحِنَ الحُقُوْدَ الحَسُوْدَ ، الذِيْ أَجَابَ دَاعِيَ الشَّيْطَانِ ، وأَعْرَضَ عَنْ نصِيْحَةِ رَبِّهِ الذِي خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ ، ويَسَّرَ لَهُ أُمُورَهُ ، وأَصَرَّ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِن التَّقَاطُعِ والشَّحْنَاءِ والصُّدُوْدِ ، وسَتَرَوْنَ أنَّهُ بعِنَادِهِ وَإبَائِهِ واسْتِكْبَارِهِ قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ عَرَّضَ نَفْسَهُ في الدُّنْيَا لِنِقَمِ اللهِ المُتَعَاقِبَةِ ، وأبقَى لَهَا بَعْدَ المَوتِ جَهَنَّمَ يَلْقَى فِيْهَا العَذابَ الأَلِيْمَ ، وَقَدْ وَرَدَ عَن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم : أنَّ المُتَهَاجِرَيْنَ المُتَشَاحِنَيْنِ ، يُعْـرِضُ اللهُ عنهما ، وَإذَا أَفَـاضَ عَلَى خَلْقِهِ رَحْمَتَـهُ كَانَ الحِـرْمَانُ نَصِيْبَهُمَا ، ولا يَزَالانِ هكذا . حَتَّى يُزِيْلَا مَا بَيْنَهُمَا مِن الخِصَامِ ، وَيَعُوْدَا إلَى ما كانَا عَلَيْهِ مِن قَبْلُ مِن الصَّفَاءِ والوِئَامِ ، واللهُ سبحانه وتعالى عَفُوٌّ غَفُوْرٌ : تَفَهَّمُوْا يا إخْوَانِي جَيِّداً ، واقْرَعُوْا قُلُوبَكُمْ بِمَا سَمِعْتُمْ مِن الزَّوَاجِرِ والعِظَاتِ ، واعْلَمُوْا أنَّ أَقْـرَبَ المُتَصَـافِيَيْنِ إلى اللهِ أَسْبَقُهُمَـا إلى الصَّفْحِ ، وتَنَاسِيْ مَا فَاتَ ، وأَعْظَمَهُمَا أجْراً مَن بَدَأَ بالسَّعْيِ إلَى إزَالَةِ الأَضْغَانِ والأَحْقَادِ ، فإنْ اسْتَجَابَ خَصْمُهُ لِلصُّلْحِ ، ولَمْ يَتأخرْ ، فَبِهَا وَنِعِمَتْ ، واسْتَحَقَّ نَصِيْبَهُ مِنَ الأَجْرِ والثَّوَابِ ، وَإن أَبَى وامْتَنَع فَقَدْ احْتَمَلَ الاثمَ والعِقَابَ فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ ، واعْمَلُوا بهذِهِ النَّصِيْحَةِ ،

وسَارِعُوا بالاعتذارِ إلى رَبكُم ، واسْتَجِيْبُوا إلى دَاعِي الهُدَى والرَّشَادِ ، وأَصْلُحوا ذاتَ بَيْنِكم ، وهَلِمُّوا سِراعاً إلى مُصَافَاةِ مَن خَاصَمْتُمْ مِن إخْوانِكُم ، وبذلكَ تَصُونُونَ بُيُوتَكُم مِن الخَرَابِ ، وتَحْفَظُونَ أمْوَالكُم مِن التَّلاشِيْ والذَّهَابِ ، وتَرْجُونَ رِضَا رَبكُم وَعَفْوَهُ يَومَ البَعْثِ والحِسَابِ ، ﴿ يَومَ لا يَنْفَعُ مَالٌ ولا بَنُونَ ، إلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بقَلْبٍ سَلِيْم ، ﴾ ، ﴿إن في ذلك لَذِكْرَى ، لِمَنْ كانَ له قَلبٌ ، أَوْ أَلْقَى السمعَ وهو شهيد﴾ رَوَى أَبُو دَاوُدَ عن أبي هريرة رضي الله عنهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم قال « لا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أنْ يَهْجُرَ مُؤْمِناً فَوْقَ ثَلاثٍ ، فإنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلاَثٌ فَلْيَلْقَهُ فليُسَلِّمْ عَلَيهِ ، فإن رَدَّ عليهِ السلامَ فَقَد اشْتَرَكَا في الأَجْرِ ، وإنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ باءَ بالاثِم وَخَرَجَ المُسَلِّمُ مِن الهَجْرِ » وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال .

« تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَومَ الاثْنَيْنِ والخَمِيْسِ ، فَمِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرُ لَهُ ، ومِن تَائِبٍ فيُتَابُ عَلَيْهِ ، وَيُرَدُّ أَهْلُ الضَّغَائِنِ بضَغَائِنِهم حتى يَتُوبُوا » وَوَرَدَ عنهُ صلى اللهُ عليه وسلم انَّهُ قال « مَن كظَمَ غَيْظاً وهُوَ قَادِرٌ أن يُنفِذَهُ ، دَعَاهُ اللهُ يومَ القِيَامَةِ على رُؤُوسِ الخَلائِقِ ، حتى يُخَيِّرَهُ مِن الحُورِ العِيْنِ مَا شَاءَ والله اعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

٣٣ موعظــة

عِبَادَ اللّهِ إنَّ شَأْنَ الصَّلاَةِ عَظِيْمٌ جِدّاً فِي دِيْنِنَا مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ وَفِي كُلِّ دِيْنٍ وأَسْرَارُهَا العَظِيْمَةُ وَبرَكَاتُهَا العَمِيْمَةُ وَفَوائِدُهَا الكَثِيْرَةُ لا تَخْفَى عَلَى كَثِيْرٍ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ .

وَلَيْسَتِ الصَّلاَةُ مُجَرَّدُ أَقْوالٍ يَلُوْكُهَا اللِّسَانُ وَحَرَكَاتٌ تُؤَدِّيْهَا الجَوارِحُ بِلاَ تَدَبُّرٍ مِنْ عَقْلٍ وَلاَ تَفَهُّمٍ وَلاَ خُشُوْعٍ مِنْ قَلْبٍ لَيْسَتْ تِلْكَ الَّتِيْ يَنْقُرُهَا صَاحِبُهَا نَقْرَ الدِّيكَةِ وَيَخْطِفُهَا خَطْفَ الغُرَابِ وَيَمُرُّ بِهَا مَرَّ السَّحَابِ كأَنَّ وَرَاءَهُ طَالِبٌ حَثِيْثٌ وَيَلْتَفِتُ فِيْهَا التِفَاتَ الثَّعْلَبِ يَمِيْناً وَشِمَالاً وَفَوْقاً وَتَحْتاً .

كَلَّا فَالصَّلاَةُ المُقَامَةُ تَمَاماً هِيَ الَّتِي تَأْخُذُ حَقَّهَا مِنَ التَّأَمُّلِ والخَشْيَةِ والخُضُوْعِ والسُّكُوْنِ واسْتِحْضَارِ عَظَمَةِ المَعْبُوْدِ جَلَّ جَلاَلُهُ .

وَذَلِكَ أَنَّ القَصْدَ مِنَ الصَّلاَةِ وَسَائِرِ العِبَادَاتِ هُوَ تَذْكِيْرُ الإِنْسَانِ بِرَبِّهِ الأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى .

وَالصَّلاَةُ صِلَةٌ بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ تَقْوَى بِهَا مَحَبَّةُ العَبْدِ لِرَبِّهِ كُلَّمَا تَكَرَّرَتْ قَالَ ابْنُ القِيم رَحِمَهُ اللّهُ فَإِنَّ المُحِبَّ يَتَلَذَّذُ بِخِدْمَةِ مَحْبُوْبِهِ وَتَصَرُّفِهِ فِي طَاعَتِهِ وكُلَّمَا كَانَتْ المَحَبَّةُ أَقْوَى كَانَتْ لَذَّةُ الطَّاعَةِ والخِدْمَةِ أَكْمَلُ فَلْيَزِنِ العَبْدُ إِيْمَانَهُ وَمَحَبَّتَهُ بِهَذَا المِيْزَانِ والْيَنْظُرْ هَلْ هُوَ مُلْتَذٌّ بِخِدْمَةِ مَحْبُوْبِهِ أَوْ مُتَكَرِّهٌ لَهَا يَأْتِيْ بِهَا عَلَى السَّآمَةِ والمَلَلِ والكَرَاهَةِ فَهَذا مَحَكُّ إِيْمانِ العَبْدِ وَمَحَبَّتُهُ لِلّهِ .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ إِنِّي أَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ فَأَحْمِلُ هَمَّ خُرُوْجِيْ مِنْهَا وَيَضِيْقُ صَدْرِي إذا فَرَغْتُ لِأَنّي خَارِجٌ مِنْهَا وَلِهَذا قَالَ النَّبِيّ ﷺ وَجُعِلَتْ قُرَّتْ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ وَمَن كَانَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي شَيْءٍ فَإِنَّهُ لَا يَوَدُّ أَنْ يُفَارِقَهُ وَلاَ يَخْرُجُ مِنْهُ فَإِنَّ قُرَّةَ عَيْنِ العَبْدِ نَعِيْمُهُ وَطِيْبُ حَيَاتِهِ بِه .

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ إِنّي لَأَفْرَحُ باللَّيْلِ حِيْنَ يُقْبِلُ لِمَا تَتَلَذَّذُ بِهِ عيشتي وتَقَرُّبِهِ عَيْنِي مِن مُنَاجَاةِ مَنْ أُحِبُّ وَخَلْوَتِي بِخِدْمَتِهِ والتَّذَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْهِ واغْتَمُّ

لِلفَجْرِ إذا طَلَعَ لِمَا اشْتَغِلَ بِهِ بِالنَّهَارِ عَنْ ذَلِكَ فَلا شَيْءَ أَلَذُّ لِلْمُحِبِّ مِنْ خِدْمَةِ مَحْبُوْبِهِ وَطَاعَتِهِ أَيْنَ هؤلآء ممن لَذَّتُهم وأُنسُهُمْ عند المنكرات.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ تَعَذَّبْتُ بِالصَّلاةِ عِشْرِيْنَ سَنَةً ثُمَّ تَنَعَمْتُ بِهَا عِشْرِيْنَ سَنَةً وَهَذِهِ اللَّذَّةُ وَالتَّنَعُّمُ بالخِدْمَةِ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِالْمُصَابَرَهِ عَلَى التَّكَرُّهِ والتَّعَبِ أَوَّلاً فَإِذا صَبَرَ عَلَيْهِ وَصَدَقَ فِي صَبْرِهِ أَفْضَى بِهِ إِلَى هَذِهِ اللَّذَّةِ .

وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ سُقْتُ نَفْسِيْ إِلَى اللَّهِ وَهِيَ تَبْكِيْ فَمَا زِلْتُ أَسُوْقُهَا حَتَّى انْسَاقَتْ إِلَيْهِ وَهِيَ تَضْحَكُ أ . هـ .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى « وأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي » .

وَقَالَ ﷺ إِنَّمَا فُرِضَتِ الصَّلاَةُ وأُمِرَ بالحَجِّ وأُشْعِرَتِ المَنَاسِكُ لإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ رَواهُ أَبُو داود ولِهَذا كَانَتْ عُنْوَانٌ عَلَى الفَلاحِ قَالَ تَعَالى « إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ الآية » .

والمُرَادُ بِعِمَارَتِهَا بالصَّلاَةِ والقُرُبَاتِ وقَال ﷺ إِذَا رَأَيْتُم الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسْجِدَ فَاشْهَدُوْا لَهُ بِالإِيْمَانِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُول : « إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ باللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ » .

وَجَاءَ ذِكْرُ الصَّلاَةِ فِي القُرْآنِ في مَوَاضِعَ كَثِيْرَةٍ وأَثْنَى جَلَّ وَعَلا عَلَى المُقِيْمِيْنَ لَهَا والمُحَافِظِيْنَ عَلَيْهَا وأَخْبَرَ أَنَّهَا تَنْهَى عن الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ ومِنْ دُعَاءِ الخَلِيْلِ عَلَيْهِ السَّلامُ أنَهُ يَسْأَلُ رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَهُ مُقِيْماً لَهَا قَالَ تَعَالَى : « رَبِّ اجْعَلْنِيْ مُقِيْمَ الصَّلاَةِ ومِنْ ذُرِّيَتِي » .

وَمَدَحَ بِهَا إِسْمَاعِيْلَ قَالَ تَعَالَى « وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيَا » وأَمَرَ جَلَّ وَعَلاَ مُوْسَى بِإِقَامَتِهَا أَوَّلَ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ فِي سَاعَاتِ

الوَحْيِ الأُوْلَى قَالَ تَعَالَى « وأنَا اخْتَرْتُكَ فاسْتَمِعْ لِمَا يُوْحَى إنَّنِي أنَا اللّهُ لاَ إلٰهَ إلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وأقِمِ الصّلاةَ لِذِكْرِي » وَقَالَ لَهُ وَلِهَارُوْنَ « أَنْ تَبَوّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوْتاً واجْعَلُوْا بُيُوْتَكُمْ قِبْلَةً وأقِيْمُوْا الصَّلاَةَ » .

وفي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لابْنِهِ يَا بُنَيَّ أقِمِ الصَّلاَةَ وأْمُرْ بالمَعْرُوْفِ وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ الآيَة ويُنْطِقُ اللّهُ عِيْسَى وَهُوَ فِي مَهْدِهِ فَيَقُوْلُ « وَأَوْصَانِي بِالصّلاةِ والزّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّا » .

وَيَأْمُرُ اللّهُ بِهَا صَفْوَةَ خَلْقِهِ وَخَاتِمَ أَنْبِيَائِهِ فَيَقُوْلُ جَلَّ وَعَلاَ « اتلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصّلاَةِ » وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلاَ وَتَقَدَّسَ « وأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا » .

وَيَبْتدِئ بِهَا أَوْصَافَ المُؤْمِنِيْنَ وَيَخْتِمُ بِهَا فَيَقُوْلُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى « قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُوْنَ الّذِيْنَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُوْنَ » الآيَات إلى قَوْلِهِ « وَالّذِيْنَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُوْنَ » .

وَيُؤَكِّدُ المُحَافَظَةَ عَلَيْهَا حَضَراً وَسَفَراً وفِي الأَمْنِ والخَوْفِ والسِّلْمِ والحَرْبِ « حَافِظُوْا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى وقُوْمُوْا لِلّهِ قَانِتِيْنَ فإنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً » .

وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلاَ عَمَّنْ أَضَاعُوْا الصَّلاَةَ وَاتّبَعُوْا الشَّهَوَاتِ أَنَّ عَاقِبَةَ أَعْمَالِهِمْ وَسُوْءَ مَآلِهِمْ شَرٌّ وخُسْرَانٌ فقَالَ « فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوْا الصَّلاَةَ واتَّبَعُوْا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيا » .

وَجَعَلَها النّبِيُّ ﷺ الشِّعارَ الفَاصِلَ بَيْنَ المُسْلِمِ والكَافِرِ فَقَالَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ وَقَالَ العَهْدُ الّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاَةُ فَمَنْ

تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ وَفِي الحَدِيثِ الآخِرِ مَنْ تَرَكَ الصَّلاَةَ مُتَعَمِّداً فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللّهِ وَرَسُوْلِهِ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلامُ مَنْ فَاتَتْهُ صَلاَةٌ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ الصَّلاَةِ مَعَ مَا تَقَدَّمَ اهْتِمَامُ المُسْلِمِيْنَ بِتَوْجِيْهِ المُحْتَضَرِ وَهُوَ فِي سَكَرَاتِ المَوْتِ إلى القِبْلَةِ وَكَذَلِكَ وَضْعُهُ فِي قَبْرِهِ مُتَّجِهاً إلى القِبْلَةِ وَمَا ذَاكَ إلاّ لأَنَّهَا الجِهَةُ الّتِي يَتَّجِهُ إِلَيْهَا كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَتَعَرَّفَ إِلَى رَبِّهِ وَيَدْعُوْهُ وَيُجَدِّدُ الصِّلَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ فِي الصَّلاةِ .

على الصوات الخمس حَافظْ فإنها ... لآكَدُ مَفْرُوْضٍ على كلِ مُهْتَدِ
فلا رُخْصَةٍ فِي تركهَا لِمُكَلَّفٍ ... وأولُ مَا عَنه يُحَاسَبُ في غدِ
بإهْمالِها يَسْتَوجِبُ المَرءُ قَرْنَهُ ... بفرعونَ مَعْ هَامانَ في شرِ مَوْرِدِ
ومَازَال يُوصِي بالصلاة نَبِيُّنَا ... لَدَى الموتِ حَتَّى كَلَّ عن نُطْقِ مِذْوَدِ

وَاللّه أعلَم وصَلّى اللّهُ عَلَى نِبِيّنا مُحَمّد وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلّم

٣٤ موعظة

عِبَادَ اللهِ مَا بَالُ الكَثِيْرِ اليَوْمَ لا يَسْمَعُونَ ، وَإِذَا سَمِعُوا لا يَنْتَفِعُون ، أفِي آذانِهِم صَمَمٌ ، أمْ هُمْ في الأمْرِ مُتَهاوِنُوْنَ، وَلأيِّ شَيْءٍ يَجْتَمِعُونَ ، وَيَقُومُ فِيهِمْ الخُطَبَاءِ المُجِيْدُوْنْ ، وَالوُعَّاظُ المُبَلغُونَ ، وَيُذَكِّرونَهُمْ أيَّامَ اللّهِ فلا يَخْشَعُ الوُعَاظُ وَلا المُوَعَّظُونَ ، ويُرَغِّبُونَهم في الخَيْرِ فلا يُسَارِعُونَ ، وَيُنْذِرُونَهُم عَوَاقِبَ السُّوْءِ فلا يَتأثَّرُونَ « فَسُبْحَانَ الذِيْ بَيده مَلكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإليْهِ تُرْجَعُونَ » لقَدْ كَانَ السَّلفُ الصَّالِحُ إذا وَعَظُوا تأثَّرَ المُستمِعُ لهُمْ تأثُّراً عَظِيْماً ، وفَارَقَ مَا عِنْدَهُ مِنْ المُنْكرَاتِ ، وَالمُحَرَّمَاتِ ، وَفَارَقَ مَنْ أَصَرَّ عَلَيْهَا مِنْ أقَارِبِهِ ، وَأوْلاَدِهِ ، وَإِخْوَانِهِ ،

وآبَائِهِ ، وَجَدَّدَ تَوْبَة نَصُوْحَاً ، عَمّا سَلفَ لـهُ مِنْ الأعْمَالِ ، التِيْ لا يَرْتَضِيْها الدِّيْنَ الاسْلامِيّ ، فَأيْنَ أُوْلئكَ مِنْ هَؤلاَءِ الخَلَفُ ، الذِيْنَ ضَيَّعُوا تَعالِيْم الدِّيْنَ الاسْلامِي ، وَضَيَّعُوا العَمَل بهِ ، وتَركُوا الانْقيادِ لِكِتَابِ الله ، وَسُنَّةِ رَسُولِه صَلَّى اللهُ عليه وسَلم ، تَأمَّل كيْفَ ترى أكثرهَم أضاعُوا الصَّلاةَ ، وَعَطَّلوا الأحْكَا م ، وتَسَاهَلوْا بأمْرِ الحَرامِ ، يَمُرُّوْنَ بالمساجدَ ، وَقْتَ الصَّلاةِ ، فـلا يُعِيْرونْهـا أيَّ اهْتِمَامٍ أمَّـا الملاهِيْ وَالمُنْكَراتِ فإلِيْهَا يُسْرِعُونَ وعَلَيْهَا يَعْكُفُون وَإلَى ما فِيْهَـا مِنْ الأغَانِيْ وَالمجُونِ والسُّخْفِ يَتَسابَقُونَ فإنّا للهِ وَإنّا إليْه راجِعُونَ ، أيْنَ الخوفُ مِنْ الجَبَّارِ ، أيْنَ الحَيَا مِنْ فَاطِر الأرض وَالسَّموات ، أيْنَ المُروْءَةُ وَالاعْتِصَامُ بالقُرْآن ، ومَا كانَ عليْهِ آبَاؤكمُ وَأجْدَادُكُم العُبَّاد الكِرَامُ ، الذِيْنَ كانَتْ المَسَاجِدُ تغُصُّ بهِمْ شُيُوخاً وشُبَّانا ، وَكانَتْ تَعُجُّ بأصْواتِهم تَسْبِيْحاً ، وَتحْمِيْدا وتَهْلِيْلاً ، وَتكْبيرا ، وَاستغْفَاراً ، وقُرْآناً ، وكَانوا يَؤمُّونَ المساجَد قَبْلَ الأذانِ زُرَافَاتٍ وَوحْدانَا ، ولاَ يَتَخَلَّفُ مِنْهُم إلا مَعْذُورٌ ، إمَّا مَرِيضٌ أو غَائِبٌ ، أو نَحْو ذلِكَ ، وكَان المارُّ بِبُيُوتِهم لَيْلاً يَسْمَعُ زَجَل التسبيح ، والتَّهْلِيْل ، وَالبُكَاءِ وَالأنِيْنَ والتَّضرُّع إلىَ بَدِيْع السَّمواتِ وَالأرْضِ ، وَالألحَاحِ بدُعَائِهِ ، وَالالتِجَاءِ إليْهِ وَالانَـابَةِ ، عَكْسُ مَـا عَلَيْهِ هَؤلاَءِ الخَلَفِ ، الذِيْنَ صَدَقَ عليْهِمْ قَوْلُ اللهِ تَعالَى ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهم خَلْفٌ أضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلقَونَ غَيّا ﴾ الذِيْنَ إنْ بَحَثْتَ عَنْهُم في الليْلِ ، وَجَدْتَهُم حَوْلَ الملاهِيْ وَالمُنْكَراتِ ، مُتَربِّعْينَ أمَامَ التِّلفِزْيُونِ ، وَغِنَاءِ المُطْربْين ، وَإنْ بَحَثْتَ عَنْهُم في صلاةِ الفَجْرِ وَجَدْتَهُم في فُرُشِهم ، إثر سَهَرِهِم حَوْلَ تِلْكَ المُنْكَراتِ ، وَانْ بَحَثْتَ عَنْهُم وَقْتَ صَلاةِ الظهْر ففِي شؤون الدُّنْيَا ، ومَا يَتَعلَّقُ بهَا ، وَإنْ أرَدْتَهُم في صلاةِ

العَصْرِ ، وَجدْتَ بَعْضَهُم عِنْدَ الكُورَةِ ، وَالبَعْضَ عِنْدَ التّلفِزْيُون ،وَالبَعْض عِنْدَ المذْيَاع ، وَأَغَانِيْهَ وسَلاهِيْهِ ، وَإنْ سَألتَ عَنْهَم وَقْتَ صلاةِ المَغْرب ، وَجَدْتَ بَعْضَهُم يَمْشِيْ مُتَردداً،والبَعْضُ في الملْعَب ، وَالبَعْضُ عِنْدَ التلفِزْيُونِ،أوِ المذْيَاع، وَأمّا العِشَاءُ الآخِرَة فَتِلْكَ هُمْ فيْها أَقْسَامٌ اكثَرُهم حَوْلَ التّلفِزْيون أو في الأسْواقِ ، أو يَلْعَبُونَ ورَقَةً ، أو نَحو ذَلكَ مِنْ المُنْكَراتِ وَهَكذا قَتَلوا أوْقَاتَهُمْ الثَّمِيْنَة ، وَضَيَّعُوهَا، وَقضَوْا عَلَى مُسْتَقْبَلِهِمْ ، فَإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ رَاجِعُونَ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّة إلاَّ باللّهِ وَاللهُ أعْلَمُ بِمَا أرَادَهُ بعِبَادِهِ ، قَالَ تَعَالى ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرِّ وَالبَحْرِ بمَا كَسَبَتْ أيْدِيْ النَّاسِ لِيُذِيْقَهُم بَعْضَ الذِيْ عَمِلُوا لَعلَّهُم يَرْجِعُون ﴾ وَالحالة هَذِه مُخِيْفَة لِذَوِيْ العُقُولِ وَالفُهوم ، لا سِيَّمَا وَقد تَوالتْ أسْبَابُ الهَنَاءِ وَالرَّاحَةِ ، وَالسُّرُورِ ، وَالاطْمِئنَانِ ، وَقَدْ قِيْلَ إذا رَأيْتَ اللهَ تَعالَى أنْعَمَ على عَبْدٍ وهُو مُقِيْمٌ على مَعْصِيَتِه فَاعْلَمْ أنَّهُ مُسْتَدرَجٌ وَرَوَى عُقْبَةُ بنُ عامِرٍ أنَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قالَ إذا رَأيْتَ اللهَ يُعْطِيْ العَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُو مُقِيْمٌ على مَعْصِيَتِهِ فإنَّما ذلكَ اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ تَلاَ ﴿ فَلَما نَسُوا مَا ذُكِروُا به فتَحْنا عليهم أبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتّى إذَا فَرِحُوا بمَا أوتُوا إخَذناهُم بغتَةً فاذا هم مُبْلِسُونَ ﴾ وَقال قتادةُ ما أخذَ اللهُ قَوْماً إلاْ عِنْدَ سَكَرتِهم وغِرّتِهم ، ونِعْمَتِهم ، فلا تَغْتَرُّوا باللهِ ، فإنَّهُ لا يَغترُّ بالله إلا القومُ الفاسِقُونَ .

اللّهُمَّ حَبّبْ إلَيْنَا الإيْمانَ وَزَيِّنْهُ في قُلوبِنَا وكَرِه إلَيْنا الكُفْرَ والفُسوقَ والعِصْيانَ واجْعَلنا مِنَ الرّاشِدِين وَاغْفِرْ لَنا ولِوالِدِيْنا وجمِيْع المُسْلمينَ برحْمتِكَ يا أرحَمَ الرّاحِمِيْن وصلّى الله على محمّد وعلى آلهِ وصحبِهِ أجمَعِين .

٣٥ « موعظــة »

إِخْوَانِي إِنَّ فِي مَوَاعِظِ الأَيَّامِ واللَّيَالِي لَعِبْرَةً لِذَوِيْ البَصَائِرِ رَكَائِبُ أَمْوَاتٍ تُزْعَجُ عن مَقْصُوْرَاتِ القُصُوْرِ ثُمَّ تُحْمَلُ إِلَى مَضَائِقِ القُبُورِ ، فَكَمْ قَدْ شَاهَدْتُمْ مِنْ شَخْصِيَّاتٍ فِي الأَرْضِ ، قَدْ وُضِعَتْ ، وكَمْ قَدْ عَايَنْتُمْ مِنْ أَبْدَانٍ نَاعِمَةٍ في الأَكْفانِ قَدْ لُفَّتْ وإِلَى مَضِيْقِ الأَلْحَادِ قَدْ زُفَّتْ فَيا لَهَا مِنْ غَايَةٍ يَسْتَبِقُ إِلَيْهَا العِبَادُ وَيَا لَهُ مِنْ مِضْمَارٍ يَتَنَاوَبُهُ جَوادُ بَعْدَ جَوَاد وَيَا لَهُ مِنْ هَوْلٍ شَدِيْدٍ يَعْقِبُهُ أَهْوَالٌ شِدَادٌ فِتْنَةُ قُبُوْرٍ وَحَشْرٌ في مَوْقِفٍ مَهِيْلٍ مَوْقِفٌ فِيهِ تَنْقَطِعُ الأَنْسَابُ وَتَخْضَعُ فِيهِ الرِّقَابُ وتَنْسَكِبُ فِيْهِ العَبَراتُ وتَتَصَاعَدُ فِيْهِ الزَّفَرَاتُ ذَلِكَ مَوْقِفٌ تُنْشَرُ فِيْهِ الدَّوَاوِيْنُ ، وتُنْصَبُ فِيْهِ المَوَازِيْنُ ، وَيُمَدُّ فِيْهِ الصِّرَاطُ ، وحِيْنَئِذٍ يَقَعُ الامْتِيَازُ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ومُكَرْدَسٌ في النَّار .

دَخَلَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ رحِمَهُ اللَّهُ على سابِقِ البَرْبَرِي وهُوَ يَتَمَثَّلُ بالأبْيَاتِ المَشْهُوْرَةُ مِن قَصِيْدَةِ الأَعْشَى .

أجِــدَّكَ لَمْ تَـذْكُـرْ وِصَـاةَ مُحَمَّــدٍ
نَـبِيِّ الإِلَــهِ حِيْنَ أَوْصَـى وأَشْهَــدَا
إِذا أَنْتَ لَمْ تَـرْحَلْ بـزَادٍ مِنَ التُّقى
وأَبْصَرْتَ بَعْدَ المَوْتِ مَنْ قَدْ تَـزَوَّدَا
نَـدِمْتَ عَلَى انْ لاَ تَكُـوْنَ كَمِثْلِهِ
وَأَنَّـكَ لَمْ تُرْصِـدْ كَمَا كَـانَ أَرْصَدَا

فَغُشِيَ عَلَى عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَلَمَّا افَاقَ قَالَ زِدْنَا فَقَالَ القَصِيْدَة الَّتِيْ تَلِي

بِسْمِ الَّذِي أَنْزِلَتْ مِنْ عِنْـدِهِ السُّوَرُ
الْحَمْــدُ لِلَّهِ أَمَّــا بَعْـدُ يَـا عُمَـرُ

إنْ كُنتَ تَعْلَمُ مَـا تُبْقِي وَمَـا تَـذَرُ
فَكُنْ عَلَى حَـذَرٍ قَـدْ يَنْفَـعُ الحَـذَرُ
واصْبِرْ عَلَى القَدَرِ المَقْدُوْرِ وارْضَ بِهِ
وإنْ أتـاكَ بِمَـا لاَ تَشْتَهِي القَـدَرُ
فَمَـا صَفَى لامْـرىءٍ عَيْشٌ يُسَـرُّ بِـهِ
إلَّا وأعْـقِبَ يَـوْمـاً صَفْـوُهُ كَـدَرُ
قد يَرعَوِي المَرْءُ يـوْماً بَعْـدَ هَفْوَتِـهِ
وتُحْكمُ الجَـاهِـلَ الأيَّـامُ والعِبَـرُ
إنَّ الـتُّقَـى خَيْـرُ زَادٍ أنْـتَ حَـامِلُهُ
والبِّـرُّ أفْضَـلُ مَـا تَـأْتِي وَمَـا تَـذَرُ
مَن يَطْلُبِ الجَوْرَ لاَ يَـظْفُرْ بحَـاجَتِهِ
وطَالِبُ العَدْلِ قَدْ يُهْدَى لَـهُ الظَّفَـرُ
وفي الهُدَى عِبَرٌ تُشْفَى القُلُوبُ بِهـا
كـالغَيْثِ يَحْيَى بِهِ مِنْ مَـوْتِهِ الشَّجَـرُ
وَلَيْسَ ذُوْ العِلْمِ بـالتَّقْوَى كَجَـاهِلِهَا
ولا البَصِيـرُ كـأعْمَى مَـالَـهُ بَصَـرُ
نَـدِمْتَ عَلَى انْ لاَ تَكُـوْنَ كَمِثْلِهِ
وَأنَّـكَ لَمْ تُرْصِـدْ كَمَا كَـانَ أرْصَدَا

فَغُشِيَ عَلَى عُمَرَ رَحِمَهُ اللّهُ فَلَمَّا افَاقَ قَالَ زِدْنا فَقَالَ القَصِيْدَة الّتِيْ تَلِي

بِسْمِ الّذِي أنْزِلَتْ مِنْ عِنْـدِهِ السُّوَرُ
الْحَمْـدُ لِلّهِ أمَّـا بَعْـدُ يَـا عُمَـرُ

إنْ كُنتَ تَعْلَمُ مَـا تُبْقِي وَمَـا تَـذَرُ
فَكُنْ عَلَى حَـذَرٍ قَـدْ يَنْفَـعُ الحَـذَرُ
واصْبِرْ عَلَى القَدَرِ المَقْدُوْرِ وارْضَ به
وإنْ أتـاكَ بِمَـا لَا تَشْتَهِي القَـدَرُ
فَمَـا صَفَى لامْـرِئٍ عَيْشٌ يُسَـرُّ بِـهِ
إلَّا واعْـقِبَ يَـوْمـاً صَـفْـوُهُ كَـدَرُ
قد يرعَوِي المَرْءُ يـوْماً بَعْـدَ هَفْوَتِـهِ
وتُحْكمُ الجَـاهِـلَ الأَيَّـامُ والعِبَـرُ
إنَّ الـتُّقَى خَيْـرُ زَادٍ أَنْـتَ حَـامِلُهُ
والبِـرُّ أَفْضَـلُ مَـا تَـأْتِي وَمَـا تَـذَرُ
مَن يَطْلُبِ الجَوْرَ لَا يَـظْفُرْ بحَـاجَتِهِ
وطَالِبُ العَدْلِ قَدْ يُهْدَى لَـهُ الظَّفَـرُ
وفِي الهُدَى عِبَرٌ تُشْفَى القُلُوبُ بِهـا
كـالغَيْثِ يَحْيَى بِهِ مِنْ مَـوْتِهِ الشَّجَـرُ
وَلَيْسَ ذُوْ العِلْمِ بـالتُّقْوَى كَجَـاهِلِهَا
ولا البَصِيـرُ كـأَعْمَى مَـالَـهُ بَصَـرُ
والـذِّكْـرُ فِيْـهِ حَيَـاةٌ لِلْقُلُوبِ كَمَـا
تَحْيَـا البِلادُ إِذَا مَـا جَـاءَهَـا المَـطَرُ
والعِلْمُ يَجْلُو العَمَى عن قَلْبِ صَاحِبه
كَمَـا يُجَلِّي سَـوادَ الـظُّلمَـةِ القَمَـرُ
لا يَنْفَـعُ الـذِّكْـرُ قَلْبـاً قَـاسِيـاً أَبَـدَا
وهَـلْ يَلِيْنُ لِقَـوْلِ الـواعِظِ الحَجَـرُ

ما يَلْبَثُ المَرْءُ أَنْ يَبْلَى إِذَا اخْتَلَفت
يَـوْماً على نَفْسِـهِ الرَّوْحَـاتُ والبِكَـرُ
والمَـرْءُ يَصْعَـدُ رَيْعَـانُ الشَّبَـابِ بِـه
وكُـلُّ مُصْعِـدَةٍ يَـوْمـاً سَتَنْـحَـدِرُ
وكُـلُّ بَيْتٍ سَيَبْـلَى بَعْـدَ جِـدَّتِـهِ
ومِن وَرَاءِ الشَّبَـابِ المَـوْتُ والكِبَـرُ
والمَوْتُ جَسْرٌ لِمَنْ يَمْشِيْ على قَدَم
إِلَى الأُمُـورِ الّتِي تُخْـشَى وتُـنْتَـظَرُ
فَهُمْ يَمُـرُّونَ أَفْـوَاجـاً وتَجْـمَعُـهُمْ
دَارٌ يَصِيْـرُ إِلَيْهَـا البَـدْو والحَـظَرُ
كَمْ جَمْعُ قَوْمٍ أَشَتَّ الدّهرُ شَمْلَهُمْ
وَكُـلُّ شَمْـلٍ جَمِيْـعٍ سَـوْفَ يَنْتَثِـرُ
وَرُبَّ أَصْيَـدَ سَـامَ الـطَّرْفِ مُقْتَضِباً
بـالتّـاج نِيْـرانُـه لِلْحَـرْبِ تُسْتَعـرُ
يَـظَلُّ مُفْتَـرِشَ الـدِّيْبَـاجِ مُحْتَجِبـاً
عَلَيْـهِ تُبْنى قِبَـابُ المُلْكِ والحُجَـرُ
إِلَى الفَنَـاءِ وإِنْ طَـالَتْ سَـلاَمَتُهُمْ
مَصِيْـرُ كُـلِّ بَنِي أنثَى وإِنْ كَبُـرُوا
إذا قَـضَتْ زُمَـرٌ آجـالَـهـا نَـزَلَتْ
علَى مَنَـازِلِهِمْ مِـنْ بَعـدِهَـا زُمَـرُ
أَصْبَحْتُمْ جُـزُراً لِلْمَـوْتِ يَـأْخُـذُكُمْ
كَمـا البَهَائِمُ فِي الـدُّنْيـا لَكُمْ جُـزُرُ

أَبَعْــدَ آدَمَ تَـرْجُــونَ الخُلُودَ وهَــلْ
تَبْقَى الفُـروعُ إذا مَا الأصْـلُ يَنْعَقِـرُ
وَلَيْسَ يَـزْجُـرُكُمْ مَــا تُـوعَــظُونَ بِـه
والبَهْمُ يَزْجُـرُهَـا الـرَّاعِي فَتَنْــزَجِـرُ
لا تبـطُرُوْا واهجُروا الـدُّنْيا فـإنَّ لَها
غِبــاً وخِيْمـاً وكُفْــرُ النِّعْمَـةِ البَــطَرُ
ثُمّ اقْتَدُوا بالأُوْلَى كَـانُوا لَكُمْ غُـرَراً
ولَـيْسَ مِـن أُمَّــةٍ إلَّا لَــهَــا غُــرَرُ
مَتَى تَكُــونُـوا على مِنْهَــاجِ أُوَّلِكُمْ
وتَصْبِرُوا عَنْ هَوَى الدُّنْيَا كَمَا صَبَرُوا
مَـالِيْ أَرَى النَّـاسَ والـدُّنْيَا مُــوَلِّيَةٌ
وَكُــلُّ حَبْـلٍ عَلَيْهَــا سَــوْفَ يَنْبَتِــرُ
لا يَشْعُــرُونَ إذَا مَــا دِينُهُم نُقِصُــوا
يَـومـاً وإنْ نُقِصَتْ دُنْيَـاهُم شَعِـرُوا
حَتَّى مَتَى أَكُ في الدُّنْيا أَخَـا كَلَفٍ
في الخَـدِّ مِنِّي إلى لَـذَّاتِهـا صَعـرُ
ولا أرى أثَـراً لِلذِّكْـرِ في جَسَــدِي
والحَبْلُ في الحَجَرِ القَـاسِي لَهُ أَثَـرُ
لَـوْ كَـانَ يُسْهِـر لَيْلِي ذِكْـرُ آخِــرَتي
كَمَــا يُؤرِّقُني لِـلْعــاجِـلُ السَّـفَـرُ
إذاً لَــدَاوَيْتُ قَلْبـاً قَــدْ أضَــرَّ بِــهِ
طُـولُ السِّقامِ وكَسْـرُ العَظْمِ يَنْجَبِـرُ

ثُمَّ الصَّلاةُ على المَعْصُومِ سَيِّدِنَا
ما هَبَّت الرِّيْحُ واهْتَزَّتْ بِهَا الشَّجَرُ

اللهم ثبت إيماننا ثبوت الجبال الراسيات واشرح صدورنا للإسلام وثبتنا عليه واجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٣٦ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللهِ : سُنَّةُ اللهِ في خَلْقِه أنْ لَا يُؤَاخِذَ مُذْنِبَاً بذَنْبٍ اقْتَرَفَهُ ، أو جَرْيَمَةٍ اجْتَرَمَها ، أو جَرِيْرَةٍ ارْتَكبَها إلا بَعْدَ أنْ يُبَيِّنَ لهُم مَا يَنْبَغِي أنْ يَتَّقُوه مِنْ مَحارِمِه ، ويَجْتَنِبُوهُ مِنَ المُوبِقَاتِ ، الْمُؤَدِّيَةِ بهم إلَى هُوَّةِ الهَلاكِ والدَمَارِ ، وقَد أرْسَلَ اللهُ جَلَّ وعَلا إلىَ هَذِهِ الأُمَّةِ الاسْلامِيَّةِ مُحَمَّداً رَسُولَه صلى اللهُ عليه وسَلَّمَ النَّبِيّ الأمِّيّ ﴿ الذِيْ يَجِدُونَهُ مكتُوباً عِنْدَهُم في التَّوْرَاةِ والانْجِيْلِ يَأْمُرهُم بالمعْرُوفِ ويَنْهَاهُمْ عَنْ المنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمْ الطّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الخبائِثُ ﴾ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الكرِيْم ، ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عَوجٍ لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ ﴾ ﴿ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ ﴾ فَيْهِ هُدىً ، وَتِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَحْتَاجُ إلَيْهِ النَّاسُ في دُنْيَاهُم وأُخْرَاهُم ، فاسْتَمْسَكَ المُسلِمُون مُدّةً مِنْ الدَّهْرِ بهَدْيِهِ ، وَتَخَلَّقُوا بآدَابِهِ ، فَكَانُوا في ذَلِكَ الحِيْنِ أهْلَ الحَوْلِ وَالطَّوْلِ وَالقُوَّةِ وَالمَنَعَةِ ، تَعْنُو لَهُم الوُجُوهُ ، وَتَخْضَعُ لَهُم الرِّقَابُ فَلَمْ يَقُمْ لَهُم مُنَازِعٌ إلا ابْتَزُّوا مُلكَهُ ، وَاسْتَبَاحُوا مَكانَ العِزَّةِ منْهُ ، وَاخَذُوا بطَرَفي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ ، وَكانُوا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، يَأْمُرُوْنَ بالمعْرُوْفِ وَيَنْهَونَ عَنْ المُنْكَر ، وَيُؤمِنُونُ باللهِ ، كانُوا

في تِلْكَ الأزْمَانِ يَعْمَلُونَ بطَاعَةِ اللهِ وَيَتَّقُونَهُ ، وَيُحْسِنُونَ في عِبَادتِهِ وَإلى عِبَادِه ، وَيَصْبُرُونَ عَنْ مَعَاصِيْهِ ، وَعلى أقدَارِهِ ، فكانَ اللهُ مَعهم بعَوْنِهِ وتوْفِيْقِهِ ، وَنَصْرِهِ وَتأييدِه وتَسْدِيْدِه ، يَا عَبَادَ اللهِ كَانَ كُبَراءُ النّاس وسَادَتُهم في الصَّدْرِ الأوّلِ أشَدُّ النَّاسِ ظُهُوراً بالتَّمَسُّكِ بالدِّيْنِ تَقْتَدِي بهِم العَامَّةُ في توحِيْدِهم وعَبَادَاتِهم ومُعَامَلاتِهم ، فانْعَكَستْ عَلَيْنَا الآنَ القَضِيَّةُ ، وصَارَ العَامّةِ أشَدُّ تَمَسُّكاً بالدِّيْنِ ، وَأرْسَى عَقِيْدَةً ، من أولئِكَ ، وأصْبَحَ كَثِيْرٌ مِنْ المتعَلِّمِيْنَ الذِين يَزعُمونَ انهُم مُثَقَّفُونَ ، يَحْمِلُونَ المؤهَّلاتِ المعْرُوفَةِ أزهَدَ النَّاسِ في الدِّيْنِ ، وأبْعَدَهم عَنْ تَعالِيْمِهِ ، نَبَذُه كثِيْرٌ منهُم كَمَا تُنْبَذُ النَّواةُ ، لا لأنهُم وَقَفُوا عَلى عَيْبٍ في الدِّيْنِ ، أو هَفْوَةٍ في أصُوله ، وَلكنَّهم مُقَلِّدُون في هَذا الضَّلالِ لِقَومٍ عَرَفُوا ﴿ ظَاهِراً مِنْ الحيَاةِ الدُّنْيَا ، وهُم عن الآخِرةِ هُم غافِلُون ﴾ وَرَأوا تكالِيْفَ الدينِ وتعَالِيْمهُ لا تَتَّفِقُ مَعَ شَهَواتِهم ومَلاذِهِم ، فاتَّخَذُوا الخُرُوْجَ عَنْ تَكاليفِهِ لِلْحُصُولِ على مَلاذِّ الحَياةِ ، ﴿ ومَا الحيَاةُ الدُّنَيا الا مَتاعُ الغُرورِ ﴾ .

اللهم أرزقنا حُبّكَ وحُبَّ مَن يَحُبّكَ وحبَّ العَمَل الذي يُقرِّبنا إلى حُبّكَ وألهِمنَا ذِكْرَكَ وشُكْرِكَ وَوَفِّقْنَا لِلقِيَامِ بحقِك وخَلِصنَا مِن حقوقِ خَلقِكَ وَرَضّنَا باليسير مِن رزقَك يا خَيرَ مَنْ دَعَاه دَاعٍ وأفضَلَ مَنْ رجَاهُ راج ، يا قاضي الحاجات ومجيب الدعوات هَب لنا مَاسَألَناه وحَقق رجَاءَنَا فِيْمَا تَمنينَاهُ يَا مَن يَملِكَ حَوائِجَ السائلين ويَعْلم ما فِي صَدُوْر الصامِتِيْنَ أذِقنَا بَرْدَ عَفِوكَ وحَلاوَةَ مَغْفِرَتِك واغفر لَنَا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٣٧ « موعظـــة »

عباد الله أين الذين سادوا وشادوا أوطانا ، وحكموا وأحكموا بنياناً ، وجمعوا فحشدوا أموالا وأعوانا عوضوا بأرباح الهوى خسرانا ، وبدلوا بإعزاز الكـبر والتجـبر هَوانـا وأخـرجـوا من ديارهم بعد الجموع وحدانا ، وما استصحبوا مما جمعوا إلا أكفانا .

نَصِيبُـكِ مِمَّـا تَجْمَـعَ الـدَّهْـرَ كُلَّهُ   رِدَاآنِ تُطْـوَى فِيْهِمَـا وحَنُـوْطُ
آخر : فمـا تـزودَ مما كـان يجمعـه   سِوَى حَنـوط غـداة البين في خرق
وغـير نِفحـة أعـوادٍ تشـبُّ لـه   وقَـلّ ذلـك مِـن زاد لمنطـلق

يحْمَلُونَ على الأعناق ولا يُسَمُّونَ رُكبانا ، ويَنْزِلُونَ بُطونَ الألحادِ ولا يُسَمُّونَ ضِيْفَانَا ، مُتقاربين في القبور ولا يُسَمُّوْنَ جيرَانَا .

أو ليس قد رأينا كيفَ يُنقَلُونَ ولا كَفَانَا ، فيا مَن قَد بَقِي مَن عُمُرِهِ القَليلُ ولا يَدْرِي مَتَى يَقَـعُ الرحيل ، كأنكَ بطَرْفِكَ حِيْنَ الموت يَسِيْلُ والـروحُ تنـزِعُ والكربُ ثقِيْل ، والنُّقْلَةُ قد قَربَتْ وأينَ المقيل ، أفي الجنةِ ونِعيمها والسَّلْسَبيلِ أم في الجحيم وأنكالِها وأغلالِها وبئْسَ المقيل .

يا مَن تعدُّ عليه أنفاسهُ اسْتَدْركْها ، يا منَ سَتَفُوتُه أيامُه أدْرِكْهَا ، إن أعَـزَّ الخَلْق عَليكَ نَفْسُـكَ فلا تُهْلِكْهَا كمَ أغْلقْتَ بَاباً على قَبيحْ ، وكم أعْرَضْتَ عن قولِ المخلصِ النَّصِيْحِ ، أعظم الله أجرك في عمر قد مضى ما رزقت فيه العفو ولا الرضى .

إنقضت فيه اللذات كمن قضى ، وصارت الحسرات من الشهوات عوضا ، قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر

وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ وقال تعالى ﴿ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الخاسرين ﴾ والله أعلم وصلى الله على محمد .

٣٨ « موعظة »

عِباد الله ما هذه الغفلة وأنتم مستبصرون وما هذه الرقدة وأنتم مستيقظون كيف نسيتم الزاد وأنتم راحلون ، أينَ مَن كان قبلكم ألا تتفكرون أما رأيتم كيف نازلهم المنون ﴿ فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ .

عباد الله لو حضرت القلوب لجرت من العيون عيون فكأنكم بالآلام قد إعْتَرَضَتْ ، وبالأجسام قد إنقضت ، وبالأوصال قد فصلت ، فرحم الله عبدا أعتق نفسه من رق شهواتها ونظر لها قبل مماتها وأخذ من جدته عَتاداً لفقره وإدخر من صحته زاد لقبره قبل أن يفوت زمن الاستدراك بوقوع الهلاك .

فكأنكم بالموت قد حل العراص ، وأنشب مخاليبه في الأرواح للاقتناص ، وأين لكم الفلات فلا تحين مناص ثم يقومون للحساب والجزاء والقصاص .

وإذا الخلائق قد حشرت ، وإذا الصحف قد نشرت ، وإذا جهنم قد سيقت ومرارة الندم قد ذيقت ، فستنطق عليكم الجوارح وتنشر حين القضاء الفضائح .

فيا خجل المقصرين ويا أسف المذنبين ويا حسرة المفرطين ويا سوء منقلب الظالمين ، قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما

يعمل الظالمون . إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار . مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ .

خَفِ الله في ظلمِ الورَى واحْذَرَنَّهُ ... وخَفْ يومَ عض الظالمين على اليد

اللهم سلمنامِن شُرُوْرِ أنفُسِنَا الَّتِي هِي أَقْرَبُ أَعْـدَائِنا وأَعِذْنَا مِن عَدُوكَ واعْصِمْنا مِن الهَوى ومِن فِتنةِ الدنيا وَمَكِّنْ مَحبَّتَكَ في قُلُوبنَا وقوّهَا وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْـرَكَ وفَـرِّحْ قُلُوبَنَا بالنَّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكَريم في جَنَّاتِ النعيم واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٣٩ « مَـوْعِظَــةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ اغْتَنِمُوا مَوَاسِمَ الطَّاعَاتِ فَأَيَّامُ المَوَاسِمِ مَعْدُوْدَةٌ وَانْتَهِزُوْا فُرَصَ الأَوقاتِ فَسَاعاتُ الإِسْعَادِ مَحْدُوْدَةٌ وَجُدُّوْا في طَلَبِ الخَيْرَاتِ فَمَنَاهِلُ الرِّضْوَانِ مَوْرُوْدَةٌ وَقُوْمُوْا عَلَى قَدَمِ السَّدَادِ واتقوا اللَّهَ الذي إليه تُحْشَرُوْن .

وكُونُوا مِن الذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم خوفاً وطمعاً وَمِمَّا رَزَقْهُم يُنْفِقُون قال تعالى ﴿ فلا تَعْلَم نفسٌ ما أخفىَ لهم مِن قرة أَعينٍ جزاءً بما كانوا يَعْمَلُون * أَفَمَنْ كَانَ مُؤمناً كَمَنْ كانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوون * أَمَّا الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فلهُم جَنَّاتُ المَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾ .

فَيَا سَعَــادَةَ أُولى الـطاعـاتِ الـذينَ اجْتَبَـاهُم مَوْلَاهُم لِدَارِ السـلام واصْـطَفاهُم لِحَضِيْرِةِ قُدْسِهِ وَأَوْرَدَهُم مَنَاهِلَ الإِنعامِ وَأَوْلَاهُم حَلاَوَةَ الأُنْسِ وَوَالاهُم بِمَواهِبِ الإِكرامِ وسَـقَاهُم مِن رَحِيْقٍ مَخْتومٍ خِتَامُهُ مِسْكُ وفي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ المُتَنافِسُون .

ويا مَسرَةَ مَن شَاهَدَ مَعالِمَ الرُّشْدِ فَسَلَكَ مَسالِكَهُ وَكَانَ مِنْ المُسْتَبْشِرِيْنَ الـذينَ يَومَ القِيامَةِ وُجُوهُهُمْ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكةٌ لا يَحْزُنُهم الفَزعُ الأَكْبرُ وَتَتَلقاهُم الملائكةُ هَذَا يَوْمُكم الذي كُنتُم تُوعَدُون .

فَتَدَبَّرُوْا عِبَادَ اللَّهِ الأَمْرَ وانْظُرُوْا بعَيْنِ النَّاقِدِ البَصِيْرِ وَتَذَكَّرُوْا العَرضَ يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبرِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ العَالَمِين العَلِيْمِ الخَبِيْرِ وَاعْلَمُوا أَنَّ الظالِمِيْنَ مَا لَهُم مِن وَلِيٍّ ولا نَصِيْرٍ « يَوْمَ يُقَالُ » ﴿ هَذا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُم بالحَقِّ إنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُم تَعْمَلُون ﴾ .

شعــرا :

لَا تَبْـكِ لِلـدُّنْيَـا ولا أَهْـلِهَا ... وإبْكِ لِيَوْمٍ تَسكُنِ الحافرة
وابْكِ إذا صِيْحَ بأهلِ الثرى ... فاجْتَمَعُوْا في سَاعَةِ السَّاهِرةْ
ويْلَكِ يـا دُنْيَـا لَقَدْ قَصَّـرَتْ ... آمـالُ مَن يَسْكُنُكِ الآخـرةْ

آخـــر :

واذْكُـرْ مُنَـاقَشَـةَ الحِسَـــاب فـإنـه ... لا بُـدَّ يُحْصَـى مـا جَنَيْـتَ ويُكـتَبُ
لَـمْ يَنْسَـهُ المَلَكَـانِ حِـيْنَ نَسِـيْتَهُ ... بَـلْ أَثْبَتَـاهُ وأَنْـتَ لَاهٍ تَلْعَـــبُ

اللَّهُم ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبنَا ثُبُوتَ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ واشْرَحْ صُدُرْنَا وَيَسِّرْ أُمُـورَنَا وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ واعفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلَّى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْــــلٌ)

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فاعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ أَيسَ مِن حَيَاتِهِ بَلْ يُسْتَحَبُّ لَهُ بتَأَكُدٍ أَنْ يُكْثِرَ مِن قِرَاءةِ القُرآن والأَذْكَار وَيُكْرَهُ لَهُ الجَزَعُ وَسُوءُ الخُلُق وَالشَّتْم

وَالْمُخَاصَمَةِ والْمُنَازَعَةِ فِي غيرِ الأُمُور الدِّيْنِيَّةِ فِي الدِّفَاعِ عَنْهَا وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ شَاكِراً لِلَّهِ تعالى بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَسْتَحْضِرَ فِي ذِهْنِهِ أَنَّ هَذَا آخِرُ أَوْقَاتِهِ مِن الدنيا فَيَجْتَهِدُ على خَتْمِهَا بخَيْرٍ وَيُكْثِرُ مِن قَولِ لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَيُبَادِرَ إلى أَدَاءِ الحُقُوقِ إلى أَهْلِهَا مِنْ رَدِّ المَظَالِمِ والعَوَارِي وَالوَدَائِعِ والغُصُوبِ وَيَسْتَحِلَّ أَهْلَهُ وَزَوْجَتَهُ وَوَالِدَيْهِ وَأَوْلَادهِ وَغِلْمَانَهُ وَجِيْرَانَهُ وَأَصْدِقَائَهُ وَزُمَلاءَهُ وَكُلِّ مَنْ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مُعَامَلَةٌ أَوْ مصاحَبَةٌ فِي سَفَرٍ أَوْ غَيْرِهِ أَوْ لَهُ تَعَلُّقٌ بِشَيْءٍ .

وَأَخْرَجَ البَيْهَقِيُ وابنُ عَسَاكِرَ عَنْ عُبَادَةَ بن مُحَمَّدٍ بن عُبَادَةَ ابن الصامِتِ قال لَمَّا حَضَرَتْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه الوَفَاةُ قَالَ أَخْرِجُوْا إِلَيَّ مَوالِيّي وَخَدَمِيْ وَجِيْرَانِي وَمَن كانَ يَدْخُلُ عَلَيَّ فَجُمِعُوْا له فقال إِنَّ يَوْمِيْ هَذَا لَا أَرَاهُ إِلَّا آخرَ يَوْمٍ يأتِي عَلَيَّ مِن الدُّنْيَا وَأَوَّلَ لَيْلَةٍ مِن الآخِرَةِ .

وإِنِّيْ لَا أَدْرِيْ لَعَلَّهُ قَدْ فَرَطَ مِنِّي إِلَيكُم بِيَدِيْ أَوْ بِلِسَانِي شَيْءٌ وَهوَ والذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ القِصَاصُ يَوْمَ القِيامَةِ وَأُحَرِّجُ إِلى أَحَدٍ مِنكُم فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِن ذَلِكَ إِلَّا اقْتَصَّ مِنِّيْ مِن قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ نَفْسِيْ فَقالُوا بَلْ كُنْتَ وَالِداً وَكُنْتَ مُؤَدِّباً قال وَمَا قَالَ لِخَادِمٍ سُوْءاً قَطْ فقالَ اعفَوْتُمْ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا نَعَمْ قال اللَّهم أَشْهَدْ . . . الخ .

وَوَرَدَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَمْرو لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قَالَ انْظُرُوْا فُلاناً فَإِنِّي كُنْتُ قُلْتُ لَهُ فِي ابْنَتِيْ قَوْلاً كَشِبْهِ العِدَةِ فَمَا أُحِبُّ أَن أَلْقَى اللَّهَ بِثُلُثِ النِّفَاقِ فَأُشْهِدُكُم أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهُ .

وَيَنْبَغِي أَنْ يُوْصِيَ بِأُمُورِ أَوْلَادِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ جَدٌّ يَصْلَحُ لِلْوِلَايَةِ وَيُوصِيْ بِمَا لا يَتَمَكَّنُ مِن فِعْلِهِ فِي الحَالِ مِن قَضَاءِ الدُّيُونِ وَنَحْو ذَلِكَ وأَنْ يَكُونَ حَسَنَ

الظَّنِ باللَّهِ تَعَالَى رَاجِياً عَفْوَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وإحْسَانَهُ .

وَيَسْتَحْضِرَ فِي ذِهْنِهِ أَنَّهُ حَقِيْرٌ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّ اللَّهَ تعالى غَنِيٌّ عن عَذَابِهِ وَعَن طَاعَتِهِ وأَنَّهُ عَبْدُهُ ولا يَطْلُبُ العَفْوَ والإِحْسَانَ والصَّفْحَ والامْتِنَانَ إِلَّا مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ مُتَعَاهِداً نَفْسَهُ بِقِرَاءَةِ آياتٍ مِن القُرْآنِ العَزِيْزِ فِي الرَّجَاءِ وَكَذَلِكَ أَحَادِيْثَ الرَّجَاءِ يَقْرَؤُهَا أَوْ يَجْعَلُ مَنْ يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ وَأَنْ يَكُونَ خَيْرُهُ مُتَزَايِداً وَيُحَافِظَ عَلَى الصَّلواتِ الخَمسِ فِي أوقاتِها .

وَيَجْتَنِبَ النَّجَاسَاتِ وَيَحْرِصَ عَلَى التَّطَهُرِ وَيَصْبِرَ عَلَى مَشَقَّةِ ذَلِكَ وكَذَا بَاقِي وَظَائِفَ الدِيْنَ يَحْرِصُ على أدائِها كَامِلَةً مُكَمَّلَةً وَلْيَحْذَرْ مِن التَّسَاهُلِ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ أَقْبَحُ القَبَائِحِ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِ من الدُنْيَا التي هِيَ مَزْرَعَةُ الآخِرَةِ التَّفرِيْطَ فِيْمَا وَجَبَ عَلَيهِ أَوْ نُدِبَ إِلَيْهِ .

وَلِيَجْتَهِدْ فِي خَتْمِ عُمُرِهِ بِأَكْمَلِ الأَحْوَالِ وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُوْصِيَ أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ بالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ واحْتِمالِ عما يَصْدُرُ منه وَيُوْصِيْهِم أَيْضاً بالصَّبْرِ عَلَى مُصِيْبَتِهِمْ بِهِ وَيُوْصِيْهِم بالرِّفْقِ بِمَنْ يَخْلُفَه مِن طِفْلٍ وَغُلَامٍ وَجَارِيَةٍ وَيُوْصِيْهِم بالاحْسَانِ إلى أَصْدِقَائِهِ وَيُعَلِمُهُم أن النبيَ ﷺ قال إِنَّ مِن أَبَرِ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدِّ أبِيْهِ .

وَقَدْ صَحَّ أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُكْرِمُ صَوَاحِبَاتِ خَدِيْجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها بَعْدَ وَفَاتِهَا :

وَيُوْصِيْهِم بِتَعَاهُدِهِ بالدُّعَاءِ وَفِعْلِ مَا يُقَرِّبُ إلى اللَّهِ وَيَنْوِيْ الثوابَ لَهُ وَذَلِكَ كَالحَج والصَّدَقَةِ والأَضْحِيَةِ وَطَبْعِ المَصَاحِفِ والكُتُبِ الدِيْنِيَّةِ المُقَوِّيَةِ لِلشَّرِيْعَةِ المُحَمَّدِيَةِ والإِعَانَةِ على بِنَاءِ المَسَاجِدِ .

وكالعَيْنِ الجَارِيَة وَنَحْوِ ذَلِكَ وَيُوصِيْهِم بأَنْ لا يَنسوْهُ بَلْ يَتَعَاهَدُوه بالدُّعَاءِ لَهُ وَلِوَالِدَيْه .

وَيُسْتَحَبُ أنْ يَقُولَ لَهم في وَقْتٍ بَعْدَ وَقْتٍ مَتَى رَأَيْتُم مِنِّيْ تَقْصِيْراً في شَيْءٍ انْهَوْنِيْ عَنْهُ برفْقٍ وَلُطْفٍ لأَنَّ النَّفْسَ تَضْعُفُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ وَأَدُّوْا أَلِيَّ النَّصِيْحَةَ فِي ذَلِكَ فإنِيْ مُعَرَّضٌ لِلْغَفْلَةِ والسَّهْو والكَسَلِ والإِهْمَالِ فإذَا قَصَّرْتُ فَنَشِّطُوْنِيْ وَعَاوِنُونِيْ عَلى التَّأَهبِ لِهَذَا السَّفَرِ البَعِيْدِ والتَّغَرُّبِ المُخِيْفِ .

وإذا حَضَرَهُ النَّزْ عُ فَلْيُكْثِرْ مِن قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِتَكُون آخِرَ كَلَامِهِ فَيَالَهُ مِن خِتَامٍ وَيَا لَهُ مِنْ طَابَعٍ ، فَعَنْ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لَقِنُوْا مَوْتَاكُم لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَيَسْتَحْضِرْ أَحَادِيْثَ الرَّجَا مِثْلُ حَدِيْثِ أَبِي ذَرٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبيَ ﷺ وعليه ثَوْبٌ أَبيَضُ وَهو نَائِمٌ ثم أَتَيْتُهُ وقد اسْتَيْقَظَ فقالَ ما مِنْ عَبْدٍ قال لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثم مَاتَ عَلى ذَلِكَ إلا دَخَلَ الجَنَّةَ قُلْتُ وانْ زَنَى وإِنْ سَرَقَ قال وإن زَنَى وَإِنْ سَرَقَ الحديثَ متفق عليه .

وَحَدِيث ابن عباس أنَّ نَاساً مِن أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوْا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوْا وَزَنَوا وأَكْثَرُوْا فَأَتَوْا مُحَمَّداً ﷺ فقالُوا إِنَّ الذي تَدْعُوا إليهِ لَحَسَنٌ لو تُخْبِرْنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَارةً فَنَزَلَ ﴿ والذين لا يَدْعُونَ مع اللَّهِ إلهاً آخرَ ولا يقتلونَ النفسَ التِي حَرَّمَ اللَّهُ إلا بالحق ولا يَزْنُون ﴾ الأيتين - ونَزَل ﴿ قل يَا عِبَادِي الذين أسرفُوا على أنفسِهم لا تَقْنَطُوا مِن رحمة اللَّهِ ﴾ الآية ونحو هذه الآية والأحاديث التي سَبَقَتْ .

شعـــراً :

إذا أَتى اللَّهُ يـومَ الحَشــرِ في ظُـلَلٍ ... وجـيءَ بالأُمَـمِ المَاضِينَ والرُّسُـلِ
وحاسَبَ الخَلْقَ مَنْ أَحْصَى بِقُدرَتِه ... أَنْفَـاسَـهُم وتَـوفَّـاهُـم إلـى أَجَـلِ

ولـم أَجِـدْ فـي كِتَـابِـي غَـيْرَ سَـيِّئَةٍ   تَسُـوءُنِي وعَسَى الإسْـلَامُ يَسْـلَمُ لِي
رَجَـوتُ رَحمَـةَ ربِّـي وهـي واسِعَـةٌ   ورَحْمَـةُ اللَّهِ أَرْجَـى لِي مِـنَ العَمَـلِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ في قُلوبنَا نُوْراً نَهْتَدِيْ بهِ إِلَيْكَ وَتولَّنا بحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتّى نَتَوكلَ عَلَيكَ وارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّذلل بَينَ يَدَيكَ فَالعزيزُ مَنْ لاَذَ بعزِّكَ والسَّعيدُ مَن الْتَجَأَ إلى حِمَاكَ وَجُودِكَ والذليلُ مَنْ لَمْ تُؤَيِّدْهُ بعنايَتِكَ والشَّقِيُ مَن رَضِيَ بالإعْرَاضِ عنْ طَاعَتِكَ اللهم نَزِّهْ قُلوبَنَا عنْ التَّعلق بمَنْ دُونَكَ واجْعَلْنَا مِنْ قوم تحُبُّهُمْ ويُحِبُّـونَكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلجَميْعِ المُسْلِمِينَ برَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الراحِمِينَ وصلى اللَّهُ علَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٤٠ مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللهِ إنَّ قَوارِعَ الأَيَّامِ خَاطِبَةٌ ، فَهَلْ أُذُنٌ لِعِظَاتِهَا وَاعِيَةٌ ، وَإِنَّ فَجَائِعَ المَوْتِ صَائِبَةٌ فَهَلْ نَفْسٌ لأَمْرِ الآخِرَةِ مُراعِيَةٌ ، إنَّ مَطَالِعَ الآمَالِ إلى المُسَارَعَةِ إلى الخَيْرَاتِ سَاعِيَةٌ أَلاَ فَانْظُرُوا بِثَواقِبِ الأَبْصَارِ وَالبَصَائِرِ في نَوَاحِيْ الجِهَاتِ وَالاقْطَارِ فَمَا تَرَوْنَ في حُشُوْدِكُمْ وَجُمُوعِكُمْ إلا الشَّتَاتَ وَلَا تَسْمَعُوا في رُبُوْعِكُم إلَّا فُلاَنٌ مَرِيْضٌ وَفُلاَنٌ مَاتَ أَيْنَ الآبَاءُ الأَكَابِرُ أَيْنَ العُلَمَاءُ العَامِلُونَ بِعِلْمِهِمْ الذِيْنَ لا تَأْخُذُهُمْ في اللهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ المُنَاصِحُوْنَ لِوُلَاتِهِمْ وَأَمَّتِهِم الزَّاهِدُونَ في حُطَامِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ أَيْنَ الكُرَمَاءُ الأَفَاضِلُ الذِيْنَ يَغَارُونَ إِذَا انْتُهِكَتْ المَحَارِمُ أَيْنَ الهَاجِرُونَ المُصَارِمُونَ لِلفَاسِقِ وَالفَاجِرِ أَيْنَ المُنَاصِرُونَ لِلْقَائِمِ عَلى أَهْلِ المَعَاصِيْ وَالكَبَائِرِ أَيْنَ أَهْلُ الوَلَاءِ وَالبَرَاءِ المُحِبُّونَ في اللَّهِ المُبْغِضُونَ لأَعْدَائِهِ .

أَيْنَ المُتَّقُوْنَ لِمآكِلِهِمْ وَمَلاَبِسِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ عَنْ الحَرَامِ وَالمُشْتَبِهِ وَهُوَ مَا كَانَ القَلْبُ في الاقْدَامِ عَلَيْهِ وَالكَفِّ عَنْهُ حَائِرٌ .

أَيْنَ الذِيْنَ لاَ يَسْكُنُونَ إلا بِرِضَا صَاحِبِ المُلْكِ خَوْفاً مِن المُخَاطَرَةِ فِي صَلاَتِهِمْ وَصِيَامِهِمْ وَنِكَاحِهِمْ وَمُكْثِهِمْ في الامْلاَكِ المَسْكُوْنَةِ قَهْراً وَغَصْبَاً .

أَيْنَ المُتَفَقِّدُونَ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِيْنِ الذِينَ لَيْسَ لَهُم مَوَارِدُ .
عَثَرَتْ وَاللهِ بِهِمْ العَوَاثِرُ وَأَبَادَتْهم السِّنِيْنُ الغَوَابِرُ وَبَتَرَتْ أَعْمَارُهُم الحَادِثَاتُ البَوَاتِرُ وَاخْتَطفَهَمُ عَقَبَاتُ كَوَاسِر . وَخَلَتْ مِنْهُمْ المشَاهِدُ وَالمَحَاضِرُ وَعُدِمَتْ مِنْ أَجَسَادِهِمْ تِلْكَ الجَوَاهِرُ وَطَفِئَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ الأَنْوَارُ الزَّوَاهِرُ وَابْتَلَعَتْهُمْ الحُفَرُ والمَقَابِرُ إلى يَوم تُبْلى السَّرَائِرُ فَلَوْ كُشِفَتْ عَنْهُمْ أَغْطِيَةُ القُبُوْرِ بَعْدَ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاَثِ لَيَالٍ لَرَأَيْتَ الاَحْدَاق على الخدَودِ سَائِلَةً وَالأَوْصَال بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مَائِلَةً وَدِيْدَانَ الأَرْضِ في نَوَاعِمِ تِلْكَ الأَبْدَانِ جَائِلَةً والرُّؤُسَ المُوَسَّدَةُ عَلَى الايْمَانِ زَائِلَةً يُنْكِرُهَا مَنْ كَانَ عَارِفاً بِهَا وَيَنْفُرُ عَنْهَا مَنْ لَمْ يَزَلْ آلِفاً بِهَا .

فَلاَ يُعْرَفُ السَّيدُ مِنْ المَسُوْدِ وَلاَ المَلِكُ مِنْ المَمْلُوكِ وَلاَ الذَّكِيُّ مِنْ البَلِيْدِ وَلاَ الغَنيُّ مِنْ الفَقِيْرِ فَرَحِمَ اللهُ عَبْداً بَادَرَ بالاَقْلاَعِ عَنْ السَّيِّئَاتِ وَوَاصَلَ الإِسْرَاعَ وَالمبَادَرَةَ في الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ قَبْلَ انْقِطَاعِ مُدَدِ الأَوْقَاتِ وَطَيِّ صَحَائِفِ المُسْتَوْدَعَاتِ وَنَشْرِ فَضَائِحِ الاقْتِرَافَاتِ وَالجِنَايَاتِ فَلاَ تَغْتَرُّوا بِحَيَاةٍ تَقُوْدُ إلى المَمَاتِ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّمَا تُوْعَدُوْنَ لآتٍ فَالبِدَارَ البِدَارَ قَبْلَ أَنْ تَتَمَنَّوا المُهْلَةَ وَهَيْهَاتَ .

شِـعْراً :

نَمْضِيْ عَلى سُبُلٍ كَانُوا لَهَا سَلَكُوا
أَسْـلاَفُنَـا وَهُمْ لِلدِّيْن قَـدْ شَـادُوْا

لَنـا بِهِمْ أُسْوَةٌ إِذْ هُم أئِمَّتُنَـا
وَنَحْنُ لِلْقَوْمِ أَبْنَاءٌ وَأَحْفَادُ
وَالصَّبْرُ يَا نَفْسُ خَيْرٌ كُلُّهُ وَلَهُ
عَوَاقِبٌ كُلُّهَا نُجْحٌ وَإِمْدَادُ
فَاصْبِرْ هُدِيْتَ فَانَّ المَوْتَ مُشْتَرَكٌ
بَيْنَ الأَنَامِ وانْ طَاوَلْنَ آمَادُ
والنَّاسُ في غَفَلاَتٍ عَنْ مَصَارِعِهِمْ
كَأَنَّهُمْ وَهُمْ الأَيْقَاظُ رُقَّادُ
دُنْيَاً تَغُرُّ وَعَيْشٌ كُلُّهُ كَدَرٌ
لَوْلاَ النُّفُوسُ الَّتِي لِلْوَهْمِ تَنْقَادُ
كُنَّا عَدَدْنَا لِهَذَا المَوْتِ عُدَّتَهُ
قَبْلَ الوَفَاةِ وَأَنْ تُحْفَرْنَ أَلْحَادُ
فَالدَّارُ مِنْ بَعْدِ هَذِي الدَّارِ آخِرَةٌ
تَبْقَى دَوَامَاً بِهَا حَشْرٌ وَمِيْعَادُ
وَجَنَّةٌ أُزْلِفَتْ لِلْمُتَّقِيْنَ وَأَهْـ
ـلُ الحَقِّ وَالصَّبْرِ أَبْدَالٌ وَأَوْتَادُ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ قَبْلِ المَمَاتِ وَلاَ
تَعْجَلْ وَتَكْسَلْ فَإِنَّ المَرْءَ جَهَّادُ
لاَ يَنْفَعُ العَبْدَ إلا مَا يُقَدِّمُهُ
فَبَادِرِ الفَوْتَ وَاصْطَدْ قَبْلَ تُصْطَادُ
وَالمَوْتُ لِلْمُؤْمِنِ الأَوَّابِ تُحْفَتُهُ
وَفِيْهِ كُلُّ الذِيْ يَبْغِيْ وَيَرْتَادُ

اللهُم يا عالمَ الخفياتِ وَيَا سَامِعَ الأَصْواتِ ويَا بَاعِثَ الأَمْواتِ وَيَا مُجيْبَ الدَعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الحَاجَاتِ يَا خَالقَ الأرضِ والسَّمواتِ أَنْتَ اللَّهُ الاحدُ الصمدُ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد الوَهَّابُ الذي لا يَبْخَلُ والحَليمُ الذي لا يَعْجَلُ لا رادَّ لامْرِكَ ولا مُعَقِّبَ لِحُكَمِكَ نَسْأَلكَ أنْ تغفرَ ذنوبَنَا وَتُنورَ قلوبنَا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ في قُلوبنَا وَتُسْكِنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إنكَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِير وَصَلَّى على محمدٍ وآلِه وَصَحْبِه أَجْمَعِيْنَ .

٤١ مــوعظــة

عِبَادَ اللهِ لا شيء أَغْلى عَليكُمْ مِن أَعمارِكُمْ وَأَنْتُم تُضَيِّعُونَهَا فيما لا فَائِدَةَ فيه . وَلَا عَدُوَّ اعدَى لَكُمْ مِنْ إبْلِيْسَ وَأَنْتُمْ تُطِيْعُونَهُ ، ولا أَضَرَّ عَليكُمْ مِن مُوافَقَةِ النَّفْسِ الامَّارَةِ بالسُّوءِ وأَنْتُم تُصَادِقُونَهَا ، لَقَدْ مَضَى مِن أعمارِكُمْ الاطَايِبُ ، فما بَقِيَ بعد شَيْبِ الذوائِبِ .

يا حاضِرَ الجسم والقلبُ غائبُ ، اجتماعُ العَيْبِ مَعَ الشَّيبِ مِن أعظَم المَصَائِب ، يَمْضِي زَمَنُ الصِّبَا في لَعِبٍ وسَهْوٍ وَغَفْلَةٍ ، يا لَهَا مِن مَصَائِب ، كَفَى زاجراً واعظاً تشيْبُ منه الذَوَائِب ، يا غافلاً فاتَه الأَرْبَاحُ وَأَفْضَلُ المَنَاقِبِ ، أَيْنَ البُكاءُ والحَزَنُ والقلقُ لِخَوفِ العظيمِ الطالبِ أَيْنَ الزَّمَانُ الذي فَرَّطْتَ فيهِ ولمْ تخشَ العَواقِبَ ، أَيْنَ البُكَاء دَماً عَلى أَوقَات قُتِلَتْ عندَ التَّلفِزْيُون والمِذياع والكُرَةِ والسِيْنَماءِ والفيديُوْ والخَمْرِ والدُّخَانِ والمَلاعِبْ واللعب بالورق والقيل والقال .

كَمْ في يومِ الحَسْرةِ والنَّدامَةِ مِن دَمْعٍ سَاكِبْ على ذُنُوبٍ قَد حَوَاها كِتـابُ الكَاتِبْ ، مَنْ لَـكَ يَـومَ يَنْكَشِفُ عَنْـكَ غِطَاؤكَ في مَـوقِفِ المُحَاسِبْ ، إذا قيلَ لَكَ مَا صَنَعْتَ في كُلِّ وَاجِبْ ، كَيْفَ تَرْجُـو النجاةَ وأنتَ تَلْهُوْ بِأَسْرِ المَلاَعِبْ ، لقد ضَيَّعتكَ الأَمَاني بالظَن الكاذِبِ ، أَمَا

عَلِمْتَ أَنَّ الموتَ صَعْبٌ شَدِيْدُ المَشَارِبْ ، يُلْقِي شَرَّهُ بكأسِ صُدُوْرِ الكَتائِبْ ، وأنَّهُ لا مَفَرَّ مِنْهُ لِهَارِبْ فانظرْ لِنَفْسِكَ واتَّقِ اللهَ أَنْ تَبْقَى سَلِيْماً مِن النَّوائِبِ فقدْ بَنَيْتَ كَنَسجِ العنكبوتِ بَيْتاً أَيْنَ الذينَ عَلَوا فوقَ السُّفنِ والمراكبِ أينَ الذينَ عَلَوْ على مُتونِ النجائِبِ ، هَجَمت عليهِمْ المنايَا فأصبحوا تَحْتَ النصَائِبْ وأنتَ في أَثَرِهِمْ عن قريبٍ عَاطِب ، فانظرْ وَتَفَكَّرْ واعْتَبِرْ وَتَدَبَّرْ قبلَ هُجُومِ مَن لا يَمنعُ عنه حَرَسٌ ولا بابٌ ولا يَفوتُهُ هَرَبُ هارِب .

اللَّهُمَّ اسْلكْ بِنَا مَسْلَكَ الصَّادِقِينَ الأَبْرَارْ ، وَالْحِقْنَا بِعبَادِكَ الْمُصْطَفيْنَ الأَخْيَار ، وَآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارْ .

اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوباً أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلاَ تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنَّوَالِ وَجَادَ بِالإِفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَيْقِضْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ ، وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٤٢ مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللهِ لمَّا كَانَ الانْسَانُ مُكَلَّفاً بالسَّعْي وَالعَمَلِ لِطَلَبِ الرِّزقِ من وُجُوهِهِ المشْرُوعَةِ كان حَقّاً عليه أنْ يَصُونَ نَفْسَه عَنْ مَسْأَلَةِ النَّاسِ .

وَأَنْ لاَ يَمُدَّ يَدَهُ لِسُؤَالِهِم وَلاَ يَتَقَدَّمَ إليهِم لِطَلَبِ حُطَامِ الدُّنْيَا إلاَّ عِنْدَ الضَّرُورةِ أَوِ الحَاجَةِ الشَّدِيْدَةِ لِأَنَّهُ إِذَا قَعَدَ عن العَمَلِ وَلَزِمَ البَطَالَةَ وَالكَسَلَ وَنَظَرَ لِمَا في أَيْدِي النَّاسِ مِنْ أَوْسَاخِهِم سَاءَتْ حَالُهُ ، وَضَاعَتْ آمالُه ،

وَضَعُفَ تَوَكلُه ، وَضَاق عَيْشهُ ، وَانْحَطَّتْ نَفْسُهُ ، وَاعْتَادَ السُّؤَالَ الذِي لا يَنْفَكُّ عن ثَلاَثَةِ أُمُورٍ مُحَرَّمَةٍ :

الأَوَّلِ : اظْهَارِ الشَّكْوَى مِن اللهِ تَعَالَى، إذ السُّؤَآلَ اظْهَارٌ لِلفَقْرِ وَذِكرٌ لِقُصُورِ نِعْمَةِ اللهِ عنه ، وَهُوَ عَيْنُ الشَّكوى ، وَكَما أَنَّ العَبْدَ المَمْلُوكَ لَو جعَلَ يَسْأَلُ وَأَنَّهُ مَا يَجِدُ شَيْئاً لَكَانَ سُؤَآلُهُ تَشْنِيْعاً عَلى سَيِّدِه وَلا يَرْضَى بِذَلِكَ وَلِلّهِ المَثَلُ الأَعْلَى .

وَلاَ سِيَّمَا إذا أَتَى إلى بَيْتِ اللهِ يَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ حِيْن مَا يُسَلِّمُ الامَامُ وَجَعَلَ يَشْرَحُ حَالَهُ وَفقْرَهُ وَأَوْقَفَ النَّاسَ عَنْ تَهْلِيْلِهم ، وَتَسْبِيْحِهِمْ ، وَتَكْبِيْرِهِمْ ، وَالمَسَاجِدُ لَمْ تُبْنَ إلا لِذِكْرِ اللهِ ، وَالصَّلاَةِ فِيْهَا وَقِرَاءةِ القرْآنِ . وهذا المنكر قَلَّ مَن يَنْتَبِهُ له .

الأَمْرِ الثَّانِيْ : أَنَّ في سُؤَالِ النَّاسِ إذْلاَلٌ لِنَفْسِ السَّائِلِ ، وَلَيْسَ لِلإِنْسَانِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ وَيُخْضِعَهَا إلاَّ لِلهِ ، الذِي في اذْلاَلِهَا عِزُّهُ ، فَأَمَّا سَائِرُ الخَلْقِ فَإِنَّهُم عِبَادٌ أَمْثَالُه فَلاَ يُذِلُّ لَهُم نَفْسَهُ .

ثَالِثاً : أَنَّ فِيْهِ ظُلْمٌ لِنَفْسِه إلاّ عِنْدَ الضَّرُورَةِ أَوْ الحَاجَةِ الشَّدِيْدَةِ وَفِيْهِ أَيْضاً إيْذَاءٌ لِلمَسْئُولِ خُصُوصاً إذا كَانَ مَعَ إلْحَاحٍ ، وَالإِيْذَاءُ حَرَامٌ ، فَأَيُّ عَاقِلٍ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِهَذِهِ الحَالَةِ التَّعِسَةِ ، بَلْ كَيْفَ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عُضْواً أَشَلاً في الهَيْئَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ لاَ يُقَامُ لَهُ وَزْنٌ وَلاَ تُقَامُ لَهُ قِيْمَةٌ .

وَقَدْ أَثْنَى اللهُ عَلى الذِيْنَ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إلْحَافاً وَقَالَ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ « لَيسَ المِسْكِيْنُ الذِيْ يَطُوفُ عَلى النَّاسِ تَرُدَّهُ اللّقْمَةُ واللقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتان ، وَلَكِن المِسْكِيْنُ الذِيْ لا يَجدُ غِنىً يُغْنِيْهِ وَلاَ يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلاَ يَقُوْمُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ .

فَفِيْ زَمَنِنَا الذِي اخْتَلَطَ فِيْهِ الحَابِلُ بالنَّابِلِ وَصَارَ عِنْدَهُمْ الحَلاَلُ مَا وَصَلَ إِلى اليَدِ وَذَهَبَ عَنْهُم الورَعُ وَالابْتِعَادُ عَن الشُّبُهَاتِ ، عَلى الإِنْسَانِ أَنْ يَبْذُلَ جُهْدَهُ وَيَتَثَبَّتَ وَلاَ يبْذُلُ زَكَاتَهُ إِلى كُلِّ مَنْ مَدَّ يَدَهُ ، بَلْ يَسْأَلُ بدِقَّةٍ ، وَيَتَحَقَّقُ مِن الإِوْرَاقِ التِي تُعْرَضُ عَلَيْهِ ، التِي صَارَتْ تُصَوَّرُ وَتُبَاعُ وَتُشْتَرَى .

وَرُبَّمَا حَصَلَ المُتَسَوِّلُ عَلى أَضْعَافِ مَا فِيْهَا وَلَوْ أَنَّ هَؤُلاَءِ المُتَسَوِّلِيْنَ الشَّحَّاذِيْنَ استَعْمَلُوا فِي طَرِيْقٍ مُنْتجٍ مِن تجارَةٍ أو غَيْرِهَا مَا يَصِلُ أَلَى أَيْدِيْهِم مِن الصِّدَقَاتِ لما بَقِيَ فِي الأُمَّةِ مِنْهُم مُتَسَوِّلٌ ، وَلَكِنْ هَؤلاَءِ قَوْمٌ أَلِفُوا هَذَا العَيْشَ وركَنوا إِلَيْهِ لاَ يَدْفَعُهم إِلَيْهِ فَقْرٌ وَلاَ يَرُدُّهُمْ عَنْهُ غِنَى ، وَكَمْ مِمَّنْ اكْتُشِفَ فَصَارَ عِنْدَهُ ثَرْوَةٌ ، وَهَذَا سَبَبُه عَدَم التَّثَبُّتِ وَاجْرَاء العَادَاتِ بِدُوْنِ سُؤَالٍ هَلْ اغْتَنَى أَمْ لا .

وَقَدْ بيَّنَ صَلى اللَّهُ عليه وسلم مَنْ يَحِلُّ لَهُ السُّؤَال وَذَلِكَ فِيْمَا وَرَدَ عَنْ قَبيصَةِبْنِ مُخَارِقٍ الهِلاَلِيِّ قَالَ تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَسْأَله فِيْهَا ، فَقَالَ أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيْنَا الصَّدَقَةُ فآمر لكَ بِهَا ، ثم قَالَ يَا قَبِيْصَة إِنَّ المَسْأَلَةَ لا تَحِلُّ إلا لأَحدِ ثَلاَثَةٍ : رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتَ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيْبَهَا ثم يُمْسِكُ ، أَو رَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيْبَ قِوَاماً مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ .

وَرَجُل أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُوْمَ ثَلاثَةٌ مِنْ ذَوِيْ الحِجَى مِنْ قَوْمِهِ يَقُولُونَ لَقَدْ أَصَابَتْ فُلاناً فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيْبَ قِوَاماً مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ ـ فَمَا سِوَاهُنَّ مِن المَسْأَلَةِ يَا قَبِيْصَةُ سُحْتٌ يَأْكلُها صَاحِبُهَا سُحْتًا رَوَاهُ مُسْلِم .

وَقَدْ ذَكَرْنَا الأَحَادِيْثَ التِي تَتَضَمَّنُ التَّغْلِيْظَ الشَّدِيْدَ فِي السُّؤَال مِنْ غيرِ

ضَرُورةٍ وَذلك في مَوْضُوعِ « مَنْ تَحِلُّ لَهُ الصَّدَقةُ » .

شِـعْراً :

غَفَلْتُ وَحَادِيْ المَوْتِ في أَثَرِيْ يَحْدُوْ
فَإِنْ لَمْ أَرُحْ يَوْمِيْ فَلا بُدَّ أَنْ أَغْـدُ
أُنـعِّمُ جِـسْمِـيْ بِـاللِّبَـاسِ وَلِـيْنِـهِ
وَلَيْسَ لِجِسْمِيْ مِنْ لِبَاسِ البِلَى بُدُّ
كَـأَنِّيْ بِهِ قَـدْ مَـرَّ في بَـرْزخِ البِلَى
وَمِنْ فَـوْقِـهِ رَدْمٌ وَمِنْ تَحْتِـهِ لَحْـدُ
وَقَـدْ ذَهَبَتْ مِنِّيْ المَحَاسِنُ وَانْمَحَتْ
وَلَمْ يَبْقَ فَوْقَ العَظْمِ لَحْمٌ وَلاَ جِلْدُ
أرى العُمْـرَ قَـدْ وَلَّى وَلَمْ أُدْرِك المُنَى
وَلَـيْسَ مَعِـيْ زَادٌ وَفـي سَـفَـرِيْ بُـعْـدُ
وَقَـدْ كُنتُ جَاهَـرْتُ المُهَيْمِنَ عَـاصِيـاً
وَاحْـدَثْـتُ أَحْـدَاثـاً وَلَـيْسَ لَهَا رَدُّ
وَأَرْخَيْتُ خَوْفَ النَّاسِ سِتْراً مِنْ الْحَيَا
وَمَا خِفْتُ مَنْ سِرّيْ غَداً عِنْدَهُ يَبْدُو
بَلَى خِفْتُـهُ لَكِـنْ وَثِقْـتُ بِحِـلْمِـه
وَأَنْ لَيْسَ يَعْفُـو غَيْـرُهُ فَلَهُ الحَمْـدُ
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ شَيءٌ سِوَى المَوْتِ وَالبِلَى
عَنِ اللَّهْوِ لَكِنْ زَالَ عَنْ رَأْيِنَا الرُّشْدُ

عَسَى غَـافِرُ الـزَّلَّاتِ يَغْفِـرُ زَلَّتِيْ
فَقَـدْ يَغْفِرُ اَلمَـوْلَى إذَا أَذْنَبَ العَبْـدُ
أَنَـا عَبْدُ سُـوْءٍ خُنْتُ مَـوْلايَ عَهْـدَهُ
كَـذَلِكَ عَبْـدُ السُّـوءِ لَيْسَ لَـهُ عَهْـدُ
فَكَيْفَ إذَا أَحْـرَقْتَ بِـالنَّـارِ جُثَّتِيْ
وَنَـارُكَ لَا يَقْوَى لهَـا الحَجَرُ الصَّلْدُ
أَنَا الفَرْدُ عِنْدَ المَوْتِ وَالفَرْدُ في البِلَى
وَأُبْعَثُ فَـرْداً فَـارْحَمْ الفَـرْدَ يَـا فَـرْدُ

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ وَالاجَابَةِ وارْزُقْنَا الاقْبَالَ عَلى طَاعَتِكَ وَالانَابَةَ وَبَارِكْ في أَعْمَالِنَا وَأَعْمَارِنَا وَأَجْزِلْ لَنَا الأَجْرَ والاثَابَةَ وَآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المسلمين برحمتك ياأرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجْمَعِيْن .

٤٣ (مَـوْعِظَـــة)

عِبَـادَ اللَّهِ ، إقْـتَرَبَتِ السَّاعَة وَقَرُبَ التَّحَوُّلُ والَمسِيْر ، وَأَزِفَتِ الْآزِفَةُ وَلَيْسَ هُنَاكَ حَمِيْمٌ وَلاَ نَصِيرٌ وكُتِبَتِ الصَّحِيْفَةُ فَلاَ نِسْيَانَ لِقَلِيْلٍ وَلاَ كَثِيْرٍ ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إلَّا فِي كِتَابٍ مُبِيْنٍ ﴾
تَاللَّهِ لَقَدْ غَرَّتِ أَلآمَانِي أَكْثَر خَلْقِ اللَّهِ فَتَرَكُوا سَبِيْلَ الْهُدَى وأَعْرَضُوا عَنْ دَارِ التَّهَـانِي والْقَرَارِ فَوَقَعُوا فِي شَرَكِ الرَّدَى وَتَمادَوْا على التَّوانِي وَظَنُّوْا أَنْ

يُتْرَكُوا سُدَىٰ وَنَسُوا قَوْلَهُ تَعَالَىٰ ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ ﴿ ذَرْهُمْ يأكلوا ويتَمتعوا ويُلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾ وقوله تعالى ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ كَيْفَ حَالُكُمْ إِذَا قُمْتُمْ مِنَ الْقُبُورِ حَيَارَىٰ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ، وَقَدْ عَظُمَتِ الْأَهْوَالُ ﴿ وَتَرَىٰ النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ ﴾ وَلَزِمَتِ الصُّحُفُ الْأَعْنَاقَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ .

كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الْجَبَّارِ ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴾ ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يُؤْخَذُ الْمُجْرِمُونَ بِالنَّوَاصِي والاقْدَام ، وَيُطْرَحُ فِي الْجَحِيمِ مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الْمَعَاصِي جَرَاءَةٌ وَإِقْدَام .

وَيَمْرَحُ بِالنَّعِيمِ مَنْ قَدَّمَ الْخَيْرَاتِ لِدَارِ السَّلَامِ وَعَمِلَ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَيَحْظَىٰ بِجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ وَاسْلُكُوا طَرِيقَ الشَّرْعِ الْقَوِيمِ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ وَقُومُوا بِأَوَامِرِ الْمَنَّانِ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ .

وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا مِمَّنْ غَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بِزَخَارِفِهَا الزَّائِلَةِ وَزِينَتِهَا الْعَاطِلَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي آجَالَهُمْ وَهُمْ لَاهُونَ وَتَجْرِي بِهِمُ الْأَعْوَامُ إِلَى مَرَاقِدِ قُبُورِهِمْ وَهُمْ نَائِمُونَ وَتَتَخَطَّفُهُمُ الْمَنَايَا وَهُمْ لَاعِبُونَ وَتُنَادِيهِمُ الْعِبَرُ وَالْمَوَاعِظُ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يُبْصِرُونَ وَيَرَوْنَ مَا وَقَعَ بِالْأُمَمِ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا نَزَلَ بِآبَائِهِمْ وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِمَآلِهِمْ

وَمَا إِلَيْهِ صَائِرُون ، إذا هُمْ وَصَلُوا إلى الغَايَة المَفْهُومَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّها الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيْهِ ﴾ .

شِعْرَاً :

يَا غَافِلاً عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِهْ ... جَدَّ الرَّحِيْلُ وَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ
سَارَ الرِّفَاقُ وَخَلَّفُوكَ مَعَ الأُوْلَى ... قَنِعُوا بِذَا الحَظِّ الخَسِيْسِ الفَانِ
وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفَاً ... فَتَبِعْتَهُمْ وَرَضِيْتَ بِالحِرْمَانِ
لَكِنْ أَتَيْتَ بِخُطَّتَيْ عَجْزٍ وَجَهْـ ... ـلٍ بَعْدَ ذَا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَانِ
مَنَّتْكَ نَفْسُكَ بِاللَّحَاقِ مَعَ القُعُو ... دِ عَنِ المَسِيْرِ وَرَاحَةِ الأَبْدَانِ
وَلَسَوفَ تَعْلَمُ حِيْنَ يَنْكَشِفُ الغِطَا ... مَاذَا صَنَعْتَ وكُنْتَ ذِا إِمْكَانِ

اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِفَضْلِكَ وَاحْسَانِكَ وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ وَأَلْحِقْنَا بِالذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمَ فِي دَارِ رِضْوَانِكَ وَارْزُقْنَا كَمَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ لَذِيْذِ مُنَاجَاتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى محمد وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٤٤ موعظة

عبادَ اللهِ إن كُنْتُم في سَعةٍ مِن العَيْشِ فاحْمَدُوْا اللهَ تَعَالَى أن جَعَلَكُمْ مِن أَهْلِ الإِيسَارِ وأديْمُوا شُكْرَهُ يُدِمْ عَليكُم النِّعْمَةَ ويَزِدْها ، وهو الكريمُ الجوادُ . ومِن تَمَامِ النِعمَةِ أن تَتَسَخُوْا مِنَ الزكاة بإخراجِها كاملةً إلى ذَوي الحَاجاتِ لعلكم أنْ تَفُوزُوا بالخَلَفِ والثَّوَابِ الجَزِيْلِ مِن فاطِرِ الأرضِ والسَّمواتِ ، أَحْسِنُوا إلى عِبَادِ الله كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إليكُمْ وَرَاعُوا عندَ الإحسانِ الأَدَبَ فلا تَمُنُوا على الفَقِيْرِ ولا تُؤْذُوْهُ فإن ذلك مُحْبِطٌ

لِلأعمَالِ واسْتُرُوْا عَطَاءَكُم مُخْلِصِينَ مُتَيَقِنِيْنَ أنَّ حَاجَتَكُمْ إلى الثَّوابِ وتكفيرِ الذُنُوبِ أَشَدُّ مِن حَاجَةِ الفقير إلى ما تُخْرِجُونَ . واعْلَمُوا أن إحْسَانَكُمْ إنَّما هو لأنفسِكُم وَاعْصُوا الشيطانَ فإنَّهُ يأمُرُ بالبُخْلِ وينْهَى عن العَطْفِ على المَسَاكِين ، يُخِيفُكُمْ إن تَصَدَّقْتُم أنْ يَذْهَبَ مَالكُم وأَنْتُم تَعْلَمُون أنَّ نَصِيْحَةَ العَدُوِ مَهْلَكَةٌ ، وقد أخبرَ اللهُ جَلَّ وعَلاَ أن الشيطَانَ للإنسانِ عَدُوٌّ مُبِيْن ، وأَخْبَرَ صلى الله عليه وسلم أنهُ مَا مِن يَومٍ يَصبِحُ العِبَادُ إلا مَلَكَانِ ينزِلانِ فَيَقُوْلُ أَحَدُهُما اللَّهم أعْطِ مُنْفِقاً خلفاً وَيقول الآخرُ اللَّهم أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفَا . رواه البخاري ومسلم .

اللهمَّ اعصِمْنَا عَنِ المخالفةِ والعصيانِ وألْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ يا كريمُ يا مَنَّان واغفر لنا ولوالدَينا ولجميعِ المسلمينَ الأحياءِ منهم والميتينَ برحمتكَ يا أرحمَ الراحمين وصلَى الله على محمد وعلى آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ .

٤٥ موعظة

عبادَ الله إن وُجُودَ الموتِ بينَ الناسِ مَوْعِظَةٌ كُبْرَى لوَ كَانُوا يعقلون فانه بِلِسَانِ الحَالِ يقولُ لِكُلِ واحدٍ مِنا : سَأنْزِلُ بكَ يوماً أو لَيلةً كما تَرى الناسَ بعَيْنِكَ يَمُوتُونَ وقد يَكُونُ لأحـدِهِم مِن المالِ والجـاهِ والقوَّةِ والجمَالِ والعِلمِ والفَصاحَةِ والمَرْكَزِ الدُّنيويِ ما يُدهِشُ الناظرينَ لَهُ ، وقد يكونُ قَدْ طَالَ عُمُرُهُ وطالَ امَلُهُ حتى مَلَّ ومُلَّ مِنْهُ . وبَيْنَ ما هو في حالٍ مِن النَّشَاطِ قويٌ مشْدُودُ أسْرُهُ ، ذُو هِمَّةٍ تَضِيْقُ بها الدنيا ، قدْ أَقْبَلَتْ عليهِ الدُّنيا مِن كُلِ جِهَةٍ ، وزَهَتْ لَهُ ، إذا تَرَاهُ جُثَّةً هَامِدَةً أشْبَهَ بِأعْجَازِ النَّخْلِ الخَاوِيَة لا حِسَّ لَهُ ولا حَرَكَةَ ولا أقوالٌ وَلا افعالٌ قَدْ ضَيَّقَ على مَن حَوْلَهُ وإذا لم يُسْرِعُوا بِهِ إلى الدَّفْنِ يَكُونُ جيْفَةً مِن الجِيَفِ تُؤْذِي رَائِحَتُهَا الكَرِيهةُ كلَ مَن قَرُبَ منها ، هَذا كُلُّهُ يكونُ بعدَ ذلكَ النَّشَاطِ

والقُوَى لِأنَّ هَادِمَ اللَّذاتِ نَزَلَ بِهِ .

وبَعْدَ نُزُولِه لا تَسْألُ كان لَهُ ما كَانَ ، وفي الحالِ تُصْبحُ زَوْجَتُه ارْمَلَةً ويُصبحُ أَوْلاَدُهُ أيْتاماً . وفي الحالِ تُقَسَّم أَمْوَالُهُ التي جَمَعَهَا وقَاسَى على جَمْعِهَا الشَّدَائِدَ . لِأنَّ المَوْتَ يُزِيْلُ مُلْكَهُ ويَنْقُلُهُ إلى مُلْكِ وَرَثَتِهِ نَقْلاً تَعْجَزُ عن نَقْضِهِ الأيامُ ، نَعَمْ إنَّهُ بالموت يزولُ مَالُه كُلُّهُ وهِيَ أكْبَرُ مُصِيْبَةٍ مَالِيَّةٍ .

وأَكْبَرُ مِنَها أَنَّهُ يُسْألُ عنه كُلِّهِ دَاخِلاً وخَارِجاً مِن حَلَالٍ أَمْ مِن حَرَامٍ وبَعْدَ مُدَّةٍ يَسيْرةٍ يُنْسَى هُو وَيُنْسَى مالُه وَيُنسَى جَاهُهُ ويُنْسَى مَرْكَزُهُ ومَكَانَتُهُ ولو كان مَلِكاً أوْ وَزِيْراً ومَا كانَهُ رَأَتْهُ العُيُونُ ولا سَمِعَتْ كَلامَهَ الآذانُ

اللّهُمَّ انَّا نَسْأَلك التَّوبَةَ وَدَوامَها ، وَنَعُوذُ بِكَ مِن المَعْصِيَةِ وأسْبَابِها ، اللّهمّ أفِضْ علَيْنا مِن بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِك حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا على السّلاَمَةِ مِن وَبَالِها وَارْأَفْ بِنا رَأْفَةَ الحَبِيْبِ بِحَبِيْبِهِ عِنْدَ الشّدَائِدِ وَنُزُولِها ، وارْحَمْنا مِن هُمُومِ الدّنْيا وَغُمومِها بالرَّوْحِ والرّيْحانِ إلى الجنةِ وَنَعِيْمِها ، وَمَتِّعْنا بالنَّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكريم في جَنَّاتِ النَّعيمْ : مَعَ الذين أنْعَمْتَ عليهم من النبيينَ والصّدّيقينَ والشُّهَدَاءِ والصّالِحين ، واغْفِرْ لَنَا ولوالِدَيْنا وَلِجَمِيْعِ المُسلِمينَ ، الأحياءِ منهم والميتينَ بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ ، وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِه وصحبهِ أجْمَعِينْ .

٤٦ مَوْعِظَة

عِبَادَ اللّه إنَّ القُلُوبَ إذَا قستْ واسْتَوْلَى عَلَيْها حُبُّ الدُّنْيَا دَوَاؤُهَا النَّافِعُ بِاذْنِ اللّهْ ذكْرُ اللّهْ جَلَّ وَعَلا وَتِلاَوةِ كِتَابِهِ الْعزِيْز وَزِيَارَةُ الْمقَابِرِ لِترَى

فِيْها بِعَيْنِكَ مَا صَارَ إِلَيْهِ الأكَابِرْ والاَصَاغِرْ تَرَى فِيْهَا الْمُلوكَ والْوُزَرَاءَ وَالْوُجهَاءَ والْجَبَابِرةَ والظَّلَمَةَ والْمُتَكَبِّرِيْنَ والفَسَقةَ صَرْعَىٰ فِي ضِيْقِ تِلْكَ الْحفائِرْ وَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا عَلَى سَعَتِها تَضِيْقُ عَمَّالَهُمْ مِنْ آمالٍ وَأَمَانِي .

وَتَرى هُنَاكَ أَحِبَّاءَ اللّهِ وَأَوْلِيَاءَهُ وَعِبَادَه الصَّالِحْين الْكُلُّ حَكَمَ عَلَيْهِ الْعَزِيزُ الْحَكِيْمُ الْقَهَّار بالمَوْتَ فَلَبُّوا طَائِعِيْنَ أَوْ مُكْرَهِيْن وأصْبَحَ الْكُلُّ مُنْفَرداً لا أَنِيْسَ لَهُ إلا ما قَدَّمَهُ مِن الأعمالِ فالمَطِيعُ لِلهِ الَّذِيْ امْتَثَلَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ وانْتَهَى عَمَّا نَهى اللّهُ عَنْهُ في رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةْ وَعِنْدَهُ عَمَلُهُ الصّالِحْ .

وَأَمَّا الآخرْ فَلَوْ أَنْطَقَهُ اللّهُ لَقَالَ لَكَ كَلاماً تَقَطَّعُ لَهُ الْقُلُوبُ حَسَرَات يَقُولْ إِنَّ الْحَكَمُ الْعَدْلُ جَازَانِي بِمَا اسْتَحِق وَإِنِّي بِعَذَابٍ لَا تَحْتَمِلُهُ الْجِبَال الرَّاسِيَات وَإِنِّي مُسْتَحِقٌ لِذَلِك لِأَنِّي اغْتَرَرْتُ بالدُّنْيَا وَزَخَارِفَها فَلَمْ أعْبَأْ بِأَوَامِرِ رَبِّي وَلاَ نَواهِيْهِ واقْتَحَمْتُ الْمُوبِقَاتِ لِذَا صِرْتُ إِلَى مَا لَوْ رَأَيْتَهُ لِصَعِقْت وَذَهِلْتَ وَغُشِيَ عَلَيْكَ ، وَمُلِئْتَ رُعْبا وَاشْتَعَلَ شَعْرُك شَيْبا وَلَمْ تَنْتَفِعْ بَعْدَ قَوْلِهِ بِأَكْلٍ وَشُرْبِ وَرَأَيْتَ أَحْدَاقاً عَلى الخُدُودِ سَائِلةً ، وَرَأَيْتَ أَعْظُماً غَيْرَ مُتَمَاسِكةٍ وَأَوْصَالاً مُتَقَطِّعةً وَرَأَيْتَ جَمَاجِماً قَدْ عَلاَهَا الدُّوْدُ والْخَشَاشُ كأَنَّها الْاَنَابِيْبُ وَرَأَيْتَ مَا كَانَ مُجْتَمِعاً مُتَفَرّقاً رَمِيْما وَرَأَيْتَ الصَّدِيْدَ وَالْقَيْح يَجْرِي فَيَالَهُ مِنْ مَنْظَرٍ مَا أفْزَعَهُ وَيَالَهُ مِنْ سَفَرٍ مَا اطْوَلَهْ .

وَالْعَجَبْ مِمَّنْ يَزُوْرُ الْقُبوَرَ وَيَسْمَعُ ذَلِكَ وَيُصَدِّقُ بِهُ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَنَامُ مُطْمَئِنّاً مَا كَأَنَّهُ سَيسَاكِنهُمْ عَنْ قَرِيْبٍ ، مَاتَتِ الْقُلُوبُ فاصْبَحَتْ لاَ تَنْتَفِعُ بالْوَعْظِ والتَّذْكِيرْ وَلاَ بِزَاجِرِ الْمَوْتِ وَهوَ أبْلَغُ زَاجِرٍ لِلأَحْيَاءِ فَزُرْ يَا أخِي الْقُبورَ مُعْتَبِرَا وانْتَبِه مِنْ هَذِهْ الْغَفْلَةِ فالْمَوْتُ مَهْمَا مُدَّ فِي عُمُرِكْ لاَبُدَّ

انْ يَأْتِيْكَ فَكُنْ مِنْهُ عَلى حَذَرٍ فَإِنَّهُ لاَ يُؤْمَنُ أَنْ يَفْجَاكَ وَأَنْتَ سَارِحٌ فِي أَوْدِيَةِ الدّنْيَا . وَمَا أَكْثَرَ مَوْتِ الْفُجْأَةْ فِي زَمَنِنَا بَوَاسِطَةِ السَّيَّارَاتِ وَالْقَزْ والكَهْرَبَاء والطَّائِرَاتِ وَنَحْو ذَلِكْ .

اللّهُمَّ انَّا نَسْأَلَك التَّوبَةَ وَدوامَها ، وَنَعُوذُ بِكَ مِن المَعْصِيَةِ وأَسْبَابها ، اللّهمّ أفِض علَيْنا مِن بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِك حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا على السّلاَمَةِ مِن وَبَالِها وَارْأَفْ بِنا رَأْفَةَ الحَبِيْبِ بِحَبِيْبِهِ عِنْدَ الشّدَائِدِ وَنُزُولِها ، وارْحَمْنا مِن هُمُومِ الدّنْيا وَغُمومِها بالرَّوْحِ والرّيْحانِ إلى الجنةِ وَنَعِيْمِها ، وَمَتِّعْنا بالنَظَرِ إلى وَجْهِكَ الكريم في جَنَّاتِ النَّعيمْ : مَعَ الذين أَنْعَمْتَ عليهم من النبيينَ والصّدّيقينَ والشُّهَدَاءِ والصّالِحين ، واغْفِرْ لَنَا ولوالِدَيْنا وَلِجَمِيْعِ المُسلِمينَ ، الأَحياءِ منهم والميتينَ بِـرَحْمَتِـكَ يـا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ ، وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِه وصحبهِ أَجْمَعِينْ .

٤٧ موعظة

أَيُهَا الغَافِلُ رَاقِبْ مَن يَرَاكَ في كُلِّ حَالٍ ، وَطَهِّـرْ سِرَّكَ فَهْوَ عَلِيْمٌ بما يَخْطُرُ بالبَالِ ، إلى مَتَى تَمِيْلُ مَعَ الزَخَارِفَ وإلى كَمْ تَرَغَبْ لِسَمَاعِ المَلاَهِيْ والمعازِفِ والمُحَرَّمَاتِ أمَا آنَ لكَ أن تُجَالِسَ صَاحِبَ الدّين والصلاحِ العاكِفِ على عَمَلِهِ يَقْطَعُ لَيْلَهُ بالقيام حَتَّى الصَّبَاحِ وَنَهارَهُ بالصِّيامِ لا يَمِلُّ ولا يَتَوانَى رَجاءَ الفَوْزِ بالأَرْباحِ وأنتَ في غَمْرةِ هَوَاكَ مَفْتُوناً في الانْهِمَاكِ بِدُنْيَاكَ وكأني بكَ وقد هَجَمَ عَليكَ مَا بَدَّدَ شَمْلَكَ وَأَوْهَنَ قُوَاكَ وَافْتَرَسَكَ مِن بَيْنِ أَهْلِكَ وعَشِيرَتِكَ وأخِلاَّئِكَ وَتَخَلَّى عَنْكَ خَلِيْلُكَ وأَصْدِقَاؤُكَ لا يَسْتَطِيْعُونَ رَدَّ ما نَزَلَ بكَ ولا تَجِدُ له كاشِفاً فانتَبِهْ ما دَامَ جِسْمُكَ صَحِيحاً والعَمَلُ منكَ في إمكان .

وَاذْكُرْ وقُوفَكَ في المَعَادِ وأنْتَ في كَرْبِ الحِسَابِ وأنْتَ عَبْدًا مُفْرَدَا
سَوَّفْتَ حَتَّى ضَاعَ عُمْرُكَ بَاطِلاً وأَطَعْتَ شَيْطَانَ الغِوَايَةِ والعِدَا
فانْهَضْ وتُبْ مِمَّا جَنَيْتَ وقُمْ إلىَ بـابِ الكَـرِيْمِ وَلُـذْ بـهِ مُتَفَـرِّدَا
وادْعُـوْهُ فِي الأسْحَارِ دَعْوَةَ مُذْنِبٍ وَاعْـزِمْ وتُبْ واحْذَرْ تَكُنْ مُتَرَدِّدَا
واضْرَعْ وقُلْ يَا رَبِّ جِئتُكَ أَرْتَجِي عَفْـوًا ومَغْفِـرَةً بِهـا كَـيْ أَسْعَدَا
فلَعَـلَّ رَحْمَتَـهُ تعُـم فـإنَّهَـا تَسَعُ العِبَادُ وَمَنْ بَغَي ومَن اعْتَدى
وإذَا أَرَدْتَ بـأنْ تَفُـوزَ وَتَتَّـقِي نـارَ الجَحِيمِ وحَـرَّهَـا المُتَـوَقِّـدَا
أَخْلِصْ لِمَنْ خَلَقَ الخَلاَئِقَ واعْتلَى فَوْقَ السموات العُـلَى وتَفَـرَّدَا
ثـم الصـلاةُ عـلى النبـي محُمَّـدٍ خَيْرِ الـوَرَى نَسَـبًا وأكْـرَمَ مَحْتَـدَا

٤٨ موعظة

عِبَادَ اللهِ ، إنَّ بَيْنَ أيْدِيْكُم يَوْمٌ لا شَكَّ فيْهِ وَلا مِرَاءٌ ، يَقَعُ فِيْهِ الفِرَاقُ وَتَنفَصِمُ فِيْهِ العُرَى ، فتَدَبَّرُوا أمْرَكُم ، قَبْلَ أنْ تحْضُروا ، وَانْظُرُوا لأنْفُسِكُمْ نَظر مَنْ قد فَهِمَ ودَرَى ، قالَ اللهُ تعَالىَ ﴿ يَوْمَ تَجدُ كلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً ﴾ يَا لهُ مِنْ يَوْم يَشِيْبُ فيْهِ الوِلدَانُ ، وَتَسِيْرُ فِيْهِ الجِبَـالُ ، وَتظْهَـرُ فيْهِ الخفـايَا ، وَتَنْـطِقُ فيهِ الأَعـــضَاءُ ، شَاهِـدَةً بَالأَعْمَالِ ، فَانْتَبِهْ يَا مَنْ قَد وَهَى شَبَابُه ، وَامْتَلأ بالأَوْزَارِ كِتابُه ، عبَادَ الله ، أمَا بَلَغَكُم أنَّ النَّارَ لِلكُفَّارِ وَالعُصَاةِ أُعِدَّتْ ، إنَّهَا لَتُحْرِقُ كُلَّ مَا يُلْقَى فِيْهَا ، قالَ اللهُ تَعالىَ ﴿ إذا أُلْقُوا فِيْها سَمِعُوا لهَا شَهِيْقاً وهِيَ تفُورُ تكَادُ تَمَيَّزُ منْ الغَيْظِ ﴾ وَقالَ ﴿ إنَّها ترْمِي بشَرَرٍ كالقَصْرِ ، كأَنَّهُ جِمَالةٌ صُفرٌ ﴾ عِبَادَ اللهِ ، أَمَا بَلَغَكُم أنَّ طَعَامَ أَهْلِهَا الزَّقُّومُ ، وَشَرابُهم الحَمِيْمُ ، قالَ عَليْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ « لَوْ أَنَّ قطْرَةً مِنَ الزَّقُوْم قَطَرَتْ في الأَرْضِ لأمَرَّتْ علىَ أَهْل الدُّنْيَا مَعِيْشَتَهُم » فكيفَ بمَنْ هُو طَعَامُه ، لا طَعَامَ لَهُ

غيْرُهُ ، قالَ تَعالىَ ﴿ أنَّ شَجَرَةَ الزّقّوم طَعَامُ الاثِيْم كالمُهل يَغْلِيْ في البُطُونِ كغَلْيِ الحَمِيْمِ ﴾ .

أَخْرَجَ الطبراني وَابْنُ أَبِي حَاتِمْ مِنْ طَرِيْقِ مَنْصُورِ بْنِ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا بَشِيْرُ بْنُ طَلحَة عن خالِدِ بنِ الدّرِيَك عنْ يَعْلى بن مُنِيَّةٍ رَفَع الحَدِيْثَ إلىَ النبي صلى اللهُ عليهِ وسَلمَ قالَ « يُنْشِءُ اللهُ لأهْل النّار سَحَابَةً سَوْدَاءَ مُظلِمَةً ، فيُقالُ يَا أَهْلَ النَّارِ أيُّ شيْءٍ تَطْلُبونَ ، فَيذكُرونَ بهَا سَحَابَةَ ألدُّنيا ، فيَقُولُونَ يَا ربَّنا الشَّرَابَ ، فتُمْطرُ أغْلالاً تَزِيْدُ في أغْلالِهم ، وسَلاسِلَ تَزِيْدُ في سَلاسِلهم ، وجَمْراً يَلْتَهِبُ عَليهم » .

اللهمّ توفنَا مُسلمين وألحقنَا بالصالحِينْ غَير خَزايا ولا مَفتونينَ واغفرْ لنَا وَلِوالدَيْنَا ولِجميعِ المسلمينَ برحْمَتِكَ يا أرحمَ الراحمينْ وصلّى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينْ .

٤٩ مَـوْعِظَـةٌ

أبنَ آدمَ كأنَّك بالْموتِ وَقَدْ فَجَأَكَ وَأَلْحَقَكَ بِمَنْ قَدْ سَبَقْكَ مِنَ الأُمَمِ وَنَقَلَكَ مِنَ الْقُلَل والْعَمائِر إِلَى بَيْتِ الْوحَدةَ وَالْوحْشَةِ وَالظُّلَم وَمِنْ ذَلِكَ إلى عَسْكَرِ الْمَوْتى مُخَيِّمَةً بَيْنَ الْخِيَمِ مُفَرّقاً مِن مُّالِكَ مَا اجْتَمَعَ وَمِنْ شَمْلِكَ مَا انْتَظَمَ وَلَيْس لَكَ قُدْرَةٌ فَتَدْفَعُهُ بِكَثْرةِ الأمْوالِ وَلا بِقُوةِ الْخَدَمِ ونَدِمْتَ عَلى التَفْرِيْطِ وَلاَتَ سَاعَةَ نَدَمْ .

فَيَا عَجباً لِعَيْنٍ تَنَامُ وَطَالِبُهَا مُجِدٌّ في طَلَبِهَا لَمْ يَنَمْ،مَتَى تَحْذَرُ مِمَّا تُوعَدُ وَتُهَدّدْ،وَمَتى تَضَرّمُ نَارُ الْخَوْفِ في قَلْبِكَ وتتوقّد،إلىَ مَتى حَسَنَاتُكَ تَضْمَحِلُ وَسيئاتُكَ تَتجدَّد،وإلى مَتَى لا يَهُوْ لُكَ زَجْرُ الْوَاعِظِ وَانْ شَدَّدْ وَإلى

مَتى وَأنْتَ بَيْنَ الْفُتُورِ وَالتَّوانِي تَرَدَّدْ مَتى تَحْذَرُ يَوْماً تَنْطِقُ فِيْهِ الْجُلُودُ وَتَشْهَدُ وَمَتى تُقْبِلُ عَلى مَا يَبْقى وَتَتْرُكُ مَا يَفْنَى وَيَنفَدْ .

مَتَى تَهُبُّ بِكَ في بَحْرِ الْوُجْدِ رِيْحُ الْخَوْفِ والرَّجَا مَتى تَكُونُ في اللَّيْلِ قَائِماً إذَا سَجَى أيْنَ الَّذِينَ عَامَلُوا مَوْلاهُم بالأخلاص وانْفَرَدُوا وَقامُوا في الدُّجَى فَرَكَعُوا وَسَجَدُوا وَقَدِمُوا إلى بَابِه في الأسْحَارِ وَوَفَدُوا وَصَامُوا هَواجِرَ النَّهارِ فَصَبَرُوا واجْتَهدُوا ، لَقَدْ سَارُوا وَتَخلفْتَ وَفَاتَكَ مَا وَجَدُوا وَبَقِيْتَ في أعْقَابِهِمْ وإنْ لَمْ تُسْرِعْ وَتَجْتَهِدْ بَعُدُوا .

فَتَنَبَّهْ وَتَيَقَّظ يَا مِسْكِينُ قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئُكَ هَادِمُ اللَّذَّات فَلاَ تَقْدِرُ عَلى اسْتِدْرَاكِ لِمَا فَاتَ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّا وَعَلاَ ﴿ وَأنْفِقُوَا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَ أحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُوْلَ رَبِّي لَوْلاَ أخَّرْتَنِي إلى أجَلٍ قَرِيْبٍ فَأَصَّدَقَ وَأكُنْ مِنَ الصَّالِحِيْنَ•ولَن يُوخِّرَ اللَّهُ نَفْساً اِذا جَاءَ أجَلُها واللَّهُ خَبيرٌ بِمَا تَعْمَلوْن ﴾ .

اللهم وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمالِ وَنَجِّنا مِن جميعِ الأهوالِ وأَمِّنَا مِن الفزعِ والرجفِ والزِلزال ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجميعن .

فـائـدة عظيمـة النفـــع

وقال رحمه الله لَيْسَ في الوجود شرٌ إلاَّ الذُنُوبُ ومُوجِبَاتُها وكَوْنُها ذُنُوباً تأتي مِن نَفْسِ العبد فإنَّ سَبَبَ الذنب الظُلْمُ والجهلُ وهُمَا مِن نَفس العبدِ كما أَنَّ سَبَبَ الخيرِ الحَمْدُ والعلْمُ والحِكْمَةُ والغِنى .

وهي أمورٌ ذاتيةٌ للرّب وذاتُ الرب سبحانه ، مُسْتَلْزِمَةٌ لِلْحِكْمَةِ والخير والجُودِ .

وذاتُ العبدِ مُسْتَلْزمةٌ لِلجهلِ والظُلمِ وما فيه مِن العِلْمِ والعَدْلِ فإنما حَصَلَ لَهُ بِفَضْلِ اللَّهِ عليه وهو أمرٌ خارجٌ عن نَفسه .

فَمَنْ أَرادَ اللَّهُ به خَيْرًا أَعطاه هذا الفضل فصدرَ منه الاحسانُ والبرُ والطاعة .

ومَن أرادَ به شرًا أمْسَكَهُ عنه وخَلاَّهُ ، ودَواعِي نفسه وطَبْعِهِ ومُوجَبُها فَصدَرَ منهُ مُوْجَبُ الجهلِ والظُلمِ مِن كُلِّ شرٍ وقبيح .

ولَيْسَ مَنْعهُ لِذَلَكَ ظلماً منه سبحانه فإنه فَضْلُه وليسَ مَن مَنَعَ فضله ظالماً لا سِيَّما إذا مَنَعَه عن مَحلِ لا يَسْتَحِقّهُ ولا يليقُ به .

وأيضًا فان هذا الفضلَ هو تَوفيقُه وإرَادَتُه مِن نَفْسِهِ أَنْ يَلْطَفَ بَعبْدِهِ ويُوفِقَهُ ويُعِينَهُ ولا يُخَلِّي بينه وبيْنَ نَفْسِهِ وهذا محضُ فِعْلِهِ وفَضْلِه .

وهو سبحانه أَعَلْمُ بالمَحلِ الذي يَصْلَحُ لهذا الفَضْلِ ويليق به ويُثْمِرُ به ويَزْكُو . وقد أشارَ اللَّهُ تعالى إلى هَذا المعنى بقوله ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ الانعام (٣٥) .

فأخبر سبحانه أنه أعلم بمَن يَعْرِفُ قَدرَ هذه النعمة ويَشكرُهُ عليها فان أصلَ الشكرِ هو الاعترافُ بانْعَامِ المنعمِ على وَجْهِ الخُضُوعِ والذُلِ والمحبة . فَمَن لم يَعْرِفْ النَعمةَ . بَلْ كَانَ جَاهِلاً بها لم يَشْكرُها .

ومَن عَرفَها ولم يَعْرَفْ المنعمَ بها لم يَشكُرهَا أيضاً ومَن عَرف النعمةَ والمنعمَ لكن جَحَدَها كما يَجَحَدُ المنكرُ لِنْعِمَةِ المنعم عليه بها فقد كَفَرَهَا .

ومَن عَرفَ النعمة والمنعمَ وأقَرَّ بها ولم يَجْحَدْها ولكن لم يَخْضَعْ لَهُ ويُحبُهُ ويَرضَى به وعنه لم يَشْكُرَهَا أيضاً .

ومَن عَرَفَها وعَرفَ المنعمَ بها وخَضَعَ للمنعم بها وأَحَبَّهُ ورَضِيَ به وعنه واسْتَعْملَها في مَحَابّهِ وطاعتِهِ فهذا هو الشُكْرُ لها .

فلا بَدَّ في الشكرِ مِن عِلْمِ القلبِ وعَمَلٍ يَتْبَعُ العلمَ وهو الميلُ إلى المنعمِ ومحبتِهِ والخضوعِ له .

كما في صحيح البخاري عن شداد ابن أوس قال قال رسول الله ﷺ : « سَيدُ الاستغفار أن يقولَ العبدُ اللهم أنتَ ربي لا إله إلَّا أنْتَ خَلَقْتَني وأنا عَبدُكَ وأنا على عَهدَكَ وَوَعْدِكَ ما استطعتُ أعوذُ بك مِن شرَ ما صَنَعْتُ أبُوء لَكَ بَنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وأبوءُ بذَنْبِي فاغْفِرْ لي فإنه لا يَغْفِر الذُنُوبَ إلَّا أنْتَ » .

« مَن قَالَها إذا أصْبَح مُوْقَنَا بها فماتَ مِن يَومِهِ دَخلَ الجنةَ ومَن قالها إذا أمْسَى مُوْقناً بها فماتَ مِن ليلته دَخَل الجنة » .

فقَولَهُ : « أبُوءُ لكَ بَنعْمَتِكَ عَلَّي » يَتَضَمَّنُ الأَقرارَ والانابةَ إلى اللَّهِ بعبوديته . فالعبدُ يَبُوءُ إلى اللَّهِ بَنِعْمَتِهِ عليه ويبُوءُ بذَنْبه ويَرجعُ إليه بالاعْتَرافِ بهَذا وبهذا رُجُوعَ مُطْمَئنٍ إلى ربه منيبٍ إليه ليسَ رُجُوعَ مَن أقبل عليه ثم أَعَرضَ عنه .

فهو مَعْبُودُهُ وهُوَ مُسْتَعانهُ لا صَلاحَ له إلا بعبادتِهِ ولا يُمكنُ أن يَعْبُدَهُ إلَّا باعانتِهِ .

ومِن المعلومِ أن أَجّلَ نِعَمِهِ على عبدِهِ نِعْمَةُ الايمانِ بهِ و معرفته ومحبته وطاعته والرضا به والانابة إليه والتوكل عليه والتزام عبوديته .

ومن المعلوم أيضاً أن الأرواحَ منها الخبيثُ الذي لا أخبثَ منه ومنها الطيبُ . وبين ذلك وكذلك القلوبُ منها القلبُ الشريفُ الزَّكي والقلبُ الخَسِيْسُ الخبيثُ .

وهو أعْلَمُ بالقُلوب الزّاكية والأرواحِ الطيبة التي تَصْلحُ لاستقرار هذه النِّعَمِ وإيداعِهـا عِندَها ويَزكُوَ بذْرُهَا فَيها فيكون تخصِيْصُه لها بهذِه النعمة كَتخْصِيْص الأَرض الطيبةِ القابلةِ للبذر بالبذر .

فليْسَ مِن الحكمةِ أن يبذر البذرَ في الصخور والرمالِ والسباخِ وفاعلُ ذَلِكَ غيرُ حكيمٍ فما الظنُّ ببذرِ الايمان والقُرآن والحكمةِ ونور المعرفة والبصيرةِ في المحالِ التي هِيَ أَخْبَثُ المحالِ فالله أعلمُ حَيثُ يجعلُ رِسَالتَه أصلاً ومِيراثاً .

فَهوَ أعلمُ بمَن يَصلح لِتَحمُّلِ رِسالتِهِ فَيُؤدِيِّهَا إلى عِبادِهِ بالأمانةِ والنصيحةِ وتعظيمِ المرسِلِ والقيامِ بَحقِّهِ والصبرِ على أوامرِهِ والشكرِ لِنعمِه والتقرب إليه . ومَن لَا يَصْلَحُ لِذَلِكَ .

وكـذلِـكَ هو سُبحَـانَـه أعلم بِمَنْ يَصْلحَ مِن الأُمم لِوِراثَـةِ رُسُله والقِيامِ بخلافَتِهم وحَمْلِ ما بَلَّغُوهُ عن ربهم .

فالربُ سبحانه إذَا عَلْمَ من مَحَلٍ أَهْليةً لِفَضلِهِ ومحبتهِ ومعرفتِهِ وتَوحيدِهِ حبب إليه ذلكَ وَوَضَعَهُ فيه وكَتَبه في قَلبِهِ وَوَفَقَهُ له وأعانَهُ عليهِ ويَسَّرَ له طُرُقَه وأغلَقَ دُونَهُ الأَبوابَ التي تحُولُ بينَه وبينَ ذلك .

ثم تَولاَّهُ بلُطفِه وتَدبيرِه وتَيْسيرِه وتَرْبيَتِه أَحْسَنَ مِن تربيةِ الوَالِدِ الشفيقِ الرحيمِ المحسنِ لِوَلَدِهِ الذي هو أَحَبُّ شيءٍ إليه .

فـلا يَزالُ يُعَـامِلُه بلُطْفِهِ ويَخْتَصُّـه بفَضْلِه ويُـؤْثِرهُ بَرحْمَتِهِ ويمده بمعـونته ويؤيده بتوفيقه ويريه مواقع احَسانه إليه وبرِّه به فيزدَاد العبد بهَ معرفة وله محبة وإليه إنابة وعليه تَوكلاً . ولا يَتَوَلَّى معه غيره ولا يَعبد معه سِواه .

وهذا هو الذي عَرَفَ قَدرَ النعمة وعَرفَ المنعمَ وأقرَ بِنعمَتِهِ وصرَفَها في مَرضاتِه .

واقتضتْ حِكمةُ الربِ وجُودُه وكرمُه واحسانُه أن بَذَر في هذا القلبِ نورَ الايمانِ والمعرفة وسقاه بالعلم النافعِ والعملِ الصالحِ وأطلعَ عليه مِن نُورِهِ شَمْسَ الهداية وصرَفَ عنه الآفاتِ المانعة مِن حُصول الثَّمرةِ .

فأنْبَتَتْ أرضُه الزاكيةُ مِن كُلِ زوجٍ كَريم فَمَنْ لم يُنْبِتْ قَلْبُه شَيئاً مِن الخيرِ البتة فهذا مِن أشْقى الأشقياءِ .

فصَلواتُ اللَّهِ وسـلامُه على مَن الهُدَى والبيانُ والشفاءُ والعصمةُ في كَلامِهِ وفي أمثالِهِ .

والمقصـودُ أن اللَّهَ سُبحانَه أعلَمُ بمواقعِ فَضْلِهِ ورحمتِهِ وتوفيقِهِ ومَن يَصِلَح لها ومَن لا يَصلح وأن حكمتَه تأبى أن يَضَعَ ذلِكَ عندَ غيرِ أَهلِهِ كما تأبَى أن يَمْنَعَه مَن يَصلَحُ لَهُ .

وهـو سُبحـانَـهُ الـذي جَعَلَ المحلَّ صَالِحاً وجَعَلَه أهلاً وقابِلاً فَمِنه الإعداد والإمداد ومنه السَّبَبُ والمُسَبُب .

وقال رحمه الله كمالُ العبدِ وصلاحُه يَتَخَلَّفُ عنه مِن إحَدى جهتين إما أن تكوُنَ طَبيعتُهُ يابِسَةً غيرَ لينةٍ ولا مُنْقَادَةً ولا قابلةٍ لِما به كمالُها وفلاحُها .

وإما أن تكون لَينةً مُنقادَةً سَلِسَلَةَ القيادَةِ لكنها غَيرَ ثابَتةٍ على ذلكَ بَلْ سَرْيَعَةُ الانتقال عنه كثيرةُ التَّقَلُّب .

فَمتى رُزقَ العبدُ انقيادًا لِلْحَقِ وثباتاً عليه فَلْيبشِرْ فقد بُشِرَ بكل خَيرٍ وذلك فضلُ اللَّهِ يؤتيه مَن يَشاء .

وقال صِدْقُ التأهب لِلقاءِ اللَّهِ مِن أَنْفع ما لِلْعَبدِ وأَبلَغِه في حُصُول استقامَتِهِ فإن مَن اسْتَعَدَّ لِلقاءِ اللَّهِ انقطَعَ قلبُه عن الدنيا وما فيها ومطالِبهَا وخَمَدْتَ مِن نفسِه نِيرانُ الشهواتِ وأَخْبَتَ قلبُهُ إلى اللَّهِ وعَكَفَتْ هِمَّتُه على اللَّهِ وعلى محبتِهِ وايثارِ مرضاتِهِ .

واستحْدَثَتْ هِمَّةٌ أُخْرى وعُلوماً أُخَر وَوُلِدَ ولادةً أُخْرَى نِسْبةُ قلبه فيها إلى الدار الآخرة كَنِسَبةٍ جِسْمِه إلى هَذِه الدارِ بَعدَ أن كَانَ في بَطن أمِهِ فَيولَدُ قَلبُه ولادةً حَقِيْقَية كما وُلِدَ جِسْمُهُ حقيقةَ وكما ان بَطْنَ أمه حِجَاباً لجِسمِهِ عن هَذِهِ الدارِ فهكذا نَفسُه وهَواهُ حَجَابٌ لِقلِبه عن الدارِ الآخرة .

فَخُروجُ قلبهِ عن نفسهِ بارزًا إلى الدار الآخرةِ كَخُروج جِسْمِهِ عن بطِن أمِهِ بارزًاً إلى هذه الدار وهذا مَعْنَىَ ما يُذكَرَ عن المسيح أنه قال يا بَني إسرائيل إنكم لَن تلِجُوا ملَكوتَ السماءِ حتى تُولُدُوا مَرَّتَين .

ولَمَّا كان أكثرَ الناس لم يُوْلَدُوا هذه الولادَةَ الثانية وَلا تَصوروُهَا فَضْلاً عن أن يُصَدِّقُوا بها فَيقُولُ القائُل كيفَ يُولَدُ الرجلُ الكبيرُ أَوْ كيفَ يُولَدُ القلبُ لم يَكن لَهمْ إليها همَّةٌ ولا عَزْيمةٌ إذْ كَيفَ يَعْزِمُ عَلى الشيءِ مَن لا يَعرِفُهِ ولا يُصَدقُهُ ولكن إذا كُشفَ حِجَابُ الغفلةِ عن القلبِ صَدَّقَ بذلكَ وعلِمَ أنه لَم يُولَدُ قَلْبُهُ بَعدُ .

والمقصـودُ أن صَدْقَ التـأهب لِلقـاءِ اللَّهِ هُو مِفتـاحُ جَميع الأعمالِ الصالحةِ والأَحوالِ الإيمانيةِ ومقاماتِ السالكين إلى اللَّهِ ومنازلِ السائرين

إليه مِن اليقظةِ والتوبةِ والإنابةِ والمحبةِ والرَّجاءِ والخشيةِ والتفويضِ والتسليمِ وسائرِ أعمالِ القلوبِ والجَوارحِ .

فمفتـاحُ ذلكَ كُلِهِ صِدْقُ التأهبِ والاستعداد لِلقاء الله والمفتاحُ بيد الفتاحِ العليم لا إله غيرهُ ولا رَبَّ سِواهُ .

وقال رحمه الله طُوبَى لِمَنْ أنْصَفَ فأقَرَّ لَهُ بالجهل في علمه ، والآفاتِ في عَمَلِهِ ، والعُيُوب في نَفْسِهِ ، والتَّفْرِيْطِ في حَقِّهِ ، والظُّلم في مُعَامَلَتِهِ .

فإنْ أخَذَهُ بذُنُوبه رَأى عَدْلَه ، وإنْ لم يؤخِذْهُ رَأى فَضْلَهُ .

وإنْ عَمِل حَسَنَةً رآها مِن مِنَّتِهِ عليه ، فإن قَبلَها فمِنَّةٌ وصدقةٍ ثانية ، وإنْ رَدَّهَا فَلِكَوْنِ مِثْلهَا لا يَصْلحُ أن يُواجَهَ به .

وإنْ عَمِل سَيئَةً رَآها مِن تَخَلِّيْهِ عنه ، وخُذْلانِهِ لَهُ ، وإمْسَاكِ عِصْمَتِهِ ، وذلِكَ مِن عَدْلِهِ فيه .

فَيرى في ذَلِكَ فَقْره إلى رَبه وظلمه في نَفْسِهِ ، فإنْ غَفَر لَهُ فَبِمَحْضِ إحْسَانِهِ وجُوْدِهِ وكَرَمِهِ .

ونُكْتَةُ المَسْألَة وسرها أنه لا يرى رَبَّهُ إلا مُحْسِنًا ولا يرى نَفْسَهُ إلاَّ مُسْيئًا ومُفَرّطا أو مُقصّرًا .

فيرى كل ما يَسُرُّهُ مِن فَضْلِ رَبِّهِ عليه وإحسانِه إليه ، وكُلَّ ما يَسُؤهُ مِن ذُنُوبه .

وقال مَن لم يَعْرِفْ نفسَه كيفَ يعرفُ خالِقَه ؟ فاعلم أن الله خَلَقَ في صَدرِكَ بيتاً وهو القلبُ . ووضعَ في صدره عرشاً لِمَعْرفتِهِ يستوي عليه المثلُ الأعلىِ ، فهو مُسْتَوٍ على سَرِير القلبِ ، وعلى السرير بِسَاطٌ مِن الرضا .

ووضعَ عن يمينِه وشِمالِه مَرافِقَ شَرائِعه وَأوامِره ، وفتحَ إليه باباً مِن جنةِ رَحمتِهِ ، والأنس به ، والشوق إلى لقائه .

وأمْطَرَهُ مِن وابِل كَلاَمِهِ ما أَنْبَتَ فيهِ من أصنافِ الرياحينِ والأشجارِ المثمرةِ ، مِن أنواعِ الطاعاتِ والتهليلِ والتسبيحِ والتحميدِ والتقديسِ .

وَجَعَل في وَسَطِ البُستانِ شجرةَ مَعْرِفتهِ ، فهي تُؤتي أُكَلها كُلَّ حين بإذنِ ربها مِن المحبةِ والإنابةِ ، والخشيةِ والفرحِ به ، والابتهاجِ بقربِهِ ، وأجْرى إلى تِلكَ الشَّجرةِ ، ما يَسْقِيَها مِن تدَبُّر كلامِهِ وفَهمِهِ ، والعَملِ بوصاياهُ .

وعَلَّقَ في ذلك البيتِ قِنديلاً أسْرَجَهُ بضَياءِ مَعْرفَتِهِ ، وايمانٍ بهِ وتَوحيدِهِ ، فهو يَسْتَمدُّ مِن شَجَرةٍ مُبَارَكَةٍ زَيتُونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يَكادُ زَيتُها يُضيءُ ولو لَم تَمَسَسْهُ نار .

ثم أحَاطَ عَليه حَائِطاً يَمنَعُهُ مِن دُخُولِ الآفاتِ والمفسدين ومَن يُؤذي البُستانَ ، فلا يَلْحَقهُ أذَاهُم ، وأقامَ عَليه حَرسَاً مِن الملائكةِ يحفظُونَه في يَقْظَتِهِ ومَنامِهِ .

ثم أُعلِمَ صاحبُ البيتِ والبُستانِ بالساكن فيه فَهُو دائماً هَمُّهُ إصْلاحُ السَّكَنِ ولمُّ شَعَثِهِ لِيرضَاهُ الساكَنُ مَنْزلاً .

وإذا أَحَسَّ بأدنَى شَعَثٍ في السَكَنَ بادَرَ إلى إصْلاحِهِ ولَمِّهِ ، خَشْيَةَ انْتقالِ الساكنِ مِنه ، فَنِعْمَ الساكنُ ، ونِعْمَ المسكن فسبحان الله رب العالمين .

كَمْ بَيْنَ هذا البيتِ وبيتٍ قَدْ اسْتَوْلَى عليه الخَرابُ ، وصَارَ مأْوى لِلْحَشَراتِ والهَوامِ ، ومَحَلاً لإلْقَاءِ الأَنْتانِ ، والقَاذُوراتِ فيه .

فَمَنَ أَرادَ التَّخَلي وقَضَاءَ الحاجةِ وَجَدَ خَرِبةً لا سَاكِنَ ولا حَافِظَ لَهَا .

وهي مُعَـدَّةٌ لِقَضَاءِ الحَاجَةِ ، مُظْلِمَةُ الأَرْجَاءِ ، مُنْتِنَةُ الرائحةِ ، قد عَمَّهَـا الخَرابُ ، ومَلأتْها القاذُورات . فلا يأنسُ بها ولا يَنْزِلُ فِيها إلا مَن يُنَاسِبهُ سُكْنَاهَا مِن الحشراتِ والديدان والهَوام .

الشيطانُ جَالِسٌ على سَرِيْرِهَا وَعَلى السريرِ بساطُ الجَهْلِ وتَخْفِقُ فيه الأَهْوَاءُ ، وعن يَمينِهِ وشِمالِهِ مَرافِقُ الشهواتِ .

وقد فُتِحَ إليهِ بابٌ مِن حَقْلِ الخُذْلانِ وَالوَحْشَةِ ، والرُكونَ إلى الدنيا ، والطُمَأْنينَةِ بها ، والزُهْدِ في الآخرةِ .

وأمطَرَ مِن وَابـلٍ الجهـلِ والهَـوى والشركِ والبدعِ ، ما أَنْبَت فيه أصنافَ الشوكِ والحنظلِ ، والأشجارِ المثمرة بأنواعِ المعاصِي والمخالفاتِ ، مِن الـزوائـد والانْتِـدَابَاتِ ، والنـوادِرِ والهزلياتِ والمضحكاتِ ، والأشعارِ الغزلياتِ ، والخمرياتِ التي تُهَيِّجُ على ارْتكابِ المُحَرَّمَاتِ ، وتُزَهّدُ في الطاعاتِ .

وجَعَلَ في وَسَطِ الحقَلِ شَجَرةَ الجهلِ بِهِ والإعراضِ عنه ، فهي تُؤتي أُكَلَها كُلَّ حِينَ مِن الفُسُوقِ والمعاصِي ، واللهوِ واللعبِ والمُجُونِ ، والذهابِ مَعَ كُلِ رَيْحٍ ، واتباعِ كل شهوةٍ .

ومِن ثمـرِهـا الهُمُـومُ والغُمُومُ ، والأحزانُ والآلامُ ، ولكنها مُتَوارِيةٌ باشتغالِ النفسِ بِلَهْوِهَا ولَعِبها . فإذا أفاقَتْ مِن سُكْرِها أَحْضَرَتْ كُلَّ همٍ وغَمٍ وحُزْنٍ وقَلَقٍ ، ومَعِيْشةِ ضَنْكٍ .

وأَجْرِي إلى هذهِ الشجرةِ ما يَسْقِيها مِن اتباعِ الهوى ، وطُولِ الأمل والغُرورِ .

ثم تُرِكَ ذلك البيتُ وظُلُماتُه وخرابُ حِيْطانِهِ بِحَيْثُ لا يُمْنَعُ منه مُفْسِدٌ ولا حَيوَانٌ ، ولا مُؤْذٍ ولا قَذَرٌ .

فســبحان خالِق هذا البيتِ وذلـك البيتِ ، فمنَ عَرفَ بَيْتَـهُ وقَدَّرَ الساكنَ فيه ، وقَدَّرَ ما فيه مِن الكُنوزِ والذخائر والآلات انتفعَ بِحَياتِهِ ونَفْسِهِ .

ومَن جَهِلَ ذلك ، جَهِلَ نفسَهُ وأضاعَ سَعَادَتَهُ . والله الموفق .

وقال أقامَ اللَّهُ سبحانَه هذا الخلقَ بين الأمرِ والنهي والعطاءِ والمنع فافْـتَرقُوْا فرقةً قابلَتْ أمرَهُ بالتَّركِ ، ونهيَهُ بالارتكاب ، وعَطَاءَهُ بالغفلةِ عن الشكرِ ، ومَنْعَهُ بالسُخْطِ ؛ وهَؤلآءِ أَعْداؤُهُ ، وفيهم مِن العَداوةِ بحسبِ ما فيهم مِن ذَلك .

وقِسْمٌ قالُوا : إنَّما نَحْنُ عَبيدُكَ فإنْ أُمرتَنا سَارَعْنَا إلى الإجَابةِ ، وإن نَهيْتَنَـا أَمْسَكْنـا نُفـوسَنَـا وكَفَفْنَـاهَـا عَمَّا نَهيتَنَـا عنـه ، وان أَعْطَيْتَنا حَمِدْناكَ وشَكَرنَاكَ ، وإن مَنَعْتَنَا تَضَرَّعْنَا إليكَ وذَكَرْنَاكَ .

فَلَيْسَ بينَ هؤلآءِ وبينَ الجنةِ إلَّا ستْرُ الحياةِ الدنيا ، فإذَا مزَّقَه عليهم لموتُ ، صارُوا إلى النعيمِ المقيمِ ، وقُرةِ الأعْينِ كَما أَنَّ أولَئكَ لَيْسَ بينهَم وبينَ النارِ إلا سِتْرُ الحياةِ الدنيا .

فإذا مَزَّقَهُ الموتُ صَارُوا إلى الحسرةِ والألمِ . فإذا تَصَادَمتْ جُيوشُ الدُنيا والآخرةِ في قَلْبكَ وأردتَ أن تَعْلَمَ مِن أَيِّ الفريقين أَنْتَ فانْظُرْ مَعَ مَن تَميلُ منهما ، ومَن تُقَابلُ ؛ إذ لا يُمكِنُك الوقُوفُ بينَ الجَيْشَين ، فأنتَ مَعَ أحدِهِمَا لا مَحَالَةَ .

فقِسْمٌ اسْتَغَشُّـوا الهَـوى فخَـالَفُـوهُ ، واستَنْصَحوُا العقلَ فَشَاوَرُوْهُ . وفرَّغُوا قُلُوبَهُمْ لِلفكرِ فيما خُلقُوا لَهُ وجَوارِحَهم لِلْعَمِلِ بما أمِرُوا بِهِ ، وأوْقاتَهُم

لِعِمَارَتِها بما يعْمُر مَنَازِلَهُم في الآخِرَةِ .

واسْتَظْهَـرُوا على سُرْعَةِ الأَجَلِ بالمُبَادَرَةِ إلى الأَعْمَالِ وسَكَنُوا الدُّنْيَا وقُلُوبُهُم مُسَافِرةٌ عنها .

واسْتَوْطَنُوا الآخرةَ قبلَ انْتَقالِهِمْ إليها ، واهْتَمُّوا باللَّهِ وطاعتِهِ على قَدْرِ حَاجَتِهِم إليه ، وتَزَوَّدُوا لِلآخرةَ على قدرِ مَقَامِهِم فيها .

فَجَعَّـلَ لَهُم سُبْحَـانه من نعَيم الجنةِ وَرَوْحِهَا ، أَنْ آنسَهُم بنَفْسِهِ ، وأَقْبلَ بقُلُوبِهم إليه ، وجَمَعَهَا على محبَّتِهِ ، وشَوقَّهم إلى لِقَائِهِ ، ونَعَّمَهُم بقُرْبهِ .

وفرَّغَ قُلُوبَهم مِمَّا مَلأ به قُلُوبَ غَيرِهِم مِن مَحبةِ الدُّنْيَا والهَم والحُزْنِ على فَوْتِها ، والغَم مِن خَوفِ ذَهَابها .

فَاسْتَلانُوا ما اسْتَوْعَرَهُ المُترفُونِ ، وأنِسُوا بما اسْتَوْحَشَ مِنه الجاهِلُونَ ، صَحِبُوا الدنيا بأبْدَانِهِم ، والملأ الأَعْلَى بأرْوَاحِهِم .

فـائـدة : وقال رحمه الله إذا أَصْبَحَ العَبْدُ وأَمْسَى ولَيْسَ هَمُّهُ إلا اللَّهُ وحْدَهُ تَحَمَّلَ اللَّهُ سبحانه حَوَائِجَهُ كُلَّها وحَمَلَ عنه كُلَّ ما أَهَمَّهُ وفرَّغَ قَلْبَهُ لِمحبَّتِهِ ولِسَانَهُ لِذِكْرِهِ وجَوارِحَهُ لِطَاعَتِهِ .

وانْ أَصبـحَ وأَمْسَى وَالـدنيا هَمُّهُ حَمَّلَهُ اللَّهُ هُمُومَهَا وغُمُومَهَا وأنكادها وَوكَله إلى نفسه .

فشَغَل قَلْبَهُ عن محبَّتِهِ بمَحَبَّة الخلق ولِسَانَهُ عن ذكره بذكرهم وجَوَارِحَهُ عن طاعته بخدمتهم وأشْغَالِهِم .

فَهُو يَكْـدَحُ كَدْحَ الوَحْشِ في خِدْمَةِ غيره كالكِيْر يَنْفَخُ بَطْنَهُ ويَعْصِرُ أَضْلاَعَهُ في نَفْع غيره .

فكُلُ مَن أَعْرَضَ عن عُبُودِيَّةِ اللَّهِ وطاعَتِه ومحَبَّتِهِ بُلِيَ بعُبُودِيَّةِ المَخْلُوق ومحبَّتِه وخِدْمَتِه .

قال تعالى ﴿ ومَن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نُقيِّضْ له شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرين ﴾ .

قال سُفيان بن عُيَيْنَة لا تأتون بِمَثَلٍ مَشْهُور لِلْعَرَبِ إلا جِئْتُكَم به مِن القرآن .

فقال له قَائِلٌ فأَيْنَ في القُرآن أعْطِ أخَاكَ تَمْرةً فإن أبَى فَجَمْرة .

فقال في قوله تعالى ﴿ ومَن يعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّضْ له شَيْطَانًا ﴾

اللهم وَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إليه القَوْم وأيْقِظْنَا مِن سِنةِ الغَفْلَةِ والنَّوم وأرزِقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الذي يَرْبَحُ فيه المُتَّقُونَ اللهم وعامِلنَا بإحْسَانِكَ وَجُدْ علينا بِفَضْلِكَ وامْتِنَانِكَ واجعلنا مِن عِبادِكَ الذين لا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزنون اللهم ارحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعلْ رَغْبَتَنَا فِيما لَدَيْكَ ، ولا تَحْرِمنا بِذُنوبنا ، ولا تَطْرُدْنَا بعُيوبنا ، واغفر لنا ولوالدينا . وَلِجميع المُسْلمين الأَحياء مِنْهُم والمَيتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَم الرَّاحِمِيْن

٥٠ (مَوْعِظَةٌ)

في الْحَثِّ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

عِبَادَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ والآخرينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِيْنَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَايَاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فَمَا مِنْ خَيْرٍ عَاجِلٍ وَلاَ آجِلٍ ظَاهِرٍ وَلاَ بَاطِنٍ إلاَّ وَتَقْوَى اللَّهِ سَبِيلٌ مُوصِلٌ إِلَيْهِ ، وَوَسِيلَةٌ مُبْلِغَةٌ لَهُ ، وَمَا مِنْ شَرٍّ عَاجِلٍ وَلاَ آجِلٍ ظَـاهِرٍ وَلاَ بَاطِنٍ إلاَّ وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِرْزٌ مَتِينٌ وَحِصْنٌ حَصِينٌ

لِلسَّلاَمَةِ مِنْهُ وَالنَّجاةِ مِنْ ضَرَرِهِ .

وَكَم عَلَّقَ اللهُ العظيمُ في كِتَابِهِ العَزِيزِ على التَّقْوَى من خَيْرَاتٍ عَظِيْمَةٍ وَسَعَادَاتٍ جَسِيْمَةٍ مِن ذَلِكَ المَعِيَّةُ الخـاصَّـةُ المُقْتَضِيَةُ للحفظ والعِنَايَةِ والنّصْرِ والتَّأْيِيْدِ ، قَال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وَمِن ذَلِكَ المَحَبَّةُ لِمَنَ اتَّقَى اللهَ ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ التَّوْفِيقُ لِلْعِلْمِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ نَفْيُ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ عَن الْمُـتَّقِي الْمُصْلِح قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَن اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونْ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الفرقَانُ عِنْدَ الإِشْتِبَاهِ وَوُقُوعِ الاشْكَالِ وَالْكفَّارَة لِلسَّيئَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ لِلذُّنُوبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يـا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيْمِ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ النَّجاةُ مِنَ النَّارِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَانْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِياً ثُمَّ نُنَجِّي الْذِينَ اتَقَوْا ﴾ وَقَـالَ تَعالَى : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِيْنَ اتَّقُوا بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونْ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْمَخْرَجُ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالرِّزْقُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ قَالَ تَعالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ الْيُسْرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى . ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ عِظَمُ الأَجْرِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعَظِّمْ لَهُ أَجْراً ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ مِنَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ الآيَاتْ إِلى قَوْلِهِ مَنْ

كَانَ تَقِيّاً .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ في جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ في مَقعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَتقَبَّلَ اللَّهُ مِنَ الْمَتقِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾

ومن ذَلِكَ الْكَرَامَةُ عِنَدَ اللَّهِ بِالتَّقْوَى قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ التَّقْوَى هِيَ امْتِثَالُ الأَوَامِرْ وَاجْتِنَابُ النَّوَاهِي ، فَالْمُتَّقُونَ هُمُ الذِينَ يَرَاهُم اللهُ حَيْثُ أَمَرَهُم ولا، يُقْدِمُونَ على مَا نَهَاهُمْ عنه .

الْمُتَّقُونَ هُمُ الْذَيْنَ يَعْتَرِفُونَ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِمْ وَيَعْرِفُونَهُ وَيُؤَدُّونَهُ ، وَيُنْكِرُونَ الْبَاطِلَ وَيَجْتَنِبُونَهُ وَيَخَافُونَ الرَّبَّ الْجَلِيْلَ الْذِي لَا تُخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ، الْمُتَّقُونَ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ فَيُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَهُ وَيُحِلُّونَ مَا أَحَلَّهُ .

وَلَا يَخُونُونَ في أَمَانَةٍ وَلَا يَرْضُونَ بِالذُّلِّ وَالاهَانَةِ وَلَا يَعْقُونَ وَلَا يَقْطَعُونَ ، وَلَا يُؤْذُونَ جِيرَانَهُمْ وَلَا يَضْرِبُونَ اخْوَانَهُمْ ، يَصِلُونَ مَنْ قَطَعَهُمْ ، وَيُعْطُونَ مَنْ حَرَمَهُمْ ، وَيَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ الْخَيْرُ عِنْدَهُمْ مَأْمُوْلٌ ، وَالشَّرُّ مِنْ جَانِبِهِمْ مَأْمُوْنٌ لَا يَغْتَابُونَ وَلَا يَكْذِبُونَ وَلَا يُنَافِقُونَ .

وَلَا يَنِمُّونَ وَلَا يَحْسِدُونَ وَلَا يُرَاؤُنَ وَلَا يُرَابُونَ وَلَا يَقْذِفُونَ وَلَا يَأْمُرونَ بِمُنْكَرٍ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنْ مَعْرُوفْ ، بَلْ يَأْمُرُوْنَ بالمعروفِ وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرْ ، تِلْكَ صِفَاتُ الْمُتَّقِيْنَ حَقّاً الذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُوْنْ .

اخْوانِي ، لَوْ تَحَلَّى كُلٌ مِنّا بالتّقْوى لَحَسُنَ عَمَلُهْ ، وَخَلُصَتْ نِيّتُهْ ، واسْتَقَامَ على الهُدَى ، وابْتَعَد عَنِ المَعَاصِي والرّدَى ، وكانَ يَوْمَ القيامةِ مِن النّاجِين .

وَصْفُ الْمُؤْمِنْ المُتّقِي
لِلإِمَام عَلِي رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ

اَلمُتّقُونَ هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمْ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمْ الاقْتِصَادُ وَمَشْيُهُمْ التَّوَاضُعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَّفُوْا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ نَزَلَتْ أَنْفسهم مِنْهُمْ في الْبَلَاءِ كَمَا نَزَلَتْ في الرَّخَاءِ وَلَوْلَا الأَجَلُ الّذِي كَتَبَ اللَّهَ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ في أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إلى الثَّوَابِ وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ .

عَظُمَ الْخَالِقَ في أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ في أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنْعِمُوْنَ وَهُمْ والنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُون قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خفِيفَـةٌ وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّامَاً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً وَتِجَارَةً مُرِيْحَةً يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ .

أَرَادَتْهُم الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلاً يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ .

فَإِذَا مَرُّو بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَظَنُّوا أَنَّهَا نَصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا

مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَئِيرَ جَهَنَّم وَشَهِيْقَها في أُصُولِ آذانِهم فَهُم حَانُونَ على أَوْساطِهم مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وأكُفِّهم وَرُكَبِهِمْ وأَطْرَافِ أَقْدامِهِم يَطْلُبُونَ إلى اللهِ تعالى في فَكَاكِ رِقابِهم وأَمَّا النَّهارُ فَحُلَمَاءُ عُلَماءُ أَبْرَارُ أتقياءُ .

قَدْ بَرَاهم الخَوفُ بَرْيَ القِدَاحِ يَنْظُرُ إلَيْهِم الناظِرُ فَيَحْسَبُهُم مَرْضَى وَمَا بالقَـوْمِ مِن مَرَضٍ وَيقُولُ قَدْ خُولِطُوا وَلَقَدْ خَالَطَهُم أَمْرٌ عَظِيْمٌ ؟ لَا يَرْضَوْنَ مِن أَعْمَالِهِم القَلِيْلَ وَلَا يَسْتَكْثِرُوْنَ الكثيرَ فَهُم لأَنْفُسِهِم مُتَّهَمُونَ وَمِن أَعْمَالِهِم مُشْفِقُونَ إذا زُكِيَ أَحَدُهُم خَافَ مِمَّا يُقَالُ فَيقولُ أنا أَعْلَمُ بِنَفْسِيْ مِن غَيْرِيْ وَرَبِي أَعْلَمُ بي مِن نَفْسِي اللهم لا تُؤآخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنونَ ، واغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُوْنَ .

فَمِنْ عَلاَمَةِ أَحَدِهِم أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فيدِيْنٍ وَحَزْماً في لِيْنٍ وإيْمَاناً في يَقِيْنٍ ، وَحِرْصَاً في عِلْمٍ ، وعِلْماً في حِلْمٍ وَقَصْداً في غِنَى وَخُشُوعَاً في عِبَادَةٍ وَتَحمُّلاً في فَاقَةٍ وَصَبْراً في شِدَّةٍ وَطَلَباً في حَلالٍ وَنَشاطاً في هُدَى وَتَحَرُّجاً عن طَمَعٍ .

يَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَة وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ ، يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِكْرُ يَبِيْتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً ، حَذِرَاً لِمَا حَذِرَ مِنَ الغَفْلَةِ ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِن الفَضْلِ والرَّحْمَةِ ، إنْ اسْتَصْعَبَتْ عليه نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ ، لم يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيْمَا تُحِبُّ .

قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لا يَزُوْلُ ، وَزَهَادَتُه فِيمَا لا يَبْقَى ، يَمْزِجُ الحِلْمَ بالعِلْم ، والقَولَ بالعَمَلِ ، تَرَاهُ قَرِيْبَاً أَمَلُهُ ، قَلِيْلاً زَلَلُهُ ، خَاشِعَاً قَلْبُهُ ، قَانِعَةً نَفْسُه ، مَنْزُوْراً أَكْلُهُ سَهْلاً أَمْرُهُ ، حَرِيْزاً دِيْنُهُ ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُوماً

غَيْظُهُ ، الخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، والشَرُ مِنْهُ مأمونٌ .

إنْ كَانَ في الغَافِلِيْنَ كُتِبَ في الذَّاكِرِيْنَ وانْ كَانَ في الذَّاكِرِيْنَ لَمْ يُكْتَبْ مِن الغَافِلينَ يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُعْطِي مَن حَرَمَهُ وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ، بَعِيْداً فُحْشُهُ ، لَيِّناً قَوْلُهُ غائباً مُنْكَرُهُ ، حَاضِراً مَعْرُوْفُهُ ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ ، مُدْبِراً شَرُّهُ ، في الزَّلَازِلِ وَقُوْرٌ ، وفي المَكَارِهِ صَبُوْرٌ وفي الرَّخَاءِ شَكُورٌ .

لَا يَحْيفُ على مَن يُبْغِض ، وَلَا يَأْثَمُ فِيْمَنْ يُحِبُ ، يَعْتَرِفُ بِالحَقِّ قَبْلَ أَن يُشْهَدَ عَليه ، لا يُضَيِّعُ ما اسْتُحْفِظَ ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِرَ ، وَلَا يُنَابِزُ بالأَلْقَابِ ، وَلَا يُضَارُّ بالجَارِ ، وَلَا يَشْمُتُ بالمُصَابِ ، ولَا يَدْخُلُ في البَاطِلِ ، ولا يَخْرُجُ مِن الحَقِّ .

إن صَمَتَ لَم يَغُمُّه صَمْتُهُ ، وانْ ضَحِكَ لم يَعْلُ صَوْتُهُ ، وإِنْ بُغِيَ عَليهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُو الذي يَنْتَقِمُ لَهُ ، نَفْسُهُ مِنْهُ في عَنَاءٍ والناسُ مِنْهُ في رَاحَةٍ ، أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ ، وأَرَاحَ الناسَ مِن نَفْسِهِ .

بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِيْنٌ وَرَحْمَةٌ ، لَيْسَ تَبَاعُدُه بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيْعَةٍ .

قالَ فَصَعِقَ هَمَّامٌ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيْهَا . فَقَالَ أَمِيْرُ المُؤْمنين عليهِ السلامُ أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَال هَكَذَا تَصْنَعُ المَوَاعِظُ البَالِغَةُ بِأَهْلِهَا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : فَمَا بَالُكَ يا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ فقالَ وَيْحَكَ ، إن لِكلِ أَجَلٍ وَقْتاً لَا يَعْدُوْهُ وسَبَباً لَا يَتَجَاوَزُه أ هـ .

عَلَيْكُم بِتَقْوَى اللهِ لَا تَتْرُكُوْنَهَا
فَإِنَّ التُّقَى أَقْوَى وأَوْلَى وأَعْدَلُ

لِبَــاسُ التُّقَى خَيْـرُ المــلابِسِ كُلِّهَــا
وأَبْهَى لِبَــاسـاً في الــوُجُـودِ وَأَجْمَــلُ
فَمَــا أَحْسَنَ التَّقْـوَى وأَهْــدَى سَبِيْلَهَـا
بِهَـا يَنْفَـعُ الإنسَــانَ مَـا كَــانَ يَعْمَـلُ
فَيَــا أَيُّهَـا الإنســانُ بَــادِرْ إلى التُّقَى
وَسَـارِعْ إلى الخَيْرَاتِ مَـا دُمْتَ مُمْهَلُ
وَأَكْثِــرْ مِن التَّقْـوَى لِتَحْمِـدَ غِبَّـهَــا
بِـدَارِ الجَـزَاء دَارٍ بهــا سَـوْفَ تَنْــزِلُ
وَقَــدِّمْ لِـمَــا تَقْــدَمْ عَـليـهِ فــإِنَّمَــا
غَداً سَوْفَ تُجزَى بالَّذي سَوْفَ تَفْعَـلُ
وأَحْسِنْ ولا تُـهْمِــلْ إذا كُـنْتَ قــادِراً
فَــدَارُ بَنِيْ الـدُنْيَــا مَكَـانُ التَّــرَحُّـلِ
وأَدِّ فُــرُوْضَ الــدِّيْـنِ واتْقِـنْ أَدَاءَهَــا
كَــوَامِـلَ فـي أَوْقَــاتِـهَــا والتَّـنَـفـلُ
وَسَــارِعْ إلى الخَيْــرَاتِ لا تَهْمِلَنَّـهَــا
فــإِنَّـكَ إنْ أَهْمَلْتَ مَــا أَنْتَ مُهْمَــلُ
وَلَكِنْ سَتُجْـزَى بـالــذي أَنْتَ عَـامِــلٌ
وعن ما مَضَى عن كُلِّ شَيْءٍ سَتُسْأَلُ
وَلاَ تُلْهِــكَ الـدُنْيَــا فَـرَبُّـكَ ظَـامِنٌ
لِــرِزْقِ الـبَـرَايَـا ظَـامِـنٌ مُـتَـكَـفِـلُ
وَدُنْيَــاكَ فـاعْبُــرْهَـا وآخْــرَاكَ زِدْ لَهَـا
عَـمَــاراً وإيْثَـاراً إذا كُـنْـتَ تَـعْـقِـلُ

فَمَنْ آثَـرَ الـدُّنْيَـا جَهُـولٌ وَمَنْ يَبِـعْ
لأُخْـرَاهُ بِـالـدُّنْيَـا أَضَـلُّ وأَجْهَـلُ
وَلَـذَّاتُـهَـا والجَـاهُ والـعِـزُ والغِـنَى
بِـأَضْـدَادِهَـا عَـمَّـا قَلِيْـلٍ تَبَـدَّلُ
فَمَنْ عَاشَ في الدُّنْيَا وإن طَالَ عُمْـرُهُ
فَـلا بُـدَّ عَنْهَـا رَاغِمـاً سَـوْفَ يُنْقَـلُ
وَيَـنْـزِلُ دَاراً لا أَنِـيْسَ لَـهُ بِـهَـا
لِكُـلِّ الـوَرَى مِنهم مَعَـادٌ وَمَـوْئِـلُ
وَيَبْقَى رَهِيْنـاً بِـالتـرابِ بِمَـا جَنـى
إلى بَعْثِـهِ مِن أَرْضِـهِ حِيْنَ يَنْسِـلُ
يُـهَـالُ بِـأَهْـوَالٍ يَشِيْبُ بِبعْـضِهَـا
وَلَا هَـوْلَ إلا بَعْـدَهُ الهَـوْلُ أَهْـوَلُ
وفي البَعْثِ بَعدَ المَوتِ نَشْرُ صَحائِفٍ
وَمِـيْـزَانُ قِسْطٍ طَـائِشٍ أَوْ مُـثَـقَّـلُ
وَحَشْـرٌ يَشِيْبُ الـطفْـلُ مِنه لِهَـوْلِهِ
وَمنـه الجِبَال الـرَّاسِيَـاتُ تَـزَلْـزَلُ
وَنَـارٌ تَلَظَّى في لَضَـاهَـا سَـلاسِـلٌ
يُـغَـلُّ بِهَـا الـفُجَـارُ ثُـمَّ يُسَـلْسَـلُ
شَـرَابُ ذَوِيْ الإِجْـرَامِ فِيهَـا حَمِيْمُهَـا
وَزَقُّـوْمُهَـا مَـطْعُـومُهُمْ حِيْنَ يُؤْكَـلُ
حَـمِـيْـمٌ وَغَـسَّـاقٌ وآخَـرُ مِـثْـلُهُ
مِن المُهْلِ يَغْلِي في البُطُونِ وَيَشْعَـلُ

يَـزِيْدُ هَـوَانـاً مِن هَــوَاهَـا ولاَ يَــزَلْ
إلى قَعْــرِهَــا يَهْــوِي دَوَامــاً وَيَنْــزِلُ
وَفـي نَــارِهِ يَبْـقَـى دَوَامــاً مُـعَــذَّبَـاً
يَـصِيْــحُ ثُـبُـوراً وَنْـحَــهُ يَـتَــوَلْــوَلُ
عَــلَيْـهَــا صِــرَاطٌ مَــدْحَضٌ وَمَــزَلَّــةٌ
عَلَيْــهِ البَـرَايَــا في القِيَـامَــةِ تُحْمَــلُ
وفـيــهِ كَـلاَلِـيْـبٌ تَـعَــلَّقُ بِـالــوَرَى
فَهَــذَا نَجَــا مِنهــا وَهَــذا مُـخَــرْدَلُ
فَـلا مُـذْنِبٌ يَفْــدِيْهِ مَــا يَفْتَـدِيْ بِــهِ
وإنْ يَعْتَـذِرْ يَـومــاً فـلا العُــذْرُ يُقْبَــلُ
فَهَــذَا جَـزَاءُ المجــرمينَ على الـرَّدَى
وهــذا الـذي يَــومَ القِيَـامَــةِ يَحْصُــلُ
أعُــوذُ بِــرَبِي مِن لَــظَى وَعَــذَابِـهَــا
وَمِن حَـالِ مَن يَهْـوِيْ بِهَـا يَتَجَلْجَـلُ
وَمِن حَـالِ مَن في زَمْهَـرِيْــرٍ مُعَـذَّب
وَمَن كـانَ في الأَغْـلاَلِ فِيْهَــا مُكَبَّــلُ
وَجَنَّــاتُ عَــدْنٍ زُخْــرِفَتْ ثُمَّ أُزْلِفَــتْ
لِقَــوْمٍ على الـتَّقْــوَى دَوَامــاً تَـبَتَّــلُ
بِهَـا كُـلُ مَـا تَهْـوَى النُّفُـوسُ وَتَشْتَهِي
وَقُــرَّةُ عَـيْـنٍ لَـيْسَ عَـنـهـا تَــرَحُّــلُ
مَــلاَبِسُهُـم فِيـهَــا حَــرِيْــرٌ وَسُنْـدُسٌ
وَإسْـتَـبْــرَقٌ لا يَـعْـتَــرِيْــهِ الـتَّـحَــلُّلُ

وَمَــأْكُـوْلُهم مِن كُــلِ مَـا يَشْتَهُــونَــهُ
وَمِن سَلْسَبِيْــلٍ شُــرْبُـهُم يَـتَسَـلْسَــلُ
وأَزْوَاجُـهُم حُــوْرٌ حِسَــانٌ كَـوَاعِـبٌ
على مِثْلِ شَكْلِ الشَّمْسِ بل هُوَ أَشْكَلُ
يُــطَافُ عَلَيْهِم بــالــذي يَشْـتَهُــونَـهُ
إذا أكــلُوا نَــوْعــاً بــآخَــرَ بُــدِّلُــوْا
فَـوَاكِهُهَـا تَــدْنُـوا إلى مَنْ يُــرِيْـدُهَــا
وَسُكَّــانُهَــا مَهْمَــا تَـمَنَّــوْهُ يَـحْصُــلُ
وأنْهَــارُهَـا الأَلْبَــانُ تَجْــري وأَعْسُــلُ
تَـنَــاوُلُـهَــا عِــنْــدَ الإرَادَةِ يَـسْــهُــلُ
بِهَــا كُــلُ أنْــوَاعِ الفَــوَاكِـهِ كُـلِّهَــا
وَخَـمْــرٌ وَمَــاءٌ سَلْسَـبِيْــلٌ مُعَسَّــلُ
يُقَــالُ لَهُمْ طِبْـتُمْ سَـلِمْتُـمْ مِن الأَذَى
سَــلامٌ عَلَيْكُم بـالسَّــلامَــةِ فـأدْخُلُوا
بـأَسْبَابِ تَقْـوَى للهِ والعَمَـلِ الــذي
يُـحِبُّ إلـى جَنَّــاتِ عَــدْنٍ تَــوَصَّـلُوا
إذا كَــانَ هَـذَا والــذي قَبْلَهُ الجَــزَاء
فَحَقٌ على العَيْنَينِ بــالـدَّمْــعِ تُهْمِـلُ
وَحَقٌ على مَــن كَــانَ بــاللهِ مُـؤْمِنــاً
يُــقَــدِّمْ لَــهُ خَــيْــراً وَلاَ يَــتَــعَــلَّلُ
وأَنْ يَــأْخُــذَ الإنْسَــانُ زَاداً مِن التُقَى
ولا يَـسْــأَم التَّـقْــوَى وَلاَ يَـتَـمَـلْمَــلُ

وإنَّ أمَامَ النـاسِ حَشْـرٌ وَمَـوْقِفٌ
وَيَـومٌ طَـوِيْـلٌ ألفُ عَـامٍ وَأطْـوَلُ
فَيالَـكَ مِن يَـوْمٍ عَلى كُـلِّ مُبْـطِلٍ
فَضِيْـعٍ وأَهْـوَالُ القِيَـامَـةِ تُـعْضِـلُ
تَكُـونُ بـه الأَطْـوادُ كَـالعِهْنِ أَوْ تَكُنْ
كَثِيْبـاً مَـهِيْـلاً أهْيَـلاً يَتَـهَلْهَـلُ
بِـه مِلَّةُ الإسـلامِ تُقْبَـلُ وَحْـدَهَـا
وَلَا غَـيْـرُهَـا مِن أي دِيْـنِ فَـيَبْـطُلُ
بِـهِ يُسْـأَلُـونَ النـاسُ مـاذَاعبـدتمـوا
ومـاذا أَجَبْتُم مَن دَعَـاوَهُـوَ مُـرْسَـلُ
حِسَـابُ الـذي يَنْقَـادُ عَـرْضٌ مُخَفَّفٌ
وَمَن لَيسَ مُنْقَـاداً حِسَـابٌ مُثَـقَّـلُ
أَعـوذُ بِـكَ اللَّهُمَّ مِن سُـوْءِ صُنْعِنَـا
وَأَسْـأَلُـكَ التَّـثْبِـيْـتَ أُخْـرَى وَأَوَّلُ
إلـهـي فَثَبِّـتْنِي عَـلى دِيْنـكَ الـذِي
رَضِيْـتَ بِـهِ دِيْـنـاً وإِيَّـاهُ تَـقْـبَـلُ
وَهَبْ لِي مِن الفِرْدَوْسِ قَصْراً مُشَيَّداً
وَمُـنَّ بِـخَـيْـرَاتٍ بِـهَـا أَتَـعَـجَّـلُ
وَلِـلَّهِ حَـمْـدٌ دَائِـمٌ بِـدَوَامِـهِ
مَدَى الدهْرِ لا يَفْنَى ولا الحَمْدُ يَكْمُلُ
يَـزِيْـدُ عـلى وَزْنِ الخَـلَائِـقِ كُلِّهَـا
وأرْجَـحُ مِن وَزْنِ الجَمِيْـعِ وأثْـقَـلُ

وإنّي بِحَمْـدِ اللهِ في الحَمْـدِ أبْتَـدِي
وأُنْهِي بِحَمْـدِ الـلهِ قَـوْلِيْ وَأَبْـتَـدِي
صَـلاةً وَتَـسْلِيْـمـاً وَأَزْكَـى تَـحِيَّـةً
تَـعُمُّ جَـمِيْـعَ الـمُـرْسَلِيْـنَ وَتَشْـمَـلُ
وأَزْكَـى صَـلاةَ الـلهِ ثُـمَّ سَـلاَمُـهُ
عَلَى المُصْـطَفَى أزْكَى البَـرِيَّـةِ تَنْـزِلُ

اللهم وَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إليه القَوْم وأَيْقِظْنَا مِن سِنَةِ الغَفْلَةِ والنَّوم وأرزِقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الذي يَرْبَحُ فيه المُتَّقُونَ اللهم وعامِلنَا بإحْسَانِكَ وَجُدْ علينا بِفَضْلِكَ وامْتِنَانِكَ واجعلنا مِن عِبادِكَ الذين لا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزنون اللهم ارحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعلْ رَغْبَتَنَا فِيما لَدَيْكَ ، ولا تَحْرِمنا بِذُنوبنا ، ولا تَطْرُدْنَا بعُيوبنا ، واغفر لنا ولوالدينا .

وَلِجميع المُسْلمين الأَحياء مُنْهُم والمَيتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَم الرَّاحِمِيْن وصلّى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينْ .

٥١ موعِظَةٌ

عِبَادَ اللّهِ لَقَدْ ضَـاعَتْ أَعْمَارَنَـا في القِيْلِ وَالقَـالِ ، وَالغِيْبَـةِ وَالنَّمِيْمَةِ ، والمَدَاهَنَةِ ،وَالأنْهَمَاكِ في الدنيَا ، إلى أنْ اسْتَلحَقَ كَثِيْرٌ مِنْ النَّاسِ جُزْءاً مِنْ الليلِ مُضَافاً إلَى النَّهارِ ، وَكأَنَّنَا لَمْ نُخْلَقْ إلا لِهَذِهِ الأعْمَالِ ، أفَلاَ نَسْتَيْقِظُ مِنْ غَفْلَتِنَا ، وَنَحْفَظُ أَلْسِنَتِنَا عن نَهْشِ أعْرَاضِ الغَوَافِلِ ، وَالطَّعْنِ فِي الأحْسَابِ والأنْسَابِ ،وَنَصْرِفَ جُلَّ الأوْقَاتِ ، إلَى البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، الَّتِيْ هِيَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّنَا ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَرَدًا ، وَنَذْكَرَ

مَولاَنا الذِي فَضْلُهُ عَلَيْنا مِدْرَارٌ ، فَانَّ الذِّكْرَ عَاقِبَتُهُ الجَنَّةُ دَارُ الكَرَامَةِ والقَرَارِ ، مَعَ رِضَى رَبِّنَا الذِي دُوْنَهُ كُلُّ ثَوَابٍ ، تاللهِ لو عَرَفْتُم قِيمَةَ هَذه النَّصِيْحَةِ لَبَادَرْتُمْ إلى العَمَلِ بِهَا كلَّ البِدَارِ ، فَانَّكَ وَأَنْتَ تَذْكُرُ اللهَ أَفْضَلَ مِمَّنْ يُفَرِّقُ الذَّهَبَ وَالفِضَّة وسَائِرَ الأمْوَالِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ أنْ تُجَاهِدَ العَدُوَّ فَيَضْرِبَ عُنُقَكَ ، أو تَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَتَكُونَ مِنْ الشُّهَدَاءِ الأبْرَارِ ، كَيْفَ لا وَالذِّكْرُ خَيْرُ الأعْمَالِ وَأزكاها ، وأرْفَعَهَا لِلدَّرَجاتِ عِنْدَ مَوْلاَنَا الوَهَّابُ حَسْبُ الذَّاكِرِ : أنْ تَحُفَّهُ الملائِكَةُ ، وَتَنْزِلُ عَلَيْهِ السَّكِيْنَةُ ، وَتَغْشَاهُ الرَّحماتُ ، ومَنْ في الوُجُودِ مِثْلُ الذاكِرُ ، وهُو وقْتُ ذِكْرِهِ للهِ يَذْكُرُهُ بَارِىءُ الكائِنَاتِ ، وَمَنْ مِثْلُهُ فِي الدُّنْيَا وهُوَ بالذِكْرِ في حِصْنٍ حَصِيْنٍ ، يَحْفَظُهُ مَنْ الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسَهِ الفَاتِنَاتِ ، وَمَنزلَةُ الذاكِرِ بَيْنَ الغَافِلِيْنَ كَمَنْزِلَةِ الحَيِّ بَيْنَ المَيِّتِينَ ، ذِكْر اللهِ يُنِيْرُ القلبَ ، ويُوْقِظَهُ ويُحْيِيهِ ، ويُزِيْلُ رَانهُ ويَهْدِيْهِ إلَى الحَقِّ .

٥٢ مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللَّهِ انْتَبِهُوا وَبَادِرُوا بالأعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، فَإِنَّ أَعْمَـارَكُم سَرِيْعَةُ الانْصِرَامِ ، وَالأيَّام وَاللَيَالِيْ تَمُرُّ بكم مَرَّ السَّحَابِ ، والدُّنْيَا إذا تَأمَّلهَا اللبِيْبُ رَآهَا كالسَّرَابِ ، وَصَدَقَ القَائِلُ في وَصْفِهَا حَيْثُ قَالَ :

أَلاَ كُـلُّ حَـيٍّ هَـالِـكٌ وَابْنُ هَـالِـكٍ
وَذُو نَـسَـبٍ فـي الـهَـالِـكِيْـنَ عَـرِيْـقُ
إِذَا امْـتَحَـنَ الـدُّنْيَـا لَـبِيْـبٌ تَـكَـشَّـفَـتْ
لَـهُ عَـنْ عَـدُوٍّ فـي ثِـيَـابِ صَـدِيْـقِ

أَعْوَامٌ سَرِيْعَةُ المُرُوْرِ ، وَشُهُورٌ تَقْتَفِي إِثْرَ شُهُورٍ وَعِبَرٌ بَيْنَ ذَلِكَ تَتْرَى ، فَعَلَامَ الغُرُورُ ، فلا تَغْتَرّوا بالدُّنْيا فقَدْ نَهاكُم اللهُ عَنْ الاغْتِرَارِ بِهَا ، وَضُرِبَتْ لَكُم بِأَخذِ أَمْثَالِكُم الامْثَالُ ، أَرَتْكُمْ عِيَاناً كَيْفَ تقَلَّبَتْ بِأَهْلِهَا الأَحْوَالُ ، وَخَدَعَتْهُم الآمَالُ ، حَتَّى انْتَهَتْ لَهُمْ الآجَالُ ، قَبْلَ أَنْ يَحْصُلُوا عَلَى مَا سَيَتَمَنَّوْنَهُ مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ ، فَاسْتَيْقِظُوا مِنْ نَوْمِكُم ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُم عَلى مَا اكْتَسَبَتْهُ مِنْ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِيْ الثقالِ ، فَأَيُّ نَفْسٍ مِنَّا لَمْ تَحْمِلْ ظُلماً ، وَأَيُّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِنَا لَمْ تَقْتَرِفْ إِثْماً ، وَأَيُّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِنَا يَلِيْقُ بِذَلِكَ المقام ، وَأَيّ وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِنَا تَمَحَّضَ لِلطَّاعَةِ وَخَلا مِن الآثامِ ، لَقَدْ جَنَيْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا بالذُّنُوبِ جِنَايَة عَظِيْمَةً ، فَلَيِّنُوا قُلوبَكُم بِذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ ، لَعَلَّهَا تَلِيْنُ ، وَعِظُوهَا بِذِكْرِ القَبْرِ وَفِتْنَتِهِ فإنَّهُما لَحقُّ اليَقِيْن ، وَذَكِّرُوْهَا ﴿ يومَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِيْنَ ﴾ ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ المرءُ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً ﴾﴿يَوْمَ تَأْتِيْ كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عن نَفْسِهَا ، وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُوْنَ ﴾ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ وَبَعْدهَا ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ المُفْلِحِيْنَ الذِيْنَ نَوَّرْتَ قُلُوبَهُم بِمَعْرِفَتِكَ ، وَأَهَّلْتَهُم لِخِدْمَتِكَ ، وَحَرَسْتَهُم مِنْ عَدُوِّكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٥٣ موعظة

عِبَادَ اللهِ لَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْنَا بِنِعَمٍ كَثِيْرَةٍ ، وجَادَ عَلَيْنَا بِخَيْراتٍ وَفِيْرَةٍ غَفَلْنَا عَنْهَا ، وعَن ضِدِّهَا ، وجهلْنَا حِكْمَتَهَا ، أعطَانَا جلَّ وعَلَا

العَقْلَ ، ومَيَّزَنا بِهِ عن الحَيَوانَاتِ ، وأرْسَلَ إليْنَا الرُّسُلَ ، يُرْشِدُونَنَا لِلْحَقِّ وخَالِصِ الإيمانِ ، مَنَحَنَا القُوَّة والعَافِيَةِ ، وصَحَّةَ البَدَنِ ، وسَلاَمَةَ الأعْضَاءِ .

وجَعَلَ لَنَا السَّمْعَ ، والبَصَرَ ، واللِّسانَ ، والشَّفَتَيْنِ ، وعَلَّمَنا البَيَانَ والإفْصَاحَ ، عَنْ مَا نَقْصُدُ بالكلامِ ، خَلقَنَا في أحْسَنِ تَقْوِيْم ، وجَعَلَ لنا الأرْضَ فِرَاشاً ، والسماءَ بِنَاءً ، وأنْبَتَ لَنَا في الأرْضِ النَّخِيْلَ ، والأعْنَابَ والزَّرْعَ وسائِرَ ما نَحْتَاجُ إليْهِ مِن الثِّمارِ ، ونَسْتَخْرِجُ مِنْهَا المَعَادِنَ ، والخَامَاتِ .

وأجْرَى لَنَا فِيْهَا الأنْهَارَ ، وأنْبَعَ لَنَا الماءَ الزِلاَلَ ، وخَلَقَ الشَّمَسَ والقَمَر ، والنُّجُومَ ، مُسَخَّرَاتٍ بأمْرِهِ تَمُدُّنَا بالأنْوَارِ ، والمَنَافِعِ ، للأبْدَانِ والثِّمارِ ، والنَّباتَاتِ ، وفِيْهَا مِن الاتْقَانِ ، والجَمَالِ ، والاتِّزَانِ في سَيْرِهَا مَدَى الليالِي والأيَّامِ ، ما يَشْهَدُ لِله بالوَحْدَانِيَّةِ ، والحِكْمَةِ ، والقُدْرَةِ البَاهِرَة ، والعِلْمِ ، وسَائِرِ صِفاتِ الكمَالِ .

ولِلهِ نِعَمٌ أُخرَى لاَ تُعَدُّ ، ولا تُحْصَى ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وإنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوْهَا ان الانسانَ لَظَلُومٌ كَفَّار﴾ إذاً يَجِبُ عَلَيْنا شُكْرُهُ تعالى على نِعَمِهِ ، وهُوَ الغِنِيُّ الحَمِيْدُ ، غَنِيٌّ عَن العَالِمَين ، والخَلْقُ هُمُ الفُقَرَاءُ إليْهِ ، كَمَا قَالَ جَلَّ وعَلاَ ﴿ يَا أيُّهَا الناسُ أنْتُم الفُقَراءُ إلى اللهِ واللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيْدُ﴾ ، ولَيْسَ لِله في شُكْرِنَا مَنْفَعَةٌ تَعُوْدُ إليْهِ ، ولَيْسَ في كُفْرِ نِعَمِهِ ضَرَرٌ عَلَيهِ ، إنَّمَا تَعُوْدُ مَنْفَعَةُ الشُكْرِ إلى الشَّاكِر كَمَا قَالَ تَعَالَى﴿ومَنْ شَكَرَ فإنَّمَا يَشْكُر لِنَفْسِهِ ومَن كَفَرَ فانَّ رَبِي غَنِيٌّ كَرِيْم﴾ .

إنَّمَا الذي يَنْتَظِرُ الشُكْرَ مَخْلُوقٌ مِثْلَنا وأنْتَ إذا شَكَرْتَ اللهَ إنَّما

تُبَرْهِنُ عَلَى فَهمِكَ لِنِعْمَةِ الله ، وتَقْدِيْرِكَ لَهُ إنْ شَكَرْتَ فَقَدْ وَجَّهْتَ النِعْمَةَ وَجْهَةَ الخَيْرِ ، والنَّفعِ ، واسْتَعْمَلْتَهَا فِيْمَا يُسْعِدُكَ في الدُنْيَا والآخِرَةِ ، وانْ كَفَرْتَ فَقَدْ بَرْهَنْتَ عَلى سُوْءِ فَهمِكَ ، وعَدَمِ تَقْدِيْرِكَ لِرَبِكَ ، وعَلَى تَعَمُّقِكَ في اللُؤْمِ والرَّدَاءَةِ .

واذَا تَأَمَّلْتَ الكَثِيْرَ مِن الناسِ وَجَدْتَهُ مُهْمِلاً لِلشُّكْرِ الذِي هُوَ صَرْفُ النِّعَمِ فِيْمَا خُلِقَتْ لَهُ ، واسْتِعْمَالُهَا فِيْمَا شُرِعَتْ لأجْلِهِ ، لِتَظْهَرَ فَائِدَتُهَا وتَتِمَّ حِكْمَتُهَا ، ويَجْنِي العِبَادُ مَنَافِعَهَا ، ، فالشاكِرُ بِلسَانِهِ وقَلْبِهِ ، وعَمَلِهِ مِن الفَائِزِيْنَ ، ولَكِنَّهُ قَليْلٌ ، كَمَا قال تَعَالى ﴿وقَليْلٌ مِن عِبَادِيَ الشَّكُورَ﴾ الأَكْثَرُ كَمَا تَقدم صَرفُوْهَا فِيْمَا يَعُودُ عَلَيْهِم ، وعَلى أوْلَادِهِم ، وأهْلِيهِم ، وأُمَّتِهِمْ بالضَّرَرِ .

أنْعَمَ عَلَيْهِمْ بالمَالِ فَقِسْمٌ خَزَنُوْهُ وَمَنَعُوْا حُقُوْقَهُ فَلَمْ يَخْرِجُوا زَكَاتَهُ ، ولَمْ يُسَاهِمُوا في مَشَارِيْعَ دِيْنِيَّةٍ ، كَبِنَاءِ مَسَاجِدَ ، وقَضَاءِ دَيْنٍ عَنْ مَدِيْنٍ ومُسَاعَدَةِ فَقِيرٍ ، وإجْرَاءِ مِيَاهٍ لِلْمُسْلِمِينَ ، والمُسَاعِدة عَلَى نَشْرِ الاسْلامِ وطِبَاعَةِ مَصَاحِفَ طِبَاعَةً جَيِّدَةً وتَوْزِيْعَهَا عَلَى التَّالِيْنَ لِكِتَابِ اللهِ ، وطِبَاعَةِ الكُتُبِ الدِّيْنِيَّةِ المُقَوِّيَةِ لِلشَّرِيْعَةِ المُحَمَّدِيَّةِ ، وبِنَاء بُيُوْتٍ لِمَنْ لَا مَسَاكِنَ لَهُمْ ، ونَحَوْ ذَلِكَ .

وقِسْمٌ أنْفَقُوا المالَ في المـلاذِ والمَلَاهِيْ ، والمُنْكَراتِ ، وسَائِرِ المُحَرَّمَاتَ ، أذْهَبُوهَا فِي الحَيَاة الدُنْيَا ، واسْتَمْتَعُوا بِهَا ، ولَم يُرَاقِبُوا اللهَ فِيْهَا ، أنْعَمَ عَلَيْهِمْ في الصِحَةِ والفَرَاغِ المَفْرُوْضُ أن تُغْتَنَمَ في طَاعَةِ اللهِ .

وَلَكِنْ يَا لِلاسفِ صُرِفَتْ في السَّهَرِ ، وفي الفَسَادِ ، وفي المُجُون

والكَسَلِ والتَّكَسُّعِ ، والخُمُولِ أو التَّطَاوُلِ بـالقُوَّة عَلَى الضُعَفـآءِ ، والمسـاكِيْن ، وإعانَةِ الظَّلَمَةِ والفَاسِقِيْنَ ، ونَحْـوِ ذَلك ، مِنَ المَفَـاسِدِ والشُرُوْرِ .

وقِسْ عَلَى ذَلِكَ بَاقِي النِّعَمِ مِن السَّمْعِ والبَصَرِ واللِّسَانِ والرِّجِلْ فَلَمْ يَبْقَ نِعْمَة إلا وَقَلَبُوْهَا ، ولا هِبَةً مِن اللهِ إلاَّ وَجَحَدُوْهَا فَنَزلُوا بَعْدَ الرِّفْعَةِ وذَلُّوْا بَعْدَ العِزَّةِ فإنَا لِله وإنا إليهِ رَاجِعُوْن .

اللهُمَّ قَوِّى إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلاَئِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبُرُسُلِكَ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا صِيَانَةَ أَوْقَاتِنَا وَحِفْظَهَا عَنْ المَعَاصِيْ وَوَفِّقْنَا لِشَغْلِهَا بِالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٥٤ « مَـوْعِظَـةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ سَلَفُنَا في مَحَبَّةِ بَعْضِهِم بَعْضاً آيَةٌ مِنْ الآيَاتِ وَكَانَ التَّراحُمُ بَيْنَهُم بَالِغاً مَبْلغاً يَعُدُّهُ أَهْلُ الانْصَافِ غَايَةَ الغَايَاتِ لِذَلِكَ

كَانُوا في مَحَبَّةِ الخَيْرِ لِبَعْضِهِم عَلَى أَرْقَى مَا يُتَصَوَّرُ في الدَّرجَاتِ .

وَهَلْ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُم في أَشَدِّ الجُوْعِ وَيُؤْثِرُ أَخَاهُ بِمَالَهُ مِنْ طَعَامِ عَامِلِيْنَ بِقَـوْلِهِ تَعَـالَى ﴿ وَيُؤْثِرُوْنَ عَلى أَنْفُسِهِم وَلَـوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ وَقَولِهِ ﴿ وَيُطْعِمُوْنَ الطَّعَامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيْناً وَيَتِيْماً وَأَسِيْراً ﴾ وَبِقَوْلِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ

لِنَفْسِهِ .

وَإِنَّ الخَجَلَ لَيَعْلُو وُجُوهَنَا إِذَا نَحْنُ قَارَنَّا بَيْنَ هَؤُلاَءِ وَبَيْنَ أَبْنَاءِ هَذَا الزَّمَانِ ، نَحْنُ في حَالَةٍ تَصَوُّرُ حَقِيقَتِهَا فَقَطْ يُثِيْرُ في قُلُوبِ المؤمِنِيْنَ الآحْزَانَ .

كَيْفَ وَنَحْنُ إِذَا فَتَّشْنَا ثم فَتَّشْنَا لا نَجِدُ قَلْبَيْنِ مَعَ بَعْضِهِمَا مَعِيَّةَ الاخَاءِ التَّامِّ يَكُوْنُ الجَارُ في نِهَايَةِ الفَقْرِ وَلَا يَلْتَفِتُ إِليهِ جَارُهُ المُثْرِي وَيَنْزِلُ بالأَخِ الشَّقِيْقِ أَوِ العَمِّ الشَّقِيْقِ أَو نَحْوِهِمَا مَا يَنْزِلُ مِن الكَوَارِثِ وَلَا أَثَرَ لِنُزُوْلِهَا عِنْدَ أَخِيْهِ وَلَا كَأَنَّهُ يَرَى تِلْكَ المَصَائِبَ الفَادِحَة وَلَعَلَّكَ مُنْتَظِرٌ الجَوَابَ مَا هُوَ السَّبَبُ في ذَلِكَ فَأَلْقِ سَمْعَكَ وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ .

فَأَقُولُ لِكُلِّ النَّاسِ اليَوْمَ شُغْلٌ وَاحِدٌ هُوَ المالُ شَغَلَهُم عَمَّا عَدَاهُ وَأَنْسَاهُم كُلَّ مَا سِوَاهُ مَلَأَ القُلُوبَ حُبُّ هَذَا المالِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ في القُلُوبِ مُتَّسَعٌ لِسِوَاهُ فَمِنْ أَجْلِهِ تُسْتَبَاحُ الاعْرَاضُ وَمِنْ أَجْلِهِ تُرَاقُ الدِّمَاءُ وَمِنْ أَجْلِهِ يَكُونُ الصَّفا والمُعَادَاةُ هُوَ القُطْبُ الذِي تَدُورُ حَوْلَهُ أَفْعَالُ العِبَادِ في هَذَا الزَّمَانِ .

فَالقُلُوبُ في سُرُوْرٍ مَا دَامَ المالُ سَالماً وإن انهَارَ بنَاءُ الشَّرَفِ والدِّيْنِ والنُّفُوْسُ في هُدُوءٍ وَطُمَأْنِيْنَةٍ ما ابْتَعِدَ عَن المالِ فَإِذَا قُرِبَ حَوْلَهُ هَاجُوا هَيَجَانَ الجِمَالِ وَهُمْ في تَواصُلٍ مَا لَمْ يُتَعَرَّضْ لِلْمَالِ فَإِذَا تُعِرِّضَ لَهُ انْقَطَعَت الصِّلاتُ حَتَّى بَيْنَ الأَقْرَبِيْنَ مِنْ آبَاءٍ وَأُمَّهاتٍ وأَوْلَاد وَإِخْوَانٍ .

أَمَا عَلِمَ هَؤُلَاءِ أَنَّ المالَ الذِي كَانَ بِأَيْدِيْنَا كَانَ قَبْلَنَا بِيَدِ اخْوَانِنَا في الانْسَانِيَّةِ الذين سَبَقُونَا إلى الدنيا ثم انْتَقَلَ إلى مَنْ بَعْدَهُم ثم انْتَقَلَ مِن

جِيْلٍ إلى جِيْلٍ إلى أنْ وَصَلَ الَيْنَا سَعِدَ بِهِ مَنْ صَرَفَهُ في مَرَاضِيْ اللهِ وَشَقِيَ بِهِ مَنْ صَرفَهُ في مَا يُغْضِبُ اللهَ .

وَلَعَلَّكَ يَا أَخِيْ تَتَكَدَّرُ إذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ سَيُنْقَلُ عَنْكَ في أَسْرَعِ وَقْتٍ فلا تَفْزَعْ وَلاَ تَتَكَدَّرْ وَوَطِّنْ نَفْسَكَ وَاعْلَمْ انَّكَ وَاللهِ مَيِّتٌ وَمَوْرُوثٌ عَنْكَ مَا جَمَعْتَ وَمَنَعْتَ رَغْمَ أَنْفِكَ يَتَمَتَّعُ بِهِ ذَلِكَ الوَارِثُ العَاقُّ أَوْ البار وَأَنْتَ تُسْأَلُ عَنْهُ هَلَلَةً وَقِرْشَاً قِرْشاً .

وَتَكُوْنُ النَّتِيْجَةُ إنْ كُنْتَ جَمُوعاً مَنُوعاً شَقَاءً تَسْتَغِيْثُ مِنْهُ فَلاَ تُغَاثُ وَتَتَمَنَّى لَوْ كَانَت الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا بِيَدِكَ وَافْتَدَيْتَ نَفْسَكَ بِهَا تَكُونُ النَّتِيْجَةُ ذَلِكَ إنْ كُنْتَ مِنْ المَغْرُورِيْنَ الغَافِلِيْنَ الذِيْنَ ظَنُّوا أَنَّ السَّعَادَةَ كُلَّهَا تَيْسِيْرُ جَمْعِ المالِ وَتَكْدِيْسُهُ عِنْدَكَ آلافاً وَمَلاَيينَ وَعَمَائِرَ وَفِلَلٍ وَأَرَاضِيْ وَبُيوتٍ كَدَأْبِ أَهْلِ هَذَا العَصْرِ الغَافِلِ المُظْلِمِ بالمعَاصِيْ وَالبِدَعِ والمنْكَرَاتِ .

الذِيْ اعْتَاضَ أَهْلُهُ عَنْ كِتَابِ اللّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ العُكُوْفَ عَلى الجَرَائِدِ حَمَّالِة الكَذِبِ والمَجلاتِ الخَلِيْعَاتِ وَالكُتُبِ الهَدَّامَاتِ والجُلُوسَ حَوْلَ المَلاَهِيْ وَالمُنْكَرَاتِ فَسَوْفَ تَنْدَمُ وَتَتَحَسَّرُ حِيْنَمَا يَنْكَشِفُ عَنْكَ الغَطَا وَيَتَبَيَّنُ لَكَ ذَلِكَ الخَطَأَ وَتَتَمَنَّى أَنَّكَ أَمْضَيْتَ أَوْقَاتَكَ في طَاعَةِ مَوْلاَكَ وَهَيْهَاتَ أَنْ يَحْصُلَ لَكَ مُنَاكَ ذَهَبَ الآوَانُ وَبَقِيَ النَّدَمُ وَالحِرْمَانُ .

لَقَدْ أَنْسَى النَّاسَ حُبُّ هَذَا المالِ مَا لَهُم مِن شَرَفٍ وَمُرَءَةٍ وَدِيْنٍ وَجَعَلَهُم حَوْلَ حُطَامِ الدُّنْيَا كَمَا وَصَفَهُم الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ :

وَمَا هِيَ إلاَّ جِيْفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ
عَلَيْهَا كِلاَبٌ هَمُّهُنَّ اجْتِذَابُهَا

فَــإنْ تَــجْتَـنِبْـهَــا كُنْــتَ سِلْمــاً لِأَهْـلِهَــا
وَإنْ تجتذبها نَــازَعَـتْــكَ كِــلَابُـهَــا

أَمَا عَلِمُوا أنَّ المَالَ مِن خَدَمِ الدِّيْنِ فَاذَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ كَان نَكْبَةً عَلى أصْحَابِهِ وكذاكَ الأولادُ إنْ كانُوا غَيْرَ صَالِحِيْنَ فَهُمْ ضَرَرٌ عَلى أَبِيْهِم وَعَلى أَنْفُسِهِم وَكذَلِكَ الزَّوْجَةُ وَلِذلكَ وَرَدَ عَنْ دَاوُدَ عليهِ السلامُ أنهُ كانَ يَقُولُ « اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ وَمِنْ مَالٍ يَكُونُ عَليَّ عَذاباً وَمِنْ وَلدٍ يكُونُ وَبالاً ومِنْ زوجَةٍ تُشَيِّبُنِيْ قَبْلَ المشِيْبِ وَمِنْ خَلِيْلٍ مَاكِرٍ عَيْنُهُ تَرْعَانِي وَقَلْبُهُ يَشْنَانِيْ إنْ رَأى خَيراً أخْفَاهُ وَانْ رَأَى شَرَاً أفْشَاهُ.

وَقِيْلَ إنَّهُ سُئِلَ عِيْسَى عليه السَّلامُ عَن المالِ فقَالَ لا خَيْرَ فيْهِ قِيْلَ وَلِمَ يَا نَبِيَّ اللهِ قَالَ لأنَّهُ يُجْمَعُ مِنْ غيرِ حِلٍّ قيلَ فانْ جُمِعَ مِنْ حِلٍّ قال لا يُؤدَّى حَقُّهُ قِيْلَ فإنْ أدِّيَ حقهُ قالَ لا يَسْلَمْ صَاحِبُهُ مِن الكِبْرِ وَالخُيَلَاءِ قِيْلَ فانْ سَلِمَ قَالَ يُشْغِلَهُ عن ذِكْرِ اللهِ قِيْلَ فإنْ لم يَشغَلْهُ قالَ يُطِيْلُ عليهِ حِسَابَهُ يَوْمَ القِيَامةِ .

فتأمَّلْ هَذِه العَقَباتِ الخَمْسَ وَقَلِيْلٌ منْ يَتَجَاوَزُها سَالِماً

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الأيمانَ هادِماً لِلسيئآت ، كَمَا جَعَلْتَ الكُفْرَ عَادِماً لِلْحَسَنَاتِ وَوَفقنا لـلأَعْمَالِ الصـالِحاتِ ، واجعلنـا مِمَّنْ تَوكَّـلَ عَليكَ فَكَفيْتَهُ ، واسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فأجَبْتَهُ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياءِ منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين

٥٥ مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللهِ اتَّقُوا الله تعالى واحْمَدُوْهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ وارْغَبُوْا إِلَيْهِ في حِرَاسَةِ النِّعَم عن الزَّوَالِ فإنَّ نِعَمَ اللهِ قَدْ عَمَّتِ الْبَوَادِيَ وَالأَمْصَارَ وإنَّ نِعَمَ اللهِ لَا تُعَدُّ ولا تُحْصَى ولا تُحَدُّ بِمِقْدَارٍ .

قال تعالى ﴿ وإنْ تَعُدُّوْا نِعمَةَ اللهِ لا تُحْصُوْهَا إِنَّ الإنسانَ لَظَلُومٌ كَفَّار ﴾ فكَمْ أَسْدَى مَعْرُوْفاً وكَمْ أَغَاثَ مَلْهُوْفاً فاشْكُرُوْا آلاءَ اللهِ وَأذْكُرُوْهُ كَثِيْراً قال تعالى ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوب ﴾ .

وهُبُّوْا مِنْ هَذِهِ الرَّقْدَةِ وَالمَقَامِ واحْذَرُوْا الأَهْوَاءَ فإنَّهَا تُوْرِثُ المَهَالِكَ وَالمَذَامَّ ، وأَلْزَمُوْا طَاعَةَ الْمَلِكِ العَلَّام ، واغْتَنِمُوْا بَقِيَّةَ العُمُرِ وَالأَيَّامِ ، وَبَادِرُوْا بالتَّوْبَةِ مِنَ الْمَعَاصِي والإجْرَامِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يومٌ تَشَقَّقُ فِيْهِ السَّمَاءُ بالغَمَام وَتَظْهَرُ فِيه الخَفَايَا والدَّوَاهِي والأَهْوالُ الطَّوام ، وتُنَكِّسُ فِيْهِ الظَّلَمَةُ رُؤُوْسَهَا وَيعْلُوهَا الذُّلُ مِن الرُّؤُوْسِ إلى الأَقْدَمِ وَيَتَجلَّى لِفَصْلِ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ حَاكِمُ الحُكَّام .

قال تعالى ﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الكِتَابُ وَجِيْءَ بالنَّبِيِّيْنَ والشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُون وَوُفِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُون ﴾ ونُودِيَ أَيْنَ الظَّلَمةُ وَأَعْوَانُ الظَّلَمَةِ وَمَنْ كَانَ لَهُمْ على الْمَعَاصِي وُثُوبٌ وَإِقْدَامٌ فَيَالَهُ مِنْ يَوْمٍ مَا أَطْوَلَهُ وَمِن بَلَاءٍ مَا أَهْوَلَهُ وَمِنْ حِسَابٍ مَا أَثْقَلَهُ وَمِنْ عَذَابٍ مَا أَعْضَلَهُ وَمِنْ جَزاءٍ مَا أَجْزَلَهُ وَمِنْ حَاكِم مَا أَعْدَلَهْ .

هُنَالِكَ شَابَ الْوَلِيْدُ وَحَقَّ الْوَعِيْدُ وَعَظُمَ الْهَوْلُ الشَّدِيْدُ قالَ تَعالَى ﴿ وجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيْدٌ ، لَقَدْ كُنْتَ في غَفْلَةٍ مِن هَذا

فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيْدٌ ﴾ وَخَضَعَتِ الرِّقَابُ وَذَلَّ كُلُّ فَاجِرٍ كَذَّابٍ وَرَجَعَ الأَشْقِيَاءُ بالخُسْرَانِ والتَّبَابِ فالسعيدُ مَن اسْتَعْمَلَ نَفْسَهُ في طَاعةِ الْمَلِكِ الْمَعْبُوْدِ وَخَافَ أَنْ لَا يَنْجُو مِن النَّارِ بَعْدَ الْوُرُوْدِ .

فانْتَبِهْ أَيُّهَا العَبْدُ لِأَيَّامِ شَبَابِكَ قَبْلَ فِرَاقِ أَحْبَابِكَ وَاحْفَظْ أَيَّامَ عُمُرِكَ قَبْلَ حُلُولِ قَبْرِكَ واغْتَنِمْ حَيَاتَكَ قَبْلَ أَوَانِ وَفَاتِكَ فإنَّ العُمُرَ بالسِّنِيْنَ يُنْهَب والأَجَلَ بِمُرُوْرِ الليالِي والأيّامِ يَذْهَب .

٥٦ (مَوْعِظَةٌ)

عِبَادُ اللهِ أَحْسِنُوا إلى الوَالِدَيْنِ مَا أَمْكَنَ لَكُم الأحْسَانُ ، وَإِنْ حَسِبْتُم أَنَّكُمْ كَافَأْتُمُوْهُمْ في ذَلِكَ الحُسْبَان ، وَكُونُوا مَعَهُما في غَايَةِ الأَدَبِ والأَحْتِرَامِ ، وَاحْذَرُوْا سُوْءَ الأَدَبِ عِنْدَهُما وَإِلاَّ هَوَيْتُمْ في هُوَّةِ شَقَاءٍ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ وَكُوْنُوا مَعَهُمَا في إجْلَالٍ وَاحْتِرَامٍ ، وَتَقْدِيْرٍ تَامٍّ وإنْ حَصَلَ مِنْهُمَا لَكَ ظُلْمٌ .

لأَنَّهُمَا اللّذَانِ لَوْلَا اللّهُ ثُمَّ لَوْلَاهُمَا لَمْ تَخْرُجْ عَلَى هَذَا الوُجُودِ وَلِأَنَّهُمَا اللذَانِ سَخَّرَهُمَا اللهُ لَكَ فَصَبرا عَلَى مَا رَأَيَا مِنْ الأَهْوَالِ ، وَسَخَّرَهُمَا لِتَرْبِيَتِكَ والعِنَايَةِ بِكَ في هَذِهِ الحَيَاةِ . تَذَكَّرْ زَمَنَ حَمْلِ أُمِّكَ بِكَ وأنتَ في بَطْنِهَا عِلَّةٌ مِنْ أكْبَرِ العِلَلِ ، وَتَذَكَّرْ وَقْتَ أن كانَتْ تَلِدُكَ وَهْيَ مِمَّا بِهَا لا مِن الأَحْيَاءِ وَلَا مِنْ الأَمْوَاتِ وتذكّر مَا خَرَجَ عَقِبَ وِلَادَتِكَ مِنَ النَّزِيْفِ الدَّمِ الذِيْ هُوَ نَفْسُها .

وَتَذَكَّرْ أَنَّكَ كُنْتَ تَمُصُّ دَمَهَا مُدَّةَ الرَّضَاعِ ، وَسُرُوْرُهَا بِكَ تَقْصُرُ عَنْ شَرْحِهِ العِبَارَاتُ . وَتَذَكَّرْ تَنْظِيْفَهَا لِبَدَنِكَ وَمَلَابِسِكَ مِنْ الأَقْذَارِ ،

وَتَذَكَّرْ فَزَعَهَا عِنْدَمَا يَعْتَرِيْكَ خَوْفٌ أو مَرَضٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ ، وَتَذَكَّرْ دِفَاعَهَا عَنْكَ إذَا اعْتَدَى عَلَيْكَ مُعْتَدِيْ .

وَتَذَكَّرْ حِرْصَهَا الشَّدِيْدَ عَلَى أنْ تَعِيْشَ لَهَا وَلَوْ حُرِمَتْ لَذَّةَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَتَذَكَّرْ سَهَرَهَا عَلَيْكَ عِنْدَمَا يُؤْلِمُكَ شَيْءٌ مِنْ جَسَدِكَ ، وَتَذَكَّرْ كَدَّ وَالِدِكَ عَلَيْكَ فِي تَحْصِيْلِ مَا بِهِ تَحْيَا بِإِذْنِ اللهِ ، لاَ يَهْدَؤُ عَنْ ذَلِكَ وَالِدُكَ مَدَى اللَّيَالِيْ وَالأَيَّامِ ، وَكُلَّمَا خَشِيَ أَنْ تَجُوْعَ تَقَحَّمَ الشَّدَائِدَ وَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ فِي الدنيا لاَ يَرُدُّهُ إلا أنْ يَرَاكَ فِي يَسَارٍ .

وَتَذَكَّرْ عِنَايَتَهُ بِكَ فِي تَعْلِيْمِكَ وَتَوْجِيْهِكَ إلى مَا فِيهِ صَلاَحُ دِيْنِكَ ودُنْيَاكَ وتَذَكَّرْ حِيَاطَتَهُ ونُصْحَهُ لَكَ ومُقَاسَاتُ الشَّدَائِدَ لِرَاحَتِكَ ، وتذكرْ فَرَحَهُ وَاسْتِبْشَارَهُ بِمَحَبَّتِكَ وَنَجَاحِكَ ، وَتَذَكَّرْ دِفَاعَهُ عَنْكَ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ ، وَتَذَكَّرْ دُعَاءَهُ لَكَ فِي مَظِنَّةِ أوْقَاتِ الأجَابَةِ أنْ يُصْلِحَكَ اللّهُ وَيوفقكَ .

وَتَذَكَّرْ قَلَقَهُمَا وَالأدْلاَجَ فِي البَحْثِ عَنْكَ إذَا تَأَخَّرْتَ عَنْ وَقْتِ المَجِيْءِ ، وَتَأَمَّلْ وَتَذَكَّرْ بشَاشَتَهُمَا فِيْمَنْ يَعِزُّ عَلَيْكَ لِسُرُوْرِهِمَا بِمَا يَسُرُّكَ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَكَّدَ اللهُ وَشَدَّدَ عَلَيكَ بِالوَصِيَّةِ بِهِمَا .

وَأَخْبَرَ نَبِيُّنَا صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمَا جَنَّتُكَ وَنَارُكَ ، وَقَدَّمَ بِرَّهُمَا عَلَى الجِهَادِ ، وَدَعَا أنْ يُرْغَمَ أنْفُ مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أو أحدَهُمَا فلم يَدْخُلِ الجَنَّةَ ، وَأخبَرَ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ فَذَكَرَ عُقُوقَهُما بَعْدَ الأشْرَاكِ باللّهِ .

اللهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أنْفُسِنَا وَالشَّيْطَانِ وَالدُّنْيَا وَالهَوَى وَنسألُكَ أنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلى الله على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

٥٧ مَوْعِظَةٌ

قَالَ اللهُ تَعالَى ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدنيا قَلِيْلٌ والآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيْلا ﴾ وَقال ﴿ ومَا الحَيَاةُ الدنيَا إلا مَتَاعُ الغُرورِ ﴾ عِبَادَ اللهِ يَعِيْشُ ابْنُ آدَمَ مَا قَدَّرَ اللهُ لَهُ أنْ يَعِيْشَ، ويَمْشِيْ الانْسَانُ في هَذِه الأرْضِ وَيَتَقَلَّبُ فِيْهَا ، ويَرَى حُلْوَهَا وَمُرَّهَا وَسُرُوْرَهَا وَأحْزَانَها ، وَيَأخُذُ فيهَا حَظَّهُ مِنْ الشَّقَاءِ وَحَظَّهُ مِنْ السَّعَادَةِ ، بِمْقَدارِ مَا قَدَّرَهُ اللهُ لَهُ ومَا قَدَّرَهُ عَلَيْهِ ، وَلِكْن لِكُلِّ هَذا نِهَايَةٌ ، وَلِكُلِّ ذَلكَ غَايَةٌ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلا ﴿ كلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ﴾ وَقال لِنَبِّيِهِ صلى اللهُ عليه وسَلم ﴿ وَمَا جَعَلْنا لِبَشرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلدَ افَئِنْ مِتَّ فهُم الخَالِدونَ ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ﴾ وقَال: ﴿ إنَّكَ مَيِّتٌ وَانَّهم مَيِّتُونَ ﴾ فَسبِيْلُ الموتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ ، وَالخُلُودُ في دَارِ الفَناءِ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، أيُّها المسْلِمُ عِشْ مَا شِئْتَ فإنَّكَ مَيِّتٌ ، وَاحْبِبْ مَا شِئْتَ فإنكَ مُفَارِقُهُ .

شعرا :

لعَمَــرْكَ مَــا الــدُنْيَا بِــدَارِ إقَـامَـةٍ
إذَا زَال عَنْ عَيْنِ البَصِيَرِ غِـطَاؤُهَـا

وَكَيفَ بَقَــاءَ النَّــاسِ فِيْهَــا وإنَّمــا
يُنَــالَ بــأسْبَــابِ الفَنَــاءِ بَقَــاؤُهَــا

اخر :

سَــلامٌ عَلَى دَارِ الغُــرُوْرِ فــإنَّـهَــا
مُـنَغَّـصَــةٌ لَــذَاتُهَــا بــالـفَجَــائِـعِ

فــإنْ جَمَعَتْ بَيْنَ المُحِبِّينَ سَـاعَــةً
فَعَمَّــا قَلِيْــلٍ أَرْدَفَتْ بِــالمــوانِــعِ

فَالبَقَاءُ في الدُّنْيَا مُحَالٌ ، هَذِه الدُّنْيَا جِسْرٌ ، هَذِه الدّنْيَا مَمَرٌ ومَعْبَرٌ وطَرْيقٌ إلىَ الآخِرَةِ ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتخَبَّطُ في هَذِه الطَّرِيْقَ وَيَتَعثرُ فيهَا ولا يَهْتَدي ، ومِنْ النّاسِ مَنْ يُوَفِقُهُ اللهُ فَيَسْلُكُها مُسْتَقِيْما لا يَلْوي عَلى شَيْءٍ إلاّ عَلَى زادِ الآخِرَةِ ، وَأَمَلٍ يَهْدِفُ اليْهِ ، في تِلْكَ الدّارِ البَاقِيَةِ ، ذلك الهَدفُ هو رِضَى رَبِّ العِزَّةِ وَالجَلالِ ، الذِي فيهِ كُلُّ نَعِيْمٍ ، الذِي فيْهِ الهُدُوءُ وَالاطْمَئْنَانُ ، وَالذِي فيهِ الفَوْزَ والنّجَاةُ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ، تِلْكَ حال مَنْ اتّعَظَ وَاعْتَبَرَ فَنَفَعْتَه العِبْرَةُ ، ولَمِسَ المْوعِظَةُ مِن دُروسِ الحَياةِ وَأَحْدَاثِها فاهْتَدى ، وَزَادَهُ اللهُ هُدى ، تِلْكَ حَالُ مَن اعتبروا ، فَنَفعتْهُمُ العِبْرَة ، وجَعَلوا التّقوى إلى اللهِ أَمَامَهُم لاَ يَحِيْدونَ عنْهَا ، يَخَافُونَ رَبَّهُم وَيَخْشَونَ سُوَء الحِسَابِ . ﴿ ومَنْ يُطِعِ اللهَ وَرسُولَهُ وَيخْشَ اللهَ وَيَتَّقَهَ فأولَئِكَ هُمْ الفَائِزُونَ ﴾ .

أيُّها المُسْلِمُ لقَدْ خَرجْت مِنْ ظُلمَاتٍ ، وسَتَنْتَهِي إلى ظُلُمـاتٍ خَرجْتَ مِنْ ظُلماتِ الأرْحامِ ، وتنْتظِرُكَ ظُلُماتُ القُبُورِ، خَرجْتَ مِنْ أحْشَاءِ أُمِّكَ ، واسْتَقْبَلكَ أحْشَاءُ أُخْرَى ، أقْوَى وَأعْظَمُ ، قـالَ تَعالى ﴿ منْهَا خَلَقْنَاكُم وفيها نُعِيْدكم ، ومِنْها نُخْرِجُكم تَارةً أُخْرَى ﴾ دَفَعكَ جَوْفُ يَحِنُّ عَلَيْكَ ، إلىَ جَوْفِ الأرْضِ ، وبَيْنَ الجَوفَيْنِ أمورٌ وأمُوْرٌ، فَفِي الدُّنْيَا السَّرَّاءُ والضَّرَّاءُ والسَّعَادةُ وَالشّقَاءُ إنكَ تخْرُجُ مِنْ شِدةٍ إلى رَخَاءٍ ، ومِنْ رَخَاءٍ إلى بَلاءٍ ، وتُصَادِفُكَ عَقَبَاتٌ في طَرِيْقِكَ ، بعْدَ عَقَباتٍ ، وَتَتغَيَّرُ أَحْوالُكَ مِنْ حَالاتٍ إلى حالاتٍ ، فمِن ذُلّ إلىَ عِزٍّ ، ومِنْ عِزّ إلىَ ذُلّ ، ومِنْ غِنىٍ إلى فَقْرٍ ومِنْ فَقْرٍ إلى يُسْرٍ ، ومِن صِحَّةٍ إلى مَرضٍ ،

ومِنْ مَرَضٍ إلىَ عَافِيَةٍ ، ومِن رَاحَةٍ إلى تَعَبٍ ، هَذهِ هِيَ الدُّنْيَا وهَذِه أحْوَالُهَا ، عِزُّهَا لا يَدُومُ ، ورخَاؤُهَا لا يَبْقى ، قالَ اللهُ تعالَى ﴿ قُلْ اللهُمَّ مَالِكَ المُلكِ ، تُؤْتِي الملكَ مَنْ تَشاءُ ، وَتَنْزِعُ الملكَ مِمَّنْ تَشاءُ ، وتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بيدِكَ الخَيْرُ إنَّكَ عَلِى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ﴾ فحَاسِبْ نَفْسَكَ أيُّها المُسْلِمُ ، قَبْلَ أنْ تُحَاسَبَ، وَزِنْ أعْمَالَكَ قَبْلَ أنْ تُوْزَنَ عَلَيْكَ ، ورَاقِبْ مَوْلاَكَ الذِي لا يَخْفَىٰ عَليْهِ شَيْءٌ في الأرْضِ ولا في السَّمَاءِ ، وَتُبْ إليْهِ تَوْبَةٍ نصُوحاً ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإنِّي لغَفّارٌ لمَنْ تَابَ وَآمَنَ وعَمِلَ صالِحـاً ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ .

اللهم وَفِقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إليه القَوْم وأيْقِظْنَا مِن سِنةِ الغَفْلَةِ والنَّوم وارزِقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الذي يَرْبَحُ فيه المُتَّقُونَ اللهم وعامِلنَا بإحْسَانِكَ وَجُدْ علينا بِفَضْلِكَ وامْتِنَانِكَ واجعلنا مِن عِبادِكَ الذين لا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزنون اللهم ارحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعلْ رَغْبَتَنَا فِيما لَدَيْكَ ، ولا تَحْرِمنا بِذُنوبنا ، ولا تَطْرُدْنَا بعُيوبِنا ، واغفر لنا وَلِوالدينَا وَلِجميع المُسْلمين الأحياء مُنْهُم والمَيتين بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَم الرَّاحِمِيْن وصلّى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِينْ .

٥٨ « مَوْعِظَةٌ في الحَثِّ عَلى الأقْبَالِ عَلى الآخِرَةِ »

اخْوَانِيْ أيْنَ رُفقَاؤُنَا وَاخْوَانُنـا أيْنَ ذَهَبَ مَعَارِفُنَـا وَجيْرَانُنَـا أيْنَ أصْدِقَاؤنَا أيْنَ زُمَلاؤُنا وَأقْرَانُنَا أيْنَ عُلَمَاؤُنَا العَامِلُوْنَ بِعِلمهم أيْنَ آبَاؤُنَا وَأجْدَادُنَا رَحَلُوا وَقَـلَّ والله بَعْدَهُمْ بَقَـاؤُنا. هَـذِهِ مَسَاكِنهُم فِيْهَـا غَيْرُهُمْ قَـدْ نَسِيْنَاهُم وَنَسِيَهُم مُحِبُهم وَجَفَاهُم . أيْنَ أصْحَابُ القُصُوْرِ الحَصِيْنَةِ ،

وَالأنْسَابِ العَالِيَةِ الرَّصِيْنَة وَالعُقُولِ الرَّاجِحَةِ الرَّزِيْنةِ ، قَبَضتْ عَلَيْهِمْ يَدُ المنَايَا فظَفِرَتْ ، وَنُقِلُوا إلَى أجْداثٍ مَا مُهّدَتْ إذْ حُفِرَتْ وَرَحِلُوا بذُنُوبٍ لا يَدْرُونَ هَلْ غُفِرتْ أو بَقِيَتْ فالصَّحِيْحُ مِنْهُم بالحَزَنِ قد سَقِمْ وَالمَدْعُو إلَى دَارِ البَلَى أَسْرَعَ وَلَمْ يُقِمْ والكتابُ قد سُطِّرَ بالذنوبِ فَرُقِمْ. وَلَذِيْذُ عَيْشِهِم بالتَّنْغِيْصِ قدْ خُتِمَ وفِرَاقُهم لِأحْبَابِهم وَأمْوالِهِمْ قد حُتِمَ وَالولدُ قد ذَلَّ وَيَتِمْ ، فتفكَّرُوا في القَوْمِ كَيْفَ رَحَلُوا ، وتَذَكَرُوا دِيَارَهُم أيْنَ نَزَلُوا ، وَاسْأَلُوا مَنَازِلَهم عَنْهُم مَاذَا فَعَلُوا فانْتَبِهْ مِنْ رُقَادِكَ قَبْلَ أنْ تَصِلَ مَا وَصِلُوا يَا مَنْ غَفَلَ وَسَهَى وَلَهَى وَنَسِيَ المَقَابِرَ وَالبِلَى.

اللَّهُمَّ لاَ تُشْغِلْ قُلُوْبَنَا بِمَا تَكَفَّلْتَ لَنَا بِهِ ، وَلاَ تَجْعَلْنَا في رِزْقِكَ خَوَلاً لِغَيْرِكَ ، وَلاَ تَمْنَعْنَا خَيْرَ مَا عِنْدَكَ بِشَرِّ مَا عِنْدَنَا ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

٥٩ مَوْعِظَةٌ

قَال بَعْضُ العُلَمَاءِ بَعْدَ سِيَاقِهِ لِقَوْلِهِ تعالى﴿إنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوْامَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ : أيُهَا النَّاسُ لَقَدْ كَانَتْ الأُمَّةُ الأسْلامِيَّةُ فِيْمَا مَضَى مُتَمَسِّكَةً بِكِتَابِ اللهِ ، عَامِلَةً بِسُنَّةِ نَبِيِّهَا صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، صَحِيْحَةً في عَقَائِدِهَا ، صَالِحَةً في أعْمَالِهَا حَسَنَةً في مُعَامَلاَتِهَا وَعَادَاتِهَا ، كَرِيْمَةً في أخْلاَقِهَا بَصِيْرَة في دِيْنِهَا رَاقِيَةً في آدَابِهَا وَعُلُوْمِهَا ، فَكَانَتْ عَزِيْزَةَ الجَانِبِ ، قَوِيَّةَ الشَوْكَةِ ، جَلِيْلَةً مَهِيْبَةً ، صَاحِبَةَ السُّلْطَانِ وَالصَّوْلَةِ عَلَى مَنْ عَدَاهَا ، وَاليَوْمَ تَغَيَّرَ أمْرُهَا ، وَتَبَدَّلَ حَالُهَا ، اخْتَلَّتْ عَقَائِدُهَا وَفَسَدَتْ أعْمَالُهَا ، وَسَاءَتْ مُعَامَلاَتُهَا وَعَادَاتُها ، وَتَدَهْوَرَتْ أخْلاَقُهَا ، وَجَهِلَتْ أمْرَ

دِيْنِهَا وَدُنْيَاهَا ، وَتَأَخَّرَتْ عُلُوْمُهَا وَصَنَائِعُهَا فَصَارَتْ ذَلِيْلَةَ الجَانِبِ ، ضَعِيْفَةَ الشَّوْكَةِ ، سَاقِطَةَ الكَرَامَةِ ، فاقِدةَ الهَيْبَةِ مَغْلُوْبَةً عَلَى أَمْرِهَا ، مُتَأَخِّرَةً في مَرَافِقِ حَيَاتِهَا تَتَخَبَّطُ في ظُلُمَاتِ الجَهْلِ ، وَتَنْقَادُ لِلْخُرَافَاتِ وَالأَوْهَامِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ ﴾ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهَا خَالَفَتْ كِتَابَ رَبِّهَا ، وَانْحَرَفَتْ عَنْ طَرِيْقِ الهَادِي نَبِيِّهَا ، وَسَارَتْ وَرَاءَ هَوَاهَا ، .وَفُتِنَتْ بِزَخَارِفِ الحَضَارَةِ المُزَيَّفَةِ ، والمَدَنِيَّةِ الكَاذِبَةِ وَظَنَّتْ الإِبَاحِيَّةَ حُرِّيَّةً وَالخَلاَعَةَ رُقِيًّا ، فَتَعَدَّتْ حُدُوْدَ الدِّيْنِ وَالعَقْلِ . وَأَغْضَبَتْ خَالِقَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ فَسَاءَتْ حَالُهَا ، وَسُلِّطَ عَلَيْهَا عَدُوُّهَا ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ فَلْيَحْذَرِ الذِيْنَ يُخَالِفُوْنَ عن أمرِهِ أن تُصِيْبَهُمْ فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ أيها الناس لقد ذَاقَتْ الأُمَّةُ وَبَالَ أَمْرِهَا ، وَعُوْقِبَتْ بِشَرِّ أَمْالِهَا ، وَتَجَرَّعَتْ مَرَارَةَ الذُّلِ والهوانِ ، وَالتَّفَرُّقِ والأنْحِلاَلِ ، كُلُّ ذَلِكَ نَتِيْجَةٌ لاَزِمَةٌ لِعَدَمِ اسْتِقَامَةِ الأُمَّةِ، وَانْحِرَافِهَا عَنْ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ ، ﴿ صِرَاطَ اللهِ الذِي لَهُ مَا فِي السَّمواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، ألا إِلَى اللهِ تَصِيْرُ الأُمُورُ ﴾ كُلُّ ذَلِكَ نازِلٌ بِنَا وَوَاقِعٌ عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ لا نُفِيْقُ مِنْ سَكْرَتِنَا ، وَلاَ نَنْتَبِهُ مِنْ غَفْلَتِنَا ، وَلاَ نَنْزَجِرُ بِالمِحَنِ وَالبَلاَيَا ، وَلاَ نَعْتَبِرُ بِحَوَادِثِ الأَيَّامِ فَلَو كَانَتْ لنا نُفُوسٌ حَيَّةٌ وقُلُوْبٌ يَقِظَةٌ وشُعُورٌ حَيٌ وإِحساسٌ قَوِيٌّ ، لَنَبَّهَتْنَا البَلاَيَا ، وَأَيْقَظَتْنَا المُؤْلِمَاتِ ، أَيُّهَا المسلمُ : الدِّيْنُ عَقِيْدَةٌ صَحِيْحَةٌ ، وَعِبَادَةٌ قَوِيَّةٌ ، وَمُعَامَلاَتٌ حَسَنَةٌ عَادِلَةٌ ، وَأَخْلاَقٌ كَرِيْمَةٌ ، فَانْظُرُوْا وَفَكِّرُوا ، وَفَتِّشُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، هَلْ أَنْتُمْ سَائِرُوْنَ فِي أَعْمَالِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ عَلَى مَنْهَجِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ ، أَمْ أَنْتُمْ مُنْحَرِفُوْنَ عَنْهَا ، فَالْزِمُوْهَا السَّيْرَ عَلَى الطَّرِيْقِ القَوِيْمِ ، وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِلأَسْتِقَامَةِ ، وَأَمَّنَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَوَقَانَا وَإِيَّاكُمْ

شَرُّ الحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ ، وَغَفَرَ لَنَا وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِهِ إِنهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٦٠ مَوْعِظَةٌ

اخْوَانِي إِنَّكُمْ في دَارٍ هِيَ مَحَلُّ العِبَرِ وَالآفَاتِ ، وَأَنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَالطَّرِيْقُ كَثِيْرَةُ المَخَافَاتِ ، فَتَزَوَّدُوا مِنْ دُنْيَاكُمْ قَبْلَ المَمَاتِ ، وَتَدَارَكُوا هَفَوَاتِكُمْ قَبْلَ الفَوَاتِ ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ وَرَاقِبُوا اللهَ في الخَلَوَاتِ ، وَتَفَكَّرُوا فِيْمَا أَرَاكُمْ مِنَ الآيَاتِ ، وَبَادِرُوْا بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَاسْتَكْثِرُوا في أَعْمَارِكُمْ القَصِيْرَةِ مِنَ الحَسَنَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُنَادِيْ بِكُمْ مُنَادِ الشَّتَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكُمْ هَادِمُ اللَّذَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يَتَصَاعَدَ مِنْكُمْ الأَنِيْنُ وَالزَّفَرَاتُ قَبْلَ أَنْ تَنْقَطِعَ قُلُوبُكُمْ عِنْدَ فِرَاقِكُمْ حَسَرَاتٍ ، قَبْلَ أَنْ يَغْشَاكُمْ مِنْ غَمِّ المَوْتِ الغَمَرَاتُ ، قَبْلَ أَنْ تُزْعَجُوا مِنَ القُصُوْرِ إِلى بُطُوْنِ الفَلَوَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ما تَشْتَهُونَ مِنْ هَذِهِ الحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ تَتَمَنَّوا رُجُوعَكُمْ الى الدُّنْيَا وَهَيْهَاتَ .

شِعْرًا :

بَكَى لِأَنْ ماتَ مَيْتٌ من عَشِيْرَتِهِ ... وقال وَاحَرَبَا وصَاحَ يَا هَرَبَا
وباتَ فَوقَ حَشَاهُ لِلْأَسَى لَهَبٌ ... إِذَا أَرَادَ خُبُواً فارَ وَالْتَهَبَا
ولَوْ رَآى بِصَحِيْحِ العَقْلِ حِيْنَ رَآى ... وَكَشَّفَ اللهُ عنه لِلْهَوى حُجُبَا
لَمَا رَآى الدَّهْرَ مَيْتاً أَوْ أَحَسَّ بِهِ ... إلاَّ بَكَى نَفْسَهُ المِسْكِيْنُ وانْتَحَبَا
ومَنْ رَآى السُّمْرَ في جَنْبَيْهِ شَارِعَةً ... أَنَّى يَرَاها بِجَنْبِ نَاءٍ أَوْ قَرُبَا
وَطَلْعَةُ الموتِ إِنْ تَطْلَعْ عَلى أَحَدٍ ... أَرَتْهُ في نَفْسِهِ مِنْ هَوْلِهَا عَجَبَا

وقَالَ أحَدَ العلماء رحِمَهُ اللهُ في موعظة وعظها ألاَّ أن الدنيا بَقَاؤُهَا قَلِيل ، وعَزِيْزهَا ذَلِيْل ، وغَنِّيها فَقِيْر ، شَابُّهَا يَهْرمْ ، وحَيُّها يَموت ، ولا يَغُرُكمْ إقْبالُهَا مَعَ مَعْرِفَتِكمْ بصُرْعَةِ إدْبَارِها والمَغْرُوْرُ مَن اغْتَّر بها .

أيْنَ سُكَانُهَا الذين بَنَوْا مَرَابعَهَا وشَقَّقُوْا أنْهارَهَا وغَرَسُوْا أشْجَارَهَا وأقَامُوْا فيْها أيَّاماً يَسِيْرَةً وغَرَّتْهُمْ بصُحْبَتِهم وَغُرُّوْا بِنَشَاطِهِمْ فَرَكبُوا المَعَاصِيْ إنَّهُم كانُوا واللهِ بالدُنْيا مَغْبُوْطِين بالمال على كثرة المَنْعِ عَليْه مَحْسُوْدِيْنَ على جَمْعِهِ .

ما صَنَعَ التُرابُ بأبْدَانِهِمْ والرَّمْلُ بأجْسَامِهِم والدِّيْدَانُ بأوْصَالِهم ولُحُومِهِم وعِظَامِهِم وإذا مَرَرْتَ فَنَادِهِمْ إنْ كُنْتَ مُنَادِياً وادْعُهُمْ إنْ كُنْتَ لا بُدَّ دَاعِيَا .

ومُرَّ بِعَسْكَرِهم وانظر إلى تقارُبِ مَنَازِلِهِمْ وسَلْ غَنِيَّهُمْ ما بَقى مِن غِنَاه وَسَل فَقِيْرَهُمْ ما بقى مَن فَقْرِه واسْألْهُمْ عن الألْسُنِ التي كانُوا بهَا يَتَكَلَّمُون وعن الأَعْيُنِ التي كانُوا بها ينظرون وَسَلْهُمْ عن الاعْضَاءِ الرَّقِيْقَةِ .

والوُجُوْهِ الحَسْنَةِ والاجْسَاد النَّاعِمَة ما صَنَعَتْ بها الدِيْدَان .

مَحَتِ الألْوان ، وأكَلَت اللُّحْمَان ، وعَفَّرَتِ الوُجُوْهُ ، ومَحَتِ المَحَاسِنَ ، وكَسَرَتِ الفَقَار ، وأبانَتِ الأعضاءَ ، ومَزَّقَتِ الأشْلاء قَدْ حِيْلَ بَيْنَهُم وبَيْنَ العَمَل وفارَقُوا الأحَبَّة .

فَكَمْ مِنْ ناعِمٍ وناعِمَةٍ أصْبَحَتْ وِجُوهُهْم بالِية ، وأجْسَادُهم مِن أعْنَاقِهِم بائِنَةٌ ، وأوْصالُهُمْ مُتَمَزِّقَةٌ ، وقد سَالَتْ الحَدَقُ عَلى الوَجَنَاتِ ، وامتَلأتِ الافْوَاهُ صَدِيْدَا ، ودَبَّتْ دَوَابُ الأرضِ في أجْسَامِهِمْ ، وتَفرقَتْ أعْضَاؤُهُم .

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوْا إلاَّ يَسِيْرَا حَتَّى عَادَتِ العِظَامُ رَمِيْمَا قَدْ فَارَقُوا الحَدَائِقَ فَصَارُوْا بَعْدَ السَّعَةِ إلى المَضَائِق قد تَزَوجَتْ نِسَاؤُهُمْ وتَرَدَّدَتْ في الطُرق أبْنَاؤُهُمْ .

فَمِنْهُمْ واللهُ الموسَّعُ لَهُ في قبره الغَضُّ الناعم فيه المُتَنَعِّمُ بِلَذَّاتِهِ ، فَيَا سَاكِنَ

القَبْرِ ما الذي غَرَّكَ في الدُّنْيا هَلْ تَظُنُّ أَنَّكَ تَبْقَى أو تَبْقَى لَكَ أَيْنَ دَارُكَ الفيحاء ونَهْرُكَ المُطَّرِد وأَيْنَ ثَمَرَتُكَ الحاضِرُ يَنْعُهَا وأَيْنَ رِقَاقُ ثِيَابِكَ وأَيْنَ كِسْوَتُكَ لِصَيْفِكَ وشِتَائِكَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يا مُغمض الوَالِد والأخ وغَاسِلَهْ وَحَامِلَهُ يا مُدَلِّيْهِ في قَبْرِهِ ورَاحِل عنه ، لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نِمْت على خُشُوْنَةِ الثَّرى ، وبأيِّ خَدَّيْكَ بَدَأ البلى ، يا مُجَاوِرَ الهَلْكَي صِرْتَ في مَحَلَّةِ الموت ، لَيْتَ شِعْري ما الذي يَلْقَانِيْ به مَلَكُ الموتِ عند خُروجِ رُوْحِي مِن الدنيا .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ في الحياةِ الدُّنيا وَفي الآخِرَةِ اللهم وَأَيِّدْنَا بِنَصْرِكَ وَأَرْزِقْنَا مِن فَضلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ يومَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ، واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المسلمينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الراحِمينَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وسَلَّمَ .

٦١ « موعظـة »

عِبَادَ اللّهِ أُوْصِيْكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللّهِ فالْزَمُوْهَا ، وأُحُثُّكُمْ على الأعْمَالِ الصَّالِحَةِ فاغْتَنِمُوْهَا ، إنَّ الزَّمَانَ يَطْوِي بِكُمْ مَسَافَةَ الأعمارِ لا شَكَّ وأَنْتُمْ رَاحِلُونَ عنْ هَذِهِ الدَّارِ فيا مَعْشَرَ الشُّيُوخِ مَاذَا تَنْتَظِرُوْنَ بَعْدَ المَشِيْبِ وَهَلْ بَعْدَهُ إلا المَوْتُ فإنَّ المَوْتَ قَرِيْبٌ إنَّهُ لَيْسَ إلَى البَقَاءِ مِنْ سَبِيْلٍ فَمَاذَا تَزَوَّدْتُم لِلرَّحِيلِ وَيَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ أَنْفَقْتُم غُرَرَ الأعْمَارِ عِنْدَ المِذيَاعِ والكُرَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وعَنْ الصَّلاةِ ويَا مَعْشَرَ التُّجَارِ لَقَدْ ضَاعَتْ أعْمَارُكُمْ فِي آلْوَوكَمْ رَبِحَ فُلانٌ وَكَمْ بِيْعَ البَيْتُ الفُلانِيُّ والأرْضُ الفُلانِيَّةُ وخُذْ هَذِهِ الجَرِيْدَةَ وأَعْطِنِي الأخْرَى أَلَا صَرَفْتُمْ بَعْضَ الوَقْتِ إلى المُسَابَقَةِ إلى غُرَفِ الجَنَّةِ وأَرَاضِيْهَا وأنْفَقْتُمْ بَعْضَ مَا وَهَبَكُمْ اللّهُ مِنَ المَكَاسِبِ إلى مَا يُرْضِي اللّهَ مِنْ تَفَقُّدِ الفُقَرَاءِ الَّذِيْنَ لَيْسَ لَهُمْ مَوَارِدُ لا قَلِيْلَةٌ وَلَا كَثِيْرَةٌ مِمَّنْ

يَسْتَعِيْنُونَ بِها عَلَى طَاعَةِ اللّهِ ومِن مَسَاجِدَ تَحْتَاجُ إلى تَرْمِيْمٍ أو فُرُشٍ وإلَى إنْشَاءِ مَسَاجِدَ عِنْدَ مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ مِنْهَا أَوْ إلى طِبَاعَةِ مَصَاحِفَ طِبَاعَةً جَيِّدةً فتُوزِعُوْهَا عَلَى التالِينَ لِلْقُرْآنِ آنَاءَ اللَّيْلِ والنَّهارِ أَوْ طَبْعِ كُتُبٍ دِيْنِيَّةٍ فِيها تَقْوِيَةٍ لِلشَّرِيْعَةِ ونَشْرٍ لِمَحاسِنِ الإسلامِ كَكُتُبِ شَيْخِ الإِسْلامِ بنِ تَيْمِيَّةَ وتِلْمِيْذِهِ بْنِ القَيِّم وابنِ رَجَب وابنِ مُفْلِحٍ وابنِ كَثِيْرٍ والمُوفق والمَجْدِ والشَّيخِ المُجدِّدِ الشَّيخِ مُحَمَّد بنِ عبْدِ الوهاب ونَحْوِهِمْ مِنَ العُلَمَاءِ العَامِلِينَ بعِلْمِهِمْ المُصْلِحينَ المُخْلِصِيْنَ الَّذينَ لا تَأْخُذُهُم في اللّهِ لَومةَ لائـم نَسأَلُ اللّهَ أنْ يُيَسِّرَ لنا في هَذا الزّمان أمثالَهم لنَصْرِ دينه إنّهُ القَادِرُ على ذَلِك .

شعرا :

الـمَـالُ يَـذْهَـبُ حِـلُّهُ وَحَـرَامُـهُ
طُـرّاً وتَـبْـقَـى فـي غَـدٍ آثَـامُـهُ
لَـيْسَ الـتَّـقِـيُّ بـمُـتَّـقٍ لإلاهِـهِ
حَتَّى يَـطِيبُ شَـرَابُـهُ وطَعَـامُـهُ
وَيَـطِيبُ مَـا يَحْـوِي ويَكْسِبُ كَفُّهُ
ويَكُـوْنُ فِي حُسْنِ الحَدِيْثِ كَـلاَمُهُ
نَـطَقَ الـنَّبِيُّ لَنَـا بِـهِ عَـنْ رَبِّـهِ
فَـعَلى الـنَّبِـيِّ صَـلاَتُـهُ وَسَـلاَمُـهُ

اللّهُمّ طهِّرْ قُلوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وعَمَلَنَا مِنَ الرِّياء وطَهِّر مَكْسَبَنا مِنَ الرِّبَا وألْسُنَنَا مِنَ الكَذِب وَوَفِّقْنا لِمَصالِحِنَا واعصِمْنا عن ذُنوبنا وقبائحنا ولا تؤاخذنا بِما انطَوَتْ عَلَيْهِ ضمائِرُنا وأكنته سرائرنا مِن أنواعِ القبائح والمعائب واغفر لنا

وَلِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلى اللهُ عَلى مُحمدٍ وعَلى آلهِ وَصَحْبِه أجْمَعِيْنَ .

٦٢ خطبة في (شؤم المعاصي وخطرها)

الحمد لله كتب العزة والكرامة لمن أطاعه . وقضى بالذل والهوان على من عصاه نحمده سبحانه ونشكره لا رب لنا سواه ولا نعبد إلا إياه . ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، العالم بما في الكون من حوادث وخطوب وبما ألم بالمسلمين من شدائد وكروب ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وبارك عليه وعلى آله وصحبه وكل من سار على نهجه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد فيقول الله سبحانه وتعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) عباد الله اتقوا الله واحذروا وخافوا ما أنذرتكم منه . هذه الآية اذ هي نص صريح بأن الله لا يؤاخذ قوماً الا بما كسبت أيديهم فلا يغير تعالى ما بهم من نعمة بنقمة أو عافية ببلاء أو أمن بخوف أو سرور بحزن أو غنى بفقر حتى يغيروا ما بأنفسهم فيقابل الشكر بالكفران والطاعة بالعصيان تلكم سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً . أيها المسلمون يظهر لنا جلياً مصداق الآية الكريمة وشاهدها من التأمل في ماضي المسلمين الوضاء وحاضرهم المظلم وما طرأ عليه من تحول فظيع لما أن غيروا وتهاونوا بحرمات الله ففي

الماضي إبان أن كانت الأمة الاسلامية صادقة في دعوتها ، متمسكة بكتاب ربها عاملة بسنة نبيها صحيحة العقائد كريمة الأخلاق حسنة المعاملة بصيرة في دينها ودنياها كانت مهابة ، قوية الشوكة ، عظيمة الجانب ، صاحبة السلطة ، تغزو القلوب قبل الأجسام يقول سبحانه : (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب)ويقول ﷺ نصرت بالرعب مسيرة شهر . وبعد أن وهن المسلمون وضعفوا وفتنوا أو معظمهم ، بزخارف الدنيا وساروا وراء أطماعهم الخاصة واتبعوا شهواتهم وأهواءهم وغاروا لأنفسهم ولم يغاروا لحرمات الله والتمسوا الأعذار للمخلوقين ونسوا أو تناسوا مسؤولية رب العالمين . بعد أن وجد فيهم ذلكم سافراً أعذر الله فيهم فسلط عليهم ذلاً لا ينزعه حتى يرجعوا الى دينهم وتداعت عليهم الأمم من كل حدب وصوب حتى أصبحوا خائفين بعد أن كانوا مخوفين ، ومغزيين بعد أن كانوا غازين ، وهائبين بعد أن كانوا مهيبين فلا حول ولا قوة إلا بالله . روى الامام أحمد عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها قلنا يارسول الله أمن قلة بنا يومئذ قال أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قالوا وماالوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت . وماذلكم يا عباد الله إلا شؤم المعاصي وثمرات الذنوب التي أفقدتنا أعظم عدة وأنكى سلاح وهو

غزو القلوب (إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون) فهم ذلكم عقلاء الاسلام فحذروه كل الحذر . روى الامام أحمد رحمه الله عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال لما فتحت قبرص وفرق بين أهلها فبكى بعضهم الى بعض فرأيت أبا الدرداء جالساً يبكي فقلت يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله فقال ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا الى ما ترى .

عباد الله . حذار أن تستهينوا بمحارم الله ومعاصيه فان لها حامياً غيوراً يراقب السر والجهر ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . فحذار من معاصيه فانكم بارتكابها تؤججون نار إحراقكم وتحفرون الهوى السحيقة لأنفسكم فقد أخبر القرآن الكريم عن مصير العصاة وما لاقوه من نتائج وخيمة في العاجل والآجل فما الذي يا عباد الله أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم الى دار الأحزان والآلام إلا شؤم أكلة واحدة نهيا عنها وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وصيره طريداً مصدراً لكل شقاء إلا تكبره وامتناعه من الاتيان بسجدة واحدة وما الذي أغرق أهل الأرض حتى علا الماء رؤوس الجبال وسلط الريح العقيم على قوم عاد وأرسل على قوم ثمود الصيحة حتي قطعت قلوبهم في أجوافهم وما الذي رفع قوم لوط حتى سمع أهل السماء صوت كلابهم ثم قلبها عليهم وما الذي خسف الارض بقارون وأغرق فرعون وهامان وجنودهما ما الذي أطاح بعروش

كثيرة أضحى أهلها بعد العز ألعوبة في يد الطغاة إلا شؤم ذنوبهم وما ذكر الله أولئكم في كتابه الكريم إلا ليخوفنا وينذرناويحذرنا مما حل بهم . فحذار عباد الله من معاصي الله فانها شهوة قصيرة عاجلة تعقبها حسرة دائمة ونار حامية . حذار فقد وضح السبيل ولن ينفع عند الله ملفق الأعذار ولا التأويل . نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وجعلنا من أهله . أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

٦٣ خُطبة في (فضل الشهادة بالحق)

وضَرَر كِتمهَا ــ وخطر شهادة الزور

الحمد لله الخبير فلا تخفى عليه خافية يعلم ما توسوس به نفس المرء وما ينطق به سراً او علانية . أحمده سبحانه امرنا بحفظ السنتنا عن قول الزور والفحشاء وأسأله التوفيق لقول الحق في السراء والضراء واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله بشر الصادقين بجنات تجري من تحتها الانهار . وآذن الكاذبين بسوء العاقبة والنار والدمار . صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه اهل الصدق في الاقوال والافعال والبعد عن الزيغ والضلال وسلم تسليما كثيراً

اما بعد فيا ايها المسلمون اتقوا الله واسمعوا قوله سبحانه بآذان

مصغية وقلوب واعية تنشد الحق لتتبعه يقول جل من قائل (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما) عباد الله هاهو جل وعلا امركم بالقسط الذي هو العدل وبأن تكون شهادتكم بحق لشخص او عليه مراداً بها وجه الله سبحانه . أمركم بالاتيان بالشهادة على وجهها من غير التواء او تأويل (ومن يطع الله فقد وقع أجره على الله) فتحروا رحمكم الله في شهاداتكم واقوالكم الحق الذي لاغبار عليه فبشهادة الحق اثبات الحقوق وتوطيد دعائم الأمن واياكم وتحكيم عاطفة القرابة في الشهادة . اياكم والميل الى غني لغناه او فقير رحمة به فالله أولى بعباده منكم فقد تظنون أن الشهادة بالحق عليهم نقمة وهي في باطن الأمر نعمة .

عباد الله ان الشهادة بالحق لا يؤديها الا نفوس علوية متنزهة عن ان تريد بها الدنيا وحطامها الفاني نفوس متطلعة الى الفردوس الى الرحيق المختوم الذي ختامه مسك فاستسيغوا رحمكم الله في ادائها كل مرارةو استسهلوا كل صعب سواء كان سيراً الى الحاكم أو انتظاراً أو كان في ذلك اغضاب لأحد في تأخركم عن أداء شهادة بحق تعلمونه إثم كبير والله يقول (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه) وان القلب يا عباد الله مصدر الفساد والصلاح فاذا أثم القلب فماذا يبقى بعد ذلك فلا تكتموها ففي كتمانها شر على بني الانسانية التي أمرتم بجلب الخير لهم ودفع الشر عنهم

عباد الله اذا كان كتم الشهادة فيه ضرر على البشرية واختلال لنظامها فهناك ما هو اشد منه اثما واكبر خطراً وما ادراكم ماهو ،هو الجريمة العظمى والطامة الكبرى شهادة الزور التي كادت تعدل الاشراك بالله شهادة الزور التي تهددنا في أموالنا ودمائنا وأمننا تللكم التي أخربت بيوتاً عامرة وأزهقت أرواحاً بريئة وأهدرت حقوقاً واضحة فافشت في أمة الاوسادت فيها الفوضى وتحكمت فيها الأهواء لذا وغيره من أضراره الخطرة حذرنا الرسول ﷺ منها بقوله ألا انبئكم بأكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس يقول الراوي كان كان متكئاً فجلس ثم قال وشهادة الزور وقول الزور وما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت . فحذار معشر المسلمين من شهادة الزور وقوله فان فيها اساءة على قضاة المسلمين بتلبيس الحق عليهم فيها إساءة الى المشهود له بمساعدته على الاثم والعدوان . فيها إساءة إلى من حرمه حقه بشهادته وخذله في حين حاجته إلى نصرته فليتق الله شاهد الزور وقائل الزور وليتب الى الله قبل ان يوقف بين يدي احكم الحاكمين واعدل العادلين الذي سيقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء . ليتب الى الله قبل ان يساق الى جهنم مع المجرمين فوالله لو علم ما اعد الله له من الخزي العاجل والعذاب الاليم في الآخرة لتمنى ان لسانه قطع قبل ان ينطق بشهادة زور او كلمة زور فاتقوا الله ايها المسلمون (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً). نفعني الله واياكم بهدي كتابه اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم

ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه انه هوالغفورالرحيم

خُطبَة في (اكلُ الأَموالِ بالباطلِ ــ وَخَطَرُ الرُّشوة)

الحمد لله الهادي الى سبيل الرشاد . احمده تعالى واعوذ به من مفاتن الدنيا ونزعات الفساد . واشكره واسأله التوفيق المتواصل والسداد . واشهد ان لا إله الا الله وحده لاشريك له. امرنا بالاكل من طيبات الاموال . ونهانا عن كل ما فيه خطر على كياننا من الاعمال . واشهد انسيدناونبينا محمداً عبدهورسولهصلى اللهوباركعليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

اما بعد فياعباد الله الي بالآذان المفتحة والقلوب الواعية الي لنتعقل ونتفهم الوحي السماوي الذي جاء بما يكفل سعادة الفرد والمجموع جاء بما ان تمسكنا به لن نضل ابداً .جاء بمايقوي الروابط ويحفظ الصلات يقول سبحانه (ولا تأكلواأموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون) عباد الله نهاكم الله في هذه الآية الكريمة عن أن تأكلوا أموالكم أو أن يأكل بعضكم مال بعض بالباطل . وأكله بالباطل أكله من غير الوجه الذي أباحه الاسلام فكلما أنفقه الانسان في حرام أو فيما لا فائدة فيهفهو أكل له بالباطل وما أخذ من انسان بغير وجه شرعي كالزيادة الربوية وأثمان الجزء المغشوش من الأعيان وما كسب بالقمار وما يدفع

للكاهن ومهر البغي والرشوة وما الى ذلك من غلول وشبهه فكل من وصل إليه مال من هذه الطرق يعد آكلا لمال غيره بالباطل وكل من أنفق فيما لا فائدة فيه يعد منفقاً في باطل والباطل هو الزائل الذاهب الذي عاقبته الويل والخسران وما احرى واحق ـ ياعباد الله ـ أهل هذه الجرائم الذين أعرضوا عن هذه التعاليم السماوية الكريمة (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) ما أحقهم بالعذاب الاليم وتصلية الجحيم.

عباد الله إن من أكبر الكبائر أكل الأموال بالباطل وأخبثها أخذ الرشوة أو اعطاءها فذلكم الداء الخطر داء السرطان الذي ماخالط جسما الا وقضى عليه مالم يستأصل فما خالطت الرشوة عملا الا أفسدته ولا نظاماً الا قلبته ولا قلباً أو طريقا منيراً الا أظلمته فما فشت في امة الا وأطاحت بسلطانها ما وجدت في امة الا وحل الغش فيها محل الاخلاص والخيانة محل الامانة ولاغرو فكم لله من ألسنة ناطقة أخرستها وضمائر وأدتها، لذا وغيره من اضرارها السيئة وعواقبها الوخيمة لم يقف النظم القرآني بادخالها في الباطل فقط بل قال بعد ذلك مؤكداً لتحريمها ومحذراً من سوء عاقبتها (وتدلوا بها الى الحكام) أي ولا تدلوا بالأموال الى الحكام. والادلاء المنهي عنه له معنيان احدهما ان الله سبحانه ينهاك ايها المسلم ان تدلي بحجتك الى الحاكم ليحلل لك ماأكلته بالباطل. والحاكم انما يحكم بالظاهر فحكمه لايحرم حلالا في باطن الأمر ولا يحل حراماً يقول رسول الله ﷺ انكم تختصمون الي

فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما اسمع فمن قطعت له من حق اخيه شيئاً فانما اقطع له قطعة من نار فليأخذها او ليدعها . المعنى الثاني للادلاء ان الله سبحانه ينها كم ان تعطوا الحاكم شيئاً من المال ملتمسين بذلكم استمالته في الحكم كي تتوصلوا الى أكل طائفة من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون ما أنتم عليه من باطل وظلم تعلمون أنكم بذلك أسأتم إلى أنفسكم وعرضتموها للعنة الله وغضبه وعقابه يقول رسول الله ﷺ لعن الله الراشي والمرتشي والرائش . وروى الطبراني عن ابن مسعود موقوفا قال الرشاء في الحكم كفر وفيما بين الناس سحت

عباد الله ليست الرشوة المتوعد أهلها بالطرد والابعاد من رحمة الله مقصورة على دفع مال إلى حاكم وشبهه بل كل نفع تقدمه إلى حاكم أو رئيس مصلحة أو مأمور ثغر تقصد بذلك استمالته واستغلال منصبه في باطل فهو رشوة جاء الحديث النبوي مثبتاً إن هدايا العمال غلول استعمل رسول الله ﷺ رجلا على الصدقة يقال له ابن اللتبية فلما قدم على رسول الله ﷺ قال هذا لكم وهذا أهدي الي فغضب رسول الله ﷺ من ذلك وصعد المنبر فقال ما بال احدكم نستعمله فيقول هذا لكم وهذا أهدي إلي هلا قعد احدكم في بيت امه فينظر ماذا يهدى إليه فاتقوا الله عباد الله وتعاونوا على تطهير نفوسكم ومجتمعكم من داء الرشوة فانه مهدر للحقوق معطل للمصالح فحذار منه فان فشوه في أمة مؤذن بهلاكها كيف لا وهي مساعدة على الاثم والعدوان تقدم الجهلاء

وتؤخر الاكفاء ترفع الخامل وتضع المجد العامل فحـذار من الرشى ياعباد الله فإنها فخ المروءة وقبر الامانة والشرف لايقدم عليها الاخائن وضيع دنيء النفس سافل المروءة مساوم في دينه وكرامته . بارك الله لي ولـكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم لما فيه من الآيات والذكر الحكيم اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم

٦٤ موعظة

أَيُّهَا الإِخْوَانُ لَقَدْ ذَهَبَ أَكْثَرُ عَامِكُمْ وَفَاتَ ، وَتَقَضَّتْ أَيَّامُهُ ولَيَالِيهِ وَأَنْتُمْ مُنْهَمِكُونَ في اللَّذَّاتِ ، فَمَا أَسْرَعَ مَا تَصَرَّمَتْ مِنْهُ الأوقَاتُ، وَمَا أَكْثَرَ مَا خَطَبَكُمْ لِسَانُ حَالِهِ بِزَوَاجِرِ العِظَاتِ، وما أَطْوَلَ مَا نَادَى بِكُم مُنَادِي الشَّتَاتِ .

أَبَني أَبِينَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلٍ
أَبَداً غُرَابُ البَيْنِ فِيهَا يَنْعِقُ

فَطُوبَى لِمَنْ تَدَارَكَ الهَفَوَاتِ ، وَبُشْرَى لِمَنْ لاَزَمَ تَقْوَى اللهِ ، وَعَمِلَ بِالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، وَهَنِيئاً لِمَنْ أَذْهَبَ السَّيِّئَاتِ بالحَسَنَاتِ ، وَيَا خَيْبَةَ مَنْ شَغَلَتْهُ المَلاَهِيْ والمُنْكَرَاتِ ، عنْ طَاعَةِ رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ، وَمَا أَعْظَمَ خَسَارَةَ من بَاعَ نَفِيسَ آخِرَتِهِ بِخَسِيسِ دُنْيَاهُ ، وَحَسْرَةً لَهُ يَوْمَ ﴿ تَقُولُ نَفْسٌ يا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ في جَنْبِ اللهِ ﴾ وَتَعْسا وَجَدْعاً لَهُ ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ :

عِبَادَ اللّهِ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُ المَوْتِ وأَحْوَالِ المَيِّتِ في سَكَرَاتِهِ وَفِتْنَةِ القَبْرِ وسُؤالِ مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ وعَذَابِ القَبْرِ ونَعِيمِهِ وَخَطَرِ مَنْ كَانَ مَسْخُوطاً عَلَيْهِ وأَعْظَمُ

مِن ذلِكَ الأَخْطَارُ الَّتِيْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ نَفْخِ الصُّوْرِ والبَعْثِ والنُّشُوْرِ والعَرْضِ عَلَى الجَبَّارِ وَالسُّؤالِ عن الدَّقِيْقِ وَالجَلِيْلِ ونَصْبِ المِيْزَانِ لِمَعْرِفَةِ المَقَادِيرِ .

ثُمَّ جَوازُ الصِّرَاطِ مَعَ دِقَّتِهِ وَحَدَّتِهِ ثُمَّ انْتِظَارُ النِّدَاءِ عِنْدَ فَصْلِ القَضَاءِ إمَّا بالإسْعَادِ وإمَّا بالإشْقاء فَهَذِهِ أحْوالٌ وأهْوَالٌ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا ثُمَّ الإِيْمَانُ بِهَا عَلى سَبِيْلِ الجَزْمِ والتَّصْدِيْقِ ثُمَّ تَطْوِيلُ الفِكْرِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ الَّذي مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ ألفَ سَنَةٍ .

كَمَا جَاءَ في الكِتَابِ والسُّنَّةِ يَجْمَعُ اللّهُ فِيهِ الأوَّلِيْن والآخِرِيْنَ في صَعِيْدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمْ الدَّاعِيْ وَيَنْفُذُهُمْ البَصَرُ لا يَغِيْبُ مِنْهُمْ أحَدٌ وتَدْنُوْ مِنْهُم الشَّمْسُ ويُلْجِمُهُمُ العَرَقُ هَذا اليَوْمُ هُوَ اليَوْمُ الَّذي تَذْهَلُ فِيهِ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَنْ مَا أرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ولَكِنَّ عَذَابَ اللّهِ شَدِيد » .

فِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَبْلُغُ الأَمْرُ مِن الحَيْرَةِ والدَّهْشَةِ والاضْطِرَابِ والذُّهُولُ أنْ تَذْهَلَ المُرْضِعَةُ عن وَلَدِهَا الَّذي فَمُهُ في ثَدْيِهَا وَهُوَ أعزُّ شَيْءٍ لَدَيْهَا فَكَيْفَ بالذُّهُوْلِ عَمَّا سِوَاهُ وتسْقِطُ الحَوامِلُ مِنَ الفَزَعِ وَالرُّعْبِ والرَّوْعِ مَا فِي بُطُونِهَا مِن الأَجِنَّةِ قَبْلَ التَّمَامِ وتَرَى النَّاسَ كَأَنَّهُمْ سُكَارَى مِن شِدَّةِ الرَّوْعِ والفَزَعِ والخَوْفِ الَّذي صَيَّرَ مَنْ رَآهُمْ يُشَبِّهُهُمْ بالسُّكَارَى لِذَهَابِ عُقُوْلِهِمْ مِن شِدَّةِ الخَوْفِ كَمَا يَذْهَبُ عَقْلُ السَّكْرانِ مِن الشَّرَابِ « يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ تَكُونُ الأرْضُ كالسَّفِيْنَةِ في البَحْرِ عِنْدَ اضْطِـراب الأمْوَاجِ تكَفأُ بأهْلِهَا .

فَيمِيْدُ النّاسُ عَلَى ظَهْرِهَا وَيَتَسَاقَطُونَ مِنْ شِدَّةِ الأَمْرِ وبُلُوغِهِ أقْصَى الغَايَاتِ وَلِهَذا أذْهَلَ العُقُولَ وأذْهَبَ التَّمْيِيز والفِكْرَ والصَّحْوَ إنَّهُ يَوْمُ القِيَامَةِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا وأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَها﴾ .

إِنَّهَا لَهَزَّةٌ عَنِيْفَةٌ لِلْقُلُوبِ الغَافِلَةِ حَيْثُ تَرْجُفُ الأَرْضَ الثَّابِتَةُ ارْتِجَافاً وتَزَلْزَلُ زِلْزَالاً وَتَنْفُضُ ما فِي جَوْفِهَا نَفْضاً وَتُخْرِجُ مَا يُثْقِلُهَا مِن أَجْسَادٍ وَنُقُوْدٍ وَغَيْرِهَا مِمَّا حَمَلَتْهُ طَوِيْلاً وَهُوَ مَشْهَدٌ يَهُزُّ كُلَّ شَيْءٍ ثَابِتٍ والأَرْضُ تَهْتَزُّوالسَّمَاءِ تَمُوْرُ .

إِنَّهُ لَمَشْهَدٌ مُجَرَّدُ تَصَوُّرِهِ ، يَخْلَعُ القُلُوْبَ يَرَى الإِنْسَانُ مَا لاَ يَعْهَدُ وَيُوَاجِهُ مَا لاَ يُدْرِكُ وَيَشْهَدُ مَا لاَ يَمْلِكُ الصَّبْرَ أَمَامَهُ وَلاَ السُّكُوتَ عَنْهُ ﴿وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ ما الَّذِي يُزَلْزِلُهَا هَكَذا وَيَرُجُّهَا رَجّاً .

وكَأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ مَا نَزَلَ يَتَمَايَلُ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ وَيَتَشَبَّثُ وَيُحَاوِلُ أَنْ يُمْسِكَ بِشَيْءٍ لَعَلَّهُ يَثْبُتُ لأَنَّ كُلَّ مَا حَوْلَهُ يَمُوْرُ مَوْراً شَدِيْداً قَدْ إِمْتَلأَ مِنَ الرُّعْبِ والفَزَعِ وَالدَّهْشَةِ والعَجَبِ .

يَرَى الجِبَالَ وَهِيَ تَسِيْرُ وإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ ، هَذِهِ الجِبَالُ وَقَدْ نُسِفَتْ وبُسَّتْ وَرَاءهَا ذَرَّاتٍ في الهَوَاءِ ﴿وَبُسَّتِ الجبالُ بَسّاً فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عنْ الجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفا ، وسُيِّرَتِ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا » .

هٰذِهِ تُصَرِّحُ وَتُشِيْرُ إلى حَدَثٍ عَظِيمٍ تَتَزَلْزَلُ مِنْهُ الجِبَالُ وَتَذْهَبُ هَبَاءً يَتَلاَشى ثَبَاتُهَا وَرُسُوخُها واسْتِقْرَارُهَا وَتَمَاسُكُهَا والإِنْسَانُ يَنْظُرُ وَلاَ يَكَادُ يَلْتَقِطُ أَنْفَاسَهُ ﴿إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كاظِمِيْن﴾ .

هُنَا يُشَاهِدُ وَيُوَاجِهُ الحَشْرَ والحِسَابَ والوَزْنَ والجَزَاءَ وَيقِفُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ والملائِكَةُ صَفّاً بَيْنَ يَدَيْ الرَّحْمَنِ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوْحُ والملائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحمن وقال صواباً﴾ « ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوْعٌ لَهُ

النَاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ يَوْمَ يأتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاّ بإذْنِهِ » ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ والملكُ صَفّاً صَفّاً﴾ .

وَمَوْقِفُ هَؤُلاءِ المُقَرَّبِيْنَ صامِتِيْنَ خَاشِعِيْنَ خَاضِعِيْنَ لِعَظَمَةِ اللّهِ ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتِ للرّحمَنِ فلاَ تَسْمَعُ إلاّ هَمْسا﴾ وَعَنَتِ الوُجُوْهُ لِلْحَي القَيُّوْمُ وَقَدْ خَابَ مَن حَمَلَ ظُلْمَا » .

مَوْقِفُهُمْ هَكَذا صَامِتِيْنَ لاَ يَتَكَلَّمُوْنَ إلاّ بإذْنٍ مِن الرّحْمَنِ يُلْقِي فِي النَّفْسِ الرَّهْبَةَ والرُّعْبَ والفَزَعَ مِن ذَلِكَ اليَوْمِ العَظِيْمِ الّذي يَنْكَشِفُ فِيْهِ كُلّ مَسْتُوْرٍ وَيُعْلِمُ فِيْهِ كُلُّ مَجْهُوْلٍ .

وَتَقِفُ فِيْهِ النَّفْسُ أمامَ مَا أَحْضَرَتْ مِن الرَّصِيْدِ والزَّادِ فِي مَوْقِفِ الفَصْلِ والحِسَابِ ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوْ كُلُّ نَفْسٍ مَا اسْلَفَتْ﴾ « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوْءٍ تَودُّ لَو أنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أمداً بَعِيْداً » يَوْمَ يَنْظُرُ المرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِيْهِمُ اللّهُ دِيْنَهُمُ الحَقَّ﴾ .

فِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَكُونُ التَغَيُّرُ العَظِيْمُ الشَّامِلُ لِلْمَعْهُوْدَاتِ السّمواتِ والأَرْضِ الشَّمْسُ مُكَوَّرَةٌ وَالنُّجُوْمُ مُنْكَدِرَةٌ والسَّمَاءُ مُنْشَقَّةٌ والوُحُوشُ النَّافِرَةُ مَحْشُوْرَةٌ والأَنْعَامُ والطُّيُورُ والعِشَارُ مُعَطَّلَةٌ ﴿فإذَا بَرِقَ البَصَرُ وَخَسَفَ القَمَر وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ يَقُولُ الإنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أيْنَ المَفر﴾ ﴿إذا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وإِذَا الكَواكِبُ انْتَثَرَتْ وإذا البِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالغَمَامِ ونُزِّلَ المَلاَئِكَةُ تَنْزِيلا﴾ ﴿فإذا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كالدِّهَانِ﴾ .

هَذِهِ الآياتُ وأَمْثَالُها تُشِيْرُ إِلَى ذَلِكَ الحَادِثِ الهَائِلِ فِي الكَوْنِ كُلِّهِ وَلاَ يَعْلَمُ حَقِيْقَتَهُ إلاّ اللّهُ إنّهُ حَادِثٌ عَظِيْمٌ تَرْجُفُ الأَرْضُ مِنْهُ وَتَخَافُ وَتَنْهَارُ فَكَيْفَ

بالخَلْقِ الضِّعَافِ المَهَازِيْلِ الّذِينَ تَهُزُّهُمْ الصَّوَاعِقُ هَزّاً وتَخْلَعُ قُلُوبَهُمْ خَلْعا ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُوْنَ إنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلِ الوِلْدَانَ شِيْبًا السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأرْضُ والجِبَالُ وَكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيْباً مَهِيْلاَ﴾ .

وفي وَسَطِ هَذَا الرُّعْبِ والخَوْفِ والقَلَقِ والفَزَعِ والذُّهُوْلِ والانْقِلابِ يتساءلُ الإنْسَانُ المَذْعُوْرُ المَرْعُوْبُ أيْنَ المَفَرُّ وَيَبْدُوْ ذلِكَ في سُؤَالِهِ وَكَأنَّما يَنْظُرُ في كُلِّ اتّجَاهٍ فإذَا هُوَ مَسْدُوْدٌ دُوْنَهُ مأخُوْذٌ عَلَيْهِ وَلاَ مَلْجَأ وَلاَ مَحِيْصَ ولا مَنْفَذَ وَلاَ وِقَايَةَ مِنْ قَهْرِ اللّهِ وأخذِهِ والرُّجْعَةُ إلَيْهِ والمَصِيْرُ والمستقَرُّ عِنْدَهُ ﴿كَلَّا لَا وَزرَ إلى رَبّكَ يَوْمَئِذٍ المُسْتَقَرْ﴾ ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنْسِ إنْ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنفُذُوا مِن أقطارِ السّمواتِ والأرضِ فانفذوا﴾ .

فَفِيْ هَذَا المَوْقِفِ الرَّهِيْبِ يَتَبَيَّنُ عَجْزُ الخَلاَئِقِ وضَعْفُهُمْ وَكَمَالُ سُلْطَانِ اللّهِ وقُدْرَتِهِ ونُفُوذِ مَشِيئَتِهِ ﴿إنَّمَا تُوْعَدُوْنَ لآتٍ وَما أنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ﴾ إنّكُمْ في قَبْضَةِ اللّهِ ﴿مَا مِن دابّةٍ إلاّ هُوَ آخذٌ بِناصِيَتِها﴾ إنّهُ لَيَوْمٌ عَصِيْبٌ وَمَوْقِفٌ رَهِيْبٌ « إنْ كُلُّ مَن فِي السّمَواتِ والأرْضِ إلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً لَقَدْ أحْصَاهُم وعَدَّهُم عَدّا وكُلُّهُم آتِيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْدا » .

فَلاَ مَجَالَ لِهَرَبِ أحدٍ وَلا نِسْيَانَ لأحَدٍ فَعَيْنُ اللّهِ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ وَكلّ فَرْدٍ يَقُوْمُ وَحِيْداً لاَ يَأْنَسُ بأحَدٍ فإذا هُوَ فَرِيْدٌ وَحِيْدٌ أمَامَ الدَّيَّانِ ﴿يَوْمَ تأتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عنْ نَفْسِها﴾ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أخِيْهِ وأمِّهِ وأبِيْهِ وصَاحِبَتِهِ وبَنِيْهِ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأنٌ يغنيه﴾ .

مَشْهَدُ المَرْءِ يَفِرُّ وَيَنْسَلِخُ وَيَهْرَبُ مِنْ أقْرَبِ النَّاسِ إلَيْهِ وألْصَقِهِمْ بِهِ أُولَئِكَ الّذِينَ تَرْبُطُهُمْ بِهِ وَشَائِجُ وَرَوَابِطُ لا تَنْفَصِمُ وَلَكِنْ الصَّاخةُ وَالطَّامَةُ تُمَزِّقُ

هَذِهِ الرَّوَابِطِ وتُقَطَّعُ الوَشَائِجَ والصِّلاتِ ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾ .

فَالْهَوْلُ يُفْزِعُ النَّفْسَ ويُقْلِقُهَا وَيفْصِلُهَا مِنْ مُحِيطِهَا وَيَسْتَبِدُّ بِهَا اسْتِبْدَاداً فلِكُلٍّ نَفْسُهُ وَشَأْنُهُ وَلَدَيْهِ الكِفَايَةُ مِنَ الهَمِّ الخَاصِ بِهِ الَّذِي لَا يَدَعُ لَهُ فَضْلَةً مِنْ وَعْيٍ أَوْ جُهْدٍ ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ شَأْنٌ يُغْنِيْهِ﴾ إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظِمِيْنَ) .

فَهَا هِيَ ذِي السَّاعَةِ الَّتِي يَغْفُلُ عَنْهَا الغَافِلُونَ وَيَلْهُوْا عَنْهَا اللَّاهُوْنَ وَيَسْتَعْجِلُ بِهَا المُسْتَعْجِلُون ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِيْنَ آمَنُوا مُشْفِقُوْنَ مِنْهَا وَيَعْلَمُوْنَ أَنَّهَا الحَقُّ﴾ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَلْبِسُ المُجْرِمُوْنَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كافِرِيْنَ﴾ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُوْنَ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي العَذَابِ مُحْضَرُوْنَ﴾ .

وَهَؤُلَاءِ المُجْرِمُونَ حَائِرِيْنَ يَائِسِينَ لَا أَمَلَ فِي النَّجَاةِ وَلَا رَجَاءَ وَلَا خَلَاصَ بَلْ قَدْ أَيْقَنُوْا فِي العَطَبِ ﴿وَرَأَى المُجْرِمُوْنَ النَّارَ فَظَنُّوْا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوْهَا وَلَمْ يَجِدُوْا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ المُجْرِمُوْنَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ . رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوْقِنُون﴾ .

هُنَا يَعْتَرِفُوْنَ بِالخَطِيْئَةِ وَيُقِرُّوْنَ بِالحَقِّ الَّذِي جَحَدُوْهُ بِالدُّنْيَا وَيُعْلِنُوْنَ اليَقِيْنَ بِمَا شَكُوْا فِيْهِ وَيَطْلُبُوْنَ العَوْدَةَ إلى الدُّنْيَا لإِصْلَاحِ مَا فَاتَ فِي الدُّنْيا وَمَنْظَرُهُمْ إِذْ ذَاكَ مُفْزِعٌ مُخِيْفٌ وَهُمْ نَاكِسُوا الرُّؤُوسِ خَجَلًا وخِزْياً .

فَالأَمْرُ أَمْرٌ فَظِيْعٌ وَالحَالُ مُزْعِجَةٌ أَقْوَاماً حَاسِرِيْنَ مَكْرُوْبِيْنَ وَسُؤَالٌ غَيْرُ

مُجَاب لِفَواتِ وَقْتِ الإمْهَالِ ﴿وَقَالُوْا آمَنَّا بِهِ وأَنَّى لَهُمْ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيْدٍ﴾ .

فَيَا عِبَادَ اللّهِ انْتَبِهُوْا مِنْ رَقْدَتِكُمْ واسْتَدْرِكُوْا بَقِيَّةَ أَعْمَارِكُمْ وَاحْذَرُوْا الإنْهِمَاكَ فِي دَارِ الغُرُوْرِ فَالوَيْلُ كُلَّ الوَيْلِ لَكُمْ إِنْ أَدْرَكَكُم المَوْتُ وَأَنْتُمْ عَلَى هَذِهِ الحَالَة ، زَيَّنْتُمُ الفُلَلَ وَالقُصُوْرُ وَنَسِيْتُمُ القُبُوْرَ ، اذْكُرُوْا القَبْرَ وَظُلْمَتَهُ وَوَحْشَتَهُ وَالمَوْتَ وَسَكْرَتَهُ وَالمِيْزَانَ وخِفَّتَهُ أَوْ رَجْحَتَهُ والكِتَابَ وأَخْذَتَهُ وَالصِّرَاطَ وَدِقَّتَهُ ، وَالمَوْتَ ، سَكْرَةٌ فِي سَكْرَةٍ وَحَيْرَةٌ فِي حَيْرَةٍ وَجَذْبَةٌ يَا لَهَا مِنْ جَذْبَةٍ وَكُرْبَةٌ يَا لَهَا مِنْ كُرْبَةٍ فَالمِسْكِيْنُ يُكابِدُ غُصَصَ المَنُوْنِ دَاهِشَ العَقْلِ كالمَحْزُوْنِ .

فاللّهَ اللّهَ عِبَادَ اللّهِ أَفِيْقُوْا مِنْ سَكَرَاتِكُمْ وانْتَبِهُوْا مِنْ نَوْمَاتِكُمْ واسْتَيْقِظُوا مِنْ غَفَلاتِكُمْ قَبْلَ مُفَاجَأةِ المَنِيَّةِ وحُلُولِ الرَّزِيَّةِ وَوُقُوعِ البَلِيَّةِ حَيْثُ لا مَالَ وَلاَ وَلَدَ نَافِعٌ وَلاَ حَمِيْمَ شَافِعٌ وَلاَ فَرَحَ وَاقِعٌ وَلاَ رَجَاءَ طَامِعٌ وَلاَ حَسَنَةٌ تُزَادُ وَلاَ سَيِّئَةٌ تُحْذَفُ ولاَ حَيَاةَ تُعَادُ وَيُزَوِّدُكَ أَحْبَابُكَ بالحَزَنِ عَلَيْكَ وَالبُكَاءِ فَلاَ عَثْرَةٌ تُقَالُ وَلاَ رَجْعَةَ تُنَالُ .

اللهم يَا مُصْلِحَ الصَّالِحِيْنَ أَصْلِحْ فَسَادَ قُلُوْبِنَا واسْتُرْ في الدُنْيا والآخِرَة عُيُوْبَنَا واغْفِرْ بِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ ذُنُوْبَنَا ، وَهَبْ لَنَا مُوْبِقَاتِ الجَرَائِرِ واسْتُرْ عَلَيْنَا يَا مَوْلاَنَا فَاضِحَاتِ السرائر ، ولا تُخْلِنَا في مَوْقِفِ القِيَامَةِ من بَرْدِ عَفوك وَغُفْرَانِك ولا تَتْرُكْنَا مِنْ جَيْلِ صَفْحِكَ وَاحْسانِكَ وآتِنَا في الدُنْيَا حَسَنَةَ وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عذاب النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلوالدينا ولجميع المُسْلِمِيْن بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الراحِمِين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٦٥ « مَوْعِظَةٌ في الحَثِّ عَلى الأقْبَالِ عَلى الآخِرَةِ »

اخْوَانِي أَيْنَ رُفقَاؤُنَا وَاخْوَانُنَا أَيْنَ ذَهَبَ مَعَارِفُنَا وَجيْرَانُنَا أَيْنَ أَصْدِقَاؤنَا أَيْنَ زُمَلاؤُنا وَأَقْرَانُنَا أَيْنَ عُلَمَاؤُنَا العَامِلُوْنَ بِعِلمهم أَيْنَ آبَاؤُنَا وَأَجْدَادُنَا رَحلُوا وَقَـلَّ والله بَعْدَهُمْ بَقَـاؤُنا. هَـذِهِ مَسَاكِنهُم فِيْهَـا غَيْرُهُمْ قَـدْ نَسِيْنَاهُم وَنَسِيَهُم مُحِبُهم وَجَفَاهُم. أَيْنَ أَصْحَابُ القُصُوْرِ الحَصِيْنَةِ، وَالانْسَابِ العَالِيَةِ الرَّصِيْنَة وَالعُقُولِ الرَّاجِحَةِ الرَّزِيْنةِ، قَبَضَتْ عَلَيْهِمْ يَدُ المنَايَا فظَفِرتْ، وَنُقِلُوا إلَى أجْداثٍ مَا مُهِّدَتْ إذْ حُفِرَتْ وَرَحِلُوا بذُنُوبٍ لا يَدْرُونَ هَلْ غُفِرتْ أو بَقِيَتْ فالصَّحِيْـحُ مِنْهُم بالحَـزَنِ قد سَقِمْ وَالمَـدْعُو إلىَ دَارِ البَلىَ أَسْـرَعَ وَلَمْ يُقِمْ والكتابُ قـد سُطِّرَ بـالذنـوبِ فَرُقِمْ. وَلـذِيْذُ عَيْشِهم بالتَّنْغِيْصِ قَدْ خُتِمَ وفِرَاقُهم لأَحْبَابِهم وَأَمْوَالِهِمْ قد حُتِمَ وَالولدُ قد ذَلَّ وَيَتِمْ، فتَفكّرُوا في القَوْمِ كَيْفَ رَحلُوا، وتَذَكَرُوا دِيَارَهُم أيْنَ نَزَلُوا، وَاسْأَلُوا مَنَازِلهم عَنْهُم مَاذَا فَعَلُوا فانْتَبِهْ مِنْ رُقَادِكَ قبْلَ أنْ تَصِـلَ مَا وَصِلُوا يَا مَنْ غَفَلَ وَسَهَى وَلَهَى وَنَسِيَ المقَابِرَ وَالبِلَى.

٦٦ مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللهِ إنَّ التَّوْبَةَ مِنْ الذُّنُوبِ مِفْتَاحُ السَّعَادَةِ في هَذِهِ الدَّارِ وفي دَارِ القَرَارِ، وَانَّمَا كَانَتْ التَّوْبَةُ كَذَلِكَ لأَنَّ بِهَا يَغْفِرُ اللَّهُ الذُنُوبَ جَمِيْعاً لا فَرْقَ بَيْنَ صِغَارِهَا والكِبَارِ وَلأَنَّ التَّائِبَ إِذَا صَحَّتْ تَوْبَتُهُ بأَنْ اجْتَمَعَتْ شُرُوْطُهَا وَانْتَفَتْ المَوَانِعُ يُصْبِحُ بِالتَّوْبَةِ أَمِيْناً عَلَى دِيْنِهِ لاَ يُخِلُّ بِوَاجِبٍ مِنْ وَاجِبَاتِ الإسْلاَمِ فَتُوبُوا عِبَادَ اللهِ تَوْبَة نَصُوحاً لِتَسْتَنِيْرَ قُلُوبُكُم وَأَبْدَانُكُم بَدَلَ ظُلُمَاتٍ كَانَتْ مُخَيِّمَةً عَلَيْهَا تُثْقِلُكُمْ عَنْ طَاعَةِ مَوْلاَكُمْ وَسَتَجِدُوْنَ بإذْنِ اللهِ انْشِرَاحاً في صُدُوْرِكُمْ بَدَلَ انْقِبَاضِهَا وَضِيْقِهَا فإنَّ الذُنوبَ تُؤثِّرُ عَلى

القُلُوبِ وَالأَبْدَانِ انْقِبَاضاً يَشْتَدُّ عَلَى المُصِرِّ عَلَى الذنُوبِ حَتَّى يَضِيْقَ بِهِ فَسِيْحُ الأَرْجَاءِ وَلَكَ أَيُّهَا التَّائِبُ العَامِلُ بِالطَّاعَاتِ الأَمَلُ القَوِيّ بِتَوَالِيْ الطَّاعَاتِ لأَنَّ الخَيْرَاتِ تُنْتِجُ بِإِذْنِ اللّهِ بَعْضُهَا بَعْضاً وَلَكَ الأَمَلُ القَوِيّ بِأَنْ تَنْقَادَ لَكَ الأَرْزَاقُ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُمْتَنِعَةً فَتُصْبِحُ فِي يُسْرٍ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ فِي اعْسَارٍ وَلَكَ الأَمَلُ فِي أَنْ العَدَاوَاتِ التِيْ كَانَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الخَلْقِ تُصْبِحُ بِإِذْنِ اللَّهِ حبّاً يَلْفِتُ الأَنْظَارَ ذَلِكَ أَنَّ الذُنُوبَ وَالمَعَاصِيْ هِيَ أَسْبَابُ الشُّرُوْرِ وَالعُقُوبَاتِ المُؤْلِمَاتِ وَأَنَّ المَرْءَ بِالتَّوْبَةِ مِنْهَا يُرْضِي بَدِيْعَ الأَرْضِ وَالسَّمواتِ فَتَأَكَّدْ أَيُّهَا الأَخُ أَنَّ التَّوْبَةَ هِيَ اليَنْبُوعُ الفيّاضُ لِكُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلا تَشُكُّ فِي أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُفِيْضُ مِنْ فَضْلِهِ وَجُوْدِهِ مَا يُفِيضُ عَلَى مَنْ أَخْلَصَ العَمَلَ لِجَلاَلِهِ فَتُبْ أَيُّهَا الأَخُ وَاصْدُقْ فِي التَّوْبَةِ وَاسْأَلْهُ أَنْ يُبَلِّغَكَ بِهَا رِضْوَانَهُ وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِنْ حِزْبِهِ المُفْلِحِيْنَ الذِيْنَ ﴿ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فَتَعِيْشُ وَتَمُوتُ وَتُبْعَثُ فِي رِعَايَةِ رَبِّكَ وَلُطْفِهِ وَغَيْرُكَ مِمَّنْ لَمْ يَتُوبُوا فِي اهَانَتِه البَالِغَةِ يَتَقَلَّبُونَ فَعَلَيْكَ بِالاعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَاللَّجَاءِ إِلَيْهِ دَائِماً مُتَضَرِّعاً مُتَمَلِّقاً .

اللهُم اعْمُرْ قُلُوبَنا وَأَلْسِنَتَنا بِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَوَفِّقْنَا للامْتِثَالِ لأَمْرِكَ وَأَمِّنا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكرِكَ واجْعلْنَا مِنْ أَوْلِيَآئِكَ المُتَّقِيْنَ وَحِزْبِكَ المفْلِحِيْنَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٦٧ « مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللهِ تَمُرُّ الحَيَاةُ بِأَحَدِنا وهو مُنْهَمِكٌ في مَلَذَّاتِهِ وَشَهَواتِهِ وَمَطَامِعِهِ ، لا يُفَكِّرُ في مَآلِهِ ولا في يَوْمِ حِسَابِهِ وَكأَنَّهُ خَالِدٌ في الدنيا لا يَمُوتُ أَبَدا ، أو كَأَنَّ عِنْدَهُ يَقِيْنٌ أَنَّهُ لَا يُحَاسَبُ عَلَى مَا جَنَاهُ .

وَمِن العَجِيْبِ أَنَّهُ لَا يَمُرُّ يَوْمٌ بل ولا سَاعَةٌ إلا وفي ذَلِكَ نَذِيْرٌ لابْنِ آدَمَ بالرَّحِيْلِ عن هَذهِ الدَّارِ ، يُشَاهِدُ المَوْتَ يَتَخَطَّفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِ فَلَا يَزْدَجِرُ ، وَتَقُومُ الحَوَادِثُ الجِسَامُ مِن حُرُوبٍ تُفْنِيْ آلافاً مِن البَشَرِ وَتُهَدِّدُ الأَحْيَاءَ بالالْتِحَاقِ بِمَنْ مَاتَ ، وَبِالمَجَاعَاتِ وَالخَرَابِ ، فلا يَتَّعِظُ وَلَا يَعْتَبِرُ .

وَيَرَى الحَرَائِقَ مَا بَينَ آونَةٍ وآوِنَةٍ تُتْلِفُ النُّفُوسَ وَالأَمْوَالَ وَالمَسَاكِنَ ، وَكَيْفَ تَكُونُ حَالَةُ النَّاسِ وَمَطَافِيْهِمْ ، فَلَا يَذْكُرُ جَهَنَّمَ وَأَهْوَالَهَا وَأَنْكَالَهَا وَمَا فِيْهَا مِنْ أَنْوَاعِ العَذَابِ الَّـذِيْ لَا تَصْمُدُ لَهُ الجِبَالُ الصُّمُّ الصِّلَابُ ، قَسَت القُلُوبُ ، وَتَحَجَّرَت الضَّمَائِرُ ، (ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيْ النَّاسِ) (انَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيروا مَا بِأَنْفُسِهِم) .

أَيُّهَا الغَافِلُوْنَ ، دُنْيَاكُم دَارُ غُرُورٍ وَهُمُومٍ وَأَحْزَانٍ ، وَهِيَ بِلَا شَكٍّ فَانِيَةٌ ، وأُخْرَاكُم دَارُ قَرَارٍ بَاقِيَةٌ ، وَأَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ وَالتَّقْوَى مِفْتَاحُ السَّعَادَتَيْنِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالآخرَوِيَّةِ ، ضَمَانٌ ضَمِنَهُ اللهُ لِعَبَادِهِ ، وَوَعْدٌ لا يَتَخَلَّفُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحَاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجزِيَنَّهُم أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

أَمَّا المَعَاصِيْ وَالغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ وَالطُّغْيَانِ ، فَلَيْسَ مِنْ وَرَائِهَا إلاّ ضَنْكُ المَعِيْشَةِ في الدنيا بالهُمُومِ المبَرَّحَةِ وَالأَحْزَانِ المجَرِّحَةِ مَعَ العَذَابِ الأَلِيْمِ

في الآخِرَةِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ الآياتِ .

أَيُّهَا العَاقِلُونَ كُلُّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الغَفْلَةَ تُنْسِي العَبْدَ رَبَّهُ وَآخِرَتَهُ ، وَمَنْ نَسِيَ رَبَّهُ أَنْسَاهُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، قال تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين نَسُوا الله فأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ ، فَلَا تَتَعَرَّضُوا بذَلِكَ لِسَخطِهِ وَكُونُوا دائماً ذَاكِرِينَ لِلْآخِرَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَبْعَثُ عَلَى الخَوْفِ مِن اللَّهِ ، وَمَنْ خَافَ رَبَّهُ اسْتَقَامَ بِأَذْنِ الله ، قَال اللَّهُ تعـالى ﴿ وَأَمّـا مَنْ خَافَ مَقَـامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَىٰ فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَىٰ ﴾ واللَّهُ أعلمُ وصلى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ .

٦٨ موعظـة

رُوِيَ عن عَليّ بن أبي طَالب أنّه قَالَ : لا تكُنْ مِمَّنْ يَرجُو الآخرةَ بغيرِ عَمَلٍ ويُؤخرُ التّوبةَ لِطوُلِ الأَملِ ويقولُ في الدّنيا بِقوْلِ الزّاهِدِينَ ويعملُ فيها عَمَلَ الراغِبينَ إنْ أُعْطِيَ مِنَ الدّنيا لم يَشْبَعْ وإن مُنْعَ منهَا لَمْ يَقْنَعْ ويَأْمرُ النّاسَ بمَا لا يَأتِيْهِ يُحِبُّ الصَّالِحِينَ ولا يَعملُ أعمَالهمْ ويُبغِضُ المُسيئِينَ وهوَ مِنْهمْ يَكرهُ الموْتَ لِكَثْرةِ ذُنوبه ويُقيْمُ علىَ ما يَكرهُ لَهُ المَوْتَ إنْ سَقِمُ ظَلَّ نَادماً وانْ صَحّ أمِنَ لاهِياً يَعجبُ مِن نَفْسِه إذَا عُوفِيَ ويَقنَطُ إِذَا تَغلِبهُ نفْسُهُ على ما يَظُنُّ ولا يَغلِبُهَا على ما يَسْتقِينُ ولا يَثِقُ مِن الرَّزقِ بما ضُمِنَ لهُ ولا يَعْملُ مِن العَمَلِ بمَا فُرِضَ عَلَيْهِ إنْ اسْتغنَى بَطِرَ وانْ افتقرِ قَنِطَ وحَزِنَ فهو منَ الذّنبِ في حَال النِّعمة والمِحْنَة مُوقرٌ ، يَطلبُ الزيادة ولا يَشكرُ ويتكلّفُ مِن الناس مالا يُؤمرُ ويضيّعُ الموتَ ولا يُبادرُ الفَوْتَ يَستكبرُ مِن مَعصيةِ غيرِهِ ما يَسهُلُ أكثرُه مِن نفْسـه . مَزاهرُ اللهْوِ مع الأغْنياءِ أحبُّ إليهِ مِن الذِّكرِ مع الفُقراءِ يَحكمُ على غيرِهِ لِنفسِهِ ولا يَحكمُ عليها

اللّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوْبَنَا بِنُوْرِ الإِيْمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِيْهَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْـرَكَ وَارْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٦٩ مـوعظـة

عِبَادَ اللهِ إِنَّ مِن أَعْجَبِ العَجَبِ أَنْ يَعْصِي الرَّجُلُ مَوْلاَهُ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ عَجَباً لأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَتَيَقَّنُ يَقِيْناً لا شَكَّ فِيْهِ أَنْ مَوْلاَهُ جَلَّ وَعَلاَ يَراهُ ، وَيَعْلَمُ سِرَّهُ وَنَجْواهُ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الانْسَانَ يَسْتَحِيي أَنْ يَفْعَلَ مَا يُغْضِبُ أَخَاهُ وَهُوَ يَراهُ ، مَعَ أَنَّهُ لاَ يَمْلِكُ لَهُ ضَرّاً ولا نَفْعاً فِي هَذِهِ الدَّارِ ، ولا فِي دَارِ القَرارِ ، وإِذَا كَانَ هَذَا حَالُهُ مَعَ هَذَا المَخْلُوقِ فَعَجِيْبٌ جِدّاً أَنْ لاَ يَكُونَ أَشَدَّ احْتِرَاماً وَحَياءً مَعَ فَاطِرِ الأَرْضِ والسَّمواتِ ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الذِي أَوْجَدَ الجَمِيْعَ مِن العَدَمِ وَهُوَ الذِي يَحْفَظُ عَلَيْكَ الحَيَاةَ وَهُوَ الذِيْ أَسْبَغَ عَلَيْكَ النِّعَمَ ظَاهِرَةً وباطِنَةً ، وَأَدَامَ ذَلِكَ عَلَيْكَ وَوَالاَهُ ، وَلَوْ شَآءَ لَسَلَبَكَ كُلَّ نِعْمَةٍ ، وَأَحَلَّ بِكَ كُلَّ نِقْمَةٍ ، وَجَعَلَكَ فِي هَذَا الوُجُوْدِ عِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ ، أَضِفْ إِلى ذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الذِيْ يُمِيْتُكَ ، وَيُعَامِلُكَ فِي قَبْرِكَ بِمَا يُنَاسِبُ مَالَكَ مِن أَعْمَالِ ، وَهُوَ الذِيْ يَبْعَثُكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ، وَيَسُوْقُكَ إِلى ذَلِكَ المَوقِفِ الذِيْ هَوْلَهُ يُشِيْبُ الأَطْفَالَ ، وَهُوَ الذِيْ يُحاسِبُكَ عَلى مَا كَانَ مِنْكَ فِي حَيَاتِكَ الأُوْلَى مِن الأَفْعَالِ ، وهُوَ الذِيْ يَأْمُرُ بِكَ إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ وَإِمَّا إِلى النارِ ، نَعَمْ إِنَّهُ مِن أَعجَبِ العَجَبِ أَنْ يُجَاهِرَ المُؤْمِنُ رَبَّهُ بِالمَعْصِيَةِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَالِكُ دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ ، إِنَ البُرْهَانَ الذِيْ لا مَغْمَزَ فِيْهِ على أَنَّكَ تَسْتَحِيْي مِن رَبِّكَ أَيُّهَا المُؤْمِنُ ، أَنْ تَكُونَ بَعِيْداً كُلَّ البُعْدِ دَائماً عن مَعَاصِي اللهِ ، فَتَحْبِسْ لِسَانَكَ عن القَذْفِ والكَذبِ والنَّمِيْمَةِ

والغِيْبَةِ ، والخُلْفِ في الوَعْـدِ ، وعن المِرَاءِ وَالجِـدالِ والاَسْتِهْزَاءِ ، والسُّخْرِيَّةِ بالناسِ ، واللَّعْنِ والفُحْشِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُحَرَّمٌ شَرْعاً أَوْ مَكْرُوْهٌ ، لأَنَّ اللِّسَانَ إِنَّمَا خُلِقَ لِتِلاَوَةِ كِتَابِ اللهِ وَذِكْرِهِ ، وَلِتُرْشِدَ بِهِ خَلْقَ اللهِ ، وَتُظْهِرَ بِهِ مَا فِي ضَمِيْرِكَ مِنْ حَاجَاتِ دِيْنِكَ وَدُنْيَاكَ ، وَتُدَافِعَ بِهِ عَنْ دِيْنِكَ وَنَفْسِكَ وَأَهْلِكَ ، فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ في غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ كَانَ وَبَالاً عَلَيْكَ ، وَتَحْبِسُ عَيْنَكَ ، لأَنَّها إِنَّمَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَهْتَدِي في الظلماتِ ، وَتَسْتَعِيْنُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ الحاجاتِ ، وَتَنْظُرُ بِهَا بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ الى عَجَائِبِ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَتَعْتَبِرَ بِمَا فِيْهَـا مِنْ الآيَاتِ البَـاهِرَاتِ ؛ فاحْفَظْهَا عنْ النَّظَرِ إِلَى المُحَرَّماتِ ، مِنْ نَظَرٍ إِلَى غَيْرِ مَحْرَمٍ مِنْ النِّسَاءِ ، أَوْ إِلى مُسْلِمٍ بِعَيْنِ الاحْتِقَارِ والازدِرَاءِ ، أَوْ إِلَى تِلْفِزْيُونٍ أو الى سِيْنَماءِ ، أو الى صُورَةٍ مَلِيْحَةٍ بِشَهْوَةٍ ، أو تَطَّلِعَ بِهَا على عَيْبِ مُسْلِم ، أو الى بَيْتِ جَارٍ أو غَيْرِ جَارٍ مِمَّنْ لا يَرْضَى بِذَلِكَ ، أو نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ المُحَرَّمَاتِ .

وَأَمَّا الأُذُنُ فَاحْفَظْهَا عَنْ أَنْ تُصْغِيْ بِهَا إِلَى اسْتِمَاعِ المَـلاَهِيْ وَالمُنْكِرَاتِ ، أو إِلَى بِدْعَةٍ أو إِلَى غِيْبَةٍ أَوْ فُحْشٍ ، أو قَذْفِ مُسْلِمٍ أَو حَدِيْثِ قَوْمٍ وَهُمْ لاسْتِمَاعِكَ كَارِهُوْنَ ، أَوْ إِلَى الخَوْضِ بِالبَاطِلِ ، أو ذِكْرِ مَسَاوِيءِ النَّاسِ ، لأَنَّهَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَسْمَعَ بِهَا كلامَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ، وَمَا يَنْفَعُكَ في دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ وَلِتَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى الاسْتِفَادَةِ مِنْ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ ، المُوصِلةِ إِلَى مَرْضَاةِ اللهِ والنَّعِيْمِ المَقِيْمِ ، الدَّائِم في جِوَارِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، فإذا أَصْغَيْتَ بِهَا إِلَى شَيْءٍ مِنْ المُحَـرَّمَاتِ أَوْ المكرُوهَاتِ ، صَارَ ما كانَ لَكَ عَلَيْكَ ، وانقلبَ مَا كَانَ سَبَبَ فَوْزِكَ سَبَبَ هَلاَكِكَ ، وَهَذَا غَايَةُ الخُسْرَانِ ، وَلاَ تَظُنَّ أَنَّ الإِثْمَ يَخْتَصُّ بِهِ القَائِلُ دُوْنَ المُسْتَمِعِ إِلاَّ إِنْ أَنْكَرَ بِلِسَانِهِ ، أَوْ بِقَلْبِهِ انْ خافَ ، وَانْ قَدِرَ عَلَى القِيَام

وَالابْتِعَادِ عَنْهُم ، أَو قَدِرَ عَلَى قطع الكلام بِكلام آخرَ فلمْ يَفْعَلْ فَهُو آثِمٌ ، وَكَذَلِكَ يَكُفُّ البَطْنَ وَالفَرْجَ عَنْ المُحَرَّمَاتِ ، وَاليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ وَحَاسَّةَ الشَّمِّ .

٧٠ في موعظة جليلة

قال بعضُ العلماءِ على قوله تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين نَسوُا الله فأنساهُمْ أنفسَهم أولئكَ همُ الفاسقونَ﴾ .

كَشفتْ لنا هذه الآيةُ الشريفةُ عن سُنةٍ من سُنن الله تعالى : وهي أنّ مَن غَفلَ عن تَذكرُّ الله فَنسِيَهُ والْهتهُ دُنياهُ عن العملِ للدّارِ الأخرةِ أنساهُ الله نفَسَه التي بينَ جنبيهِ فلا يَسعىَ لما فيه نَفعُها ولا يأخِذُ في أسْبابِ سعادتِها وإصلاحِها وما يكمّلُها ولا السّعيُ في ازالةِ عِللها وأمراضِها التي تَؤولُ بها الى الفساد والدّمارِ والهلاكِ وهذا مِنْ أعظمِ العُقوُبةِ لِلْعامّةِ والخاصّةِ فأيُّ عُقُوبةٍ أعظمُ مِن عقُوبةِ مَن أهْملَ نفسَه وضيّعَها ونَسِيَ مَصَالِحَها ودَاءَها ودَوَاءَها وأسبابَ سَعادتِها وصَلاحِها وحَياتِها الأَبَدِيَّة في النَّعِيْمِ المقِيْم .

ومَن تأملَ هذا المَوضِعَ تَبيْنَ لَهُ أنّ أكْثَر هَذَا الخَلْق قَدْ نَسُوا أنْفُسَهُمَ وضَيَّعُوْهَا وأَضَاعُوا حَظَّها مِن اللهِ وباعُوها رَخيْصَةً بثَمَن بَخْس بَيعَ المغْبُوْنِ ويَظْهَرُ ذلكَ عندَ الموتِ ويَتَجَلّى ذلكَ يومَ التغابُن يومَ لا يَنْفَعُ نفساً إيْمَانُها لَمَ تَكُنْ آمنَتْ مِن قبلُ أو كَسَبَتْ في إيمَانِها خَيْراً ، إنهَا لِحَسَرْةٌ على كلّ ذي غَفلةٍ دُونَها كلّ حَسْرَةٍ هؤلاء هِمُ الذينَ اشتروا الضلالةَ بالهدى فما رَبِحتْ تجارتُهم وما كانوا مُهتدينَ .

وأما الرَّابِحُون فهمُ الذينَ أنارَ اللّهُ قُلُوبَهم للْحَقِ فَعَرَفُوا الدُّنْيا

وقِيْمَتها وقالُوا مَا مِقْدَارُ هَذِهِ الدُّنيا من أوَّلِهَا إلى آخِرِها حَتَّى نَبْيعَ حَظّنا مِن اللهِ تَعالى والدّارِ الآخرة بها فكيفَ بِمَا يَنال العَبْدَ منها في هذا الزَّمن القَصِيْرِ الذّي هُوَ في الحَقِيْقَةِ كَغَفْوَةِ حُلْمٍ لا نِسْبة له إلى دَارِ القَرارِ البتّة

قال الله تعالى ﴿ ويَومَ يحشرُهُم كأنْ لم يَلْبَثُوا الا سَاعةً مِن النَهارِ يتعارفُون بينهم ﴾ وقال ﴿ كأنّهم يَـومَ يَرَوْنَهـا لَـمْ يَلْبَثُوا إلّا عشيّـةً أو ضُحاهَا ﴾ هَؤُلاءِ هُمُ الكَيِّسونَ الذين عَلموْا حقيقَةَ الدّنيا كما عَلِمُوا قِلّةَ لُبثِهم فيها وأنّ لهم داراً غيرَ هذه الدارِ دَارُ الحَيوان وَدَارُ البقاءِ اتّجَرُوا تِجَارَة الأكْياسِ ولم يَغْتَرّوا بتجَارة السُّفهاءِ مِن الناس فَظَهَر لهم يومَ التّغابنِ رَبْح تِجَارَتِهم وَمِقْدَار ما اشْتَرَوْا قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدُلكم على تجارةٍ تُنجيكمْ مِن عَذَابٍ أَلِيْم تُؤْمِنونَ باللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدون في سبيل اللهِ بِأمْوَالِكُمْ وَأنْفُسِكُمْ ذَلِكُم خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون ﴾ .

وفي هذا المَعْنَى يَقُول عُمرُ : رضيَ الله عنه إنمَا الدنيا أَملٌ مُخْتَرمٌ أي مُنْتَقَض وبَلاغٌ الى دارٍ غيرها وسَيرٌ إلى المَوْتِ لَيْس فيه تَعْرِيْجٌ فَرحِمَ اللهُ امْرءاً أفكرَ في أمَرِهِ ونَصَحَ لِنَفْسِهِ ورَاقبَ رَبّه واستقالَ ذَنْبَه وتابَ إلى رَبّه إلى أن قال إيّاكم والبطْنةَ فانها مَكْسَلةٌ عن الصَّلاةِ ومَفْسَدَةٌ لِلْجِسْمِ ومُؤَدّيَةٌ لِلسَّقمِ وعَليكمُ بالقَصْدِ في قُوتِكمْ فهو أبعدُ عن السَّرفِ وأَصَحُّ لِلْبَدَنَ وأقْوى على العِبَادَةِ إنَّ العَبْدَ لَنْ يَهْلَكَ حَتَّى يُؤْثر شَهْوَتَهُ على دِيْنِهِ .

ومِن العَجَبِ العُجَاب أنَّ العَبْدَ يَسْعَى بنَفْسِهِ في هَوانِ نفسِهِ وهو يَزعُمُ أنها لَها مُكْرمٌ ويَجْتَهِدُ في حِرْمَانِهَا مِن حُظُوظِها وشرفِها وهو يَزعمُ أنّه يَسْعَى في حِفظِهَا ويَبْذِلُ جُهدَهُ في تَحقِّيْرِهَا وتَصْغِيرهَا وتَدْنِيْسِهَا وهو يَزعِمُ أنّه يَسْعَى في صَلاحِها وكان بَعْضُ السَّلفِ يَقول في خُطبَتِهِ ألا رُبَّ مُهِيْنٌ لِنَفْسِهِ وهو يَزعمُ أنَّهُ مُكْرِمٌ لَهَا ومُذَلّ لِنَفْسِهِ وهو يَزْعُمُ أنه مُراعٍ

لحقِّها وكفى بالمَرءِ جَهْلاً ان يَكُونَ مَعَ عَدوهِ لِنفْسِهِ يَبلغُ منها بفِعلِهِ ما لا يَبْلغُهُ مِنها عَدوُّه .

مـا يَـبْـلُغُ الأَعْـدَاءُ مِـن جَـاهِـلٍ
مـا يَـبْلُغُ الـجَـاهِـلُ مِن نَـفْـسِـهِ

فالعاقِلُ هو الذي يعملُ مُجِداً لآخِرَتِهِ ولا يُنسِيْهُ نَصْيُبه مِن الدنيا حَظَّه مِن الآخِرة عَاملاً بقوله تعالى : ﴿ وابْتغِ فِيْمَا آتاكَ الله الدارَ الآخرةَ ولا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِن الدُنيا ﴾ ولَو أنَه تأَمَّلَ قَليلاً لَوجدَ انّ لَذائِذَ الدُّنياَ مُتولِّدةٌ مِنْ آلاَمِهَا فَمثلاً لَذةُ الطَّعامِ لا تَتحَققُ إلا بألمِ الجوَعِ ولذةُ الشَّرابِ لا بدَّ أنْ يَسبِقَها حُرقَةُ العَطش ولذَةِ النَّوم لا يَجدُ الانْسانُ لها شَوقاً إلَّا بَعْدَ أنَ يُضنِيهِ التَّعبُ الشَّديدُ وَهُنَاكَ نوعٌ آخرُ مِنْ الحِكمةِ غَفلَ عنْهُ الكَثيرونَ مِنَ النَّاسِ وهوَ أنَّها بمثابةِ بَرَاطِيلَ تَحمْلُ الإنْسانَ على قَوامِه وبَقاءِ حَيَاتهِ فَلذَّةُ الطعَامِ تَدفعُه إلى ألاّ يُهمِلَ جِسْمهُ مِن الغِذَاء ولوَلا ما جَعلَ اللَّهِ مِن لَذَةِ النّكاح لا نقرضَ النّوعُ الإنْسانيُّ مِنَ الوُجُودِ ولما وَجدنَا دَابةً تَدُبُّ علَى وَجْه الأَرْضِ ولا طَائِراً يَطيرُ في السّماءِ وكذلكَ فَرْحَةُ الأُمِ بطِفْلِهَا تُنْسِيْهَا آلامَ الحَمْلِ والوَحْم والوِلادةِ والتّعبِ والنَصب والرّضَاع والسّهرِ الطَويل في التمريضَ ممَا يَقُضّ مَضْجعهَا ويُنسيَها نَفسَها فَسُبحانَ الحكيمِ العلَيمِ الذّي خَلَقَ كلَّ شَيءٍ فقدّرهُ تقْديراً ، انتهى بتصرف يسير .

٧١ مـوعظـة

كَتَب الحسنُ الى عُمر بنِ عبدِ العزيز في ذَمِّ الدُّنْيا كِتاباً طَويلاً قال فيه : أمّا بعدُ فإنّ الدُّنيا دَارُ ظَعَنٍ ليْسَتْ بدارِ مُقَامٍ وانّما أُنزلَ اليهَا آدمُ عُقوبةً فاحْذرْهَا يا أَميرَ المؤمنين فانَّ الزّادَ منهَا تَركُها والغِنَى فيها فَقرُهَا تُذلّ من أعزّها وَتُفقرُ منْ جمعها كالسُّمِ يأَكلهُ مَن لا يَعْرِفُهُ وَهُوَ حَتْفهُ

فاحْذرْ هَذِهِ الدّارَ الغرّارةَ الخَتّالةَ الخدّاعةَ وكُن أَسَرَّ ما تَكونُ فِيْهَا أحذَرْ ما تكونُ لهَا ، سُرورُهَا مشُوبٌ بالحُزنِ وَصفوُها مشُوبٌ بالكَدِر فلوْ كان الخَالقُ لم يُخبْره عنْها خَبَرا وَلم يَضْرِبْ لَهَا مَثَلاً لَكُنْتُ قدْ أيقظْتُ النّائمَ ونبّهتُ الغَافلَ فكيفَ وَقَـدْ جَاء مِن اللّهِ عزّ وجلّ عنها زاجرٌ وفيها واعِظٌ فما لَها عندَ اللّه سبحانه قَدْرٌ ولا وَزْنٌ ، ما نَظَرَ إليها مُنذُ خَلقهَا وَلَقَدْ عُرِضَتْ على نبيّنا صلى الله عليه وسلم مَفاتِيحُها وَخَزائنُها لا يَنقصُ عند اللّه جَناحَ بَعُوضةٍ فأَبى انْ يَقبَلَهَا وَكَرِهَ أن يُحبَّ ما أبغضَهُ خَالقهُ أو يَرفَعَ ما وَضَعهُ مليكُه زَواها اللهُ عن الصّالحين اختياراً وَبَسَطَهَا لِأعْدَائِه اغْتِرَاراً أَفَيَظُنُّ المغْرورُ بها أنّه أُكْرِمَ بِهَا وَنَسِيَ ما صَنَعَ اللهُ بمحمدٍ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ حينَ شدَّ على بَطْنِهِ الحَجَرَ ، واللّهِ ما أحدٌ مِن الناس بُسِطَ له في الدُّنيا فَلَمْ يَخَفْ أن يكونَ مَكراً إلا كانَ قَدْ نقص عقْلُه وَعَجزَ رأيهُ وما أمْسَكَ عن عَبدٍ فلم يَظُنّهُ خيراً لهُ فيهَا إلاَّ نَقَصَ عقْلُهُ وَعَجَزَ رأيهُ .

اللّهُمَّ الهمْنا ذكركَ وَشُكرِكَ وأرزقْنا الاستقامةَ طوعَ أمركَ وَتَفضّلْ علينا بعافِيتكَ وجزيلِ عَفوِكَ واغفِر لنا ولوالدِينَا ولجميع المسلمينَ الأحياءِ منهم والميتينَ برحمتكَ يا أرحمَ الراحمين وصلى اللهُ على محمّدٍ وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعين .

٧٢ مـوعظـة

وقال الشّيخُ الواسِطيُّ في بعض رَسائِلهِ : اذا أرادَ اللّهُ بعبدٍ خيراً أقامَ في قلبِهِ شَاهِداً منْ ذكر الآخرة يُريدُ فَناءَ الدّنيا وَزَوالَها وبقاءَ الآخرةِ ودوامها فَيزهّدهُ في الفَاني وَيُرَغّبُهُ في الباقي فَيبدأُ في السّير والسُلوكِ في طريقِ الآخرة وأوّلُ السيرِ فيهَا تَصحيـحُ التَّوبـةِ ، والتّوبـةُ لا تتمُّ إلا

بالمُحاسبةِ ورعَايةِ الجَوارح السّبعةِ ، العينُ والأذنُ واللّسانُ والبَطْنُ والفَرْجُ واليَدُ والرِّجلُ وكفّها عن جميع المحَارم والمكَارِهِ والفضُول هذا أحدُ شَطْرَي الدّين وَيَبْقَى الشّطرُ الآخرُ وهو القيامُ بالأوامِرِ فَتَحْقِيْقُ الشّطرِ الأوّلِ وهو تَركُ المناهِي مِنْ قلبهِ وَقَالبهِ .

أما القَالَب فلا يَعصِي اللّهَ بجَارحةٍ مِن جَوارحهِ ومتَى زلَّ أو أخْطأ تابَ وأما القلبُ فَتُنَقِّي منه المُوبقاتُ المُهلِكاتُ مثلُ الرّياءِ والعجْب والكِبْر والحَسَد والبُغْضِ لِغَيرِ اللّهِ وَحُبُّ الدّنيا وردُّ الحقّ واستثقالِهِ والازْدِرَاءِ بالخَلْقِ وَمَقْتُهم وَغَيرُ ذلك مِن الكَبائِر القَلبيّةِ التي هِي في مُقَابَلَةِ الكَبائِرِ القَالَبيَةِ مِن شُرْبِ الخَمْرِ والزّنَا والقَذْفِ وغيرِ ذلك فهذِهِ كَبَائِرٌ ظاهِرَةٌ وَتِلْكَ كَبَائرٌ بَاطِنةٌ . وكلاهما ضرر .

قال : فَمَنْ انْطَوى على شَيءٍ مِن الكبائرِ البَاطنيّة ولم يَتُبْ حَبِطَ عَمَلُه بدليل لا يدخل الجَنّةَ مَن كان في قلبِهِ مثالُ ذرةٍ مِن كِبَر وجاء إنّ الحسدَ يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ وجاء بقول الله تعالى : ﴿ أنا أغنى الشُّرَكاءِ عن الشركِ مَنْ عمِلَ عملاً فأشركَ مَعِيَ فيه غَيري تَركْتُه وشركَه ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَمن كان يرجو لقاءَ ربه فليعملْ عملاً صالحَاً ولا يشركْ بعبادةِ ربِّـه أحداً ﴾ .

فمتَى تَنقَّى القلبُ مِن مثْلِ هذهِ الخبائثِ والرذَائِل طَهُرَ وَسَكَنتْ فيه الرّحمةُ في مكان البُغضِ والتواضُع في مَقَابلةِ الكِبْر والنّصيحةُ في مُقابلَةِ الغِشِّ والاخلاصُ في مقابلةِ الرِّياءِ ورؤ يةِ المنّةِ في مُقَابَلةِ العُجْب ورؤ يةِ النفس فعندَ ذلكَ تَزْكوا الأَعمَالُ وَتَصْعَدُ إلى اللهِ تعالى وَيَطْهُرُ القلبُ وَيَبْقَى مَحلاً لِنَظَر الحَقِّ بِمَشيْئَةِ الله وَمَعُوْنَتِهِ فهذا أحَدُ شَطريْ الدِين وهو رِعَايَةُ الجَوارحِ السّبعةِ عن المآثم والمحَارم وانما تَصْلُح وَتَطْهُرُ بِرِعَايَةِ

القلبِ وَطَهَارَتِهِ مِن المُوبِقَاتِ والجَرائِمِ وَمَعْنَى المُوبِقاتِ المهلكات أهـ .

وقال ابنُ القيم رحمه اللهُ : والقلوبُ ثلاثةٌ ، قَلبٌ خـالٍ مِن الإيمانِ وجَمِيْعِ الخَيرِ فذلِكَ قَلبٌ مُظلمٌ قد اسْتَراحَ الشيطانُ مِن إلقاءِ الوَسَاوسَ إليه لأنه قد اتّخذهُ بيْتاً وَوطناًوَتحَكَّمَفيهِ بما يُرِيْدُ وَتمَكّنَ منه غايةَ التّمكُنِ ، القلبُ الثاني : قلبٌ قد استَنَارَ بنُوْرِ الايمان وأُوقَد فيه مِصبَاحُه لكن عليه ظُلْمَةُ الشَّهَواتِ وَعَوَاصِفُ الأَهْوِيَةِ فلِلشَّيْطَانِ هُناكَ اقْبَالٌ وإدْبارٌ وَمَجَالاتٌ وَمَطَالِعُ فالحَرْبُ دُوَلٌ وَسِجَال وَتخْتَلِفُ أَحْوَالُ هذا الصِّنفِ بالْقِلَّةِ والكَثْرَةِ فَمِنْهُم مَنْ أوقاتُ غَلَبَتِهِ لِعَدُوّهِ أَكْثرُ وَمِنْهُم مَنْ أوقاتُ غَلَبَةِ عَدوّهِ أكْثرُ ومِنهم مَنْ هو تَارةً وَتَارة .

القلبُ الثّالثُ : قلبٌ محْشوٌ بالايمانِ قَـد اسْتَنَارَ بنُـوْرِ الإيمانِ وانْقَشَعَتْ عَنه حُجُبُ الشّهواتِ وأقْلَعَتْ عنه الظُّلُمَاتُ فَلِنُورِهِ في صَدْرِهِ إشْرَاقٌ ولِذَلِكَ الإشراقُ إيقَادٌ لَوْدَنَا منه الوَسْوَاسُ احْترقَ بِهِ فَهْوَ كالسّماءِ الّتي حُرِسَتْ بالنّجوم فلوْ دَنَا مِنْهَا الشّيطانُ يتخطّاها رُجِمَ فَاحْترق .

وَلَيْستِ السّماءُ بأعظَمَ حُرْمةٍ من المؤْمن وحِراسَةُ اللّه تعالى لَهُ أَتمُّ مِنْ حراسَةِ السّماء والسّماءُ مُتعبّدُ الملائكةِ وَمُستَقَرُّ الوحي وفيها أنَوارُ الطّاعَاتِ وَقَلبُ المؤْمنِ مُستَقر التّوحِيْدِ والمحبّةِ والمعْرِفةِ والإيمَان وَفيهِ أنْوارُها فهوَ حَقيقٌ أَنْ يُحرَسَ وَيُحفَظَ مِن كَيْدِ العدوِّ فَلا يَنالُ منهُ إلا خَطْفَةً تَحْصلُ له على غِرّةٍ وَغَفْلةٍ مِن العَبْدِ إذْ هُو بَشَرٌ وأَحكَامُ البَشَريّةِ جارِيَةٌ عَليْهِ مِن الغفلةِ والسّهو والذّهُول وَغلبةِ الطّبع انتهى .

اللهمّ اجْعلَنا مِن حِزْبِكَ المفْلِحينَ وَعِبادِكَ الصّالحينَ الذين أَهّلتهم لِخدمَتِكَ وَجَعلتهُم مِمَن قَبِلتَ أَعمَالَه يا ربَّ العَالمينَ وصلّى اللّه على مُحمّدٍ وآله وَصَحْبه أَجْمعين .

وقال ابنُ القيم رحمه اللهُ : والقلوبُ ثلاثةٌ ، قَلبٌ خـالٍ مِن الإيمانِ وجَمِيْعِ الخَيرِ فذلِكَ قَلبٌ مُظلمٌ قد اسْتراحَ الشيطانُ مِن إلقاءِ الوَسَاوسَ إليه لأنه قد اتّخذهُ بيْتاً وَوَطناًوَتحكَّمفيهِ بما يُريْدُ وَتمَكّنَ منه غايةَ التّمكُنِ ، القلبُ الثاني : قلبٌ قد استَنَارَ بنُوْرِ الايمان وأُوقَد فيه مِصبَاحُه لكن عليه ظُلْمَةُ الشَّهَواتِ وَعَوَاصِفُ الأَهْوِيَةِ فلِلشَّيْطَانِ هُنَاكَ اقْبالٌ وإدْبارٌ وَمَجَالاتٌ وَمَطَالِعُ فالحَرْبُ دُوَلٌ وَسِجَال وَتَخْتَلِفُ أَحْوَالُ هذا الصِّنفِ بالْقِلَّةِ والكَثْرَةِ فَمِنْهُم مَنْ أوقاتُ غَلَبَتِهِ لِعَدُوّهِ أَكْثرُ وَمِنْهُم مَنْ أوقاتُ غَلَبَةِ عَدوّهِ أَكْثرُ ومِنهم مَنْ هو تَارةً وَتَارة .

القلبُ الثّالِثُ : قلبٌ محْشوٌ بالايمانِ قَـد اسْتَنَارَ بِنُـوْرِ الإيمانِ وانْقَشَعَتْ عَنه حُجُبُ الشّهواتِ وأَقْلَعَتْ عنه الظُّلُمَاتُ فَلِنُورِهِ في صَدْرِهِ إشْرَاقٌ ولِذَلِكَ الإشراقُ إيقَادٌ لَوْدَنَا منه الوَسْوَاسُ احْترقَ بِهِ فَهْوَ كالسّماءِ الّتي حُرِسَتْ بالنّجوم فَلوْ دَنَا مِنْهَا الشّيطانُ يَتخطّاها رُجِمَ فَاحْترق .

وَلَيْستِ السّماءُ بأَعظَمَ حُرْمةٍ من المؤْمن وحِراسَةُ اللّه تعالى لَهُ أَتمُّ مِنْ حراسَةِ السّماء والسّماءُ مُتعبّدُ الملائكةِ وَمُستَقَرُّ الوحي وفيها أَنوارُ الطّاعَاتِ وَقَلبُ المؤْمنِ مُستَقر التّوحِيْدِ والمحبّةِ والمعْرِفةِ والإيمَان وَفيهِ أنوارُها فهوَ حَقيقٌ أَنْ يُحرَسَ وَيُحفَظَ مِن كَيْدِ العدوّ فَلا يَنالُ منهُ إلا خَطْفةً تَحْصلُ له على غِرّةٍ وَغَفْلةٍ مِن العَبْدِ إذْ هُو بَشَرٌ وأَحكَامُ البَشَريّةِ جَارِيَةٌ عَلَيْهِ مِن الغَفلةِ والسّهو والذّهُول وَغَلبةِ الطّبع انتهى .

هذه قصيدة لبعضهم فيها غُلُو صَلَحْنا ما فيها مِن الغَلَطِ الإعتقادي وجَعَلنَا عَلَى مَافيه تَصْليح أقواساً :

تَيَقَّضْ لِنَفْس عَنْ هُدَاهَا تَولتِ وَبَادِرْ فَفِي التَّأخير أَعْظَمُ خَشْيَة

فَحَتَّامَ لا تَلْوِى لِرُشْدٍ عِنانَهَا وَقَدْ بَلَغَتْ مِنْ غَيِّهَا كُلَّ بُغْيَةِ

وأمَّــارَةٌ بالسُّــوءِ لَوَّامَــةٌ لِمَــنْ نَهَاهَا فَلَيْسَتْ لِلْهُدَى مُطْمَئِنَّةِ

إذا أزْمَعَتْ أمْراً فَلَيْسَ يَرُدُّهَا عَنِ الفِعْلِ إخْوَانُ التُّقى وَالمَبَرَّةِ

وَإنْ مَرَّ فِعْلُ الخَيْرِ في بَالِهَا أنْثَنى أبُــو مُــرَّةٍ يَثْنِيــهِ في كُــلِّ مُــرَّةِ

وَلِــي قَــدَمٌ لَــوْ قُدِّمَــتْ لِظُلاَمَــةِ لَطَارَتْ وَلَوْ أنِّي دُعِيْتُ لِقُرْبَةِ

لَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ رِجْلٌ صَحِيحَةٌ وَرِجْلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتِ

وَقَـائِلَـةٍ لَمَّــا رَأتْ مَا أصَــابَنِي ومَا أنَا فِيهِ مِنْ لَهِيبٍ وَزَفْـرَتِي

رُوَيْدَكَ لا تَقْنُطْ وإنْ كَثُرَ الخَطَا ولا تَيْأَسَنْ مِنْ نَيْلِ رَوْحٍ ورَحْمَةِ

مَعَ العُسْرِ يُسْرٌ والتَّصَبُّرُ نُصْرَةٌ ولا فَــرَجٌ إلاَّ بِشِــدَّةِ أزْمَــةِ

«وَكَمْ عَامِلٍ أعْمَالَ أهْلَ جَهَنَّمٍ فَلَمَّا دَعَى المَوْلى أعِيْــدَ لِجَنَّةِ»

((فَقُلْتُ لَهَا جُوزِيْتِ خَيْراً على الذي مَنَحْتِ مِنَ البُشْرَى وَحُسْنِ النَّصِيحَةِ))

((فَهَلْ مِنْ سَبيلٍ لِلنَّجَاةِ مِنَ الرَّدَى وَمَا حِيْلَتِي فِــي أنْ تُفَــرَّجَ كُــرْبَتِي))

«فَقَالَتْ فَطِبْ نَفْساً وَقُــمْ مُتَوَجِّهــاً لِربِّكَ تَسْــلَمْ مِــنْ بَــوَارٍ وخَيْبَــةِ»

«فَكَــمْ آيِــسٌ مِنْ رَحْمَةِ الله فالتَجَــا إليهِ فَحُطَّتْ عَنْهُ كُلُّ خَطِيئَـةِ»

«فَدَيْتُكَ فَأقْصِدْهُ بِذُلٍّ فَإنــه يُقِيلَ بَنِي الزِّلاَّتِ مِنْ كُلِّ عَثْرَةِ»

«إذا مَا أتَــوهُ تَائِبِينَ مِن الَّــذي جَنَوْهُ مِنَ الآثَامِ تَوْبَــةَ مُخْبِتِ»

وصَلِّ إلهِي كُــلَّ يَــومٍ ولَيْلَــةٍ علــى أحْمَــدَ المُخْتَـارِ أزْكَـى البَرِيَّةِ

اللهمّ اجْعلْنا مِن حِزْبِكَ المُفْلِحِينَ وَعِبادِكَ الصَّالحِينَ الذين أهَّلْتَهم لِخدمَتِكَ وَجَعلتَهُم مِمَّن قَبِلتَ أعمالَه ياربَّ العَالمِينَ وصلَّى الله على مُحمَّدٍ وآله وَصَحْبِه أجْمعين .

٧٣ موعظة

عبادَ اللهِ أَخْلِصُوا في أَعْمَالِكُم كُلِّها لَا فَرْقَ بَيْنَ عَمَلٍ وَعَمَلٍ سَواءٌ أَكُنْتُم تَعْمَلُونَ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمْ كُنْتُم تعملونَ لِخَلْقِ اللهِ وَسواءٌ أَكُنْتُم بَيْنَ الخَلْقِ وأنتُم تَعْمَلونَ أَمْ كُنْتُمْ في مَحَلٍ خَفِيٍ لَا يَرَاكُم إلا اللهُ والكرامُ الكاتبونَ وسواءٌ أكنتُم في سَرَّاءَ وَقْتِ العملِ أم في ضَرَّاءَ .

ذَلكَ الاخْلاصُ هو أَنْ تَعْمَلَ العَمَلَ الصالحَ لا تُرِيْدُ جَزَاءً عليهِ إلا مِن اللهِ يكونُ ذلكَ قصدُكَ قبلَ العملِ وحينَ مُبَاشَرَتِهِ وَبَعدَ الفَرَاغِ مِنهُ لَا تَذْكُرْهُ بِلسَانكَ إلا مِن بابِ التحدثِ بنعمِ اللهِ أو لِيَقْتَدِي بِكَ غَافِلٌ مُتَّبِعٌ لِهَوَاهُ ، بِهَذا يَكُونُ العَمَلُ عبادةً حقاً وتكونُ أنتَ مِن العابِدِينَ وبِهذا يَثمرُ عَمَلُكَ القَبُولَ عندَ رَبِكَ وعندَ الناسِ ، وبهذا تكونُ أَقْوَى الناسِ لأَنَّ وَلِيَّكَ حِيْنَئِذٍ يكونُ مَوْلَاكَ القَوِيُّ المَتِيْنُ وبهذا تكونُ مِن أَهْلِ الكَرَامَةِ في هذهِ الدارِ وفي دارِ الجزاءِ .

أَمَّا إذا عَمِلْتَ العَمَلَ الصَّالِحَ لِيُقْبلَ عَلَيْكَ الناسُ وَيَقُوْلُوا إنكَ مِن الصَّالِحينَ فأنتَ إذاً تكونُ مُرَائِياً لا تُخْلِص العَمَلَ بَلْ تَشْرِكْ مَعَه الناظرينَ فتكونُ في دَعْوَى تَمْحِيْصِ العملِ للهِ تعالى لَسْتَ بصَادِقٍ بَلْ مِن الكاذبين .

وانْظُرْ كَيفَ تكونُ حَالُ مَن يَكْذِبُ على مَن لا تَخْفَى عليهِ خافيةٌ ، لا في الأرضِ ولا في السماءِ ، إن المُرَائِيَ مَهْمَا أَخفَى رِياءَهُ يُظْهِرُ اللهُ تعالى ما فِي قَلْبِهِ لِلْعَالَمين ، رَوَى الامامُ احمدُ عن أبي سعيدٍ مَرفوعا « لو أَنَّ أَحَدَكُم يَعْمَلُ في صَخْرَةٍ ليسَ لَهَا بابٌ ولا مَنْفَذٌ لأَخْرَجَ اللهُ عَمَلَهُ لِلنَّاسِ كائناً مَا كان » .

ولذلكَ يكونُ لِأعمالِ المُرائِي مِن السَّماجَةِ في نُفُوسِ الناسِ مالا يَحْكِيْهِ اللّسَانُ ولِهذا يكونُ مَرْذُوْلاً ثَقِيْلاً عندَ الناسِ ، ومِن هذا تَرَاه يَتَوَدَّدُ إلى الناسِ وَيَضْحَكُ إليهِمْ وَنُفُورُهُم عنه عِبْرَةٌ عند العقلاء ثم هو عندَ اللهِ أسوأُ حالاً خصوصاً في اليومِ الذي يَشِيْبُ فيه الاطفالُ فقـد يُؤْمَرُ بِهِ إلى النارِ وله مِن الأعمالِ أمثالُ الجبالِ لكنَّهَا لَمَّا لَم يُرْد بِهَا وَجْهَ اللهِ خَالِصةً صَارَتْ وبالاً عليه نعوذُ باللهِ مِن الرِّياءِ .

اللهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ وَالاجَابَةِ وَوَفِّقْنَا لِلتَّوبَةِ النَّصُوحِ وَالانابَةِ وَثبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا تَثْبِيْتَ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ آنَاءَ الليْلِ وَالنَّهارِ وَثبِّتْنَا على قَوْلك الثَّابِتِ في الحَيَاةِ الدنيَا وفي الآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ على مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٧٤ « موعظـــة »

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللهُ وَإيَّاكَ وَجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ لِيَعْبُدُوْهُ ، وَيَعْرِفُوْهُ وَيَخْشَوْهُ وَيَخافُوهُ ، وَنَصَبَ لَهُم الأدِلَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ لِيَهَابُوْهُ ، وَيَخَافُوهُ خَوْفَ إجْلالٍ ، وَوَصَفَ لَهُم شِدَّةَ عَذَابِهِ ، وَدَارَ عِقَابِهِ التِيْ أَعَدَّهَا لِمَنْ عَصَاهُ ، لِيَتَّقُوهُ بِصَالِحِ الأعْمَالِ ، وَلِهَذَا كَرَّرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كِتَابِهِ ذِكْرَ النَّارِ وَمَا أَعَدَّهُ فِيْهَا لأعْدَائِهِ مِنْ العَذَابِ والنَّكَالِ وَالاغْلالِ ، وَمَا احْتَوتْ عَلَيْهِ مِنْ الضَّرِيْعِ والزَّقُّومِ والحَمِيْمِ وَالسَّلاسِلِ والغَسَّاقِ وَالغِسْلِيْنِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِيْهَا مِنْ الأَهْوَالِ وَالفَضَائِعِ وَالعَظَائِمِ ، وَدَعَا عِبَادَهُ بِذَلِكَ إِلَى خشْيَتِهِ وَتَقْوَاهُ ،

وَالمُسَارَعةِ الى امْتِثالِ مَا يَأْمُر بِهِ وَيُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، وَاجْتِنَابِ مَا يَنْهَى عَنْهُ وَيَكْرَهُه وَيَأبَاهُ ، وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلا بِأَنَّ الخَلْقَ وَارِدُوْهَا قالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنْ مِنْكُم إِلَّا وَارِدُهَا ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ حتْماً مَقْضِيًّا ، ثم نُنَجِّيْ الذِيْنَ اتقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِيْنَ فِيْهَا جثِيًا ﴾ فأنْتَ مِنْ الوُرُودِ على يَقِيْنٍ ، وَمِنْ النَّجَاةِ في شَكٍّ ، فَيَا أَيُّها الغَافِلُ السَّاهِيْ عَنْ نَفْسِهِ ، المَغْرُورُ بِمَا هُوَ فِيْهِ مِنْ الاشْتِغَالِ بعَمَائِرِهِ وَأَرَاضِيْهِ وَسَيَّارَاتِهِ ، وَشَرِكَاتِهِ وَمُقَاوَلَاتِهِ وَزَوْجَاتِهِ وَأَوْلَادِهِ ، وَكُلِّ ما يُلْهِيْهِ عنْ ذِكْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ ، والالتِفَاتِ الى دَارِ القَرَارِ ، دَعْ التَّفكُّرَ وَقَتْلَ الوَقْتِ فِيْمَا أَنْتَ مَرتَحِلٌ عَنْهُ ، وَجَادٌّ في السَّيْرِ عَنْهُ ، وَاصْرِفْ فِكْرَكَ فِيْمَا أَمَامَكَ فَاسْتَشْعِرْ في قَلْبِكَ هَوْلَ ذَلِكَ المَوْرِدِ ، لَعَلكَ تَسْتَعِدَّ لِلنَّجَاةِ مِنْهُ وَتَأَمَّلْ في حَالِ الخَلْقِ وَقَد خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِم حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ﴿ مُهْطِعِيْنَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الكافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ تَفَكَّرْ في ازْدِحَامِ الخَلَائِق وَقَدْ صَهرَتْهُم الشَّمْسُ ، إِلَّا مَنْ أَظَلَّهُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ الا ظِلُّهُ ، وَاشْتَدَّ الكَرْبُ وَالغَمُّ من الوَهَجِ ، وتدافَعَتْ الخلائقُ لِشِدَّةِ الزِّحَامِ ، وَاخْتِلَافِ الاقْدَامِ ، وَانْضَافَ إلى ذَلِكَ شِدَّةُ الخَجَلِ وَالحَيَاءِ ، والخَوْفِ مِنْ الفَضَائِحِ وَالاخْتِزَاءِ عِندَ العَرْضِ عَلَى الجَبَّارِ ، وَقُرْبُ الشَّمْسِ مِنْ الخَلْقِ فَيَبْلُغُ عَرَقُهم فِي الأَرْضِ سَبْعِيْنَ ذِرَاعاً ، كَمَا في حَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَةَ الذِيْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ

قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلم « يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُم في الأَرْضِ سَبْعِيْنَ ذِرَاعاً » .

بسم الله الرحمن الرحيم

إعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ أنَّهُ لم يُؤْثَرْ عَنْ أَحَدٍ مِن السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَتَابِعِيْهِمْ بِإِحْسَانٍ تَعْظِيْمَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ وَالمُوَالِيْنَ لأَهْلِ البِدَعِ وَالمُنَادِيْنَ بِمُوَالاتِهِمْ ، لأَنَّ أَهْلَ البِدَعِ مَرْضَى قُلُوْب ، وَيخْشَى عَلَى مَنْ خَالَطَهُمْ أَو اتَّصَلَ بِهِمْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ مِنْ مَابِهِمْ مِن هَذا الدَّاءِ العُضَال ، لأَنَّ المَرِيْضَ يُعْدِيْ الصَّحِيْحَ وَلاعَكسْ ، فَالْحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ جَمِيْعِ أَهْلِ البِدَعِ وَمِنْ أَهْلِ البِدَعِ الذيْنَ يَجِبُ البُعْدُ عَنْهُمْ وَهِجْرَانُهُمْ ، الجَهْمِيَّةُ ، وَالرَّافِضَةُ ، وَالمُعْتَزِلَةُ ، وَالمَاتُرِيْدِيَّةُ ، وَالخَوَارِجُ ، وَالصُّوْفِيَّةُ ، وَالأشَاعِرَةُ وَمَنْ عَلَى طَرِيْقَتِهِمْ مِنَ الطَّوَائِفِ المنْحَرِفَةِ عَنْ طَرِيْقَةِ السَّلَفْ ، فَيَنْبَغِيْ لِلمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهُمْ وَيُحَذِّرَ عَنْهُم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يا حي يا قيوم ياذا الجلال والاكرام أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلياء أن تعز الاسلام والمسلمين وأن تذل الشرك والمشركين وان تدمر أعداء الدين اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لى شأني كله لا إله إلا أنت.

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم إنى اسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً يا حي يا قيوم ياذا الجلال والإكرام.

اللهم ارحم في الدنيا غربتي وارحم في القبر وحشتي وارحم في الآخرة وقوفي بين يديك.

اللهم اعتق رقبتي من النار وأوسع لي من الرزق الحلال واصرف عنى فسقة الجن والانس.

اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وظاهره و باطنه وأوله وآخره وعلانيته وسره اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعزيمة على الرشد والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة والنجاة من النار يا حي يا قيوم ياذا الجلال والإكرام.

اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأ برار.

ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار.

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً.

ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً.

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك.

اللهم إنا نعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وغلبة الدين وشماتة الأعداء.

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جنهم وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي آخرتي التي إليها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير والموت راحة لي من كل شر. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم إني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء.

اللهم طهر قلبي من النفاق ولساني من الكذب وعملي من الرياء وعيني من الخيانة إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم إني اسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك الصالحون وأعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك الصالحون.

رب قني عذابك يوم تبعث عبادك.

اللـهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا. رب اشرح لي صدري و يسر لي أمري رب اغفر خطيئتي يوم الدين.

اللـهـم أعـنـا على ذكـرك وشـكـرك وحـسن عبادتك يا حي يا قيوم ياذا الجلال والاكرام.

رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

رب أوزعني أن أشكـر نـعـمـتك التي انعمت على وعلى والدى وأن أعـمـل صـالحـاً ترضاه واصلح لى في ذريتي إنى تبت إليك وإنى من المسلمين. وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عـنـا واغـفـر لـنـا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. آمين.

سـبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب الـعـالمين. وصلى الله على عـبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(خَاتِمَةٌ ، وَصِيَّةٌ ، نَصِيْحَةٌ)

إعْلَم وَفقَنا اللَّهُ وإيَّاكَ وجَمِيعِ المسلمين لما يُحِبَّهُ اللَّهُ ويَرْضَاهُ أَنَّ مِمَّا يَجبُ الاعْتِنَاءُ بهِ حِفْظًا وعَمَلاً كلامُ اللَّهِ جَلَّ وعَلاَ وكلامُ رسوله ﷺ .

وأنهَ يَنْبَغِي لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تعالى أَنْ يَحُثَّ أَوْلاَدَه على حِفْظ القُرآن وما تَيسَّرَ مِن أَحَاديثِ النبيَ ﷺ المتفق على صحَّتِهَا عنه كالبُخَاري ومُسْلم .

ومِن الفقه مختِصرَ المقْنِع لِيَتَيسَّرَ لَهُ اسْتِخْراجُ المسائل ويَجْعَلُ لأَوْلادِهِ مَا يَحُثُهُم على ذَلِكَ .

فَمَثَلاً يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ القُرآنَ على صَدْرِهِ حِفْظًا صَحِيْحًا عَشَرَةَ آلافِ أَوْ أَزْيَد أَوْ أَقل حَسَبَ حالِهِ في الغِنَى .

ومِن الأَحَاديث عُقودَ اللُّؤلؤ والمرْجَان فيها اتفق عَليْهِ الإمَامَانِ البخَارِي ومسلم ، يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلاف من الرِّيالات

فإِنْ عَجَزُوا عن حِفْظِهَا فالعُمدة في الحديث يَجْعَلُ لِمَنْ حَفِظها ثلاثةَ آلافُ أَوْ الأربعين النَّواوِيَّة ويَجْعَل لمن يَحْفَضها أَلْفاً مِن الريالات

ويَجْعَـلُ لِمَنْ يَحْفَظُ مُخْتَصرَ المقنع في الفقه أَلْفَيْن مِن الريالاتِ فالغيبُ سَبَبٌ لحفظ المسائل وسَبَبٌ لِسُرعَةِ اسْتِخْرَاج ما أُرِيْدَ مِن ذَلِكَ وما أَشْكَلَ مَعْنَاهُ أَوْ يُدَخِّلُهُم في مَدَارِسِ تَحْفِيْظِ القُرآن فَمَدَارِسُ تَعْلِيْمِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ هِيَ مَدَارِسُ التَّعْلِيْمِ العَالِيْ المُمْتَازِ البَاقِي النافِعِ في الدُنْيا والآخرَةِ .

فَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِذَلِكَ وعَمِلَ أَوْلادُهُ بذَلِكَ كان سَبَبًا لِحُصُولِ الأَجرِ مِن اللَّهِ وسببًا لبرِّهِم بِه ودُعَائِهِم لَهُ إِذَا ذَكَروْا ذَلِكَ منهُ ولَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا مُباركًا يَعْمَلُ به أَوْلاَدُهُ مَعَ أَولادِهم فَيزِيْدُ الأَجْرُ لَهُ ولَهُم نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَ الجَمِيعَ لِحُسْنِ النِّيَةِ إِنَّهُ القادِرُ عَلَى ذَلِكَ وصلى الله على محمد وآله وصَحْبه وسَلم .

تمَّ هذَا الجُزْءُ الأوَّل بعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيْقِهِ وَنسْأَل اللهَ الحَيَّ القَيُّومَ العَلِيَّ العَظِيْمَ ذا الجَلَالِ والإِكْرَامِ الوَاحِدَ الأحَدَ الفَرْدَ الصَّمَدَ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كفواً أحَدٌ أنْ يُعِزَّ الإسْلَامَ والمُسْلِمِيْنَ وأنْ يَخْذُلَ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِيْنَ وَأعْوَانَهُمْ وأنْ يُصْلِحَ من في صلاحه صَلاحٌ للإِسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَيُهْلِكَ مَنْ في هلَاكِهِ عز وصلاح للإِسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَأنْ يَلُمَّ شَعَثَ المُسْلِمِيْنَ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ ويُصْلِحَ أولادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ وَيُعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأيْدِيْنَا إلى كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وإيَّاهم مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظنا وإيَّاهم مِن كُلِّ ضَرٍ وأنْ يَغْفِرَ لنا ولوالدينا وجميع المسلمين بِرَحْمَتِهِ إنَّه أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلى الله على محمد وعلى آله وَصَحْبِهِ أجمعين .

والله المسئول أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به نفعاً عاماً إنه سميع قريب مجيب على كل شيء قدير .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرفِ المرسلين نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين . ومَن تَبِعَهُم بإحسان إلى يومِ الدين وسلم تسليماً كثيراً .

عبد العزيز المحمد السلمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سـابقـاً